جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

المراكز العلمية في المشرق الإسلامي ودورها الحضاري في العصر العباسي الأول

(١٣٢ -٢٣٢ هـ/ ٧٤٩ - ٨٤٦ م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد : محمد حسان عبيد

إشراف
الأستاذ الدكتورعبد القادر عثمان محمد جاد الرب

العام الدراسي
١٤٣٠ -١٤٣١ هـ/ ٢٠٠١- ٢٠١٠ م

بســـــــم الله الرحمن الرحيـم

﴿ يرفع اللّه الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات ﴾

سورة المجادلة ، الآية ١١

مستخلص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

عنوان البحث : المراكز العلمية في المشرق الإسلامي ودورها الحضاري في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ -٨٤٦ م)

- **بدأت البحث بمقدمة وتمهيد ..**
- المقدمة وبينت فيها عملي في البحث ، وسبب اختياري للدراسة ، والصعوبات التي واجهتني ، وإشكالية البحث ، وموقفي من الدراسات السابقة .
- التمهيد : وفيه تعريف بالعصر العباسي الأول :
  - الامتداد الزماني والمكاني (خلفاء هذا العصر).
  - خصائص وميزات العصر العباسي الأول .

ثم قسمت البحث إلى أربعة فصول :

- **الفصل الأول** : بينت فيه العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار المراكز العلمية في العصر العباسي الأول .
- **الفصل الثاني** : المراكز العلمية في بلاد الحجاز واليمن : قمت بدراسة العلوم التي اشتهرت في المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وصنعاء ، وترجمت لمشاهير العلماء وبينت دور هذه المدن في ازدهار الحركة العلمية .
- **الفصل الثالث** : المراكز العلمية في بلاد الرافدين : قمت بدراسة العلوم التي اشتهرت في مدن العراق : البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، وترجمت لمشاهير العلماء وبينت دور هذه المدن في ازدهار الحركة العلمية .
- **الفصل الرابع** : المراكز العلمية في بلاد الشام والجزيرة وبلاد فارس وماوراء النهر: قمت بدراسة العلوم التي اشتهرت في دمشق ، وحرّان ، وجنديسابور، وبخارى ، وسمرقند ، وترجمت لمشاهير العلماء ، وبينت دور هذه المدن في ازدهار الحركة العلمية .

واستثنيت في دراستي مصر - مع أن الباحثين يعدونها من بلاد المشرق الإسلامي – وذلك لطول البحث .

ثم أنهيت البحث بـ :

- الخاتمة : وذكرت فيها:
- أولاً : النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة و الدورالرائد الذي لعبته المراكز العلمية الإسلامية في بناء الحضارة العربية الإسلامية ، وما قدمته للحضارة الإنسانية .
- ثانياً : التوصيات .
- **ثم ذكرت مصادر ومراجع البحث .**

وأنهيت البحث بعمل فهارس لآيات القرآن الكريم ، ثم أحاديث الرسول ﷺ، ثم الأعلام المترجمين .

أسأل الله العظيم أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم

محمد حسان عبيد - الخرطوم - السابع من رمضان ١٤٣١ هـ / الثامن عشر من آب ٢٠١٠ م

Abstract

In the name of Allah the most compassionate the most merciful.

Thanks are adorned to Allah and uncountable prayers may be blessed upon the soul of his prophet Mohammed.

Summery of the research

The title of the research I am going to sum up is the scientific centers in the eastern Islamic countries and their cultural role during the first period of the Abasse Caliphates(749 – 846)
- Began to look with an introduction and pave ..
- Introduction and to set out practical research, and why I chose to study, and the difficulties I had, and the problematic search, and the position of the previous studies.
- Boot: The definition of the first Abbasid era:
  - Extension of temporal and spatial (successors to this day and age).
  - The characteristics and features of the first Abbasid period.

Search then divided into four chapters:
- Chapter I: it outlined the factors that helped the growth and prosperity of scientific centers in the first Abbasid period.
- Chapter II: scientific centers in the Hijaz and Yemen: I studied the science that went down in Medina and Mecca, Sana'a, and translated by famous scientists and showed the role of these cities in the prosperity of the scientific movement.
- Chapter III: scientific centers in Mesopotamia: I studied science, famed in the cities of Iraq: Basra, Kufa, Baghdad, and translated by famous scientists and showed the role of these cities in the prosperity of the scientific movement.
- Chapter IV: scientific centers in the Levant and Arabian Peninsula, Persia and beyond the river: I studied the science that went down in Damascus, and Harran, Jundishapur, and Bukhara, and Samarkand, and translated by famous scientists, showed the role of these cities in the prosperity of the scientific movement.

And excluded studies in Egypt - with the researchers from the

country they consider the Islamic East - and that the length of the search.

Then terminated Search by:

- Conclusion: in which it stated:
- First: the findings of the study and during Alldoralraid played by the centers of Islamic science in building the Arab Islamic civilization, have all contributed to human civilization.
- Second: Recommendations.
- Then, sources and references the search.

And finished the work of the , and then flagsρsearch indexes to Quranic verses, and sayings of the Prophet translators.

Mohammad Hassan Obaied

شكر وتقدير

اللهم ربي ، ربَّ كلِّ شيءٍ وخليقه ، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لك الشكر ربي أن أنعمت عليَّ بنعمة الإسلام والإيمان ، ومننتَ عليَّ أن أتممتُ هذا العمل الجليل .
وأصلي وأسلم على نبي الهدى محمد ، معلم الناس الخير، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وأقدم شكري وتقديري إلى جامعة أم درمان الإسلامية ، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، على سعيهم الدؤوب لنشر العلم والعناية بأهله .

وأبث شكري الوافر إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد القادر عثمان محمد جاد الرب عميد كلية الآداب في جامعة أم درمان الإسلامية الذي أشرف على رسالتي ، فاختار لي عنوان البحث ، ثم تابع عملي بدقته العلمية المشهورة ، وبملاحظاته القيمة ، فغمرني بعلمه وأحاطني برعايته جزاه الله الخير كل الخير .
والشكر متواصل إلى الأساتذة الكرام أعضاء هيئة المناقشة ، وأدعوا الله الكريم أن يجازيهم عني خيراً ، وأن يحتسب عملهم في ميزان حسناتهم .
وشكري ودعائي الخالص للبلد الطيب جمهورية السودان الشقيقة حكومة وشعباً على التسهيلات التي تقدمها للباحثين الذين يفدون إلى بلدهم الثاني من أصقاع مختلفة ، واسأل الله أن يمنّ على هذا البلد الكريم بوافر الأمن والأمان والنصر الحاسم .

وأشكر العاملين المخلصين في مكتبة زايد المركزية بمدينة العين في دولة الإمارات العربية المتحدة .
وأتقدم بشكري أيضاً إلى موظفي مكتبة الأسد الوطنية بدمشق الشام في الجمهورية العربية السورية .

ولايفوتني أن أشكر زوجتي الودود " أم حازم " على مابذلته من جهد واضح لتشجيعي ، وبث الأمل في قلبي ، ورد السآمة والملل أن يتسربا إلى همتي ، فجزاها الله عني خيراً .

قائمة المختصرات والرموز

تمّ استخدام الرموز والمختصرات الآتية:

- ت : تاريخ الوفاة .
- ه : تاريخ هجري .
- م : تاريخ ميلادي .
- ج : جزء .
- ص : صفحة .
- بلا : بدون تاريخ نشر.
- ط : طبعة .
- ت : تحقيق .

المحتوى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد ؛ فهذا بحث بعنوان :

المراكز العلمية في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ /٧٤٩ -٨٤٦م)

ويقصد بالمراكز العلمية : تلك المدن العامرة التي نشطت فيها الحركة العلمية والثقافية والفكرية .وشمل البحث **مقدمة وتمهيداً وأربعة فصول وخاتمة .**

ففي الفصل الأول : ذكرت العوامل التي ساعدت على ازدهار وتطور الحركة العلمية في العصر العباسي الأول .

وتضمن الفصل الثاني المراكز العلمية في بلاد الحجاز واليمن .

وتضمن الفصل الثالث المراكز العلمية في العراق .

وتضمن الفصل الرابع المراكز العلمية في بلاد الشام والجزيرة وبلاد فارس وماوراء النهر.

وفي كل هذه المراكز قمت بدراسة العلوم التي نشطت وازدهرت فيها ثم ترجمت لأعلامها المشهورين . ونظرا لطبيعة البحث من حيث اتساع الرقعة الجغرافية التي يشملها ، وكثرة العلوم التي يدرسها ؛ فقد آثرت الانتقاء أولاً ، فالبحث لايشمل المراكز قاطبة . وكان لابد لي من الاختصار في كثير من فصوله ثانياً .

- **سبب اختيار البحث :**

أما سبب اختياري للبحث فلقد عملت فترة من الزمن في تحقيق بعض كتب التاريخ الإسلامي ([1]) ([1]) وكنت خلالها أشعر بكثير من الإعجاب بأهمية هذه المراكز العلمية الإسلامية ، والتي كانت نواة الحضارة العربية الإسلامية ، فتحينت الفرصة كي أوثقها وأجمعها في بحث واحد ، يفيدني أولاً ، ويستفيد منه الباحثون في الحضارة والتاريخ الإسلامي .

- **مشكلة البحث** : يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي : ماهي الأسباب الكامنة وراء ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسي الأول ،وماهي إسهاماتها في المجالات الحياتية المختلفة؟

وسعيت إلى تتبع العلوم التي ظهرت ، وتدرج تطورها ، ومكانتها في تطور وازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

- **أهمية البحث** : تأتي أهمية البحث كونه توثيق علمي للكتب والمصنفات التي وضعها العلماء في هذه المراكز العلمية ، وترجمتهم وبيان فضلهم ، ودورهم في تطور العلوم التي تخصصوا بها .

- **أهداف البحث** : سعيت في هذا البحث إلى إثبات قوة هذه المراكز العلمية ، ودور الخلفاء العباسيين الأُول في نمو وازدهار المراكز العلمية .

- **أهمية البحث** : التوثيق العلمي للكتب والمصنفات التي وضعها العلماء في هذه المراكز العلمية ، وترجمة العلماء وبيان فضلهم .

---

[1] - شاركت مع مجموعة من الباحثين في تحقيق كتاب البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي ، ط : دار ابن كثير ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧م

– **منهج البحث** : اتبعت في بحثي منهج البحث التاريخي ، وتوثيق المعلومات ، وذلك برد كل خبر أو معلومة إلى المصادر والمراجع المعتمدة .

– **أدوات البحث** : المصادر والمراجع المعتمدة .

- المخطوطات .
- المجلات والحوليات .
- الخرائط التاريخية .

– حدود البحث :

أ – الحدود المكانية : شمل البحث تغطية بلاد المشرق الإسلامي ((ويشتمل المشرق الإسلامي على البلاد الإسلامية التي تقع شرقي البحر المتوسط ومصر إلى اليمن إلى بلاد ما وراء النهر – هذا ما اصطلح عليه المؤرخون المحدثون [1]– و استثنيت مصر اختصارا للبحث)) فتتبعت ما وجد في هذه البلاد الإسلامية من مراكز علمية، واقتصرت على الأكثر شهرة .

ب – الحدود الزمانية :أما الزمن الذي اختص به البحث ، فهو العصر العباسي الأول **(١٣٢-٢٣٢هـ /٧٤٩ -٨٤٦م)**واخترت هذا العصر لاهتمام خلفاء هذا العصر وكبار رجال الدولة بالحركة العلمية مع توفرعوامل أخرى للنهضة الفكرية والعلمية ، وسأذكر خصائص هذا العصر بشيء من التفصيل في التمهيد .

– **منهج البحث** : اتبعت في بحثي منهج البحث التاريخي ، وتوثيق المعلومات ، وذلك برد كل خبر أو معلومة إلى المصادر والمراجع المعتمدة .

– **الدراسات السابقة :** والدراسات السابقة التي تناولت البحث في ازدهار العلوم وتطورها في المراكز التي هي موضع دراستي قليلة ، والذي وجدته بعد طول بحثٍ واستقصاء دراستين لاتغطيان سوى جانب جزئي من موضوع دراستي :

- **أولها** : الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني ، إعداد عدنان علي الفراجي ([2]).

وهذه الدراسة ذات فائدة كبيرة فيما يخص الحركة الفكرية في المدينة المنورة ، ولكن المؤلف يركز أكثر دراسته على الحديث ، واهتمام أهل المدينة بجمعه ووضع قواعد وأصول تكفل صيانة الحديث النبوي من الأحاديث الموضوعة أو المدسوسة ، وقد استفدت منه بهذا الجانب ، ولكن هذا الاهتمام

[1] - ينظر: مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط : دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٣م ١/ ٢٦٧ . وأيضا : الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، معالم التاريخ الإسلامي ، ط: دار الفكر العربي ، القاهرة بلاتا . ص ٢٧٩ .

[2] - ط : الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٦ م .

كان على حساب العلوم الأخرى التي ظهرت في المدينة ولم يتم التركيز عليها ، فاستعنت بمصادر ومراجع أخرى لإتمام البحث .

ومن جهة أخرى وجدت قلة اهتمام الدارس بتراجم العلماء المشهورين بكل صنف من أصناف العلوم ، وهذه أجدها مهمة ، فكنت شديد الاهتمام بترجمة العلماء وذكر مآثرهم وآثارهم ، وماتركوه من مصنفات ، فلقد كانت فترة دراستي بداية لتصنيف شتى العلوم على ماسنذكره إن شاء الله .

إذاً فلم تغط الدراسة سوى جانب جزئي بزمن جزئي لمركز من مراكز دراستي .

- **والدراسة الثانية هي** : الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ، رسالة ماجستر ، إعداد خليل داود الزرو ([1]) .

وقد شملت دراسة هذا الباحث بلاد الشام كلها ، وكانت فائدتي منها نادرة ، لأنني اخترت من بلاد الشام دمشق وحسب ، وقد وجدت الباحث يكثر من النقل عن المستشرقين ، ويعتمد أفكارهم دون الرجوع إلى المصادر العربية الإسلامية ، مما أوقعه في أخطاء كبيرة فمثلاً يؤكد على أن أهل الشام وضعوا تفسيراً للقرآن يظهر مكانة الشام وأهميتها ، كتفسيرهم قول الله تعالى ﴿ والتين والزيتون ﴾ على أن المقصود بها بلاد الشام . وحقيقة أن هذا التفسير منسوب لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وليس لأهل الشام ([2]) .كما اهتمام الدارس بتراجم العلماء أقل من المطلوب ؛ فاستفدت من دراسته بجزئيات بسيطة قد أثبتها في موضعها ، كما أن الدراسة لاتغطي الفترة الزمنية كاملة التي اعتمدتها لدراستي .

ولتمام الفائدة قمت **بتحليل المصادر والمراجع المعتمدة في البحث** (ذكرت أهم المصادر التي أفادتني في بحثي ، والصعوبات التي واجهتني من بعضها الآخر ، وبعض ما أهملته هذه المصادر والدراسات وحاولت إتمامه) واعتبرت عملي هذا مساهمة متواضعة لإيقاظ همم الأجيال العربية المسلمة الصاعدة للوقوف على ماضي أمتهم المجيد وإنجازات علماء الأمة بمختلف اختصاصاتهم .

وفي الخاتمة بينت النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة ، ثم ذكرت بعض التوصيات التي وجدتها مناسبة .

وفي آخر البحث أعددت قائمة بالمصادر والمراجع والحوليات والدوريات ، والمراجع الأجنبية التي استخدمتها في البحث ، وأعددت فهارس لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم والأعلام المترجمين .

والله العظيم أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، واستغفره سبحانه عن كل تقصير ، وأسأله سبحانه أن ينفع بعملي المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

---

[1] - ط : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١ م .

[2] - ينظر : القرطبي ، الجامع لحكام القرآن ٢٠ / ١١١ .

تحليل المصادر والمراجع

اعتمدت في البحث على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع نظراً لطبيعة الدراسة التي اقتضت التنقل بين كتب التاريخ العام ، والتاريخ الحضاري ، وتاريخ العلوم ، والتاريخ الاجتماعي والتراجم ، والأنساب ، والبلدانيات ، والتفسير، والحديث ، والفقه ، والأحكام السلطانية ، والأدب، والتربية، وغيرها مما تتطلبته الدراسة ، وهنا أسلط الضوء على بعض تلك الكتب والمصنّفات مما كان له حضورٌ بيّنٌ في البحث .

- القرآن الكريم :

احتوى القرآن الكريم على آيات بيّنات تحث المسلمين على تعلم العلم ، والسؤال عما لا يُعلم ، وسبر آفاق الكون ، وتبيّن عدم المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم ، وقد استدللت ببعض هذه الآيات الكريمة في الفصل الأول من البحث .

- كتب الحديث :

لم يأت الرسول الكريم محمد ﷺ إلا معلماً ؛ بيّن ذلك في أحاديثه الشريفة ،كما أنه ﷺ كان يحث الصحابة ويشجعهم على طلب العلم والعمل به ، فأوردت أحاديث في الفصل الأول تخص موضوع الدراسة من الكتب الصحيحة المعتمدة ، كموطأ مالك ([1]) وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وسنن أبي داود وغيرها . كما اطلعت على كتب الحديث هذه ؛ للتأكد من روايات المحدثين الذين قمت بترجمتهم في كل مركز من مراكز العلم الذي تعرضت له بالدراسة ، وكانت إنجازات هؤلاء المحدثين مصادر كتب الحديث المعتمدة .

- كتب التفسير:

من كتب التفسير التي استفدت منها ، جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ، و تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن .

كتب التاريخ العام :

نقلت الكثير من الأخبار والحوادث والتراجم من كتب التاريخ العام كتاريخ الأمم والملوك للطبري . وكتابي المسعودي ، مروج الذهب والتنبيه والإشراف . والكامل في التاريخ لابن الأثير. والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي . وهذه المصادر مع غيرها اشتملت على مادة غنيّة من الإسهامات الحضارية للدولة الإسلامية وتطور الحركة العلمية في خلافة العباسيين ، ورغم أن مصادرها متشابهة ، إلا أنها تكمل بعضها بعضاً ، فإذا ما أغفل مصدر جانباً وجدته في مصدر آخر ولاحظت أن المؤرخين القدماء لاينقلون عن بعضهم حرفياً ، فكل له طريقته الخاصة في عرض المادة التاريخية . والنتيجة هي أن هذه الكتب لاينضب معينها فمادتها غنية ثرة ، تغني الباحث في أي جانب من جوانب دراسته .

وثمة مصادر تاريخية أخرى كان لها أهمية خاصة ، تلك التي تبرز الجانب الحضاري في التاريخ ، ككتب البلاذري : فتوح البلدان، و أنساب الأشراف ، وابن خلدون في مقدمته ؛ فقد وجدت فيه ما لم أجده في مصادر أخرى ، عن أساليب التعليم وطرقه ، والتعريف بالعلوم ، وأهمية العمران والتمدن في ازدهار الحركة العلمية .

[1] ـ ذكرت تفاصيل عن المؤلف ، وطبعة الكتاب التي استخدمتها ، عند الاعتماد على المصدر لأول مرة في موضعه ضمن البحث ، ثم عملت قائمة تفصيلية للمصادر والمراجع التي اعتمدتها في آخر البحث .

- كتب التراجم:

تعد هذه المصنّفات من أبرز ما ارتكزت عليه الدراسة لما قدّمته من ترجمة وافية للعلماء والأدباء والشعراء ، وهنا لابد من تصنيف كتب التراجم هذه ، فمنها :

- كتب التراجم العامة ، ككتاب الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، وهو كتاب تراجم موسوعي ، وقد قسم الذهبي المترجمين إلى طبقات ، كل طبقة تضم الأعلام الذين عاشوا خلال خمسين عاماً بدأ بترجمة الصحابة المعمرين إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ؛ ولا يقتصر الذهبي على ترجمة صنف واحد من المشتهرين ، ولكنه يترجم للمحدثين والقراء والفقهاء والكتاب والشعراء والخلفاء والحكام والوزراء. ومن كتب التراجم التي أفدت منها كتاب العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وإن كان العمري يطنب في البديع والبيان ، ولكنه قد جمع أعلام كل علم من العلوم على حدة ، واقتصر على أكثرهم شهرة . ولايبلغ الغاية في ذكر مصنفات المترجمين .

ـ كتب الطبقات ، ككتاب ابن سعد ، الطبقات ، ويعد هذا الكتاب مصدراً هاما لكتب التراجم والتاريخ التي تلته ، ولكني لاحظت عدم اهتمام ابن سعد بذكر مصنفات من ترجم لهم ، مما حذاني إلى الاعتماد على غيره من المصادر والمراجع . أما طبقات خليفة فإنه يقتضب في سيرة مترجميه . وأكثر الفائدة منه في ضبط سنة وفاتهم .

- كتب تراجم المتخصصين بعلم من العلوم ، وهي مصادر تخصصت بترجمة أعلام برزوا بعلم من العلوم ، فمنها كتاب الذهبي ، معرفة القراء الكبار . وكتاب ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء . وهوكتاب لايستغني عنه باحث في تراجم القراء واختلاف القراءات . وكذلك كتب أعلام المذاهب ككتاب القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك . وكتاب ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ، وكتاب السبكي طبقات الشافعية الكبرى ، وغير ذلك . ولهذه الكتب فوائد عظيمة فإنها تلقي الضوء على إنجازات علماء المذاهب الفقهية وإنجازاتهم وتصانيفهم .

- كتب الفهارس (الببلوغرافيا) :

على رأس هذه المصنفات ، استفدت من كتاب ابن النديم ، الفهرست ، ولقد عجبت من كتاب هكذا موضوعه وألف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، فقد جمع في مصنفه آلاف الكتب المصنفة قبله ، وقد رأى كثيرا منها – حسب قوله – وما لم أجده في فهرست ابن النديم ، وجدته في كتاب حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . ولتمام الفائدة رجعت إلى كتاب الدكتور فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، فقد صنف كتابه تصنيفاً ، يسهل تناوله والفائدة منه ، فهو يضيف إلى نقوله من المصادر العربية ، بعض دراسات المستشرقين للعلوم العربية ومصنفاتهم ، وإن اطلاعه على فهارس المخطوطات العربية في المكتبات العربية والعالمية قد أغنى مادة كتابه .

- كتب تاريخ المدن :

وهذه المصادر قدمت معلومات قيمة عن المدن التي اعتبرت مراكز علمية ، كما ترجمت لأعلامها الذين كان لهم دور في النهضة العلمية في العصر العباسي الأول ، ومن هذه المصادر التي استفدت منها في بحثي : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ المدينة المنورة لابن شبة ، وتاريخ مكة للأزرقي ، و تاريخ مدينة صنعاء للرازي ، وغيرها .

- الكتب التي تهتم بدراسة العلوم :

إن دراستي للعلوم التي نشأت أو ازدهرت في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ -٨٤٦ م) تطلبت بحثي واطلاعي للتعريف بهذه العلوم ، وتاريخ نشأتها وتطورها ؛ فوجدت ضالتي في مصادر عدة على رأسها : مقدمة ابن خلدون ، وثمة كتب اختصاصية ، لابد من الرجوع إليها ومعظم هذه الكتب مراجع حديثة استفدت منها ، ووثقت نقلي منها في موضعه من البحث .

- المعاجم الجغرافية واللغوية:

واستفدت في بحثي مما قدّمته المعاجم الجغرافية من تفصيل لأسماء الأماكن والبقاع ومواقعها، وذكر بعض الأحداث التاريخية التي جرت فيها، كما أكثرت من ذكر الشواهد الشعرية ، مما جعل فائدتها تتجاوز الجانب الجغرافي ، وفي مقدّمة هذه المعاجم كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي. ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي .

أمّا المعاجم اللغوية فقد أفادت نطاق البحث بما قدّمته من تفسير وترجمة وافية للمفردات اللغوية وفي مقدمتها لسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي .

- الموسوعات العامة :

تحاول الموسوعات جمع معلومات شتى في العلوم والمعارف ، وتلجأ إلى المتخصصين في كل علم ليكتب في مادة اختصاصه . وقد استفدت من موسوعة حضارة العراق التي أعدت بمشاركة نخبة من الباحثين العراقيين . والموسوعة العربية التي شارك في صنعها مجموعة كبيرة من خيرة الباحثين السوريين .

ويضاف إلى ماذكرت ، استفدت من مجموعة كبيرة من الدراسات والمؤلفات الحديثة ، والمقالات والبحوث ، والتي تناولت موضوعات تخص البحث ، واقتطفت منها ما أحتاج إليه مع التوثيق ، ولامجال لذكرها هنا ، فغالباً ماتكون الفائدة جزئية وفي مجال واحد .وقد أعددت جدولاً بها في آخر البحث .

التمهيد

أ)الامتداد الزماني والمكاني للعصر العباسي الأول :

أولاً – الامتداد الزماني :

يبدأ العصر العباسي الأول من إعلان العباسيين لخلافتهم بعد أن دانت لهم العراق ، وذلك في شوال سنة ١٣٢هـ / مايو ٧٥٠ م ([1]) وكان الخليفة الأموي مروان بن محمد لايزال حياً ، يجهز جيشاً في حران لينطلق به نحو الشرق لمقابلة الجيش العباسي الفتي الذي تولى قيادته أحد أفراد الأسرة العباسية وهو عبد الله بن علي ، وكانت الغلبة له في ١١جمادى الثانية ١٣٢هـ / ٢٦ يناير ٧٥٠م(٢) فكتب بالفتح والنصر لابن أخيه أبي العباس ، الذي بدأ بمشاوراته لتنظيم دولته الجديدة ، بينما تابع عبد الله بن علي ملاحقة فلول الأمويين ، حتى استطاعت إحدى كتائب جيشه القبض على مروان بن محمد وقتله في قرية صغيرة بمصر تسمى بوصير في أواخر سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م .

وينتهي العصر العباسي الأول بوفاة الخليفة الواثق في ذي الحجة عام ٢٣٢هـ /٨٤٧ م – على حسب تقسيم المؤرخين – حيث برزت العناصر الإسلامية المختلفة على مسرح الأحداث . وأصبح لها سيطرة تامة على الخلفاء ، وحدد هذا الدور زمنياً بالفترة الواقعة بين سنتي ٢٣٢- ٦٥٦ هـ / ٨٤٧ – ١٢٥٨م

وتعاقب على الخلافة في العصر العباسي الأول عدد من الخلفاء ، فيمايلي تعريث مقتضب بكل واحد منهم :

- السفاح ، أبو العباس عبد الله السفاح . حكم بين عامي (١٣٢ -١٣٦هـ / ٧٤٩ -٧٥٤ م)

ولد بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦م . وصف بأنه كان شابا مليحا ، مهيباً ، أبيض ، طويلاً وقوراً . وأول ظهور له كان في الكوفة يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٣٢هـ / أكتوبر ٧٥٠ م حيث صعد منبر مسجد الكوفة وهو يرتدي دراعة سوداء وكساء أسود ([3]) وخطب الناس خطبة أظهر فيها مكانة آل الرسول ﷺ وما خصهم به الله سبحانه في القرآن الكريم ، ثم ذكر جور بني أمية وظلمهم ، ووعد الناس خيراً وخص أهل الكوفة بقوله : (يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا . وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا ، فأنا السفاح المبيح والثائر المبير). ثم نزل فبايعه الناس .

[1] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ، ط : مطابع مؤسسة الوحدة ، دمشق ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ص ٢٢١ .

[2] - أخبار معركة الزاب ومجرياتها في الطبري ، محمد بن جرير (ت :٣١٠هـ /٩٢٢ م) ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ١٩٧٠م .٧ / ٤٣٤ .

[3] - اتخذ العباسيون السواد شعارهم ، أخذوا ذلك من دخول رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، فاخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الخطب والأعياد والجمع والمحافل ، وكذلك كان جندهم لابد من أن يكون على أحدهم شيء من السواد . ابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير ، أبو الفداء (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، ،تحقيق : عدد من الباحثين ، ط : دار ابن كثير ، دمشق ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م ١٠ / ٢٧٦ .

وذكر المؤرخون : أنه كان من أسخى الناس ما وعد عدة فأخرها عن وقتها ، ويجزل العطاء . وكان إذا تعادى اثنان من خاصته ، لم يسمع من أحدهما في الآخر . ويقول : الضغائن تولّد العداوة ([1]) .

- المنصور ، أبو جعفر عبد الله المنصور . حكم بين عامي (١٣٦ -١٥٨هـ /٧٥٤ -٧٧٥ م)

ولد بالحميمة سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م ، وعلى ذلك فهو أسن من أخيه وفاتته الخلافة – حسب قوله لأنه لم يكن معه العلامة ، وتلاها أخوه ، وهي : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ﴾ ([2]) وصف بأنه كان أسمر طويلاً نحيفاً مهيباً ، خفيف العارضين ، مُعرّق الوجه ، رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان ، تخالطه أبهة المُلك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، أقنى الأنف ، بيّن القنا ، يخضب بالسواد . بويع بالخلافة بعهد من أخيه وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزماً ورأياً ، وجبروتاً ، جماعاً للمال تاركاً اللهو واللعب ، كامل العقل ، حسن المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس . وذكر المؤرخون : أن المنصوركان أعلم الناس بالحديث والأنساب مشهوراً بطلبه – وسنذكر طرفاً من عنايته بالعلم في الفصل الأول -

وقد شرع في بناء مدينة بغداد سنة أربعين ومائة ، ثم اتخذها عاصمة لدولته .

وفي عهده كما يقول الذهبي ([3]) : (في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة ، والأوزاعي بالشام ، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، ومعمر باليمن ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وصنف ابن إسحاق المغازي ، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي ، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب . وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة) .

وفي عام ١٤٩ هـ / ٧٦٦م توطدت الممالك كلها للمنصور([4]) ، وعظمت هيبته في النفوس ، ودانت له الأمصار ، ولم يبق خارجاً عنه سوى جزيرة الأندلس فقط ؛ فإنها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني ، لكنه لم يتلقب بأمير المؤمنين بل بالأمير فقط وكذلك بنوه([5]).

ونقل المؤرخون له خطبة على منبرعرفة قال فيها: (أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ورشده ، وخازنه على فيئه ، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم ، وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقول سبحانه : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ([6]) أن يوفقني للصواب ، ويسددني للرشاد ، ويلهمني

---

[1] - الطبري ، تاريخه – مصدر سابق- ٧ / ٤٢١ وما بعدها ، والمسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن (ت : ٣٤٦هـ /٩٥٧م) التنبيه والإشراف ، ط: دار التراث ، بيروت ١٩٦٨م ، ص٢٩٢ و الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت (ت :٤٦٣ هـ / ١٠٧٣ م) تاريخ بغداد ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ ١٠ /٥٣ و الذهبي ، محمد بن أحمد ، شمس الدين (ت : ٧٤٨ هـ /١٣٧٤ م) سير أعلام النبلاء ، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط : مؤسسة الرسالة ، الطبعة العاشرة ، بيروت ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ٦ /٧٧ و ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٥ ومابعدها .

[2] - سورة القصص ، الآية ٥ .

[3] - الذهبي ، السير٧ / ٨٦ .

[4] - الذهبي ، السير٧ / ٨٦ .

[5] - الذهبي ، السير٧ / ٨٣ .

[6] - سورة المائدة ، الآية ٣ .

الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل فإنه سميع مجيب) ([1]). وقيل : إن سبب هذه الخطبة أن الناس بخّلوه ([2]) .

- المهدي،أبو عبد الله محمد المهدي.حكم بين عامي (١٥٨ -١٦٩هـ / ٧٧٥ -٧٨٥م)

ولد سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م ، وكان أسمر مليحاً ، مضطرب الخلق ، على عينه بياض ، جعد الشعر ، ونقش خاتمه : اللهُ ثقةُ محمدٍ وبه نؤمن .

ولما شب المهدي أمّره أبوه على طبرستان وما والاها ، وقد قرأ العلم وجالس العلماء وتأدب وتميز. ثم إن أباه عهد إليه فلما مات بويع بالخلافة ، ووصل الخبر إليه ببغداد فخطب الناس فقال: إن أمير المؤمنين عبد ، دعي فأجاب وأمر فأطاع . واغرورقت عيناه فقال : قد بكى رسول الله ﷺعند فراق الأحبة ، ولقد فارقت عظيماً ، وقُلدت جسيماً ؛ فعند الله أحتسب أمير المؤمنين ، وبه أستعين على خلافة المسلمين . أيها الناس :(أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نهبكم العافية ، وتحمدوا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم ، وطوى الإصر عنكم ، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدما ذلك . والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم) .

ووصف بأنه كان جواداً شهما فطنا ، مليح الشكل ، محبباً إلى الرعية ، حسن الاعتقاد ؛ تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً ، وجد في البحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة. وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين .

ولما حصلت الخزائن في يد المهدي أخذ في رد المظالم فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه. كما أمر بالزيادة الكبرى في المسجد الحرام وأدخل في ذلك دوراً كثيرة ([3]).

ونقل المؤرخون عن الأصمعي قال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول : (إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ ([4]) آثره بها من بين الرسل إذ خصكم بها من بين الأمم) . وهو أول من قال ذلك في الخطبة ، وقد استسنها الخطباء من بعده ([5])

- الهادي،أبو محمد موسى الهادي.حكم بين عامي (١٦٩ -١٧٠هـ / ٧٨٥ -٧٨٦ م)

ولد بالري سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤م وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه ؛ فأقام فيها سنة وأشهراً . وكان أبيض طويلاً ، جسيماً ، في شفته تقلص . وكان نقش خاتمه : اللهُ ثقةُ موسى وبه يؤمن .

وقد أوصاه أبوه بقتل الزنادقة ، فجد في أمرهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وذكر المؤرخون أنه كان يحب الطرب ، ويشرب المسكر ، وفيه ظلم وشهامة ولعب ، وكان شجاعاً فصيحاً قادراً على الكلام أديباً تعلوه هيبة ([6]).

- الرشيد،أبو جعفر هارون الرشيد.حكم بين عامي (١٧٠ -١٩٣هـ / ٧٨٦ -٨٠٩م)

مولده بالري سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان ، وكان أبيض طويلاً جميلا مليحاً فصيحاً له نظر في العلم والأدب . وكان من أنبل الخلفاء ،

---

[1] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ / ٣٦٨ – ٣٦٩ .

[2] - الطبري ، تاريخه ٧ / ٤٦٩ ومابعدها ، والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٩٥ و الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١٠ /٥٣ - ٦١ والذهبي ، السير٧ / ٨٣ ومابعدها ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٣٦٧ ومابعدها .

[3] - كان ذلك سنة سبع وستين ومائة للهجرة . الذهبي ، السير٧ /٤٠٢ .

[4] - سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

[5] - الطبري ، تاريخه ٧ / ٥٠٩ ومابعدها ، والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٩٦ و الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٥ /٣٩١- ٤٠١ والذهبي ، السير٧ / ٤٠٠ ومابعدها ،وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٤١٠ومابعدها .

[6] - المسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٩٧ والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٣ /٢١ - ٢٥ والذهبي ، السير٧ / ٤٤١ ومابعدها ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية١٠ / ٤١٩- ٤٢٠

وأحشم الملوك ، ذا حج وجهاد ، وغزو وشجاعة . وقد أغزاه أبوه بلاد الروم وهو حدث. استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة للهجرة / وسنة سبعمائة وست وثمانين للميلاد .

وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص وكان يحب المديح ، ويجيز الشعراء ، ويقول الشعر .

وذكرت له قصص تدل على أنه كان يتواضع لأهل الخير فقد رحل إلى مالك في المدينة ، وقعد بين يديه وقرأ عليه الموطأ ، و قبّل يدي حسين الجعفي ، وصب الماء على يدي أبي معاوية الضرير . وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ([1]) .

روى المؤرخون عن ابن السماك أنه دخل على الرشيد يوماً ، فاستسقى ، فأتي بكوز، فلما أخذه قال : على رسلك يا أمير المؤمنين ؛ لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي . قال : اشرب هنأك الله تعالى . فلما شربها قال: أسألك ، لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي . قال : إن ملكاً قيمته شربة ماء وبوله لجدير أن لا ينافس فيه . فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً. وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين و مائة ولقبه الأمين([2]) .

ويعتبر عصر هارون الرشيد واسطة العقد بالنسبة للخلافة الإسلامية بل بالنسبة للتاريخ الإسلامي الوسيط كله ، فقد اكتملت للدولة ألوان من العظمة و القوة و المجد العلمي ، و كانت الدولة مهيبة الجانب ، فاحترمتها الدول المجاورة و هابتها ([3]) .

وأخبار الرشيد أطول من أن تحصي ، وقد ذكرنا أطرافاً منها في مواضع متفرقة من البحث لدوره الرائد في ازدهار الحركة العلمية وتطورها ، وبلوغها العلو والرفعة في عهده.

- الأمين ، أبو موسى محمد الأمين.حكم بين عامي (١٩٣ -١٩٨هـ / ٨٠٩ -٨١٣ م)

ولد سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦م ، وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور فهو هاشمي أباً و أماً ، و لم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء إلا لعلي بن أبي طالب ﷺ، و لابنه الحسن ﷺ. وكان ولي عهد أبيه ، فولي الخلافة بعده . وكان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلاً جميلاً ، ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة ومعرفة. وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة ؛ ولكنه سيء التدبير ، مفرط التبذير ، أرعن لعاباً ، مع صحة إسلام ودين ([4])

وبعد توليه الخلافة ، ومبايعة أخيه المأمون ، أمر الأمين بالدعاء لولده موسى بولاية العهد بعد ولي العهد المأمون والقاسم ، ثم بعد مدة أراد تقديم موسى على المأمون ، وبذلك بدأ الخلاف بينهما ، فخلع المأمون أخاه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وبدأت الحرب وكان الغلبة لجيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين الذي وصل بغداد وحاصرها ، وأحاطت الجيوش ببغداد ، يحاصرون الأمين ، فاشتد البلاء ، وعظم القتال ، واستمر الويل والحصار ، ونفدت خزائن الأمين ، حتى باع الأمتعة ، وأنفق في المقاتلة ،

---

[1] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٨٧ -٢٨٨) .

[2] - الطبري ، تاريخه ٨ / ٢٣٠ ومابعدها ، والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٩٩ و الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤ /٥ ومابعدها والذهبي ، السير ٩/ ٢٨٦ ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٤٩٧ .

[3] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ الدولة العباسية ص٣٧٥ .

[4] - الطبري ، تاريخه ٨ / ٣٦٥ والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٣٠٠ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد٣ / ٣٣٦ والذهبي ، السير٩/ ٣٣٤ ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٥٣٧ .

واندثرت محاسن بغداد ، ثم دخلها طاهر عنوة ، وقبض على الأمين وقتله .ولم يسر المأمون بمصرع أخيه ([1]) .

- المأمون،أبو جعفر عبد الله المأمون.حكم بين عامي (١٩٨ -٢١٨هـ / ٨١٣ -٨٣٣ م)

ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول / ٧٨٦ م ، وكان أبيض ربعة ، حسن الوجه ، تعلوه صفرة ، وقد وخطه الشيب ، وكان طويل اللحية ، أعين ، ضيق الجبين ، على خده شامة .

استقل بالأمر بعد قتل أخيه الأمين ، وهو بخراسان ، واكتنى بأبي جعفر. ووصف بأنه كان أفضل رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة.

قرأ العلم في صغره ، و سمع الحديث من أبيه وعدة ، وأدبه كبار العلماء ، ولما تولى الخلافة جمع الفقهاء من الآفاق ، وكان يعقد لهم المجالس للمحاورة ، فبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عني بالعقليات والفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها. وكان أماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء .

وبدأ يبث أفكار المعتزلية والتي تقول بأن القرآن مخلوق سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م فأنكر الناس أفكاره ، واضطربوا ، فلم ينل مقصوده ، فسكت عن ذلك فترة من الوقت ، ولكنه عاود الكلام فيه ، وصمم على امتحان العلماء في سنة **٢١٨هـ / ٨٣٣ م** وشدد عليهم ، ولكنه توفي ([2]).

ويقول ابن كثير الدمشقي ([3]) : (أما كونه على مذهب الاعتزال فإنه اجتمع بجماعة ؛ منهم بشر بن غياث المريسي ([4]) فأخذ هذا المذهب الباطل ، وكان يحب العلم ، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنده الباطل ؛ ودعا إليه وحمل الناس قهراً عليه ؛ وذلك في آخر أيامه) .

وكان صاحب همة عالية في الغزو والترحال ؛ ففي سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م سار المأمون إلى غزو الروم ففتح عدة حصون ، ثم سار إلى دمشق ، ثم عاد في سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م إلى الروم وافتتح عدة حصون ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم توجه إلى مصر ودخلها - فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين - ثم عاد في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢م إلى دمشق والروم . ومات المأمون يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م وهو يغزو الروم ودفن بطرطوس ([5]) .

وسنذكر جوانب كثيرة من سيرته وعلمه وإسهامه بالنهضة الفكرية خلال البحث مما يغنينا عن ذكر ذلك هنا .

- المعتصم ، أبو إسحاق محمد المعتصم بالله . حكم بين عامي (٢١٨ -٢٢٧هـ /٨٣٣ -٨٤٢ م)

ولد سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥ م ، وكان أبيض ، أصهب اللحية طويلها ، ربع القامة ، مشرب اللون ، ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة ، لكنه قليل العلم وقراءته ضعيفة ، تولى الخلافة بعد موت أخيه المأمون بعهد منه .

---

[1] - ينظر في أخبار الفتنة بين الأمين والمأمون الطبري ، تاريخه ٨/ ٢٤٥ -٢٤٧ وابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ٩/ ٥٣٥ - ٥٣٧ .

[2] - الذهبي ، السير١٠ / ٢٨٣ .

[3] - ابن كثير ، البداية والنهاية١١ / ٦٥ .

[4] سيأتي الكلام مبسوطاً عن مذهب الاعتزال مع جملة العلوم في بغداد .

[5] - الطبري ، تاريخه ٨ / ٤٢٨و٦٤٥ والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٣٠٢ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد١٠ / ١٨٣ والذهبي ، السير١٠/ ٢٧٢ ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية١١ / ٦٣ .

وله مناقب كثيرة ، وكان يقال له : المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس ، والثامن من ولد العباس وثامن أولاد الرشيد ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وخلف ثمانية أولاد ومن الإناث كذلك .
وجرت في عهده حروب يطول ذكرها ، وكان لجيوشه الانتصار فيها ، فمنها القضاء على بابك الخرّمي الذي أظهر المجوسية في خراسان – وكان المعتصم والمأمون قد أنفقوا على حربه القناطر المقنطرة من الذهب والفضة – فقضي عليه سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧ م . ومنها حروبه مع الروم ، وأكثرها شهرة موقعة عمورية وكانت سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م ([1]).
وامتحن الناس بخلق القرآن بوصية أخيه المأمون ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، وأخذ بذلك المؤذنين والفقهاء ، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاماً ([2]) .
ولما كثر عسكر المعتصم ، وضاقت عليهم بغداد ، بنى مدينة " سرمن رأى " وتحول إليها . وتسمى أيضاً : العسكر([3]).
- الواثق ، أبو جعفر هارون الواثق بالله . حكم بين عامي (٢٢٧ -٢٣٢هـ / ٨٤٢ -٨٤٧م)
ولد سنة ١٩٦ هـ / ٨١٣ م بطريق مكة ، وصف بأنه كان أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، جميلاً ربعة ، حسن الجسم ، قائم العين اليسرى ، فيه نكتة بياض .
وقد استولى عليه أحمد بن أبي دواد – المعتزلي – ([4])وحمله على التشديد في المحنة ، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن ([5]) . وأمر بامتحان المؤذنين والفقهاء بخلق القرآن ، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مائة نفس ، فقال ابن أبي دواد : من لم يقل القرآن مخلوق ، فلا تفتكوه . وذكر غير واحد من المؤرخين أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن ، ذكروا ذلك عن ولده المهتدي بالله ([6]) .
وتولى الخلافة بعد الواثق المتوكل على الله ، وقد حكم بين عامي ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ – ٨٦١م
وقد أظهر السنة ، وتكلم في مجلسه ، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، وبسط السنة ، ونصر أهلها ([7])
ولكن في عهده سيطر الأتراك – الذين أكثر المعتصم منهم واصطفاهم وجعلهم من خاصته – سيطروا على شؤون الخلافة . وكان رئيسهم إيتاخ يتسلم أعلى المناصب ، إليه قيادة الجيوش ، والإشراف على دار الخلافة . وازداد نفوذهم تدريجياً ، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب دون أن يكونوا يداً واحدة . ولما ضاق المتوكل بهم ذرعا قتل كبيرهم إيتاخ للتخلص من تسلطه ، فاكتسب حقد الأتراك عليه ، لأنهم خشوا أن يكون مصيرهم كمصير زعيمهم فتآمروا على الخليفة([8]) . وحين شعر بما يكنه هؤلاء حاول التخلص منهم ، فقدم دمشق بعد أن نعتت له ، وأنها توافق مزاجه ، وتذهب علله التي تَعرضُ له بالعراق ، فعزم على المقام بها ، ونقل دواوين الملك إليها

---

[1] - الطبري ، تاريخه – مصدر سابق- ٩ / ١١٨ -١٢٣ والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٣٠٥ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢ والذهبي ، السير ١٠/ ٢٩٠ومابعدها ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١١ / ١٠٢ومابعدها .
[2] - الذهبي ، السير ١٠ / ٢٩١ .
[3] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣ /٣٤٦ .
[4] - سيرد الكلام عن علاقة ابن أبي دواد بقضية خلق القرآن في بغداد .صفحة ٢١٩من البحث .
[5] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٤ / ١٨ .
[6] - الطبري ، تاريخه ٩ / ١٢٣ والمسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٣١٢والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤ / ١٥ والذهبي ، السير ١٠/ ٣٠٦ومابعدها ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١١ / ١٢٧ومابعدها .
[7] - الذهبي ، السير ١٢ / ٣١ .
[8] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص٢٢٧ -٢٢٨ .

وأمر بالبناء بها ، وبنى قصراً كبيراً بداريا* ([١]) ولكن الأتراك ثاروا عليه ، وأضمروا له السوء وقتلوه ، وهم الذين تولوا تنصيب ولده المنتصر الذي أصبح في قبضتهم ([٢]).

تعد الدولة العباسية كما يقول ابن طباطبا (٣) كثيرة المحاسن، جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة ، والخيرات فيها دائرة ، والدنيا عامرة ، و الحرمات مرعية ، و الثغور محصنة ، و مازالت على ذلك حتى أواخر أيامها، فانتشر الشر، و اضطرب الأمر.

ثانياً - الامتداد المكاني للعصر العباسي الأول :

ورث العباسيون من الأمويين دولة واسعة تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن المحيط الهندي وبلاد النوبة والسودان([٤]) جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً ، وصعب عليهم الاحتفاظ بالأندلس التي غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني ، كما كانت سلطتهم على بلاد المغرب العربي ضعيفة لبعدها عن مركز الدولة ؛ وسرعان مابدأت بها القلاقل والثورات ، مما اضطر العباسيين إلى إرسال الجيوش المتتالية دون جدوى ([٥]) .

ب) **خصائص وميزات العصر العباسي الأول :**

انفرد العصر العباسي الأول بخصائص وميزات يمكن تلخيصها بما يأتي :

١- كان الهم الأول للخلفاء توطيد وتثبيت حكم بني العباس ، لئلا ينازعهم منازع ، أو ينافسهم منافس . وقد نتج عن هذا صدام العباسيين مع قوى داخلية متعددة ، وغالباً ماكانت أسباب هذه الصدامات سياسية بحتة (كالتنازع على السلطة وعدم الرضى بخلافة العباسيين واتهامهم بسلبها) وسيرد ذكر بعض هذه الصدامات ضمن البحث ، وأحياناً أخرى نجد أن أسباب هذه الصدامات قومية ودينية . ويمكن إجمال ماجرى من صراع بما يلي :

- صراع بين العباسيين والأمويين وأنصارهم .
- صراع بين العباسيين أنفسهم .
- صراع بين العباسيين والعلويين .
- صراع بين العباسيين والخوارج ([٦]).
- صراع بين العرب الحاكمين والموالي ، أوبين العرب وسكان البلاد المفتوحة .

٢- عمل الخلفاء في هذا العصر على المحافظة على حدود الدولة الإسلامية تجاه القوى المعادية ، وبشكل خاص أمام البيزنطيين ، وقد أثبتوا مقدرة فائقة ، وأصبحت أسماء غالبية خلفاء هذا الدور رمزا للبطولة والمقدرة . فهارون الرشيد ووصوله إلى البوسفور ، والمأمون وغزواته المتعددة المشهورة ، والمعتصم وعمورية ، ومع هذا النشاط على الحدود الشمالية ، فإن العباسيين فشلوا في المحافظة على وحدة الخلافة الإسلامية ، وبدأت

---

[١] - الذهبي ، السير ١٢ / ٣١ . * وداريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة . الحموي ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، ط : دار صادر ١٩٨٠م ٢ / ٤٣١ .

[٢] - أخبار الأتراك مع المنتصر ، ينظر الذهبي ، السير ١٢ / ٤٣ وبيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص٢٢٧ -٢٢٨ .

٣ - ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت : ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، بلاتاريخ ص ٩٨ .

[٤] - تنظر الخارطة المرفقة في نهاية البحث .

[٥] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٨٦ . بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ١٨٢- ١٨٣ .

[٦] - عمر ، فاروق ، بحوث في التاريخ العباسي ، ط : دار القلم للطباعة ، بيروت ١٩٧٣ م ص ١٩١ و بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٦٥ .

حركات انفصالية جزئية في هذا العصر، ثم تزايدت وتسارعت مع تقدم الزمن ، وكان لها تأثير سلبي على مكانة الدولة العباسية وقوتها ([١]).

٣- تأثرت الخلافة العباسية بالحضارات الشرقية السابقة ، وقد بدا ذلك في النظم السياسية والإدارية التي اقتبسها العباسيون عن الفرس خاصة ، فقد احتجب الخليفة عن الرعية ، واتخذ الوزير والسياف ، وعاش عيشة الأكاسرة ، تحوطه الأبهة والعظمة ، وأحاط نفسه بالقدسية ، فالداخل إليه ينحني ويقبل الأرض بين يديه . ولاينال شرف الدخول غليه إلا رجال الدولة البارزين ([٢]) .كما امتد التأثر بالفرس إلى الحياة الاجتماعية ، وصار العباسيون يقلدون الفرس حتى في ملابسهم ، كلبس القلانس الطويلة ([٣])

٤- ساس العباسيون العالم الإسلامي سياسة ممزوجة بالدين والملك ، كما يقول ابن طباطبا ([٤]): (اعلم – علمت الخير – أن هذه دولة من كبار الدول . ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك) .

فقد كان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تديناً ، والباقون يطيعونها رهبة .وقد اعتبر العباسيون أنفسهم ورثة بيت الرسول ﷺ ، وسلطتهم مستمدة من الله لامن الناس ، فالخليفة هو خليفة الله في الأرض ، كما قال المنصور في إحدى خطبه : (إنما أنا سلطان الله في أرضه) ([٥]) . كما برزت السلطة الدينية في الألقاب التي اتخذها الخلفاء لأنفسهم : المنصور المهدي الهادي الرشيد .ولهذه الألقاب تأثير وحساسية في مشاعر الرعية ، الذين كانوا يأملون من صاحب اللقب أن ينقذهم من الظلم والشقاء ، إلى العدالة والرفاهية ([٦]) كما تلقب الخلفاء أيضاً بلقب إمام .وذلك لتفويت الفرصة على الشيعة أن يطلقوا هذا اللقب على أئمتهم من أفراد البيت العلوي .

وإن وقوف الخلفاء في وجه الحركات اللادينية التي برزت في عصرهم كالراوندية والمقنعية والزندقة ، أكسبهم قدسية خاصة ([٧]) .

٥- تفاعل عناصر المجتمع بمختلف جنسياته مع بعضها ضمن إطار الخلافة الإسلامية ، واللقاء بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات السابقة القائمة على الأرض المفتوحة. وقد أثمر هذا اللقاء عن حركة ترجمة واسعة لتراث الحضارات إلى اللغة العربية ، كانت ثمرته حضارة عربية إسلامية مزدهرة ، وإذا أضفنا إلى ذلك الصراع العقائدي بين العقيدة الإسلامية والديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية ، والديانات الفارسية ، وانتشار الفلسفة اليونانية والهندية ، وما أسفرعن ذلك من نشوء مذاهب وفرق دينية لأدركنا أهمية ذلك التفاعل الحضاري .

٦ – نضوج الحضارة العربية الإسلامية في هذا العصر وتألقها في المجالات كافة ، ونشوء مراكز حضارية متعددة كبغداد والبصرة والكوفة ودمشق وحلب وحمص وبخارى والقطائع .... وغيرها ([٨]) .

---

[١] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٦٥ .

[٢] - ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ١٤١ و بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٤٩.

[٣] - ميتز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م ، ج٢ / حاشية رقم ١ ص٢٢٠ .

[٤] - الفخري في الآداب السلطانية ص١٠٤ .

[٥] - الطبري ، تاريخه ٨٩/٨ وبيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٥١ .

[٦] - عمر ، فاروق ، بحوث في التاريخ العباسي ص١٩٨.

[٧] - المرجع نفسه ص١٩٨ .

[٨] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٥٥ .

الفصل الأول

العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار المراكز العلمية في العصر العباسي الأول

- العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار المراكز العلمية في العصر العباسي الأول

أذكى الإسلام الحنيف جذوة المعرفة في نفوس العرب المسلمين ، وبعث في أرجاء الأرض نهضة علمية فريدة وعظيمة ، عم ضياؤها الحزن و السهل ، فأنس الناس بحسن رونقها ، و قرت عيونهم ببهاء نضرتها، فلم يمض عصر رسول الله ﷺ و عصر الراشدين من بعده ، حتى انتشر العلم مترافقا مع توسع الفتوحات الإسلامية ، فأولاه الناس عظيم عنايتهم، و توجهوا إليه بكليتهم ، وود كل ذي حظ أن ينال منه القسط الأوفى ..
ولاشك أن ثمة عوامل ساعدت على نمو هذه الحركة العلمية ، أهمها :

أولاً : دعوة القرآن الكريم و السنة المشرفة إلى العلم والتعلم :

ـ فأول الآيات من القرآن الكريم التي نزلت على رسول الله محمَّد ﷺ هي قوله تعالى :

﴿اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذي خلَق * خلَقَ الإنسانَ من علَق * اقرأ وربُّكَ الأكرم * الَّذي علَّمَ بالقلَم * علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ ([1])

فهذه الآيات تأمررسول الله ﷺ أوَّل ما تأمره بالقراءة، والآيات الخمس الأولى تضمَّ ستَّ عبارات تتعلق بالقراءة والكتابة، والعلم والتعليم؟ وهي تشكِّل افتتاحيَّة وحي السماء، وهذا يعني أن أهمَّ ما جاء الإسلام لتحقيقه **هو نشر العلم بكلِّ فروعه.** ([2])

ـ ومعروف أن رسول الله ﷺ كان أميا لايقرأ ولايكتب ، وما كان لرسول الله ﷺ أن يأخذ كتاباً ليقرأ سطوره ، بل كان المطلوب قراءة ربَّانيَّة باسم الله الخالق العظيم، الَّذي خلق الإنسان من علقة صغيرة ([3]).

والله سبحانه وهو الخالق العظيم ، جعل من القلم أساساً للعلم ، وبهذا القلم تعلَّم الإنسان كثيراً من المعارف ، ومازال أمامه الكثير ليتعلَّمه.

وتعتبر هذه الآيات أوَّل أمر إلهي للإنسان الغارق في بحار الجهل والجاهلية، حمله إليه النبيُّ الأميُّ الكريم لطلب العلم والاستزادة من ؛ففي كلمة (اقرأ) إيحاء إلى طَرْقِ أبواب العلم والمعرفة ، وتبعتها دعوة إلى الكتابة بالقلم ﴿الَّذي علَّمَ بالقلم ﴾ وفي ذلك تنبيه وإشارة إلى أن حضارة الإسلام لن تُبنى إلا بالعلم، وعماد العلم البشري القراءة والكتابة. ([4])

والقراءة يجب أن تبدأ باسم الله ، وكذلك كلُّ أمر يقوم به المسلم ، .فالقراءة عن الله وبالله هي العلم الحقيقي وإليه تصير الأمور ، وهي مفتاح ازدهار الحضارة الإيمانية، الحضارة الَّتي أثَّرت في الحضارات كلِّها، وأمدَّتها بجوهر العلوم ومفاتيح السعادة.

---

[1] ـ سورة العلق ، الآية ١ـ٥ .

[2] ـ ينظر ، الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ / ١٨٣٥م) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط : إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، بلا تاريخ ٣٠ / ١٧٨ .

[3] ـ العلق : الدم الغليظ أوالجامد ، والعلقة : طور من أطوار الجنين . مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط: دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ١٤١٠هـ /١٩٨٩ م ، مادة (علق)

[4] ـ ينظر الحسيني ، خلف محمد ، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، بلاتاريخ ، ص ١١٦ .

والله هو الَّذي خلق ، وهو الَّذي علَّم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة. ونبدأ من صفات الله بالصفة الَّتي بها الخلق والبدء، فهو خالق الإنسان من تلك النطفة العالقة بالرحم، من ذلك المنشأ الصغير المهين التكوين، فتدلُّ على كرم الخالق فوق ما تدلُّ على قدرته، فمن كرمه رفع هذا العلق، إلى درجة الإنسان، الَّذي يُعلَّم فيتعلَّم. وهنا تبرز حقيقة التعليم، تعليم الربِّ للإنسان بالقلم ، لأن القلم كان ومايزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الَّذي نلمسه الآن، ونعرفه في حياتنا المعاصرة، ولكنَّ الله سبحانه يعلم أهميَّة القلم، فيتَّخذ منه رمزاً في أوَّل سورة من سور القرآن الكريم نزولاً، هذا مع أن الرسول الَّذي حمل هذه الرسالة، لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان محمَّد ﷺ ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى، لوكان هو الَّذي يبتدع هذا القرآن، إلا أن الأمر كان وحياً جاءه برسالة سماوية صادرة من عند الله سبحانه ، فمنه يستمدُّ الإنسان كلَّ ما علم، وكلَّ ما يعلم من أسرار هذا الوجود، وأسرار نفسه، فالوحي من هناك، من ذلك المصدر العلوي المقدَّس الفريد ([1]).

فالله الأكرم ، الَّذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، وشرَّفه بالعلم على كثير ممَّن خلق، ورفعه به مقاماً عليّاً حين قال : ﴿ يرفعِ الله الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ ﴾ ([2]).

وقال سبحانه أيضا : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ﴾ ([3])كما أمر سبحانه و تعالى رسوله ﷺ ، و من ثم عباده المؤمنين بالاستزادة من العلم فقال سبحانه : ﴿ و قل ربي زدني علما ﴾ ([4])

ومن الجدير بالذكر هنا أنه ليس المقصود بالعلم مجرَّدَ تحصيل العلوم الشرعية، وما يتصل بها، كما يفهم بعض الناس خطأً، بل هو مطلق العلم النافع في الدنيا والآخرة، والَّذي يهدي أهله لمعرفة قوانين الله تعالى فيما خلق وأوجد في هذا الكون، وتسخير ذلك لخدمة الإنسان ورفاهيَّته، ومن ثمَّ لتحضير المجتمع والسعي لرقيِّه وتمدُّنه. وهنالك أدلَّة كثيرة في كتاب الله تؤيِّد هذه الحقيقة وتدعمها، منها قوله تعالى : ﴿ إنَّ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ واختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب * الَّذين يَذْكُرونَ الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم ويتفَكَّرونَ في خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ ربَّنا ما خلَقْت هذا باطلاً سبحانَك فَقِنَا عذابَ النَّار﴾

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله بعد أن تلا هذه الآية: " ويلٌ لمن لاكها بين لَحْيَيْهِ فلم يتفكَّر فيها" ([5])

ففي هذه الآية إيحاءٌ من الله تعالى، لكي ينمِّي المسلم قواه العقلية، بدراسة علم الفلك وطبقات الأرض، والجبال والأنهار، ومن ثمَّ تسخير هذه القوى الكبيرة لخدمة الإنسان، فكلُّ ما نراه من حضارة راقية، ومدنيَّة زاهرة، هي من نتاج العقل المفكِّر . والإسلام حين دعا إلى التفكُّر وحثَّ عليه ، إنما أراد ذلك لتنمية نطاق العقل وتوسيع مداركه، فدعا إلى النظر

---

[1] - ينظر ، الألوسي ، روح المعاني – مرجع سابق – ٣٠ / ١٨١ .
[2] - سورة المجادلة ، الآية ١١ .
[3] - سورة الزمر ، الآية ٩ .
[4] - سورة طه ، الآية ١١٤ .
[5] - ابن حبان ، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي (ت : ٣٥٤هـ /)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط : مؤسسة الرسالة ، دمشق ١٩٨٨م . برقم(٦٢٠).

فيما خلق الله، في السموات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفي الجماعات البشرية، لأن وظيفة العقل هي التأمُّل والتفكير ومن ثمَّ الإبداع، فإذا بطل عمل العقل توقَّف تطوُّر الحياة وتجمَّد. وقد أراد الإسلام للإنسان أن ينهض من سُباته، فعدَّ التفكير والتعلُّم من جوهر العبادة، وحارب التقليد الأعمى، الَّذي يمنع العقل من الانطلاق والبحث، ويقف به عند حدود القديم المألوف، قال تعالى:﴿ إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارِهم مُقتَدون * قال أَوَلو جِئْتُكُم بأهدى مِمَّا وَجَدْتُم عليه آباءكُم قالوا إنَّا بما أُرسِلْتم بـه كـافرون * فـانتقمنا مِنْهُم فانْـظُر كيـف كـان عـاقِبةُ المكذِّبـين﴾ ([1]) ولولا يقظة العقل وتوجيه الله تعالى له، لما اهتدت البشرية إلى قوانين الحياة، وعِلل الوجود وسنن الله في الكون، ولبقيت كما خُلقت دون تطوُّر، ولكن العقل المستنير بنور العلم استطاع أن يستخرج من الأرض كنوزها، وأن يستنبت خيراتها، ويقرِّب المسافات البعيدة، ويكتشف القوانين في البرِّ والبحر والجو، لينفِّذ بذلك المهمَّة الَّتي كلَّفه الله بها، واستخلفه في الأرض من أجلها.([2])

إن هذه الآيات في أوَّل سورة العلق، وفي غيرها من سور القرآن، تعكس موقف الإسلام من العلم، وإن الباحث يرى أن هذا الموقف مع دلالته الَّتي لا حدود لها دال على موقف الإسلام من العلم والمعرفة ، والتعليم ومحو الأميَّة بكلِّ أشكالها، فإنه قد دُعِّمَ في القرآن الكريم بمواقف أخرى وآيات تتلى ؛ تَقْرَع سمع البشريَّة ليل نهار، كي تهجر الجهل والجهلاء والجاهليَّة، وتُقبل على العلم والعلماء والتعلم والتعليم ، فهناك سورة من سور القرآن تدعى بسورة القلم، حيث أقسم الله تعالى في هذه السورة، بالدَّواة والقلم، وما يُسَطِّرُ العلماء بالقلم والحبر من العلوم والمعارف، فقال تعال : ﴿ ن والقلم وما يَسْطُرون﴾ ([3]) لقد أقسم الله تعالى بِنُون، والنون هي الدَّواة وعاء الحبر، وأقسم بالقلم وأقسم بما يسطرون، كلُّ ذلك من أجل لفت الأنظار إلى أهميَّة ما أقسم به الله سبحانه ، وحثِّ المسلمين على العناية بالقراءة والكتابة، وأدوات العلم والمعرفة، لتحصيل المعارف، والتخلِّي عن الجهل والجاهليَّة وجعلها من مخلَّفات الماضي ([4]).

كما أن كتاب الله صرَّح في آيات كثيرة، بلزوم العناية بالعلم، وعلى رأسها أَمْرُ الرسول ﷺ، ومن ورائه أُمَّتُه ، بأن يدعو ربَّه طالباً منه أن يزيده من العلم، فقال تعالى : ﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾ ([5])

وقد رفع الله سبحانه وتعالى من مكانة العلماء وجعل درجتهم ثالث الدرجات العلى ،بعد الملائكة العظام ، وقرن علمهم بعلمه سبحانه وتعالى ، حيث يقول : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ([6]) .

كما نوَّه بقدر العلم والعلماء، فقال سبحانه :﴿ أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائماً يَحذَرُ الآخرةَ ويَرجو رحمةَ ربِّهِ قلْ هل يستوي الَّذين يعلمونَ والَّذين لا يعلمونَ إنَّما يَتَذكَّرُ أولوا الألباب﴾ ([1])

---

[1] - سورة الزخرف ، الآية ٢٣- ٢٥.
[2] - ينظر : الحسيني ، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان – مرجع سابق – ص ١٢٢ .
[3] - سورة القلم ، الآية ١.
[4] - ينظر ، الألوسي ، روح المعاني – مرجع سابق – ٢٩ / ٦٧ .
[5] - سورة طه ، الآية ١١٤.
[6] - سورة آل عمران ، الآية ١٨ . وينظر الحسيني ، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان – مرجع سابق – ص ١٢٥ .

والله عز وجل جَعَلَ العلم وزيادة المعرفة سبباً من أسباب زرع مخافة الله وخشيته في النفوس، فقال تعالى:﴿ ألم تَرَ أنَّ الله أنزلَ من السَّماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مُخْتلفاً ألوانُها ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ * ومن النَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختلفٌ ألوانُهُ كذلك إنَّما يَخشى الله من عبادِهِ العلماءُ إنَّ الله عزيزٌ غفور﴾ ([٢])والجُدَدُ :هي الطرق المختلفة الألوان ، والغرابيب :هي صخور متناهية السَّواد كالغربان ؛ فقد لفت الله سبحانه الأنظار إلى عظمته في إنزال المطر من السماء، وكيف جعله سبباً لنموِّ النباتات والأشجار، وما تجود به من ثمار، وكيف خلق من الجبال صخوراً بيضاءَ وحمراءَ مختلفة الألوان، وسوداءَ قاتمة السَّواد، وخلق من الناس أجناساً، ومن الدوابِّ والأنعام أصنافاً، ثمَّ أَتْبع ذلك بقوله: إنما يخشى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماءُ، أي الَّذين اطَّلعوا ـ دراسة وتمحيصاً ـ على بديع خلقه ودقيق صنعه، أحقُّ وأحرى من غيرهم، بأن تنغرس في نفوسهم خشيةُ الله، وتملأ قلوبهم محبَّة الله ومهابته سبحانه([٣]).

وللمرء أن ينظر كيف يوازن كتاب الله تعالى بين من يعلمون ومن لا يعلمون، ويصرِّح بأنه لا وجه للمقارنة بينهم، فهم لا يستوون مع بعضهم لا في الدنيا ولا في الدار الآخرة، ففي الدنيا ؛ هم أهل الحَلِّ والعقد، وهم أصحاب الرأي والمشورة والدعوة إلى الحقِّ، والوقوف في وجه الجهل والجاهلية والخرافات والأوهام، وفي الدار الآخرة ؛ لهم الدرجات العالية في أعلى الجنان.

ولقد كثرت آيات القرآن الكريم الَّتي توقظ العقل وجميع الحواسِّ والمشاعر، كي تتفتَّح وتعمل، ومن ثمَّ تتوصَّل إلى معرفة الله سبحانه، فلا يكاد القرآن الكريم يذكر بديع صنع الله، ولا يسرد جانباً من عظمة الكون، ودِقَّة صنعه وشدَّة إحكامه، وخضوعه لنظام عامٍّ يحكمه، لا يذكر القرآن شيئاً من ذلك وما أشبهه، إلا وَيُتْبِعُ هذا الذكر بقوله تعالى :

(أفلا تذكَّرون) (أفلا تعقلون) (أفلا تبصرون) (أفلا تتفكَّرون) وأمثال هذه التعابير، الَّتي تُعتَبر يداً رحيمة لطيفة ناعمة، تلامس أحاسيس الإنسان النائم أو السادر عنها، لأن يستيقظ ويرى آثار صنع الله وإبداعه، وكلُّ ذلك دعوة إلى العلم والتعلُّم والمعرفة، ونبذ للأوهام والأضاليل، ففي قوله تعالى : ﴿ وفي الأرضِ آياتٌ للموقنين * وفي أنفسِكم أفلا تُبْصرون ﴾ ([٤]) دعوة صريحة إلى دراسةِ بديعِ صنعِ الله في الأرض، وفي جسم الإنسان ووظائف أعضائه، وفي قوله تعالى : ﴿ قلِ انظروا ماذا في السَّمواتِ والأرض﴾ ([٥]) دعوةٌ إلى دراسة ماذا في السموات وماذا في الأرض، وهناك آيات وآيات في كتاب الله، منها ما يدعو إلى النظر إجمالاً كما في الآيات السابقة، ومنها ما يدعو إلى البحث والدراسة والتمحيص تفصيلاً، كما في قوله تعالى : ﴿ أفلا يَنظرونَ إلى الإبلِ كيف خُلقت * وإلى السَّماءِ كيف رُفعت * وإلى الجبالِ كيف نُصبت * وإلى الأرضِ كيف سُطحت * فَذَكِّر إنَّما أنت مُذَكِّر * لستَ عليهم بمُصيْطر﴾ ([٦]) وقد أمرنا الله في هذه الآيات أن ننظر أوَّلا إلى الإبل، ثمَّ

---

[١] ـ سورة الزمر الآية ٩ .
[٢] ـ سورة فاطر الآية ٢٧ـ ٢٨.
[٣] ـ ينظر الزحيلي ، د . وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط : دار الفكر المعاصر ـ دمشق، الطبعة الثانية١٤١٨ هـ
[٤] ـ سورة الذاريات الآية ٢٠ـ٢١.
[٥] ـ سورة يونس الآية ١٠١ .
[٦] ـ سورة الغاشية الآية ١٧ـ٢٢.

أتبعها بالسماء وهي مرتفعة كارتفاع هَامَةِ الإبل، ثمَّ أتبعها بالجبال الَّتي يشابه منظرها منظر سنام الإبل وتكوير ظهرها، ثمَّ ختمها بالأرض كيف سطحت، كما هي خفُّ الإبل مسطحة.

وقد حث القرآن الكريم على العلم في كل الأوقات حتى في وقت الحرب ، ففي قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ([1]) .

ففي هذه الآية الكريمة عبر كثيرة ، منها :

- منع المؤمنين جميعا أن ينفروا إلى الجهاد في الحرب وترك البلاد بلا حماة ، وترك العيال والنساء بلا رجال .
- تعليم المؤمنين بأن يقسموا أنفسهم قسمين قسم ينفر إلى الجهاد وقسم يبقى مع النبيﷺ ليتفقهوا في الدين .
- إن التفقه في الدين لايمنع دراسة العلوم الدنيوية ، ولكنه أساس التعليم الكامل .
- إن الجهاد في هذه الآية فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الجميع .
- ينقسم العلم إلى قسمين : أحدهما فرض عين ، وهي معرفة الأحكام الشرعية للمكلف والقسم الثاني : فرض كفاية كالفصل في الخصومات والقضاء وإقامة الحدود وتحصين الحصون .
- طلب العلم ابتغاء مرضات الله كالجهاد في سبيل الله ، إذ كان قرين الجهاد وقسيمه بنص الآية ([2]) .

إنَّ ما ذكرته ما هو إلا جزء يسير ممَّا حواه كتاب الله تعالى، من دعوة إلى العلم والمعرفة، ونبذٍ للجهل والتخلُّف، ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، فلم تكن هذه الدَّعوة الإلهيَّة صرخةً في واد ولا نفخاً في الرماد، إنَّما أثمرت وآتت أُكُلَها في رسول الله ﷺ خاصَّةً، وفي المسلمين عامَّة ؛ ولقد أفردت كتب الحديث الصحاح بابا خاصا من أبوابها سمي باب العلم ويعتبر من أغزر الأبواب لكثرة الأحاديث المروية في الحث على طلب العلم والترغيب به ، فنجد أن رسول الله ﷺ يرغِّب في العلم ، ويدعو إليه، ويعتبر طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم، ويحذِّر من الجهل والجاهلية، ويَظهَر ذلك في أقواله وأفعاله :

أمَّا الأقوال : فأذكر طائفة عطرة من أحاديث النبي ﷺ في هذا الموضوع وهي قليل من كثير: فقد قال رسول الله ﷺ : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " (٣) و قال أيضا :

" من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة، و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، و إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، و فضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن

---

[1] - سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .
[2] - ينظر : الحسيني ، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان – مرجع سابق – ص ١٢٤ . والزحيلي ، التفسير المنير – مرجع سابق – ١٠ / ٢٧٠ .
[3] - البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) الصحيح الجامع ، ط: دار الشعب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٧ م ، قطعة من الحديث رقم (٧١) كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا

العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" (١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم" ([٢]) وكلمة مسلم اسم جنس تشمل الرجل والمرأة على السَّواء.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من جاءه أجلُه وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النَّبيين إلا درجة النبوَّة " ([٣]) .

وعن واثِلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " من طلب علماً فأدركه ؛ كتب الله له كِفلين من الأجر، ومن طلب علماً فلم يدركه، كتب الله له كفلاً من الأجر" ([٤])

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله :ﷺ " سبع يجري للعبد أجرهُنَّ وهو في قبره بعد موته : من علَّم علماً أو كرى نهراً - أي أزال ما به من موانع تمنع جري الماء وتعيقه- أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورَّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته " ([٥])

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " أفضل الصدقة أن يتعلَّم المرء المسلم علماً ثمَّ يعلِّمه أخاه المسلم " ([٦]).

وعن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " العالم والمتعلِّم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس" ([٧]).

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : " من علَّم علماً فله أجر مَنْ عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء" ([٨]) .

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " يبعث الله العباد يوم القيامة ثمَّ يميِّز العلماء فيقول: يامعشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذِّبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم " ([٩]) .

وقد رغَّب النبي ﷺ بالرحلة إلى طلب العلم، وحضَّ الناس على ذلك، عندما يحتاج طلب العلم إلى الهجرة من الوطن، واللَّحاق بالعلماء، كي يَعُبَّ المسلم من العلوم .

---

[١] - الترمذي ، محمد بن عيسى (ت: ٢٩٧هـ/٩٠٩م) الجامع الصحيح أو السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: البابي الحلبي ، مصر ١٩٧٦ م الحديث رقم (٢) كتاب العلم باب رقم ١٩ .

[٢] - ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٣هـ / ٨٨٦ م) السنن ، كتب حواشيه : محمود خليل ،ط : مكتبة أبي المعاطي ، القاهرة ١٩٨٢م ، الحديث رقم (٢٢٤) .

[٣] - الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، ط : دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ ، ٥ / ١٥٥ .

[٤] - الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) المعجم الكبير ، ط : دار الراية ، جدة ١٩٩٣م ١٥ / ٤٤٤ .

[٥] - البيهقي ، أحمد بن الحسين ، أبو بكر (ت : ٤٥٨ هـ / ١٠٦٠م) شعب الإيمان ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، ط : دار الفكر ، بيروت ١٤٢٤هـ ، ٣ / ١٢٧٦ .

[٦] - ابن ماجة ،السنن – مصدر سابق - الحديث رقم (٢٤٣)

[٧] - ابن ماجة ،السنن – مصدر سابق - الحديث رقم (٢٢٨)

[٨] - ابن ماجة ،السنن – مصدر سابق - الحديث رقم (٢٤٠)

[٩] - الطبراني ، المعجم الكبير- مصدر سابق – ٢٠ / ١٩٩ .

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة " ([١]) .

وعن زرِّ ابن حُبَيْش قال: أتيت صفوان بن عسَّال المُرَادي ﷺ قال: ما جاء بك؟ قلت أنبُطُ العلم .قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع"([٢]).

وعن قَبِيصَةَ بن المخارق ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال : " ياقبيصة ما جاء بك؟ قلت: كبرتْ سِنِّي ورقَّ عظمي، فأتيتك لتعلِّمني ما ينفعني الله تعالى به، فقال: ياقبيصة، ما مررتَ بحجرٍ ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لكَ "([٣])

وترغيبا في حضور مجالس العلم ومصاحبة العلماء ، روى عبد الله بن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ : " إذا مررتم برياض الجنَّة فارتعوا، قالوا: يارسول الله وما رياض الجنَّة؟ قال: مجالس العلم" ([٤])

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " إن لقمان قال لابنه: يابني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء؛ فإن الله ليحيي القلب الميِّت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر ([٥]) .

وكان النبي ﷺ الثائر الأوَّل ضدَّ الجهل والتخلُّف فلم يكتفِ ﷺ بجعل المدينة جامعة يأوي إليها طلاب العلم، بل وسَّع هذه الدائرة لتشمل الجبال والوديان والأعراب في باديتهم، وكان لعلوم الدين مراكز متعددة لنشره والتعريف به بين العرب الذين كانوا يعيشون جاهلية عمياء ، وبذلك نستطيع القول أن رسول الله ﷺ كان إمام النهضة العلمية، في تاريخ البشريَّة جمعاء، وأعلن للمؤمنين جميعا أنه لايجتمع دين مع جهل ، والعلم الذي جاء به خير من متاع الدنيا كلها ،ولقد عقد البخاري بابا في كتاب العلم سماه : باب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ .وفيه حديث رواه مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ " ([٦]) .

وها هو ﷺ ذا يطلب إلى قبيلة متعلِّمة أن تعلِّم قبيلة جاهلة، ويطلب إلى القبيلة الجاهلة، أن تأوي إلى دور العلم ومراكزه كي تتعلَّم ، أو يَلْحَقَ الطرفين عذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة، فقد حمَّل العالم مسؤولية التعليم، وحمَّل الجاهل مسؤولية الهجرة إلى المعلِّم، والبحث عنه والأخذ من علومه، إذ أن العلم والتعلُّم والتعليم إجباري في ظلال دين الله الخالد، فعن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جدِّه قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، ثمَّ قال: " ما بال أقوام لا يُفقِّهون

[١] - ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني (ت : ٢٤١هـ/٨٥٥ م) المسند ، ط : مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، بلا تاريخ ، رقم الحديث (٨٢٩٩) .و ابن ماجة ،السنن – مصدر سابق - الحديث رقم (٢٢٣) .

[٢] - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت : ٨٠٧هـ/)موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، ت : محمد عبد الرزاق حمزة ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت بلا تاريخ ١ / ٦٠ .

[٣] - ابن حنبل ، المسند – مصدر سابق – ٣/ ٤٧٦ .

[٤] - الطبراني ، المعجم الكبير – مصدر سابق – ٩ / ٣٠٥ .

[٥] - الهيثمي ، مجمع الزوائد – مصدر سابق – ١ /١٣٠ .

[٦] - البخاري ، صحيحه – مصدر سابق - كتاب العلم ١ / ٢٦ ، الحديث رقم ٨٧ .

جيرانهم ولا يُعلِّمونهم ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهَوْنهم ، وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم ولا يتفقَّهون ولا يتَّعظون؟ والله ليُعَلِّمَنَّ قوم جيرانهم ويُفقِّهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهَوْنهم، ولَيَتَعَلَّمَنَّ قوم من جيرانهم ويتفقَّهون ويتَّعظون أو لأعاجلنَّهم العقوبة ثمَّ نزل. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: الأشعريِّين هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب؛ فبلغ ذلك الأشعريِّين، فأَتَوْا رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشرٍ فما بالنا؟ فقال: ليُعلِّمنَّ قوم جيرانهم وليعظُنَّهم وليأمُرُنَّهم، وليتعلَّمنَّ قوم من جيرانهم ويتَّعظون ويتفقَّهون، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا، فقالوا يارسول الله! أنُفَطِّنُ غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم فأعادوا قولهم: أنفطِّن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً فقالوا أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقِّهوهم ويعلِّموهم ويعظوهم " ([1]) .وماعرف نظام عالمي عاقب الجاهل - أو كاد - على كونه أمِّياً ؛ تهاون في تعلُّم القراءة أو الكتابة بل جميع أنواع العلوم والحكمة، سوى الإسلام ؟ وماعرف أيضا نظامٍ عالمي هدَّد العالِم بالعقوبة ؛ إن كتم علمه، فلم ينفع به الناس سوى الإسلام؟

وأما الأفعال :فقد قضى رسول الله ﷺ حياته كلَّها معلِّماً، وداعياً إلى نشر العلم والمعرفة وتعميم ذلك، بعد أن كان العلم في تلك الحقبة من الزمن حِكْراً على أقلِّية محدودة من الأشراف، وكانت أقواله ﷺ وأفعاله أوَّل خطوة على طريق تعميم العلم، وكان شعاره في ذلك : " ليس منِّي إلا عالم أو متعلِّم "- الحديث رواه ابن عمر ﷺ -([2]).

لقد خطا الرسول ﷺ بالأُمَّة الخطوة الأولى على هذه الطريق الطويلة، الَّتي اتَّخذت من شعار (العلم للجميع) مبدأً تسير عليه، وغاية تسعى للوصول إليها، فها هو ذا يأمر بتعليم الأطفال القراءة والكتابة، وها هو منذ الأيَّام الأولى لاستقراره في المدينة يأمر ببناء المسجد الذي غدا مدرسة ومعهدا تعليميا يغشاه الكبار والصغار من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فهو بحقٍّ صاحب السَّبْق في هذا الميدان، ولم يدع فرصة ولا مناسبة إلا واستغلَّها من أجل تحقيق هذا الهدف السامي والغاية النبيلة، فها هو ذا ﷺ يأسر سبعين ممَّن عادَوْهُ بعد معركة بدر ، ويفتدي الأسرى أنفُسَهم بدفع مبلغ من المال، لكن الَّذين يحسنون القراءة والكتابة، كان فداؤهم أن يعلِّم كلُّ واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة([3]) فقد آثر التعليم على إجبارهم على دفع المال، مع شدَّة الحاجة إلى المال في ذلك الوقت، لأن التعليم يحقِّق جزءاً من الغاية الَّتي أُرْسِلَ من أجلها ﷺ .

ولقد كان من آثار هذا الموقف النبوي من العلم والمعرفة، أن نبغ أصحابه الكرام حتَّى وُصِفُوا بهذا الوصف؛ حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .ولنأخذ نموذجاً من العلم النبوي الَّذي ظهر على لسان أحد صحابته الكرام وهو معاذ بن جبل ﷺ، قال: تعلَّموا العلم، فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُرْبَة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنارُ سُبُل أهل الجنَّة، وهو الأنيس في الوحشة، والصَّاحب في الغُربة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرَّاء

---

[1] - أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت : ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩م) معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، ط : دار الوطن للنشر – الرياض ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ١ / ٢٣٨ .

[2] - المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين البرهان فوري (ت : ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق : بكري حياني - صفوة السقا ، ط : مؤسسة الرسالة١٤٠١ هـ/١٩٨١م ١٠ / ١٥٦ .

[3] - ينظر : ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، السيرة النبوية (ت : ٢١٣هـ / ٨٢٦ م) تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، ط : دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ٣ / ٢٧٢ .

والضرَّاء، والسلاح على الأعداء، والزَّيْن عند الأَخِلاَّء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تُقتَصُّ آثارهم، ويُقْتَدَى بفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خَلَّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كلُّ رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامُّهُ، وسباع البرِّ وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظُّلَم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدَّرجات العُلى في الدنيا والآخرة، التفكُّرُ فيه يعدل الصِّيام، ومدارسته تعدل القيام، وهو إمام العمل والعمل تابعه، يُلهَمُهُ السُّعداء ويُحْرَمُهُ الأشقياء . ([١])

وقام صحابة رسول الله ﷺ بنشر رسالة العلم في ربوع الأرض كلِّها، وتتلمذ على أيديهم طائفة من خيار الناس، وانطلاقاً من هذا الهدي القرآني النبوي، راح المسلمون الأُول يتسابقون في مجالات العلم وميادينه المختلفة، فترجموا كتب الحضارة الإنسانية الَّتي سبقتهم واستفادوا من علومها وملكوا زمام المبادرة فيها، فكانوا أمناء على الحضارة الإنسانية، فقد حفظوها من الضَّياع، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أضافوا حقائق وعلوماً جديدة إلى ما ورثوه عَمَّنْ سبقهم، ولقد لمع في تاريخ الحضارة الإنسانية مئات الأسماء، كلُّهم يُعَدُّ من أساطين العلم في تاريخ البشرية([٢]) .ولم يقتصر جهدهم على علوم الدين وحسب ، إنما نبغوا في علوم كثيرة ذات نفع كبير للبشرية جمعاء من مثل : الطب والرياضيات والهندسة والفلك والفلسفة والتاريخ والجغرافية ووصف البلدان وغيرها كثير .

إن آثار هؤلاء العظماء التاريخيين الَّذين لم يكونوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه، إلا بفضل الدافع الإسلامي القويِّ على العلم والبحث العلمي، الَّذي حملهم على بذل جهدهم سعياً وراء الحقيقة العلمية، وبعد أن وصلوا إليها حفظوها في مخطوطاتهم النفيسة، الَّتي تُعَدُّ الآن من كنوز المكتبات العالمية من عربية وأجنبية ([٣]) .

وإن نظرة واحدة إلى ما تحويه مكتبات العلم المتمدن ترينا الثروة العلميَّة العملاقة الَّتي حوتها هذه المؤلَّفات، كلُّ ذلك انطلاقاً من موقف القرآن الكريم، وموقف رسول الإنسانية محمَّد ﷺ من العلم والتعليم والمعرفة الإنسانية.

ولابدَّ من وقفة صريحة أمام الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الَّتي تتحدَّث عن العلم والعلماء.. فالمتحدِّث عن علوم الشريعة يستشهد بهذه الآيات والأحاديث.. والمتحدِّث عن العلوم الحياتيِّة يستشهد بهذه الآيات والأحاديث نفسها.. ومن هنا استطاع المغرضون أن ينسلُّوا إلى عقول بعض الناس، ليؤكِّدوا لهم بأن المقصود من جميع هذه الشواهد القرآنية والنبويَّة هو الدعوة إلى تحصيل العلوم الشرعيَّة فقط .ودليلهم على هذا الزعم هو تخلُّف المسلمين عن الحضارة الأوربية الَّتي ارتقت بسبب الثورة الصناعية الَّتي قام بها الأوربيون والمبنيَّة على العلوم التَّجريبيَّة، متَّهمين الإسلام بأنه وقف حائلاً أمام مثل هذه الثورة، داعين المسلمين إلى اعتماد مبدأ العلمانيَّة الَّذي يعني تحييد دور الدِّين، أسوة بما فعله المسيحيون في البلدان الأوروبية، إبَّان ثورتهم على هيمنة الكنيسة وإعاقتها للتقدُّم العلمي في تلك البلدان، قبل عصر النهضة العلمية؛ وبالتالي على المسلمين التخلِّي عن الإسلام بدورهم،

---

[١] - ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ، أبو عمر (ت : ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، أبو عبد الرحمن ، ط : مؤسسة الريان – دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ١ / ٥٤-٥٥ .

[٢] - وهذا هو اختصاص الدراسة إذ سنذكر أسماء اللامعين من العلماء في عصر البحث .

[٣] - اعتنى كثير من الباحثين في عمل ببلوغرافيا للمخطوطات العربية في مكتبات العالم ، وممن تخصص في ذلك مثلا : سزكين ، د . فؤاد ، وكتابه : تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي وآخرون ، ط :إدارة الثقافة في جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . وله في هذا الموضوع كتب أخرى سنذكرها خلال البحث .

ليتمكَّنوا من اللحاق بركب الحضارة، دون الإشارة إلى أن الإسلام أو أيّاً من دعاته لم يقم بالدور السلبي نفسه الَّذي قامت به الكنيسة في أوربا، ضد التقدُّم العلمي للبشرية، بل كانت دعوة الإسلام إلى العلم دعوة واضحة وقويَّة، بلغت في بعض الأحاديث الشريفة مرتَّبة الفرض، كما يُستدلُّ من قولهﷺ : " طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم " ([1]).

وواقع الأمر أن معظم مفكِّري الحضارة الأوربية، يخشون على بلادهم من الإسلام، لأنهم يعرفون بأنه دين مفجِّر لجميع طاقات العقل والروح، وإلى أقصى الحدود.. بحيث سيعود بالمسلمين إلى دور الريادة كما كانوا، وبما كانوه سابقا، أي السبب في استيقاظ أوربا من سباتها العميق؛ الَّذي دفعتها الكنيسة إلى أحضانه ([2]) .

وثمة اجتهادات لبعض العلماء ، يرون في تفسيرهم لآيات كريمة دلالة للتشجيع والحث على الاهتمام بالعلم الكوني ، وليس فقط الاقتصار على العلوم الشرعية ، لأن تلك العلوم أساس لبناء الأرض وعمارتها وتحفيزللإنسان ليطور حياته ويحسّن ظروف حياته ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أنزلَ منَ السماءِ ماءً﴾ إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عبادِهِ العلماءُ﴾ ([3]) ... نجد أن المقصود هم علماء الطبيعة والحياة، بشكل خاص . ومن الواضح أن هذه الآية تؤكد لنا أن هؤلاء العلماء، هم علماء الشؤون الكونية والحياتية بالدرجة الأولى؛ لأنهم كلَّما بحثوا ودقَّقوا في خلق الله، تبيَّن لهم دقَّة صنعه وإعجازه عزَّ وجل... ممَّا يثير في قلوبهم نوازع الخوف والرهبة، من عظمة الخالق فيما خلق.([4])

إن مفاتيح العلوم الحياتيَّة هي العقل والتفكُّر والبصر والتدبُّر، وهي الأدوات الَّتي على المسلم أن يستعملها من المهد إلى اللحد .

ومثال آخر : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وفي الأرضِ آياتٌ للمُوقِنين ﴾ ([5])نجدها دعوة لتقصِّي علوم طبقات الأرض (الجيولوجيا) ثمَّ يتبع تعالى ذلك بقوله :﴿ وفي أنفسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون﴾ لتكون دعوة للاستزادة والتوسع في علوم الطبِّ والتشريح ؛ بل وفي علم النفس أيضا.

ومثال آخر : قوله سبحانه وتعالى ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ الليلِ والنهار لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَاب ﴾ ([6]) وكذلك قوله تعالى : ﴿ هوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالحِسَاب مَا خَلَقَ الله ذلكَ إلاَّ بِالحقِّ يُفصِّلُ

[1] - سبق تخريجه صفحة ٥ .
[2] - ينظر : الحسيني ، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان – مرجع سابق – ص ١٢٣ .
[3] - سورة فاطر ، الآية ٢٧-٢٨.
[4] - ينظر : قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط : دار الشروق – القاهرة ، بلا ٢٩٤٢/٥ . والزحيلي ، التفسير المنير– مرجع سابق – ٢٥٧/٢٢ - ٢٦٢ .
[5] - سورة الذاريات ، الآية ٢٠ .
[6] - سورة آل عمران ، الآية ١٩٠.

الأياتِ لِقَومٍ يَعْلَمُون﴾ (١) نجد في كلٌّ ذلك نداء لعلماء الفلك؛ للمضيِّ قُدُماً في متابعة هذا العلم (٢) .

وهذه العلوم الَّتي كلَّما استزاد منها الإنسان ، كلَّما أعطته المزيد عنها، وقد تنتهي أجيال دون أن ينتهوا من البحث فيها، حيث يأتي من بعدهم ورثة يتابعون البحث والاستقصاء ؛ ولاشك أن هؤلاء هم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله : " من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنَّة " (٣) .

وثمة آيات قرآنية وقف علماء التفسير قديما في تفسيرها عند حد علمهم ومعارفهم التي توصلوا إليها في عصورهم ، ولكن الاكتشافات الحديثة التي يتوصل إليها العلماء في عالمنا المعاصر تنبئ عن دلالاتها وتفسيرها ، ولن أستطيع أن أستطرد في ذكر هذه الاكتشافات لأن ذلك يطول بنا ، ولكن سأكتفي بذكر مثالين وحسب :

١- من أشهر النظريات الحديثة التي تتحدث عن نشأة الكون وأحواله وأكثرها تقبلا عند العلماء هي نظرية "الانفجار العظيم" The Big Bang. وتنص هذه النظرية على أن الكون ابتدأ من نقطة صغيرة من طاقة عظيمة التي تفوق في عظمها تصورنا، فانفجرت هذه الطاقة، وفي خلال لحظات من الانفجار أخذ الكون في تكونه على ما يحتويه من مواد خام لبنائه. وأخذت هذه المواد من ذرات الهيدروجين والهيليوم التمازج والارتباط ومن ثم تكوين المجرات، ثم تكونت النجوم والكواكب (ومازالت تتكون). وفي غضون ذلك كان الكون ومازال في حالة تمدد.

لقد اكتشف العلماء حقيقة تمدد الكون في القرن العشرين، فقد كان العلماء قبلها يقولون : أن الكون ساكن لا يتمدد ولا ينكمش،

وتم اكتشاف ذلك عندما لاحظ العالمان إدوين هابل وميلتون هيوميسن أن المجرات - مجموعة من النجوم والكواكب، والأرض تنتمي إلى مجرة درب التبانة- في حالة تباعد عن بعضها البعض وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الكون يتمدد.

ولنرى ما يقوله الله جل وعلا عن الكون وما إذا كان ساكنا أو في حالة تمدد. يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(٤). هنا يبين الله سبحانه أنه خلق الكون بقوته، ومعنى "بِأَيْدٍ" هنا أن الله تعالى بنى السماء بقوة لا يوصف قدرها. وهنا إشارة إلى عظم تكوين الكون في البداية، وإن قارنا التسمية التي سمى بها العلماء بدأ تكوين الكون (الانفجار العظيم) لوجدنا تطابقاً في المعاني، حيث أن بداية خلق الكون إنما هو أمر عظيم لا يوصف قدره. ثم يخبرنا الله تعالى عن حال الكون الحالي، ألا وهو انه في حالة إتساع، وأنه الله سبحانه المسؤول عن هذا الاتساع الدائم.

---

١ - سورة يونس ، الآية ٥ .

٢ - ينظر : قطب ، في ظلال القرآن – مرجع سابق – ١/ ٥٤٣-٥٤٥ و٣ / ١٧٦٢ . والزحيلي ، التفسير المنير – مرجع سابق – ٤ / ٢٠٥و١١ /١٠٩ .

٣ - الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن ، أبو محمد (ت :٢٥٦ هـ / ٨٦٩م) السنن ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، ط : دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧ هـ ١١٢/١ .

٤ - سورة الذاريات ، الآية ٤٧.

لقد أخبرنا الله جل وعلا عن هذه الحقيقة، حقيقة إتساع الكون، قبل ١٤٣١ سنة ونحن لم نكتشفها حتى قبل قليل. وكم من حقيقة ستكتشف وعندها سنراها تتجلى بكل وضوح في القرآن الكريم، وكم من حقائق أخرى موجودة في القرآن والتي إن علمنا ما هي لن تزيدنا إلا إيمانا بالله سبحانه وتعالى ([1]).

٢- تنص القوانين النيوتونينة، على أنه عند معرفتنا لكل المعلومات المتوفرة عن الجسيمات المتحركة يمكننا التنبؤ بمستقبل الأمور. كل هذه المعلومات كانت صحيحة إلى أن أتى العلم الجديد المسمى بالميكانيكا الكم Quantum Mechanics. ومن أبرز روادها العالم ورنر هيزنبيرج Werner Heisenberg والذي استخرج نظرية مبدأ الريبة Uncertainty Principle في عام ١٩٢٧م والذي يقول أنه لا يمكن قياس الموقع والزخم لأي جسيم بدقة متناهية، وإنه كلما كان قياس أحد المتغيرين (الموقع أو الزخم) بدقة أكبر كلما كان قياس المتغير الآخر مشوباً بالخط أكثر. أي إذا قسنا مثلا موقع إلكترون في لحظة من اللحظات، وأردنا أن نعرف قيمة الزخم في تلك اللحظة لكان من الصعب معرفة هذه القيمة بوضوح ، والعكس بالعكس.

ولنوضح هذه الفكرة أكثر بهذا المثال : لو أننا أردنا أن نقيس موقع الإلكترون في وقت ما، فإننا سنطلق عليه الضوء ليضرب الإلكترون وينعكس منه ليخبرنا عن مكانه، عندها نعرف أين كان الإلكترون. الآن نأتي ونقول: ما هي قيمة زخم أو سرعة الإلكترون في اللحظة التي عرفنا فيها موقعه ؟ هنا نكتشف أنه لا يمكننا معرفة هذه المعلومة عن الإلكترون وخصوصاً أن سرعته تغيرت بسبب ضرب الإلكترون بالضوء. عندما أصاب الضوء الإلكترون تغيرت سرعته بقوة دفع الضوء له - في الحقيقة هناك مبالغة في التصوير لتوضيح مبدأ الريبة- وتستطيع أن تقيس على هذا المثال كل شيء، فالإلكترون إنما هو يمثل كل الأجسام وإن كانت تتفاوت في الحجم.

وثمة من يقول أنه إذا أصبحت لدينا أجهزة دقيقة وأفضل مما هو عليه الآن لاستطعنا معرفة المتغيرين (الموقع والزخم) بدقة أكبر، أليس كذلك؟ الجواب هو لا، وسبب ذلك أن مبدأ الريبة إنما هو حقيقة كامنة في كل الأجسام وليست عجز في الإمكانيات - للتعرف أكثر على هذه المعلومة علينا البحث في النظريات التي تتكلم عن الخاصيتان الموجية والجسيمية للأجسام- الحقيقة أنه لا يمكن أن نعرف هذين المعلومتين مهما صنعنا. كالذي يتحدى أقوى الناس بأن يقذف ريشة ليوصلها مسافة أبعد من الصخرة التي يقذفها شخص عادي القوة. صحيح أن الريشة أخف من الصخرة وأن الشخص الأول أقوى من الشخص الثاني ولكن المشكلة أن الريشة لا يمكن لها أن تصل إلى مسافات بعيدة (بالطبع بسبب وزن الريشة مقابل الهواء المعاكس).

ماذا يعني كل هذا؟ هذا المبدأ يتكلم عن نقطة مهمة يتكلم عنها الله عز وجل، وهي أن الغيب إنما هو موضوع يختص بالله وحده، وأنه لا أحد غير الله يستطيع معرفة الغائب عنا في المستقبل إلا إذا أراد الله ذلك. يقول الله في كتابه العزيز :

---

[1] - خضير، محمد قاسم ، القرآن والعلم - مجموعة مقالات ألكترونية – من موقع http://www.holyquran.net

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ ([1])

فنحن مهما تقدمنا في العلم فلن نستطيع التعرف على مستقبل الأمور، وهذه حقيقة علمية. والله يقول في هذه الآية أنه هو الذي عنده مفاتح الغيب وأنه لا يعلمها سواه وقد دل العلم على ذلك كما تم توضيحه سابقاً. وأكثر من ذلك أن العلم اليوم لا يقف عند حد القول أننا لا نستطيع التعرف على الغيب في العصر الحالي ولكن يقول : أننا تبعاً لهذه القوانين لن نستطيع أبداً معرفة هذه الحقائق مهما تقدمنا في العلم . وإن كنا نرى أن بإمكاننا التنبؤ بحالة الطقس بدقة أكبر من السابق فهذا لا يعني أنه بإمكاننا التجاوز إلى حد المعرفة المطلقة. إنما نحن الآن في حالة تحسين للأدوات الموجودة اليوم إلى أن نصل إلى الحد الفاصل الذي وضعه الله للتعرف على غيبيات الأمور.

وبالطبع فإن الأنبياء والرسل يستثنون من هذه القاعدة. صحيح! أنهم لا يستطيعون معرفة الأمور المستقبلية لوحدهم ، ولكن الله سبحانه يطلعهم عليها، فهم يكررون مراراً للناس أنهم لا يعرفون الغيب ، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل على ذلك ومنها قوله تعالى :

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول ﴾ ([2])

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ ([3])

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ ([4])

إذا فإن الغيب من الأمور المختصة بالله عز وجل فقط ، ولا مجال لنا أن نصل إلى علمها من الناحية العلمية أبداً، فإن شاء الله أطلعنا عليها وإن لم يشأ فلا حيلة لنا ([5]).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية للعالمين ، هو أيضا كتاب علم لايعرف منتهاه إلا منزّله سبحانه وتعالى ، والذي ابتغيته مما أوردته تدليل على أن الإسلام العظيم حث أتباعه على العلم بكل صنوفه وألوانه ، وشجعهم على الاستزادة منه وطرق أبوابه مهما كثرت ، وكان ذلك دافعا للمسلمين حتى بنوا حضارة استطاعوا بها مضاهاة الأمم المعاصرة لهم ...ولايشك امرؤ أن الذي أوصل المسلمين إلى ذلك التقدم وتلك الحضارة الرائدة كفيل بأن يعيد لهم مجدهم التليد ويجعلهم في طليعة الأمم المعاصرة .

---

[1] - سورة الأنعام، الآية ٥٩ .
[2] - سورة الجن ، الآية : ٢٦-٢٧.
[3] - سورة الأنعام ، الآية ٥٠ .
[4] - سورة الأعراف ، الآية ١٨٨ .
[5] - خضير ، القرآن والعلم – مرجع سابق -

ثانياً : العمل بالعلم :

إن الوقوف عند العلم النظري دون حراك لايجدي نفعا ، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام الأسوة الحسنة ، فكانوا يسارعون إلى العمل بما علموا لبلوغهم فهم مقتضاه ، ويضاف إلى ذلك أن الالتزام العملي بما يُعلم يرسخ المعلومات في الأذهان و يثبتها،وقد عقد الإمام البخاري بابا في كتاب العلم ، هو باب فضل من علم وعلّم ([1]) وروى فيه أحاديث كثيرة على فضل من تعلّم وعلّم ، منها حديث أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً ، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " ([2]).

وألف الخطيب كتابا كاملا في هذا الباب ، سماه : اقتضاء العلم العمل ([3]) وذكر الكثير من الأحاديث النبوية التي تحث على العمل بالعلم ومنها مارواه سُلَيْمَانَ بْنِ الرَّبِيعِ ، مَوْلَى الْعَبَّاسِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : " وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَعْلَم ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَعَلَّمَهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَم وَلَا يَعْمَل " سَبْعَ مَرَّاتٍ ([4]) .

وذكر الكثير من الأخبار عن مسارعة الصحابة الكرام على العمل وهذه سنة من جاء بعدهم من أئمة الدين فإنهم كانوا يقرنون العلم بالعمل و القول بالفعل ، و من الأدلة على هذا قول ابن مسعود ﷺ : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، و العمل بهن. ([5])

و قول أبي عبد الرحمن السلمي التابعي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا، أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن ، و العمل جميعا) ([6])

ثالثاً : ترغيب الرسول ﷺ في تبليغ العلم ، وعقوبة من كتمه :

فقد رغب رسول الله ﷺ أمته في تبليغ العلم عنه ، فقال ﷺ : " نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمع ، فرب مبلغ أوعى من سامع " ([7])

بل أمر رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بتبليغ ما يتلقونه عنه إلى من خلفهم ، كي يشيع العلم ، ويفيض الخير، فقال ﷺ في خطبته بعد الفتح بمكة : " وليبلغ الشاهد الغائب " ([8]) وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ .

وقد حذر الله سبحانه وتعالى ثم رسوله الكريم ﷺ من كتم العلم وحجبه ، فقال الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك

---

[1] - البخاري ، صحيحه – مصدر سابق – ٣٠/١ .
[2] - المصدر نفسه ، الحديث رقم ٧٩ .
[3] - :الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت ، أبو بكر(ت : ٤٦٣هـ/ ١٠٧٣م) اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ ،تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي - الطبعة: الرابعة ، بيروت١٣٩٧هـ .
[4] - المصدر نفسه ، رقم الحديث ٦٥ ص ٤٧ .
[5] - الطبري ، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م) جامع البيان في تأويل القرآن ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ هـ ٦٠/١ . والقصد من ذلك الخضوع لأمر الله وطاعته .
[6] - الطبري ، جامع البيان – مصدر سابق – ٦٠/١
[7] - الترمذي ، الجامع الصحيح – مصدر سابق - رقم (٢) كتاب العلم .
[8] - البخاري ، صحيحه _ مصدر سابق - الحديث رقم (١) كتاب العلم ، باب ٣٧ .

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ ([1]).
وقال رسول الله ﷺ : " من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة "([2])
فهذا الترهيب وذاك الترغيب كان لهما وقع شديد في نفوس أهل العلم ، فقد حملاهم على الاعتناء بتبليغ علوم الشريعة إلى الناس كافة ، وهم يرجون لأنفسهم صفة النضارة التي وُعدوا بها ، ويخشون من لعنة الله ومن لجام النار يوم القيامة إن هم كتموا ما أمروا بتبليغه
وقد احتاط العلماء في الرواية عن رسول الله ﷺ ، خشية من التقول على رسول الله ﷺ مالم يقله ، لأنهم يروون عن رسول الله ﷺ قوله : " من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار " ([3]) وقوله ﷺ أيضا : " من يقل عليّ مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار " ([4])
وقد صرح بعض الصحابة بأنهم ما حدثوا حديثا لولا تلك الآيتان اللتان أوعدتا كاتم العلم ، وصرح بعضهم أيضا بأن الذي حملهم على التقليل من الرواية حديث : " من كذب علي ... " وهاهو إثبات ذلك :
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا " ثم يتلوا : ﴿ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى ..﴾ إلى قوله تعالى ﴿ الرحيم﴾ ([5])
وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : قلت للزبير : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان ، وفلان ، قال : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : " من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار "
لذا سار أئمة الهدى في تبليغهم طريقا عدلا وسطا ، فلم يحدثوا إلا بما اطمأنت إلى صحته نفوسهم ، ولم يجرؤواعلى كتم العلم ، حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه قال : " لو وضعتم الصمصامة ([6]) على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها . ([7])

رابعاً : **بناء الأمصار والمدن** :

لاريب أن ينبوع الحضارة الزاهرة ، والنهضة العامرة ، يتفجر حيث الأمن والجماعة والاستقرار ، وهذه العناصر كانت تنفرد بها المدن وحواضر البلدان .
فقد قام الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وكذلك من جاء بعدهم من الخلفاء ، ببناء الأمصار والمدن في مختلف أصقاع الأرض ، لتكون مركزا صالحا لتجمع الجند وانطلاقهم للفتوحات ، ولتكون أيضا مجمعا للناس ومأمنا لهم من أهل العبث والفساد .
وعندما يأمن الناس من الشرور، ويكفون مؤنة النفير لرد العدوان ، يتطلعون إلى الغذاء الروحي العظيم الذي هو العلم ، فكانت المدن والأمصار موئلا للعلوم ومنارا للفنون ، وكانت كثرتها باعثة على النهضة العلمية العريقة التي تميزت بها الأمة الإسلامية ([8]) .

---

[1]- سورة البقرة الآية ١٥٩-١٦٠ .
[2]- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) السنن ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت بلاتاريخ ، رقم (٩) كتاب العلم .
[3]- البخاري ، صحيحه _ مصدر سابق - الحديث رقم (٢) كتاب العلم ، باب ٣٨ .
[4]- المصدر نفسه ، الحديث رقم (٤) كتاب العلم ، باب ٣٨ .
[5]- المصدر نفسه ، الحديث رقم (١) كتاب العلم ، باب ٤٢ .
[6]- السيف الصارم الذي لاينثني ، وقيل الذي له حد واحد . مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، - مرجع سابق (صمصم) .
[7]- الدارمي ، السنن – مصدر سابق - الحديث رقم (٤) المقدمة ، باب ٤٦ .
[8]- سعد ، قاسم علي ، النهضة العلمية في ظل الدولة الإسلامية ، (مقالة) البصائر / مجلة فصلية تبحث في التراث الشرقي ، تصدر عن الاتحاد الثقافي في فرنسا ، العدد الثامن ١٩٨٦ م .

ومن أهم المدن والأمصار : مكة ، والمدينة المنورة ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، ودمشق ، والفسطاط ، والقاهرة ، والقيروان ، وفاس ، وقرطبة ، وبخارى ، ونيسابور، ومرو ، والري ، ومراكش ، وغرناطة ، وغيرها من المدن التي كان لها دور بارزفي نشاط الحركة العلمية ([١]).

خامساً : سكن الخلفاء والملوك والسلاطين في المدن والأمصار :

فمن تأمل تاريخ الحركة العلمية عند المسلمين وجدها في أوج نشاطها وكامل نموها في حواضر الدول التي كان يسكنها الحكام الكبار ، فقد بلغت هذه الحواضر الدرجة العلمية الرفيعة بحلول حكامها العظام فيها ، وقد أحسن ياقوت الحموي في قوله : " إنما تعمر البلدان بسكنى السلطان " ([٢]) .

سادسا : استحواذ العباسيين على الموروث الثقافي والنهضة العلمية التي كانت زمن الأمويين :

إن النهضة العلمية لم تبدأ بالعصر العباسي ، إنما كان لها جذور منذ عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ولئن كان الراشدون أهل علم وفقه وهم أئمة الهدى والعلم ممن يُتأسى بعلمهم وعملهم بعد رسول الله ﷺ فقد كان بعض خلفاء بني أمية أصحاب فضل لاينسى لهم في العناية بالعلم والعلماء فمعاوية بن أبي سفيان ﷺ (ت : ٦٠ هـ /٦٧٩ م) كان فقيها شهد له بذلك ابن عباس رضي الله عنهما ([٣]) وكان يهتم بمذاكرة العلم ويحرص عليه ، وله مسائل فقهية أثرت عنه ([٤]) وكان عبد الملك بن مروان (ت : ٨٦ هـ /٧٠٥ م) فقيها من الفقهاء ، ومن أهل العلم بالمغازي والسير وأخبارها ، وله علم واسع بأحاديث العرب وآثارهم في الجاهلية والإسلام ، كثير المحاورة لرواة وسادة القبائل ، ونسابة له معرفة دقيقة بأنساب العرب وبخاصة أنساب قريش ([٥]) ، وكان عارفا بنفسية العلماء قادرا على التعامل معهم، ولقد قرب الكثير منهم وعاملهم وكلفهم بأعمال الدولة أمثال : قبيصة بن ذؤيب وعطاء بن رباح .

أما عمر بن عبد العزيز (ت : ١٠١ هـ /٧١٩ م) فقد كان عهد خلافته قصيرا ولكنه ترك من الأحكام الفقهية والعلوم الإدارية والقدرة على التخطيط و التنظيم والقيادة والتوجيه ومعرفة الناس الكثير ([٦]) ففي مجال التعليم أنشأ عمر مجالس التعليم الدائمة في المساجد ، وكلف من يقوم بالتفقيه والتعليم المتنقل ، وكلف من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقام دور الإفتاء . وقد حرص على تقريب العلماء ومشاركتهم في إدارة الدولة ، وجعلهم بطانته ووزراءه وأعوانه ، و برز في عهده علماء كثيرون لمعوا في دنيا العلم أمثال :

- رجاء بن حيوة الفلسطيني (ت : ١١٢ هـ / ٧٣٠ م) كان من أجلة التابعين وشيخ أهل الشام وأفقههم ([٧]).
- مكحول الشامي الدمشقي (ت : ١١٣هـ /٧٣١م) عالم أهل الشام وفقيههم ، عداده في أواسط التابعين ([١]) .

---

[١] - وقد تم اختيار بعض هذه المراكز لدراسة النهضة العلمية فيها وترجمة من برز فيها من العلماء في العصر العباسي الأول .
[٢] - الحموي ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ط : دار صادر ١٩٨٠ م ٤/ ٤٥٤ .
[٣] - البخاري ، صحيحه – مصدر سابق – الحديث رقم ٣٧٦٤ .
[٤] - الصلابي ، د . علي محمد ، الدولة الأموية : ط : دار المعرفة ، بيروت – لبنان ٢٠٠٥ م ١ / ١٦٧- ١٦٨ .
[٥] - الصلابي ، الدولة الأموية – مرجع سابق - ٧٠٤/١ .
[٦] - المرجع نفسه ٣٦٧/٢ . والقحطاني ، محمد بن مشيب ، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز ، منشورات جامعة أم القرى طبعة عام ١٤١٨ هـ ، ص ٣٤٤ .
[٧] - الذهبي ، محمد بن أحمد ، شمس الدين (ت : ٧٤٨ هـ /١٣٧٤ م) سير أعلام النبلاء ، تحقيق :شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط : مؤسسة الرسالة ،الطبعة العاشرة ، بيروت ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ٤/ ٥٦١ .

- بلال بن سعد السكوني (ت : ١١٣هـ / ٧٣١م) شيخ أهل دمشق ، كان بليغ الموعظة ، حسن القصص ، وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت ، وكان لأهل الشام كالحسن البصري لأهل العراق ([٢]) .
- مجاهد بن جبر المكي (ت : ١٠٢هـ / ٧٢٠ م) عالم مكة في وقته ، أخذ الفقه والتفسير عن ابن عباس رضي الله عنه كان فقيها عالما ثقة من أوعية العلم ([٣]) .
- عكرمة مولى ابن عباس (ت : ١٠٥هـ / ٧٢٣م) كان مكيا تابعيا ثقة من أعلم التابعين .
- عطاء بن أبي رباح (ت : ١١٥ هـ / ٧٣٣ م) مفتي الحرم المكي ، وأحد الفقهاء الأئمة ، كان عالما ثقة فقيها كثير الحديث ([٤]) .
- محمد بن سيرين البصري (١١٠هـ / ٧٢٨ م) لم يكن في زمانه بالبصرة أعلم منه بالقضاء ([٥])
- قتادة بن دعامة السدوسي (١١٨ هـ /٧٣٦م) كان من أوعية العلم ، عالما بالتفسير وباختلاف العلماء ، حافظا فقيها ([٦]).
- عامر بن شرحبيل الشعبي (ت : ١٠٦ هـ / ٧٢٤م) كان علامة عصره في الكوفة ، ومن أفقه العلماء ، صاحب آثار كثيرة في العلم والفقه ([٧]) .
- حماد بن أبي سلمة (ت : ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م) فقيه أهل العراق ، وكان أحد العلماء الأذكياء الكرام الأسخياء ، وأبصر الناس بالمناظرة ، له ثروة وحشمة وتجمل ([٨]) .
- طاووس بن كيسان (ت : ١٠٦ هـ /٧٢٤ م) فقيه أهل اليمن وقدوتهم ، وأعلمهم بالحلال والحرام من سادات التابعين ([٩]) .
- وهب بن منبه (ت : ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) أصله من أبناء فارس ، سكن ذمار ([١٠])كان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهادة ، أخباري قصصي ، من فقهاء التابعين ، وكان على قضاء صنعاء ([١١]) فهؤلاء وغيرهم من العلماء قد نهضوا بعبء الدعوة والتعليم ، وإتمام البناء العلمي ، وكانوا الحلقة المتينة ضمن السلسلة الذهبية لعلماء الأمة وقد نقلوا العلم إلى من بعدهم ممن عاصروا الدولة العباسية ([١٢]).

ويعتبرعهد الخليفة هشام بن عبد الملك (ت : ١٢٥ هـ /٧٤٢ م) قريبا من عهد العباسيين فلذلك نجد أن كثيرا من علماء عصره عاصروا العباسيين وأسهموا في النهضة العلمية في العصر العباسي ، وقد اهتم بالعلم وقرب العلماء وجلبهم إلى دمشق ، كما كان مشغوفا بالاطلاع على الآثار الأدبية الخاصة بالأمم الأخرى ، فقد أمر بترجمة كتاب عن تاريخ فارس ، وتسرب هذا الشغف إلى المحيطين به فترجم سالم مولاه بعض كتب أرسطو

---

[١] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٩ .
[٢] - المصدرنفسه ٩١/٥ .
[٣] - المصدر نفسه ٤/ ٤٥٥ .
[٤] - المصدر نفسه ٥/ ٧٩ .
[٥] - المصدر نفسه ٤/ ٦٠٦ .
[٦] - المصدر نفسه ٤ / ٢٧٦ .
[٧] - المصدر نفسه ٤ / ٢٩٨ .
[٨] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء – مصدر سابق – ٤ / ٢٣١ .
[٩] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء – مصدر سابق – ٤ / ٢٣٦ .
[١٠] - ذمار : مدينة باليمن على مرحلتين من صنعاء . الحموي ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م) معجم البلدان ، ط : دار صادر بيروت ١٩٨٠ م ٣/ ٨ .
[١١] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء – مصدر سابق – ٤ / ٢٣٦ .٤ / ٥٥٥ .
[١٢] - ينظر : الصلابي ، الدولة الأموية – مرجع سابق – ٢/ ٢٤٦ -٢٦٠ .

إلى العربية ، كما ترجم ابنه جبلة بن سالم عن أبيه كثيرا من معارفه وعلومه فترجم بعض الآثار التاريخية إلى العربية ([1]).

ومن العلماء الذين كانت لهم حظوة عند هشام بن عبد الملك :

- محمد بن شهاب الزهري (ت : ١٢٤ هـ / ٧٤١ م) ولد في المدينة المنورة ونشأ فيها ، وكانت المدينة وقتها محط أنظار طلاب العلم وعشاق المعرفة الذين وفدوا إليها من كل حدب وصوب ، ويعتبر من التابعين الأفذاذ ([2])وجمع وحصل علوماً كثيرة حتى برع في القرآن وعلومه والفقه والتاريخ والأنساب ، كما كان له عناية بالأدب والشعر ، فهو من أوائل من كتب عن العرب الأشعار والأخبار وغيرها من الظواهر الأدبية التي كانت متوفرة لديهم حينذاك ([3]).

- عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو الأوزاعي (ت : ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) من أشهر علماء الشام ، وستأتي ترجمته مع علماء دمشق في الفصل الرابع من البحث .

سابعا : حالة الأمن والاستقرار في العصر العباسي الأول :

لقد كان الأمن والاستقرار الشغل الشاغل للخلفاء العباسيين ، فكانوا يضربون بيد من حديد كل من يحاول العبث بأمن الدولة ويهدد الاستقرار فيها ، يضاف إلى ذلك عنايتهم المبكرة بأمن الطرق وتمهيدها ، فقد عرف عن أبي العباس السفاح إنه أمر بوضع علامات الأميال على الطريق بين مكة والكوفة ، وذلك ليتسنى للمسافرين معرفة المسافة التي يقطعونها أثناء سيرهم ([4]) .

كما اهتم المنصور بالبريد والطرق وأمنها وسواها ([5]) ومثل هذه الأعمال لها أثر بعيد في تسهيل السفر لطلبة العلم حيث كانوا يتنقلون بين بلدان الخلافة ويجوبون المدن والقرى والبوادي طلبا للعلم وحرصا على لقيا أهله ، وغالبا ماكان ترحالهم ضمن مواكب الحجاج التي اهتم بها العباسيون أتم عناية ، أو رفقة التجار ، وقد راجت التجارة وازدهرت في العصر العباسي الأول وذلك لأسباب كثيرة أهمها توافر المال بين أيدي الناس وسعي الكثيرين إلى حياة الدعة والترف ، وتحسن الحالة الاقتصادية للدولة الإسلامية وتوسع المعاملات التجارية بين أقطار الخلافة ، وهذا كله ساعد العلماء وطلبة العلم للرحلة والتجوال في طلب مبتغاهم من العلم والمعرفة .

ثامنا : الاستفادة من موقع الدولة العباسية - على أنقاض دولة متحضرة – الساسانيين .

كانت حياة العرب تتصف بالبداوة والبدائية ، يسودها النظام القبلي شديد التمسك بالتقليدية ، وحين تم للمسلمين فتح بلاد فارس ودخل الفرس الإسلام واختلط العرب بهم أدى إلى إحداث نوع من الحضارة ، ذلك أن الفرس أصحاب حضارة عريقة وخاصة فيما يتلق بشؤون الحكم ، وقد أفاد منها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في وضع تاريخ خاص بالإسلام كما قام بسك نقود على الطريقة الفارسية مع بعض التغييرات بها حتى تتلائم مع الدولة الإسلامية ، وأدخل نظام الدواوين وأبقى على نظام الدهاقين لمساعدته في جباية الضرائب لخبرتهم الطويلة في ذلك الأمر .

---

[1] - شاهين ، حمدي ، الدولة الأموية المفترى عليها ، ط: دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١ م ، ص٤٦٠ . و ينظر : الصلابي ، الدولة الأموية – مرجع سابق – ٢/ ٤١٧ .

[2] - الذهبي ، السير – مصدر سابق – ٤ / ٤٦ .

[3] - الضاري ، حارث سليمان ، الإمام الزهري وأثره في السنة ، ط: مكتبة بسام ، الموصل ، العراق ١٩٨٥م ، ص٢١ . و ينظر : الصلابي ، الدولة الأموية – مرجع سابق – ٢ / ٤٢٠ -٤٢١ .

[4] - الشريقي ، د. إبراهيم ، التاريخ الإسلامي ، ط: القاهرة ١٩٧١ م ص ١١٢ .

[5] - المرجع نفسه ص١١٧ .

وتأثرت الدولة الأموية هي الأخرى بالدولة الساسانية ، وخاصة معاوية بن أبي سفيان ، إذ اهتم بالأعياد الفارسية وهي النيروز والمهرجان وأرجع ذلك إلى عوامل اقتصادية .

وكان التأثير الفارسي الأكبر في الدولة الإسلامية هو قيام الدولة العباسية التي قامت على أكتاف الفرس نتيجة إحساسهم بالظلم الذي وقع عليهم من الدولة الأموية وحكم العباسيون بنظرية الحكم الإلهي ويتجلى ذلك في قول أبي جعفر المنصور : أنا سلطان الله في الأرض . وتأثر المجتمع أيضا حيث نقل النظام الطبقي الذي كان سائدا أيام حكم الدولة الساسانية إلى الدولة العباسية ([1]) ووصل التأثر بالفرس إلى العقائد والأديان ، ونجح الموالي من الفرس في ترغيب الخلفاء بما كان عند أجدادهم من العلوم المختلفة وزينوا لهم نقلها إلى العربية ففعلوا ، بل زيادة على ذلك كان الخلفاء العباسيون أنفسهم هم من يشرفون على حركة النقل والترجمة ، ويبذلون الأموال الطائلة لتحقيق ذلك ، يضاف إلى ذلك اعتماد العباسيين على أسر من أصول فارسية في إدارة الحكم ومنحهم صلاحيات واسعة استغلها هؤلاء في نشر ثقافة أجدادهم ، ومحاولة استعادة أمجادهم الغابرة ، وسنتبين ذلك من خلال البحث إن شاء الله تعالى .

تاسعا : تحلي الخلفاء العباسيين بالعلم :

لأن بحثنا يقتصر على فترة الدولة العباسية الأولى فلابد أن نبين انتشار العلم بين خلفاء بني العباس واشتغالهم به ، ونبدأ بالخليفة **أبي جعفر المنصور** ، فقد كان طلاّبة للعلم والحديث قبل الخلافة ....

قال ابن كثيرالدمشقي ([2]) : كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه ، والحديث والفقه فنال جانباً جيداً ، وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوما : ياأمير المؤمنين هل بقي شئ من اللذات لم تنله ؟ قال : شئ واحد ، قالوا وماهو ؟ قال قول المحدّث للشيخ من ذكرت رحمك الله ؟ ([3]) فاجتمع وزراؤه وكتابه ، وجلسوا حوله وقالوا : ليمل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث، فقال : لست بهم ، إنما هم الدّنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق ، وقطاع المسافات ، تارة بالعراق ، وتارة بالحجاز، وتارة باليمن ، فهؤلاء نقلة الحديث . وعرف عن المنصور تعظيمه للعلماء وإكرامه للشعراء،فكان مثلا يعظم عمرو بن عبيد (١٤٣هـ /٧٦٠ م) المتكلم القدري ، سيد المعتزلة ، ويقول فيه واصفا زهده :

كلكم يمشي رويد   كلكم يطلب صيد   غير عمرو بن عبيد(٤)

وقصته مع الإمام مالك – عالم أهل المدينة – خير دليل آخر فقد كان يجله ويوقره ويعترف له بالعلم والفضل يقول مالك : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين - وقد نزل على مثال له يعني فرشه - وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولاتبولان ، وجاء صبي يخرج ، ثم يرجع ، فقال لي : أتدري من هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابني ، وإنما يفزع من هيبتك ، ثم ساءلني عن أشياء منها حلال ومنها حرام ، ثم قال لي : أنت والله أعقل الناس ، وأعلم الناس . قلت : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : بلى ، ولكنك تكتم ، ثم قال :

[1] - العابد ، د. مفيد رائف محمود ، معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة) ط : دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٢ م ص٥٥ .

[2] - ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤ هـ /١٣٧٢ م) تحقيق : أحمد أبو ملحم ورفاقه ، ط: مكتبة ابن تيمية ، القاهرة بلا تاريخ ١٠ / ١٢٩ .

[3] - كان من عادة أئمة الحديث إذا جلسوا للإملاء أن يستفتح المستملي المجلس بالبسملة والحمدلة، والصلاة على النبي ﷺ، ثم يقبل المحدث ويقول : من ذكرت رحمك الله ، أو نحوه فيبدأ الشيخ بالإملاء . ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ / ١٢٤٥ م) علوم الحديث ، تحقيق : د. نور الدين عتر ، ط: المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ /١٩٦٦م ، ص ٢١٩.

[4] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء – مصدر سابق - ٦/ ٦٥ .

والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ، ولأبعثن به إلى الآفاق فلأحملنهم عليه . (١)

ثم إن المنصور أوصى ابنه المهدي بتلقي علم الحديث ونقله ، ومجاورة أهله، فقال: يابني لاتجلس مجلسا إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك ، فإن الزهري قال : علم الحديث ذَكَرٌ لايحبه إلا ذكران الرجال ، ولايكرهه إلا مؤنثوهم ، وصدق أخو زهرة .(٢)

وقد قصده عدد كبير من الشعراء وممن كانت لهم حظوة عند المنصور، أبودلامة (ت: ١٦١هـ / ٧٧٧م)

فقد حظي عند المنصور لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه ، ومما مدحه فيه حين قتل أبا مسلم الخراساني قوله :

أبا مجـــرمٍ ماغيّر الله نعمـــةً　　علـــى عبده حتى يغيرها العبدُ
أفي دولة المهديّ حاولت غدرةً　　ألا إن أهـــل الغدر آباؤك الكُردُ (٣)

وكان المنصور يغدق عليه وعلى غيره من المال الكثير .

ولابد من ذكر الدور الرائد للمنصور في تشجيع حركة الترجمة واستقدام المترجمين من أماكن شتى ، وجلب الكتب وترجمتها ، فهو أول من أنشأ ديوانا للترجمة وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة - وقد بحثت هذا مفصلا عند الكلام عن بغداد - وقد نتج عن هذه الحركة تغذية الحضارة الإسلامية بعلوم ماعرفها العرب والمسلمون من قبل ، وأدت هذه الحركة أيضا إلى تلاقح الحضارات الإنسانية المختلفة ، وحفظ تراث الأقدمين ، بعد أن كان عرضة للضياع والنسيان .

والمهدي بن المنصور روى الحديث، وروي عنه (٤).

وعرف عن المهدي تقديره للعلماء والشعراء ، وكان يعرف للعلم قدره حتى حين يناقش به فإنه يرضخ للحق ، كمثل قصته مع شريك القاضي ، حيث جيء إليه به ، فمن جملة ما قال له : يا زنديق لأقتلنك . فضحك شريك ، وقال : يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها ، شربهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه (٥).

وكان عطاؤه لمروان بن أبي حفصة (ت : ١٨٢ هـ /٧٩٨ م)الشاعر جزيلا ، فقد وفد إليه وبهره بمديحه ، ودافع عن حقوق العباسيين في الخلافة فقال :

هل تطمسون من السماء نجومها　　بأكفكـــم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالـــــة عن ربكم　　جبريـــــل بلّغها النبيَّ فقالها
شهدتْ من " الأنفال" آخرُ آيــةٍ　　بتـــــــراثهم فأردتم إبطالها

وبلغ من إعجاب المهدي بالقصيدة أن سأل كم عدد أبياتها ؟ فقال مروان : مائة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكانت أول مائة ألف أخذها شاعر في أيام بني العباس . وتتسم خطب المهدي بالجزالة والفصاحة وغريب المعاني مما يدل على تمكنه العلمي ، وثقافته الواسعة (٦)

١- الذهبي ، سير أعلام النبلاء – مصدر سابق - ٨/ ٦١ - ٦٢ .
٢- ابن كثير ، البداية والنهاية – مصدر سابق - ١٢٦/١٠ .
٣- الخطيب البغدادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت (ت :٤٦٣ هـ / ١٠٧٣ م) تاريخ بغداد ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ ٤٨٨/٨
٤- ابن كثير ، البداية والنهاية – مصدر سابق - ١٠ /١٥٦ .
٥- ابن كثير ، البداية والنهاية – مصدر سابق - ١٠ /١٥٧ .
٦- ابن كثير ، البداية والنهاية – مصدر سابق - ١٥٨/١٠ .

كما أن المهدي تابع ما بدأ به والده المنصور من تنشيط لحركة الترجمة ، وإمداد أهلها بما يؤمن استمرار عملهم . وسيرد الكلام عن الترجمة مبسوطاً في بغداد .

وهارون الرشيد طلب العلم ، واهتم به قبل الخلافة وبعدها ، قال القاضي عياض ([1]): ماأعلم لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد ، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع "الموطأ" على مالك رحمه الله .

ويعزى للرشيد تأسيس بيت الحكمة ، وجذب العلماء والمترجمين إليه ، وجمع الكتب من مظانها - كما سيمرخلال البحث – وبيت الحكمة معهد علمي يحتوي مكتبة زاخرة بكتب متنوعة ، وأمكنة لعمل المترجمين وطلبتهم ومعاونيهم ، ويذكر أن ابن ماسويه هو الذي أشار على الرشيد إقامة دار كبيرة للكتب، ومن ثم اتسعت ، وسميت بدار الحكمة ([2]) .

وأصبحت بغداد في عهده موئلاً للعلماء وطلبة العلم يأتونها من أرجاء الدنيا ، كما أنه أتاح المجال للأسر الموسرة لدعم الحركة العلمية والترجمة وغير ذلك كأسرة البرامكة – وكل هذا سيأتي بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

والمأمون طلب العلم من صغره ، وسمع الحديث من جماعة من الأئمة ، وكان أعلم خلفاء بني العباس ، فصيحا فقيها ، بارعاً في العربية وأيام الناس ، وعني بعلوم الأوائل ، وكانت عنده حافظة قوية مستحضرة ،فقد قال محمد بن المنذر الكندي ([3]): حج الرشيد فدخل الكوفة ، فطلب المحدثين ، فلم يتخلف إلا عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس ، فبعث إليهما الأمين والمأمون ، فحدثهما ابن إدريس بمائة حديث ، فقال المأمون : ياعم ، أتأذن لي أن أعيدها من حفظي ؟ قال : افعل ، فأعادها فعجب من حفظه .

وقال الخطيب ([4]) : كان المأمون أعظم خلفاء بني العباس عناية بالحديث ، كثير المذاكرة به ، شديد الشهوة لروايته ، مع أنه قد حدث أحاديث كثيرة لمن كان يأنس به من خاصته، وكان يحب إملاء الحديث في مجلس عام يحضر سماعه كل أحد ، فكان يدافع نفسه بذلك حتى عزم على فعله .

وفي ترجمة قاضي مكة ، سليمان بن حرب (ت :٢٢٤هـ / ٨٣٨ م) ذكر أنه كان له مجلس ببغداد ، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل ، وكان مجلسه عند قصر المأمون ، فبنى له شبه منبر ، فصعد سليمان ، وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد ، والمأمون فوق قصره ، وقد فتح باب القصر، وقد أُرسل سِتْرٌ شَفّ وهو خلفه ، وكتب ما يملي ([5]) .

وعلماء السير يقولون : لم يحفظ القرآن من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون . وقد حدث بنحو من ثلاثين حديثا في مجلس واحد من حفظه ، وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، فقها وطبا وشعرا وفرائض وكلاما ونحوا وغريبه ، وغريب حديث ، وعلم النجوم والحكمة ([6])، وغيرها مما سيرد خلال البحث إن شاء الله .

---

[1]- القاضي عياض بن موسى بن عياض (ت : ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك ط : الرباط ١٩٦٥ م ، ٢٥٦/١ .

[2]- النملة ، علي بن إبراهيم الحمد ، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية ، ط : مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦ م ص١٣٠والأطرقجي ، رمزية ، بيت الحكمة وأثره في الحركة العلمية (مقالة) مجلة المؤرخ العربي ، بغداد العدد١٤ سنة ١٩٨٠ م

[3]- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط : المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، ١٩٥ .

[4]- الخطيب البغدادي ، شرف أصحاب الحديث ص ١٠١ .

[5]- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣٣/٩ .

[6]- ابن كثير ، البداية والنهاية – مصدر سابق - ١٠ /٢٨٨ .

ولما فتح المأمون مصر ، قال له قائل : الحمد لله ياأمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوك ، وأدان لك العراقين والشامات ومصر ، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ فقال لـه: ويحك إلا أنـه بقيت لي خلة وهو أن أجلس في مجلسي ويستملي يحيى فيقول لي : من ذكرت رضي الله عنك ؟ ([1])

كان للمأمون خزانة خاصة به ، وشارك بتأليف بعض الرسائل . وقد أذكى المأمون حركة الترجمة بكرمه وعظيم عطائه وعلمه ، ويعد عهده أرقى مراحل النقل والترجمة ، من حيث الكم ، ومن حيث الكيف ، ففي عهده كثر النقلة والمترجمون ، واتسع بيت الحكمة وازدهر، كما توسعت اهتماماته ([2]) كما سيرد من خلال البحث إن شاء الله .

ولايخفى تشجيع المأمون للعلماء وطلبة العلم فقد ورد أنه في عام ٢١٠ هـ /٨٢٥ م أمر المأمون أن يحصى من كان في البصرة من المدرسين والعلماء وطلبة العلم فظهر فيها سبعمائة مدرس ، وأحد عشر ألفاً من طلبة العلم ، فأمر الخليفة أن يخصص لهم ما يسد معاوزهم من المعايش ، ثم طلب تآليف العلماء في العلوم المختلفة ، فجمع ماألف في عشرين سنة فزاد على مائتي ألف مجلد فحملتها ثلاث سفن وسيرت إلى بغداد ([3]).

عاشرا :اختلاط العرب المسلمين بالشعوب الأخرى :

امتدت الدولة العباسية من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن المحيط الهندي وبلاد النوبة والسودان جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً ، وبذلك فقد ضمت بلاداً عديدة يعيش فيها شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة ، غير أنها لم تكد تدخل في نطاق العروبة حتى أخذت عناصرها المختلفة تمتزج بالعنصر العربي امتزاجاً قوياً ، فإذا بنا إزاء أمة عربية تتألف من أجناس مختلفة ، وقد مضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد . وقد ساعد على ذلك نزول القبائل العربية في الأمم المفتوحة وامتزاجها بشعوبها في السكنى ، وعن طريق المصاهرة وتسرّي الإماء([4])

والذي يهم في الأمر ذلك الامتزاج القوي بين الشعوب في الدولة الواحدة كالفرس والترك والسريان والروم وغيرهم ، وسبب هذا الامتزاج الدين الإسلامي – بتعاليمه السمحة– ولم يبلغه بامتلاك الأرض المفتوحة ، إنما بلغه بامتلاك القلوب ، فإذا الكثرة الكثيرة من الشعوب التي انبسط عليها سلطانه تُسلم ، وإذا من بقوا على دينهم يشعرون تلقاء المسلمين وحكامهم بضرب من الأخوة الكريمة ([5]). وقد أسرع من أسلموا من الشعوب المختلفة إلى تعلم القرآن الكريم واللغة العربية والحديث النبوي حتى نبغوا ، وكان منهم علماء أجلاء في مختلف العلوم الدينية – سيرد ذكر كثير منهم خلال البحث – وأيضا جلب هؤلاء وغيرهم ثقافاتهم وعلومهم ومصنفات علمائهم ، وطرحوها بين أيدي العرب منقولة إلى اللغة العربية ، سهلة المنال ، فكان لابد للعرب من الأخذ من العلوم المختلفة لشعوب البلاد المفتوحة ، فقد وجدوا فيها فائدة عظيمة لمجتمعهم الإسلامي ، فأتاحوا المجال للمتضلعين منهم ، لإبراز ماعندهم من علم ، وأغدقوا عليهم العطاءات لتشجيعهم على التواصل ، ونشر العلوم المختلفة .

---

[1]- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ .

[2]- النملة ، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية ، ص١٣٤ .

[3] - ابن كثير ، البداية والنهاية– مصدر سابق - ١٠ /٢٧٧ و ابن الغملاس ، البصرة ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى الحكم العثماني ، ط: الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٨ م .

[4] - ضيف ، د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ص٨٩ .

[5] - المرجع نفسه ص ٩٠ .

والإفادة منها وتطويرها أو عرضها بقالب جديد ([1]). وسنورد خلال البحث قصص علوم ماعرفها العرب من قبل إنما اقتبسوها من الشعوب الأخرى .

حادي عشر : صناعة الورق :

كان تطور صناعة الورق ورخص ثمنه ، من أهم عوامل تقدم العلوم ورواجها ، فقد انتشرت هذه الصناعة ، وظهرت أنواع عديدة ، منها : الورق الفرعوني نسبة إلى فرعون مصر ، والورق السليماني نسبة إلى سليمان بن راشد عامل الخراج زمن الرشيد ، والورق الجعفري نسبة إلى جعفر البرمكي ، وغيرذلك ، وانتشرت صناعته في سمرقند ، وفي بعض أحياء بغداد والذي يسمى دار الخز – في الجانب الشرقي منها - وفي تهامة واليمن ومصر ودمشق وحماة ومنبج وفي المغرب والأندلس([2])

وأول من أشار إلى صناعة الكاغد (الورق) الفضل بن يحيى ، وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية ([3]) .

[1] - بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص٥٤ وص٦٦ .

[2] - أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، ط : مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٣٦م ، ص٢٢- ٢٣

[3] - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، المقدمة ، تحقيق : حجر عاصي ، ط : دار الهلال ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص٢٦٨ . و بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص٣٢٢ .

الفصل الثاني

المراكز العلمية في بلاد الحجاز واليمن

أولاً : المدينة المنورة .
ثانيا : مكة المكرمة .
ثالثاً : صنعاء .
رابعاً : العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في هذه المراكز.

أولاً : المدينة المنورة

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تقع المدينة ، في إقليم الحجاز من الجزيرة العربية ، وهو الإقليم الذي يحجز سهل تهامة عن مرتفعات نجد ، على بعد ٣٣٥ كيلومتر إلى الشمال من مكة ، وعلى مسافة ١٦٠ كيلو متر إلى الشرق من البحر الأحمر ، وعندها ينتهي وادي القرى ويبدأ وادي العقيق في منبسط من الأرض ، وتطوقها الحدائق والدوحات من مختلف الجهات ، وتحيطها الجبال من كل جانب إلا من الجهة الجنوبية الشرقية ، وهي بهذا الموقع صلة الوصل بين بادية نجد والبحر الأحمر ، وبين اليمن والشام ، من هنا وصفها بعضهم بمدينة القوافل ([1]).

وهي مهاجر رسول الله ﷺ، وفيها نشأت الدولة العربية الإسلامية ، وأصبحت قاعدتها وعاصمتها إلى سنة ٣٨ للهجرة / ٦٥٢م حيث نقل علي ﷺ مركز الحكم إلى الكوفة ربما ليكون أقرب إلى مناطق الاضطراب والفوضى .

وبعد انتصار العباسيين على الأمويين في معركة الزاب عام(١٣٢هـ / ٧٤٩م)تابع العباسيون ملاحقة الأمويين ، ودخل عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس دمشق ، ومن هناك بعث حسين بن جعفر بن تمام بن العباس إلى المدينة واليا عليها ، فخرج منها واليها يوسف بن عروة بن محمد بن عطية ([2]) ولم يلبث حسين بها إلا قليلا حتى جاءها داود بن علي واليا عليها من قبل أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين – وهو عمه – ولكنه لم يلبث أن مات بعد مدة وجيزة ، فولى مكانه زياد بن عبيد الله – وهو خاله – ([3]) .

وفي خلافة المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ /٧٥٣- ٧٧٤م) أعلن محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية معارضته لحكم العباسيين ، واتخذ من المدينة مركزا لثورته ، وكان ذلك في رجب سنة خمس وأربعين ومئة ([4]) فأرسل الخليفة أبو جعفر المنصور إليه جيشاً بقيادة عيسى بن موسى ([5]) فقضى على ثورته ، وعرف عن الخليفة المنصور شدته على الخارجين في عهده ([6])

وكانت خلافة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ /٧٧٤ – ٧٨٥ م) فترة انتقالية من العنف والشدة التي اتسم بها حكم أبيه المنصور وعمه السفاح إلى الحكمة والأناة ، وقد تودد إلى أهل المدينة وخصّهم بعطايا كثيرة ، ويذكر الزبير بن بكار ([7]) أنه فرق في حجه بمكة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم سوى ماحمل من مصر واليمن ، كما قام ببعض الأعمال الجليلة منها توسعة مسجد الرسول ﷺ . وفي خلافة الهادي (١٦٩ – ١٧٠ هـ/٧٨٥ – ٧٨٦ م) ثار في المدينة الحسين بن علي بن الحسن ، ودعا لنفسه ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة في المدينة ([8]) غير أن أهل المدينة أغلقوا أبوابهم في وجهه وجنوده ؛فخرج منها وقد مكث أحد عشر يوما ، وتوجه إلى مكة فلما كان بفخ ([9]) التقته جنود بني العباس ،

---

[1] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ، بإشراف رئاسة الجمهورية ، الطبعة الأولى ، دمشق ٢٠٠٢م ٢٧٨/١٨ .

[2] - ابن خياط ، خليفة (ت :٢٤٠ هـ /٨٥٤م) ، التاريخ ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧ م ٢/ ٦٣١ .

[3] - المصدرنفسه والطبري تاريخه ٧ / ٤٥٩.

[4] - ابن خياط ، التاريخ ٢ / ٦٧٢ .

[5] - ابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير ، أبو الفداء (ت: ٧٧٤ هـ /١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨١ م ٩٠/١٠ أحداث سنة ١٤٥ هـ.

[6] - الطبري ، تاريخه ٧ / ٦٠٣ .

٦- ابن بكار ، الزبير (ت : ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ط : القاهرة ١٣٨١ هـ ١١١/١ .

٧- تفاصيل ذلك عند الطبري ، تاريخه ٨ / ١٩٢- ١٩٥و الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٢٣٤

[8] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /١٦٢ .

[9] - فخ : واد في مكة . الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ /٢٣٦ ، وابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت : ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م) مراصد الاطلاع ٣ /١٠١٩ ، ط: دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٥٤م.

وعليهم العباس بن محمد بن علي ، فقتل حسين بن علي بن الحسن ، وجماعة من أصحابه وبذلك انتهت حركته ([1]) .

وفي خلافة الرشيد (١٧٠ -١٩٣ هـ /٧٨٦ – ٨٠٨ م) كانت المدينة على أحسن حال، فكان يقصدها لزيارة قبر رسول الله ﷺ، ويلتقي علماءها ويأخذ عنهم ، وخاصة الإمام مالك رحمه الله ([2]) وكان ينتقي لها ولاة أكفاء من ذوي السيرة الحسنة ، وكان بعضهم من أهل المدينة نفسها ، أمثال عبد الله بن مصعب بن الزبير ، وبكار (أبي بكر) ابنه ...وغيرهم ([3])

وبعد وفاة الرشيد واستخلاف ولده الأمين (١٩٣ – ١٩٨ هـ /٨٠٨ – ٨١٣م) بقي آخر ولاة المدينة في عهد الرشيد على عمله في خلافة الأمين وهو داود بن عيسى بن موسى ([4]) ولكنه مالبث أن حوّل ولاءه للمأمون بعد أن احتدم الخلاف بين الأمين والمأمون .

ولما استقر الأمر للمأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ/٧٨١ – ٨٣٣ م) اتخذ (أبو السرايا) العلوي من المدينة منطلقا لحركته للمطالبة بحق العلويين في الحكم ، وكانت أول انطلاقتها من الكوفة ، ولكنها امتدت إلى الحجاز ، وتمت لهم السيطرة على مكة والمدينة ، ودخل محمد بن سليمان بن داود بن الحسن الطالبي المدينة ، وخرج عنها الوالي العباسي ، وبقي الأمر كذلك حتى انتهت سنة ١٩٩هـ/٨١٤ م ([5]) ولما دخلت سنة ٢٠٠هـ/٨١٥ كان قد قضي على (أبي السرايا) وأخفقت حركته في الحجاز وعادت المدينة إلى ولاتها العباسيين ([6]).

واستمر محمد بن سليمان واليا على المدينة ، إلى سنة ٢٠٤ هـ/٨١٩م حيث عزله المأمون ولم تشهد المدينة أحداثاً مهمة حتى سنة ٢٣٠ هـ/٨٤٥م فيذكر ابن كثيررحمه الله ([7]): وفيها خرجت بنو سليم حول المدينة ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وأخافوا السبيل وقاتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على مابين المدينة ومكة من المناهل والقرى ، فبعث إليهم الخليفة الواثق بغا الكبير في جيش فقاتلهم في شعبان منها فقتل منهم خمسين فارساً ، وأسر منهم وانهزم بقيتهم ، ثم دعاهم إلى الأمان فاستجابوا ودخل بهم المدينة ، ثم خرج إلى الحج في هذه السنة وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق ، والذي حج بالناس محمد بن دواد ، وهو الذي حج بالناس سنة ٢٣١ و٢٣٢هـ /٨٤٥و٨٤٦م ([8]) .

ب) دور العلم في المدينة

١)**المسجد النبوي الشريف** : كان لمسجد رسول الله ﷺ دور كبير في نشر العلم في المدينة المنورة ، وقد رغّب رسول الله ﷺ على طلب العلم في مسجده ، من ذلك حديث ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : قال ﷺ : " من دخل مسجدي هذا ليتعلم خيرا أو يعلمه ، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله " ([9]) ،فكان أن حمل مسجد رسول الله ﷺ لواء العلم ، وأصبح المكان المناسب لذلك منذ عهد رسول الله ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم إلى هذا العهد الذي نحن بصدد الكلام عنه ، وكان التعليم يأخذ نظام الحلقات ، أي

---

[1] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ /٢٣٦ .
[2] - عياض ، ترتيب المدارك ٢ / ٢٣ – ٢٤
[3] - الطبري ، تاريخه ٨ / ٣٤٦ .
٤ – المصدر نفسه ٨ / ٤١٧ .
٥ - تفاصيل حركة أبي السرايا ، في الطبري ، تاريخه ٨ / ٥٢٨ ومابعدها ، وابن الطقطقي ، ص ٢٢٠ .
٦- ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٢٦٢ .
[5] - المصدر نفسه ١٠ /٣١٥ .
[6] - المصدر نفسه ١٠ / ٣١٥ . أحداث سنة ٢٠٠ هجري .
[7] - المصدر نفسه ١٠ / ٣١٥ .
[8] - المصدر نفسه ،١٠ / ٣٢٢ نهاية أحداث سنة ٢٣١ و٢٣٢ هجري .
[9] - المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت : ٩٧٥ هـ /١٥٦٧ م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٩ م ١٠ / ١٦٥

يتحلق الطلبة حول العالم ، ويشكلون دائرة ، ويستقبلهم بوجهه ويلقي عليهم الموعظة والدروس ، وهذا ماكان يفعله رسول الله ﷺ.

وقد أورد الهيثمي في باب الجلوس عند العالم بسنده إلى قرّة قال: أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس ، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً . [1]

وعن أنس رضي الله عنه ، قال : كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقاً ، يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن [2].

وأصبح هذا الأسلوب من التعليم نظاماً ، وانتشر في بقاع الأرض المختلفة التي تنورت بنور الإسلام ، وكانت تجري في أوقات منتظمة ، وأماكن محددة يعتاد عليها أهل الحلقة حتى تصبح أمراً متعارفاً عليه ، ففيما يخص فترة دراستنا ، ذُكر أنه كان لزيد بن أسلم (ت١٣٦هـ / ٧٥٣ م) حلقة علم تعقد مرتين في اليوم داخل مسجد رسول الله ﷺ ، وتضم عدداً من الفقهاء ، فقد ذكر أبو حازم لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : والله كنا في مجلس أبيك لأربعين حبراً فقيها ما منهم إلا معدود ، لئن أفاد الرجل فائدة ليلاً ليغدون بها ، ولئن أفادها بكراً ليروحن بها . [3]

وذكر مالك بن أنس رحمه الله موضعاً من صحن المسجد كان يتلقى العلم فيه،حيث قال :جالست ابن هرمز (ت١١٧ هـ/٧٣٥ م)ثلاث عشرة سنة ، كنا نجلس في صحن مسجد النبي ﷺ، حتى اتخذت سراويل محشوا . [4]

ولتجنيب المسجد ما يُكره اتُخذ في مؤخرة المسجد رحبة لتحتضن النشاط الفكري والأدبي فقد ذكر مالك ، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء ، وقال : من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً ، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة[5] .

يقول الكتاني [6]: هذا يصح أن يكون أصلاً لبناء المدارس والربط [7] متصلة بالمسجد لسكنى المتعلمين والذاكرين .

...وأصحاب حلق العلم كثر في مسجد رسول الله ﷺ، سنذكر هذا عند ترجمتهم إن شاء الله تعالى .

---

[1]- الهيثمي ، علي بن أبي بكر بن سليمان (ت : ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق حسين سليم الداراني ، ط: دار المأمون ، دمشق ١٩٩١م ١ / ١٣٢ .

[2]- الكتاني ، عبد الحي بن عبد الكبير الحسني ، نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ ٢ / ٢١٨

[3]- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت : ٢٣٠ هـ /٨٤٤م) الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) تحقيق : زياد محمد منصور ، ط : المدينة المنورة ١٩٨٣ م ص٣١٤ .

[4]- ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت: ٧٩٩ هـ /١٣٩٦م) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ . ص٢٠ .

[5]- مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) ، الموطأ ، رواية الليثي ،ط : دار النفائس ١٩٧١ م ص ١٢١.

[6]- الكتاني ، التراتيب الإدارية ٢ / ٣٠٠ .

[7]- الربط : الرباط والمرابطة : ملازمة ثغر العدو، والرباط : المواظبة على الأمر ، ويقصد به هنا أماكن العبادة التي يرابط فيها الذين يلازمون أماكن معينة من المساجد . ابن منظور ، محمد بن مكرم ، أبو الفضل الأنصاري الريفعي (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) لسان العرب ، ط: دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ (ربط)

٢) الكتاتيب :

عرف المكان الذي يتعلم فيه الأطفال باسم (الكتّاب)، وجمعها كتاتيب ، وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة ، وهي المهمة التي اضطلع بها أصلاً ([١]).

وتعد الكتاتيب من مراكز العلم والفكر المهمة في المدينة المنورة ، وأول من اتخذها لتعليم الصبيان سيدنا عمر ﷺ، فهو أول من جمع الأولاد في المكتب ، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم ، وجعل له رزقه من بيت المال . ([٢])

واستمر العمل بالكتاتيب في القرن الأول والثاني للهجرة النبوية وزاد عددها كثيراً، ويبدو أن معلمي الكتاتيب كانوا يستعملون وسائل تعليمية مما تيسر لهم آنذاك ، ومما يتناسب مع مستوى الطلبة في التدرج العلمي ، فقد استعانوا بالقلم والدواة لكتابة المعلومات التي يمليها المعلم في الكتّاب ، وتكتب مادة التلقي على اللوح ، وثمة نصوص كثيرة تدل على استخدامه ([٣]) واستخدموا أيضاً (الأكتاف) وهي رديف الألواح ، وكان الأولاد يكتبون عليها في المكاتب ثم تمحى عقب ذلك . واستعان المتعلمون بالكتابة بأطراف القصب على الكف لغرض الحفظ ..([٤])

وأجاز مالك أخذ الأجر على تعليم القرآن والكتاب ([٥]) .واستفتى أحد المعلمين مالكاً في الشرط ، فقال له : إذهب وشارط . فقال له بعض جلسائه : تأمره أن يشترط على التعليم ؟ فقال مالك : نعم ، فمن يمحّط([٦]) لنا صبياننا؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن ؟ ([٧])

وثمة أوقات تعارف عليها الطلبة والمعلمون في الكتاب ، وهي :

– بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، ويظهر أن هذا الوقت كان من أفضل الأوقات وأنسبها ، ويبدوا أن هذا التقليد وجد منذ عهد عمر ﷺ فقد أمر المعلم أن يجلس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي . ([٨]) بعد ذلك يذهب الصبيان إلى بيوتهم للراحة والطعام ، ثم يعودون إلى الكتاب .

– من صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، إذ يعود الصبيان إلى الكتاب بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ثم يستريحون بقية النهار([٩])

٣) بيوت العلماء :

اتخذ البيت للتعليم في الإسلام قبل المسجد ، فدار الأرقم بن الأرقم المخزومي بمكة المكرمة شهدت أول دعوة رسول الله ﷺ ،فقد اتخذها ملتقى لأصحابه ، يعلمهم ماينزل عليه من القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الجديد ([١٠]) وكان بيت رسول الله ﷺ في المدينة ، مركز تعليم أيضا ويكفي أن نذكر أن آيات من القرآن الكريم نزلت تعلم المسلمين آداب الاستئذان لدخول بيت رسول الله ﷺ ، وهي قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ..﴾ (١١) .

---

[١] - ابن منظور ، لسان العرب (اكتتب) .

[٢] - الكردي المكي ، محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط ، تاريخ القرآن وغرائب رسمه ، ط: البا بي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٣ م ص١٢٣.

[٣] - المرجع نفسه ، والديوه جي ، سعيد ، التربية والتعليم في الإسلام ، ط : الموصل ١٩٨٢ م ص١٧.

[٤] - الكتاني ، التراتيب الإدارية ٢ / ٢٤١ – ٢٤٣ .

[٥] - القابسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القيرواني (ت : ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م) الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين (ملحق مع كتاب التربية في الإسلام للاهواني) ط : القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ م . ص ٢٩٥.

[٦] - يمحّط : يصلح ، مصطفى ، إبراهيم ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ط : دار الدعوة ، استانبول – تركيا ١٩٨٩ م (محط) .

[٧] - القابسي - مصدرسابق - ص٢٧٠ .

[٨] - الكردي المكي ، تاريخ القرآن ، ص١٢٣ ، و الديوه جي ، سعيد ، التربية والتعليم في الإسلام ، ط: الموصل ١٤٠٢ هـ ص٢٢.

[٩] - القابسي ، الرسالة المفصلة ، ص٢٧٠ .

[١٠] - ابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط٢ مصر ١٣٧٥ هـ١/ ٢٥٢ -٢٥٣ .

[١١] - سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

وكثير من علماء المسلمين اتخذ بيته مكاناً للدرس ، وفي الفترة التي ندرسها ذكر مالك الإمام رحمه الله بيتا تلقى فيه العلم عن أستاذه عبد الرحمن بن هرمز (ت:١١٧هـ /٧٣٥ م) فقال : كنت آتي ابن هرمز من بكرة ، فما أخرج من بيته حتى الليل . (١)

وكانت دار الإمام مالك نفسه تشهد نشاطاً علمياً كبيراً ، وصفه أحد تلامذته بقوله :كنا نجتمع على بابه ، فإذا توافينا صرخ الآذن ، ليدخل أهل المدينة ، ثم يؤذن لغيرهم فيدخل عليه فيسلم ويسكت ، فإذا رأى منا ازدحاماً قال : توقروا فإنه عون لكم ، وليعرف صغيركم حق كبيركم . (٢)

ولما جاء المهدي المدينة زائراً لها عام ١٦٥ هـ / ٧٨١م بعث بولديه الهادي والرشيد إلى بيت مالك ليتعلموا منه . (٣)

ويذكر ابن سعد بيت مالك بقوله : وكان مالك يجلس في بيته على ضجاع ونمارق مطرحة يمنة ويسرة في سائر البيت ، لمن يأتيه من قريش والأنصار والناس،وكان مجلسه مجلس وقار وحلم.(٤)

ج) العلوم التي اشتهرت في المدينة المنورة ، في العصر العباسي الأول

أولا :علوم القرآن الكريم :

كان الصحابة عرباً خلصاً (٥) يتذوقون الأساليب الرفيعة، ويفهمون ما ينزل على رسول الله ﷺ من الآيات البينات ، فإذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن سألوا عنه النبي ﷺ كسؤالهم لما نزل قول الله تعالى : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(٦) فقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ ففسره النبي ﷺ بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٧) أما رسول الله ﷺ فقد آتاه الله الكتاب وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، فلم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تآليف في علوم القرآن في عهد الرسول والصحابة (٨)

وأكثر الصحابة كانوا أميين، ولم تكن أدوات الكتابة متسيرة لديهم ، فكان ذلك حائلا أيضا دون التأليف في هذا العلم . زد على ذلك أن رسول الله ﷺ نفسه قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن ، وكان ذلك مخافة أن يختلط القرآن بما ليس منه. ولقد ظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشافهة على عهد رسول الله ﷺ ثم على عهد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفي خلافة عثمان رضي الله عنه بدأ اختلاط العرب بالأعاجم، وأمر عثمان أن يجتمعوا على مصحف إمام وأن تنسخ منه مصاحف للأمصار، وأن يحرق الناس كل ما عداها. ويعنينا هنا أن أمرعثمان بنسخ المصاحف كان بمثابة الأساس لما سمي فيما بعد "بعلم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني". وقد اشتهر أيضا أن عليا رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي (٩) بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية. فكان علي رضي الله عنه بذلك واضع الأساس لعلم إعراب القرآن (١٠).

١- ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص٢٠ .
٢- القاضي عياض ، ترتيب المدارك ٢ /١٤ -١٥ .
٣- المصدر نفسه ٢ /١٥ .
٤- ابن سعد ، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة) ص٤٤٢ .
٥ - أقصد الغالبية العظمى من الصحابة ، فقد كان بعضهم أعجمي كسلمان الفارسي وبلال بن رباح .
٦ - سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
٧ - سورة لقمان ، الآية ١٣ .
٨ - الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القرآن ، الطبعة ٢٤ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٠م ص ١١٩ .
٩ - سأذكر تفاصيل ذلك عند الكلام عن المدارس النحوية في البصرة ، صفحة ١٢١ من هذا البحث .
١٠ - - الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القرآن ص١٢٠ .

وسأذكر هنا علوم القرآن التي ظهرت في المدينة في عصر البحث :

أ - علم القراءات :

ظهرت التعددية في القراءات منذ عهد النبي ﷺ وهو القائل: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ماتيسر منه " ([1]) وحرص الصحابة الكرام رضي الله عنهم على استيعاب القراءات المتعددة وساعدوا على بقائها ، فالمصاحف العثمانية كتبت بخط خال من النقط والشكل ([2]) ، مما جعل رسم بعض الألفاظ القرآنية صالحاً لأن يقرا بأكثر من وجه .
وكان للمدينة مدرسة خاصة بالقراءات تبلورت على مرور الزمن ، تسلسلت من الصحابة إلى التابعين إلى أتباع التابعين . وممن اشتهر بالإقراء والقراءات في عصر بحثنا :

- يزيد بن القعقاع المدني (ت : ١٣٢ هـ/٧٤٩ م)

هوأبو جعفر القارىء ، أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات ، تلا على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، الذي قرأ على أبي هريرة وابن عباس عن أخذهم عن أبي بن كعب . وقد صلى بابن عمر ، وهو نزر الرواية – لم يرو الكثير من الأحاديث- لكنه في الإقراء إمام . قرأ عليه : نافع وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان وطائفة .
ومما ذكر من أقواله – حيث قال له أحدهم - هنيئا لك ما آتاك الله من القرآن . قال : ذاك إذا أحللت حلاله ، وحرمت حرامه ، وعملت بما فيه. وكان يصلي خلف القرّاء في رمضان يلقنهم، يؤمر بذلك([3]).

- نافع بن عبد الرحمن الليثي (١٦٩ هـ / ٧٨٥م):

كان عالماً بوجوه القراءات والعربية، متمسكا بالآثار، فصيحاً ورعاً، إماماً للناس في القراءات بالمدينة. انتهت إليه رئاسة الإقراء بها ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين، مع كثرة ما في المدينة المنورة من قراء. وشهد له علماء عصره بأن قراءته هي أصح القراءات وأشدها تواتراً .

اشتهرت تلاوته على خمسة: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان. وزيد بن ثابت، والخمسة هؤلاء تلوا على مقرئ المدينة : عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي صاحب أُبَيّ بن كعب - أحد قرّاء الصحابة- نقل القراءة عنه قالون و ورش، وخلق آخرون . وقد أقرأ نافع الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة. وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، وصار الناس إليها.
ويتفق العلماء بما مجمله : أن الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله ﷺ: نافع ، فقد كان عالماً بوجوه القراءات متبعا لآثار الأئمة الماضيين ببلده.
ووصف بأنه كان من أطهر الناس خلقاً، ومن أحسن الناس قراءة .وكان زاهدا جوادا. صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة.

---

[1]- البخاري ، الصحيح الجامع ، الحديث رقم ٤٩٩٣ كتاب بدء الوحي .

[2]- الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القرآن ، ص٨٥، ود. الفراجي ، عدنان علي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني ص٨٣ ط:الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٦ م .

[3]- ابن سعد ، الطبقات ٦ / ٣٥٢ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٨٧ وابن الجزري ، محمد بن محمد بن علي (ت : ٨٣٣هـ/١٤٢٩ م) غاية النهاية في طبقات القراء ط : مكتبة الخانجي ، مصر ١٣٥١ هـ ٢ / ٣٨٢ والعمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت : ٧٤٩ هـ/١٣٤٧ م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب وآخرون ، ط: المجمع الثقافي ، الإمارات ، أبوظبي ١٤٢٥ هـ ٥ / ٢١٤ .
والمقصود بتلقين القراء : متابعة قراءتهم ، والفتح عليهم ، إذا ما أغلق عليهم ، وهذا متبع إلى زماننا .

وله أسلوب في التعليم سهل ميسر: فكان يسهّل القرآن لمن قرأ عليه، إلا أن يقول له إنسان أريد قراءتك. وذكر عن مالك قوله : قراءة أهل المدينة سنة. قيل: قراءة نافع؟ قال: نعم ، ولما سُئل عن البسملة قال: سلوا نافعاً. فكل علم يسأل عنه أهله. ونافع إمام الناس في القراءة ([1]).

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" ([2]): اشتهرت تلاوته على خمسة: **عبد الرحمن بن هرمزالأعرج** - صاحب أبي هريرة- وقد أخذ القراءة عرضاً على أبي هريرة وابن عباس– **وأبي جعفر يزيد بن القعقاع** - أحد العشرة- **وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان**. وحمل هؤلاء عن : أصحاب أُبَيِّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وصح أن الخمسة تلوا على مقرئ المدينة: عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي صاحب أُبَيّ بن كعب.

ومن أشهر من تتلمذ على نافع في القراءة :

- ورش ، وهو عثمان بن سعيد بن عبد الله القرشي المصري القيرواني ، ولد بمصر وتوفي فيها سنة (١٩٧ هـ / ٨١٢م) وإليه يرجع الفضل في نشر قراءة نافع في مصر والمغرب([3]) .

- ابن أبي كثير الأنصاري (ت : ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)

هوإسماعيل بن جعفر ، أبو إسحاق الأنصاري ، إمام حافظ . قرأ القرآن على شيبة بن نصاح ، ثم عرض على نافع وغيره ، وبرع في الأداء، وتصدر للحديث والإقراء . كان مقرئ المدينة في زمانه ، ثم إنه تحول في آخر عمره إلى بغداد ، ونشر بها علمه ، فأخذ عنه القراءة الإمام أبو الحسن الكسائي، وأبو عبيد ، وسليمان بن داود الهاشمي ، وأبو عمرو الدوري وآخرون . و كان يؤدِّب ببغداد علياً - ولد الخليفة المهدي - فعظمت حرمته لذلك ([4]).

- قالون (ت : ٢٢٠ هـ /٨٣٥ م)

هوعيسى بن مينا ، أبو موسى ، مقرئ المدينة ، وتلميذ نافع ، إمام مجود في القراءة وعالم نحوي . يقال : كان ربيب نافع فلقبه بقالون لجودة قراءته . روى عن شيخه وعن ابن أبي كثير وغيرهما. وعنه خلق كثير ومنهم ابنه أحمد ، وكان شديد الصمم ، ينظر إلى شفتي القارئ ويرد (٥).

- إسماعيل بن أبي أويس (ت : ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م)

هوأبو عبد الله الأصبحي المدني ، إمام حافظ مقرئ ، قرأ القرآن وجوده على نافع فكان آخر تلامذته وفاة ، وقال عن نفسه : ليس اليوم بالمدينة أحد قرأ على نافع غيري ، و تلا عليه أحمد بن صالح المصري وغيره . أحاديثه عند البخاري ومسلم ، وكان عالم أهل المدينة ومحدثهم في زمانه على نقص في حفظه وإتقانه ولولا أن الشيخين احتجا به لزحزح حديثه عن درجة الصحيح إلى درجة الحسن ([6]) . أما من ناحية توثيقه كراوية للحديث فقد قال أحمد بن حنبل : لا بأس به ، وقد قام في أمر المحنة مقاماً محموداً - يقصد محنة خلق القرآن ([7])-

---

[1]- الذهبي ، السير ٧ / ٣٣٦ وابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣٠ .

[2]- ٧ / ٣٢٦ .

[3] - الذهبي ، السير ٩ / ٢٩٥ .

[4]- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٦ / ٢١٨ ، والذهبي ، السير ٢٢٨/٨ ، وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ٢٧٥/١٠ ،وابن الجزري ، طبقات القراء ١٦٢/١ .

[5]- الذهبي ، السير ١٠ / ٣٢٦، وابن الجزري ، طبقات القراء ١ / ٣٢٧ .

[6]- القاضي عياض ، ترتيب المدارك ١ /٣٦٩ ، والذهبي في السير ١٠ /٣٩١ .

[7]- الذهبي ، السير ١٠ /٣٩٢ . وسيرد الكلام عن محنة خلق القرآن مبسوطا عند الكلام عن بغداد .

ب)علم التفسير

علم التفسير ، هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها ([1]).

وقد بين رسول الله ﷺ، الكثير من معاني القرآن الكريم ، غير أنه لم يفسره كله ، ذلك أن الصحابة كانوا على علم ودراية بمعاني أكثر الآيات ومناسباتها ، فلم يشعروا بالحاجة لسؤال رسول الله ﷺ.

والمفسرون من الصحابة كثيرون ، وأكثرمن اشتُهر بالنقل عنه ، عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨هـ /٦٨٦م) وقد أشاد الصحابة بمكانته العلمية في التفسير ، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .([2])

واتسم التفسير في المدينة ببعض الخصائص التي أملتها الظروف الجديدة ، وأهمها ظهور بدايات التدوين والتصنيف في هذا العلم وغيره ، فتكونت مدرسة عرفت بمدرسة المدينة ([3]).

واشتهر من المفسرين في عصر هذا البحث :

- زيد بن أسلم العدوي (ت :١٣٦ هـ / ٧٥٣ م)

هوأبو عبد الله العدوي العمري المدني ، حدث عن والده أسلم مولى عمر ،وعن عبد الله بن عمر وآخرون . كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ ، فسمع منه : مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة وغيرهم .

ذكر أحد تلامذته : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً ، أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا ، وما رأيت في مجلسه متماريين ولا متنازعين في حديث لاينفعنا (٤). ومن مصنفاته : " تفسير" رواه عنه ابنه عبد الرحمن ، وله من الأحاديث المسندة أكثرمن مائتي حديث (٥).

- **عبد الرحمن بن زيد** بن أسلم (ت : ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)

كان صاحب قرآن وتفسير، جمع " تفسيرا" في مجلد ، وكتابا في " الناسخ والمنسوخ" (٦).وولده:

- **عمارة بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** (ت: أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)

استخرج أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين من القرآن الكريم ، ووصل إلينا مصنفه باسم : " أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين اسماً مستخرجة من كتاب الله " ([7])

ثانياً : علم الحديث في المدينة :

مع بداية القرن الثاني للهجرة رفع الحرج عن كتابة الحديث النبوي ، لاسيما بعد أن فرق طلبة العلم بين كتابة الرأي بمفرده وكتابة الرأي مع الحديث([8]) ، والدليل على ذلك ماقاله

---

[1]- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ / ١٥٠٥ م) الإتقان في علوم القرآن ، ط: دار الندوة الجديدة ، بيروت ، بلا تاريخ . ١٧٣/٢

[2]- الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١ /٣١.

[3]- د . الفراجي ، الحياة الفكرية في المدينة في القرنين الأول والثاني ص١٠١ .

[4]- ابن خياط ، خليفة ، أبو عمرو (ت :٢٤٠ هـ /٨٥٤م) الطبقات ، دراسة وتحقيق: سهيل زكار، ط : دار الفكر، بلا ، ص٢٦٣ والذهبي ، السير ٥ / ٣١٦

[5] - الذهبي ، السير ٥/ ٣١٦ .

[6]- المصدر نفسه ٨ /٣٤٩ .

[7] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية : د. عرفة مصطفى ، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م المجلد ٨الجزء٢/ص٤٦٤.

[8]- الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، ط: مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٨٣ هـ ، ص٣٢٢-٣٢٥

عبد الرحمن بن حنظلة : كنت لاأحفظ ...فرخص لي سعيد بن المسيب (ت: ١٠٦هـ / ٧٢٤ م) في الكتابة . وروي عن ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ /٧٤١م) التابعي المدني ، انه كان يدون الحديث ، فروي عن أصحاب الشأن :أن أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب([١]) .

وبدأ التدوين يتسع نطاقه ليشمل أقوال الصحابة فضلاً عما جاء عن النبي ﷺ، وذلك لكونه من الآثار التي يمكن للتابعين أن يستندوا إليها في أمور دينهم ودنياهم . فروي عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه، أنه كان يملي على طلابه ، وطلابه يكتبون بين يديه ([٢]) .

والتدوين الرسمي للحديث النبوي بدأ على يد أبي بكر بن محمد بن حزم (ت : ١١٧ هـ / ٧٣٥ م) ، وذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان ابن حزم عامله على المدينة ، وقد كتب إليه يأمره : انظر إلى ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة ([٣]) فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله ، وثمة رواية أخرى تذكر أن أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز كان لأهل العلم في المدينة المنورة ([٤]).

ونلحظ هنا اختيار عمر بن العزيز للمدينة دون غيرها ، لأنه كان قد خبرها وخبر أهلها ، ومن فيها من العلماء ، وعرف اهتمامهم بحديث رسول الله ﷺ، حين ولي عليها .

ومن الذين أسهموا في تدوين الحديث النبوي في المدينة ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت:١٢٤هـ / ٧٤١ م) فكان ممن يدون الحديث ، وهو الذي قال : أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفتراً دفتراً ، فبعث على كل أرض له عليها سلطان دفتراً ([٥]) .

وهذا النشاط التدويني كان قبل العصر الذي نبحث فيه ، ويمثل هؤلاء أساتذة العلماء الذين برزوا في علم الحديث ممن سنذكر ترجمتهم بإذن الله تعالى .

وهكذا فقد دونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر ، وكثرت الصحف في أيدي طلاب العلم والحديث ، وشهد النصف الأول من القرن الثاني للهجرة - في المدينة خاصة - وفي مدن إسلامية أخرى ، ظهور المدونات الحديثية وما يتعلق بها ، وممن صنف ودون الحديث النبوي من أهل المدينة وبوبه :هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب والإمام مالك بن أنس فهؤلاء هم أقطاب مدرسة الحديث في المدينة ([٦]) وستأتي تراجم هؤلاء تباعاً إن شاء الله تعالى .

سمات مدرسة الحديث في المدينة :

من الواضح أن علماء المدينة هم أول من تصدى لظاهرة الوضع في الحديث ، ونشأت فيها حركة قوية لمقاومة هذه الظاهرة المريبة ، بما يسمى نقد الرجال أو الجرح والتعديل ، وتعد المدينة أوثق الأمصار الإسلامية في رواية الحديث النبوي ، حتى رحل إليها العلماء للتوثق من الرواية ([٧]) ومن أهم سمات مدرسة الحديث في المدينة :

---

[١]- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ /١٠٧١ م) جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي ، ط: مؤسسة الريان - دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣ م ١ /٧٣.

[٢]- الخطيب ، د . محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ص ٣٢٧ .

[٣]- هي عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، من بني النجار ، وقد نشأت في حجر عائشة رضي الله عنها ، وهي أثبت التابعين في حديث عائشة ، ابن سعد ، الطبقات ٤٨٠/٨ ، ط: بيروت ١٩٦٠ م .

[٤] - الخطيب ، د . محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، ص٣٢٧ .

[٥]- ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ٧٦/١ .

[٦] - الخطيب ، د . محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ٣٢٨ .

[٧]- د . الفراجي ، الحياة الفكرية في المدينة ، ص١٢٤ .

١)**التزام الإسناد** ، ففي عهد الصحابة رضي الله عنهم لم يكن ثمة اهتمام بالإسناد ، لأن بعضهم كان يحدث عن الآخر دون إسناد لثقة أحدهم بالآخر ، إذ لايكذب بعضهم على بعض ([١]) ، لكن الحاجة إلى الإسناد ظهرت بعد ظهور الفتن ، وركوب الناس لأسبابها .

وتعد المدينة من أوثق الأمصار الإسلامية في التزام الإسناد ، فقد اتبع علماؤها طريقة دقيقة ومشددة في نقل الرواية ، يقول ابن خلدون ([٢]) : وكانت طريقة أهل الحجاز في أمصارهم في الأسانيد أعلى من سواهم ، وأمتن في الصحة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك .

يقول البيهقي ([٣]) : حديث أهل المدينة أصح ، وإسنادهم أقرب برجل ، فالإسناد في الحديث يثبت لأهل المدينة ونظمهم مكانة متميزة في الدولة الإسلامية ، ويجعلهم المثل الأعلى والمرجع الأكبر في الحياة الاجتماعية والفكرية ([٤]) .

فلأهل المدينة إذا سلاسل إسناد اتسمت : بدقتها ، وعدالة رجالها ، و صحتها ، و أشهرها ثلاثة :

الأولى : الزهري ،عن سالم ،عن أبيه ..

الثانية : الزهري ،عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي ...

والثالثة : مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر... ([٥])

٢) **التثبت من الحديث و الرحلة في طلبه** .

درج عن أهل المدينة أنهم لم يكونوا يأخذون الحديث إلا ممن هو أهل للحديث ، يقول أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان (ت :١٣١ هـ / ٧٤٨ م) : أدركت مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث ، يقال : ليس من أهله([٦]) . وكان علماء المدينة من التابعين و تابعيهم يرحلون لطلب الحديث ، فقد رحل ابن شهاب الزهري إلى الشام : إلى عطاء بن يزيد ، وابن محيريز ، و ابن حيوة ([٧]) .

و سأذكر رحلات من سترد ترجمتهم في البحث إن شاء الله .

وإذا كان الأعلام من المدينة يرحلون إلى أماكن مختلفة لطلب الحديث، فقد كانت المدينة تستقبل الكثير من العلماء للتوثق من الحديث فيها، وقد أصبحت المدينة محط أنظار المسلمين من طلبة الحديث وعلمائه . وقد برز من علماء الحديث في عصر دراستنا :

- يحيى بن سعيد (ت : ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م)

هو أبو سعيد الأنصاري ، عالم المدينة في زمانه ، وشيخ عالم المدينة ، وتلميذ الفقهاء السبعة (٨) . وهو صاحب حديث (الأعمال بالنيات) وعنه اشتهر، حتى يقال : رواه عنه

---

[١]- الدارمي ،عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو محمد (ت :٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) السنن ،بعناية : أحمد محمد دهمان ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠ م ، (المقدمة) ١١٢/١ .

[٢]- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، **المقدمة** ، تحقيق : حجر عاصي ط : دار الهلال ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص٤٤١ .

[٣]-البيهقي ، أحمد بن الحسين ، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ / ١٠٦٠ م) السنن والآثار ، ت : أحمد صقر ، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ١٩٦٩م ٦٦/١.

[٤]- الفراجي ، الحياة الفكرية ص ١٢٥ ، نقلا عن مجلة المجمع العلمي العراقي ، مقالة بعنوان : الرواية والأسانيد لمحمد العلي ، العدد ٣١ سنة ١٩٨٠ م .

[٥]- الخطيب ، د . محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، ص٣٣٠.

[٦]- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥ /٤٤٦ .

[٧]- الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، صــــ٢٢٨ــــ .

[٨]- نظم بعضهم أسماءهم بهذين البيتين :

إذا قيل في الفقه سبعة أبحر ... روايتهم ليست عن العلم خارجه

فقل هم عُبيد الله عروة قاسم ... ســعيد أبو بكر سليمان خارجة

الذهبي ، السير ، الحاشية ٥٨/٨ .

نحو المائتين (١). وصف بأنه كان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقةً .وعُدّ مع ابن شهاب الزهري وابن جريج المكي في مرتبة عالية واحدة في الحديث . وذكر أن حالته قد ساءت وأصابه ضيق شديد وركبه الدين فبينما هو كذاك إذ جاءه كتاب أبي جعفر المنصور يستقضيه فوكل بعض أصحابه بأهله ، فمضى فما أقام إلا شهرين حتى قضى دينه وأصاب خيراً . ولم يغير المال من صفاته الحميدة ، وقال : من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال . كما صحب مالك بن أنس إلى الشام طلباً للحديث (٢).

- عبيد الله بن عمر (ت: ١٤٥ هـ / ٧٦٢م)

هوأبو عثمان القرشي العدوي العمري المدني . لحق أم خالد بنت خالد الصحابية وسمع منها فهو من صغار التابعين . أحاديثه عند الجماعة (٣).

- هشام بن عروة (ت : ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م)

هوأبو المنذر القرشي الأسدي الزبيري المدني . سمع من أبيه وعمه ابن الزبير وطائفة من كبراء التابعين وقد رأى ابن عمر، وحفظ عنه انه دعا له ومسح براسه ..وأحاديثه عند الجماعة ، وله أكثر من ألف حديث ، وحديثه محتج به في "الموطأ" والصحاح والسنن . وصف بأنه كان ثقةً ثبتاً ، كثير الحديث حجة . وكان المنصور يقدره ويعظمه لشرفه وعلمه ولكونه من أولاد صفية أخت العباس بن عبد المطلب (٤).

- ابن أبي ذئب (ت : ١٥٩ هـ / ٧٧٥م)

هو محمد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث ، القرشي المدني الفقيه .أحاديثه عند الجماعة وصفه أحمد بن حنبل : بأنه كان أفضل من مالك ،إلا أن مالكاً رحمه الله أشد تنقية للرجال منه . وتتلمذ عليه محمد بن عمر الواقدي ، وقد وصفه بقوله : كان من أورع الناس وأودعهم . قال فيه علماء الرجال : هو أقدم لقيا للكبار من مالك، ولكن مالكاً أوسع دائرة في العلم والفتيا والحديث والإتقان منه بكثير . وكان من أشد الناس صرامة وقولاً بالحق و يحفظ حديثه ولم يكن له كتاب ، وكان يروح إلى الجمعة باكراً ، فيصلي إلى أن يخرج الإمام ، ويأتي دار أجداده عند الصفا فيأخذ كراءها ، وكان لا يغير شيبه . ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن ، لزم بيته إلى أن قتل محمد . وصنف موطئاً (كتاباً كبيراً في السنن) ولكنه لم يخرجه ولم يشتهر (٥). وكان لايهاب السلطان دخل على أبي جعفر المنصور، فلم يهله أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش . وله قصة أخرى مع الخليفة المهدي ، أنه لما حج دخل مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب ، فقال له أحدهم : قم هذا أمير المؤمنين . فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .فقال المهدي: دعه،فلقد قامت كل شعرة في رأسي(٦).

- الماجشون (ت : ١٦٤ هـ /٧٨٠ م)

هوعبد العزيز بن عبد الله المدني ، أبو عبد الله ، إمام كبير ومفتي ، والد المفتي عبد الملك ابن الماجشون صاحب مالك . قيل: الماجشون ، فارسي وإنما سمي الماجشون لأن وجنتيه كانتا حمراوين فسمي بذلك ، وهو الخمر، فعربه أهل المدينة . وصف بأنه كان عاقلاً صدوقاً ثقةً ، و لم يكن من فرسان الحديث كما كان شعبة ومالك إلا أن له أحاديث كثيرة

---

[١]- الذهبي ، السير ٤٦٩/٥ .
[٢]- ابن خياط ، الطبقات ٢٧٠ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/٥ .
[٣]- ابن خياط ، الطبقات ٢٦٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء٣٠٤/٦.
[٤]- ابن خياط ، الطبقات ٢٦٧، والخطيب، تاريخ بغداد ٤٧/١٤ و الذهبي في سير أعلام النبلاء٣٤/٦.
[٥]- ابن خياط ، التاريخ ٤٢٩، والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٩٦/٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء١٣٩/٧ .
[٦]- في تاريخ بغداد٣٠٠/٢ .

رواها له الجماعة . وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة، قدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي وصلى عليه المهدي . وله كتب مصنفة في الحديث (١).

- مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)

له اهتمام واسع في علم الحديث ، ولكن آثرت ترجمته مع علماء الفقه كونه صاحب مذهب فقهي نسب إليه ، كما أن كتابه " الموطأ " لايحتوي حديثاً خالصاً ، وإنما جمع فيه تعليقاته على الحديث والمستفاد منه ، وبث فيه آراءه الفقهية والعقائدية ، وما ترجح عنده من مذهب أهل المدينة .

- إبراهيم بن سعد (ت : ١٨٤ هـ/٨٠٠ م)

ابن إبراهيم بن صاحب رسول الله ﷺعبد الرحمن بن عوف ، الإمام الحافظ الكبير، أبو إسحاق القرشي الزهري العوفي المدني . حدث عن : أبيه قاضي المدينة وعن قرابته ابن شهاب الزهري وعدة روى عنه : ولداه يعقوب وسعد ، وشعبة والليث وهما أكبر منه ، وخلق كثير غيرهم . وكان ثقة صدوقاً ، صاحب حديث ، أحاديثه عند الجماعة (٢) .

- يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون (ت : ١٨٥ هـ /٨٠١ م)

هوالإمام المحدث المعمر ، أبو سلمة التيمي ، المدني . حدث عن : أبيه وعن الزهري ومحمد بن المنكدر وصالح بن إبراهيم العوفي وطائفة . وعنه : علي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأحاديثه عند البخاري ومسلم وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة. وثقة علماء الرجال . وكان يترخص بالغناء كأهل المدينة مستسمحا فيه ، فكان الطلبة يأتون إليه يحدثهم ، وجواريه في بيت آخر يضربن بالمعزفة (٣) .

- معن بن عيسى بن يحيى بن دينار (ت: ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)

هوأبو يحيى المدني القزاز ، حدث عن : ابن أبي ذئب ومالك وخلق كثير .أحاديثه عند الجماعة . يقول عن نفسه : كان مالك لا يجيب العراقيين في شيء من الحديث حتى أكون أنا أسأله عنه ، وكل شيء من الحديث في" الموطأ " سمعته من مالك إلا ما استثنيت أني عرضته عليه وكل شيء من غير الحديث عرضته على مالك إلا ما استثنيت أني سألته عنه . وكان يتوسد عتبة مالك ، فلا يلفظ مالك بشيء إلا كتبه ، وكان ربيبه ، وهو الذي قرأ الموطأ للرشيد وبنيه على مالك . وقال أحد تلامذته : أخرج إلينا معن بن عيسى أربعين ألف مسألة سمعها من مالك رحمه الله . قال علماء الرجال : أثبت أصحاب مالك وأوثقهم : معن بن عيسى .وهو ثقة كثير الحديث ثبتاً مأموناً(٤)

- عبد الله بن نافع الزبيري الأسدي المدني (ت : ٢١٦ هـ / ٨٣١ م)

يعرف بعبد الله بن نافع الصغير. روى عن : أخيه عبد الله بن نافع الكبير وعن مالك وعبد العزيز ابن أبي حازم . روى عنه : محمد بن يحيى الذهلي وهارون الحمال ويعقوب بن وآخرون . أحاديثه في سنن النسائي وابن ماجة وصف بالصدق ، ومعرفة الحديث ، وكان المنظور إليه من قريش بالمدينة في هديه وفقهه وعفافه ، وكان يسرد الصوم (٥) .

- القعنبي (ت : ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م)

هوعبد الله بن مسلمة بن قعنب ، أبو عبد الرحمن الحارثي المدني ، نزيل البصرة ثم مكة

١- ترجمته في ابن سعد ، الطبقات ٣٢٣/٧ ،و ابن خياط ، الطبقات ٣٧٥ ،والذهبي في سير أعلام النبلاء٣٠٩/٧ .
٢- ترجمته عند الذهبي في السير ٨ / ٣٠٤ .
٣- ترجمته عند الذهبي في السير ٨ / ٣٧١ .
٤- المصدر نفسه ٩ / ٣٠٤ .
٥- الذهبي ، السير ١٠ / ٣٧٤ .

سمع من : أفلح بن حميد وابن أبي ذئب وشعبة بن الحجاج ومالك بن أنس والليث بن سعد وعدة. وعنه : البخاري ومسلم وأبو داود – وأحاديثه في كتبهم - والخريبي وهو من شيوخه وخلق كثير . قرأ على مالك كتبه ، ويقول عن نفسه : اختلفت إلى مالك ثلاثين سنة ما من حديث في "الموطأ " إلا لو شئت قلت : سمعته مراراً . وصف بالتقوى والعبادة والخشوع ، ولايرد أحدا يريد سماع الحديث ، يحدث لله . يقول أحد تلامذته : كان يأتينا بالليل ، فيخرج علينا وعليه كبل ([1]) ، ما تحته شيء في الصيف فكان يقرأ علينا في الحر الشديد حينئذ . وكان مالك يجله ويقدره ، وحين يراه قدم من سفر ، يسرع للسلام عليه ، ويقول : قوموا بنا إلى خير أهل الأرض ([2]) .

ثالثا : علم الفقه في المدينة :

في العصر الذي نبحث فيه ، سار الفقه في المدينة على ماكان عليه الحال في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، والقصد أنهم اعتمدوا في فقههم على مااستنبطوه من القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ، وقد مارسوا الاجتهاد والقياس ، ولكنهم لم يضعوا أسساً وشروطاً لذلك ، وتلقى التابعون الفقه عنهم ، وساروا على مناهجهم ، وقد شهدت هذه الفترة ظهور كبار الأئمة الذين اتصل تاريخهم بتكوين المذاهب الفقهية ([3]) ومنهم في المدينة المنورة جعفر بن محمد الصادق والإمام مالك بن أنس .

وقد تبلورت في هذه المرحلة (أي العصر العباسي الأول) مدرستان فقهيتان هما : مدرسة الحديث في المدينة ، ومدرسة الرأي في الكوفة ، وصار لكل واحدة منهما مذهبٌ متميزٌ ، وشهدت المدينة في هذه الفترة نهضة علمية فقهية ، فكانت تموج بالعلماء الأعلام من الفقهاء، فمن مشاهيرهم :

- ربيعة الرأي (ت : ١٣٦ هـ /٧٥٣ م)

هوربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، مفتي المدينة ، وعالم وقته ، أبو عثمان ، المشهور: بربيعة الرأي . كان من أئمة الاجتهاد . روى عن : أنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ، وسعيد بن المسيب وآخرون . وعنه : يحيى بن سعيد الأنصاري ، وسليمان التيمي ، وسهيل بن ابي صالح - وهم من أقرانه - وإسماعيل بن أمية ، والأوزاعي ، وشعبة ، وعدد لايحصى . وصفه العلماء بأنه كان من أوعية العلم ، و صاحب الفتوى بالمدينة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس . ويحصى في مجلسه أربعون معتما . وكان مالك يقول : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة . ورؤي يوما يبكي ، فقيل : ما يبكيك ؟ قال : رياء حاضر، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كصبيان في حجورأمهاتهم ، إن أمروهم أئتمروا ، وإن نهوهم انتهوا . وقد درج عنه أنه كان يفتي برأيه قياسا ويقول : رأيت الرأي أهون عليّ من تبعة الحديث . وذكر أنه قال لابن شهاب الزهري : إن حالي ليست تشبه حالك . قال : وكيف ؟ قال : أنا أقول برأي من شاء أخذه ، ومن شاء تركه ، وأنت تحدث عن النبي ﷺ فيحفظ . ومن قوله : العلم وسيلة إلى كل فضيلة .

وشهد أحد تلامذته لقاء ربيعة بأبي حنيفة وقال : شهدت أبا حنيفة في مجلس ربيعة ، مجهوده أن يفهم ما يقول ربيعة (٤).

---

[1] - الكبل : الفرو الكبير . المعجم الوسيط (كبل)

[2] - الذهبي ، السير ١٠ / ٢٥٧ .

[3] - أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بلاتاريخ ، ص٣٨ ، والفراجي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة ص١٩٩ .

[4] - ترجمته عند الخطيب ، تاريخ بغداد ٣ /٤٤ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦ /٨٩ .

قال أبو بكر الخطيب (١) : كان ربيعة فقيهاً عالماً حافظاً للفقه والحديث ، قدم على السفاح الأنبار، وكان قد أقدمه ليولية القضاء ، وأمر له بجائزة ، فأبى أن يقبلها ، فأعطاه خمسة آلاف درهم يشتري بها جارية حين أبى أن يقبل الجائزة ؛ فأبى أن يقبلها أيضاً . فيقال إنه توفي بالأنبار، ويقال : بل توفي بالمدينة.

- يحيى بن سعيد الأنصاري (ت : ١٤٣هـ / ٧٥٩ م)

هو عالم المدينة في زمانه وقاضيها ، وشيخ عالم المدينة وتلميذ الفقهاء السبعة . شهد له أحمد بن حنبل ، وقال : ما رأيت أثبت من يحيى بن سعيد .وقد سبق مع المحدثين ، ومع انه كان محدثاً قد روى الكثير من الأحاديث ، إلا أنه انفرد برياسة الفقه في المدينة قبل مالك الإمام ، وكان تلميذه (٢).

- جعفر الصادق (ت :١٤٨هـ /٧٦٥ م)

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أبي عبد الله ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه ، شيخ بني هاشم ،أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي المدني ، أحد الأعلام ، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي ، وأمها هي : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر الصديق مرتين ، وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً .

وروي عنه قوله : برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر.وهذا القول متواتر عن جعفر الصادق([٣]) . ولد سنة ثمانين ، ورأى بعض الصحابة . وثقه علماء الرجال ووصفوه بالصدق . وقد أقدمه المنصور الحيرة وبعث إلى أبي حنيفة ، فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيئ له من مسائلك الصعاب . يقول أبو حنيفة : فهيأت له أربعين مسألة ، ثم أتيت أبا جعفر- وجعفر جالس عن يمينه- فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفرالمنصور، فسلمت وأذن لي فجلست ، ثم التفت إلى جعفر، فقال : يا أبا عبد الله تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا أبو حنيفة ، ثم أتبعها : قد أتانا . ثم قال : يا أبا حنيفة هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله . فابتدأت أسأله ، فكان يقول في المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا ، وأهل المدينة يقولون : كذا وكذا ، ونحن نقول: كذا وكذا ، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة . وربما خالفنا جميعا،حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة ، ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس، أعلمهم باختلاف الناس . وجاءه سفيان الثوري :وقال له لا أقوم حتى تحدثني . قال : أما إني أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير. يا سفيان ، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله قال في كتابه﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾([٤]) وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله قال في كتابه﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال ﴾([٥]) يا سفيان ، إذا حزبك أمر من السلطان أو غيره ، فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده ، وقال : ثلاث وأي ثلاث ([٦]).

---

[١]- الخطيب ، تاريخ بغداد ٣ /٤٧ .
[٢]- سبقت ترجمته مع المحدثين في الصفحة ٣٧ .
[٣] - الذهبي ، السير ٦ / ٢٦٠ .
[٤] - سورة إبراهيم ، الآية ٧ .
[٥] - سورة نوح ، الآية ١٠ - ١٢ .
[٦]- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦

- عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (ت : ١٦٤هـ / ٧٨٠ م) (١)

- مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)

إمام دار الهجرة ، أبو عبد الله ،نشأ في صون ورفاهية وتجمل ، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة ، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة ، وحدث عنه جماعة ، وهو حيي شاب طري ، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك ، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات .

وذكرله العلماء فضائل جمة منها حديث أبي هريرة ﵁ يبلغ به النبي ﷺ، قال : " ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة " (٢) ويرجح القاضي عياض أن المقصود بهذا الحديث هو مالك بن أنس ، وذكر أنه وجد في المدينة قبل مالك علماء ومحدثون كثر وكلهم يفتي بالمدينة ، ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة ، ثم حدّث بعدهم مالك ، فكان مفتيها ، فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق ، واعترفوا له ، وروت الأئمة عنه ممن هم أقدم منه سناً كالليث عالم أهل مصر والمغرب ، وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم ، والثوري وهو المقدّم بالكوفة ، وشعبة عالم أهل البصرة،وحمل عنه قبلهم يحيى بن سعيد الأنصاري حين ولاه أبو جعفر قضاء القضاة فسأل مالكاً : أن يكتب له مائة حديث حين خرج إلى العراق ، ومن قبل كان ابن جريج حمل عنه (٣) .

و كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه ، زيد بن ثابت، وعائشة ، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب ، ثم الزهري ، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك .

وقد تتلمذ عليه الشافعي ، وكان يقول مالك معلمي وعنه أخذت العلم،وإذا ذكر العلماء فمالك النجم . (٤) ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة (٥).

وكان المنصور يجله ويوقره ويعترف له بالعلم والفضل يقول مالك : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين - وقد نزل على مثال له يعني فرشه- وإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولاتبولان ، وجاء صبي يخرج ، ثم يرجع ، فقال لي : أتدري من هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابني ، وإنما يفزع من هيبتك ، ثم ساءلني عن اشياء منها حلال ومنها حرام ، ثم قال لي : أنت والله أعقل الناس ، وأعلم الناس . قلت : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : بلى ، ولكنك تكتم ، ثم قال : والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ، ولأبعثن به إلى الآفاق فلأحملهنم عليه . (٦)

ويفضل سكنى المدينة عن غيرها فقد ذكر أن المهدي قدم المدينة ، فبعث إلى مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الرسول بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين يحب أن تعادله إلى مدينة السلام فقال : قال النبي ﷺ " المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " والمال عندي على حاله(٧) .

---

[1]- محدث وفقيه ، تمت ترجمته مع المحدثين من علماء المدينة ص٣٧ -٣٨ .

[2]- ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، أبو عبد الله الشيباني (ت :٢٤١هـ / ٨٥٥ م) المسند ، ط : دار صادر بيروت ، بلا تاريخ ٢٩٩/٢ .

[3]- عياض ، ترتيب المدارك ١ / و٨٣ و١٥٠ و الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨ /٦١ .

[4]- الذهبي ، السير ٨ /٥٧ .

[5]- سبق ذكر الفقهاء السبعة صفحة٣٦هامش ٨

[6]- الذهبي ، السير ٨/ ٦١ -٦٢ .

[7]- عياض ، ترتيب المدارك ١ /٢١٠ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨ /٦٣ ، والحديث أخرجه مالك في الموطأ ٢ /٨٨٧ -٨٨٨ ومسلم في صحيحه برقم (١٣٨٨) .

وتركه المهدي ولم يجبره ، وكان كلما قدم المدينة أرسل ولديه هارون وموسى لأخذ العلم عنه . يقول مالك : قال لي المهدي : ضع يا أبا عبد الله كتاباً أحمل الأمة عليه . فقلت : يا أمير المؤمنين : أما هذا الصقع وأشرت إلى المغرب فقد كفيته ، وأما الشام ففيهم من قد علمت، يعني - الأوزاعي - وأما العراق فهم أهل العراق ([١])

- هيئة مالك ومجلسه :

وصف مالكاً تلامذته فقالوا : كنا إذا دخلنا على مالك ، خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً ، قد لبس من أحسن ثيابه وتصدّر الحلقة ، ودعا بالمراوح فأعطى لكل منا مروحة.وقد ساق القاضي عياض (٢) من وجوه ، حسن بزة الإمام ووفور تجمله ، ومنها قول أحد تلامذته: ما رأيت قط بياضاً ولا حمرةً أحسن من وجه مالك ، ولا أشد بياض ثوب من مالك . ونُقل أنه كان طوالاً جسيماً ، عظيم الهامة ، أشقر أبيض الرأس واللحية ، عظيم اللحية ، أصلع ، وكان لا يحفي(٣) شاربه ويراه مثله ، وقيل : كان أزرق العين ، روى بعض ذلك ابن سعد عن مطرف بن عبد الله . وقال : كان مالك نقي الثوب رقيقه ، يكثر اختلاف اللبوس .

وكان يجلس في منزله على ضجاع له ونمارق (٤) مطروحة في منزله يمنة ويسرة لمن يأتيه من قريش والأنصار والناس .

وكان مجلسه مجلس وقار وحلم ، وكان رجلاً مهيباً نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ، ولا رفع صوت ، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث ، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه ، وكان له كاتب قد نسخ كتبه ، يقال له حبيب (٥) يقرأ للجماعة ، ولا ينظر أحد في كتابه ، ولا يستفهم ، هيبة لمالك وإجلالاً له وكان حبيب إذا قرأ فأخطأ ، فتح عليه مالك ، وكان ذلك قليلاً . (٦)

وذكر أن مالكا كان يأتي المسجد ، فيشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابه ، ثم ترك الجلوس ، فكان يصلي وينصرف ، وترك شهود الجنائز، ثم ترك ذلك كله والجمعة ، واحتمل الناس ذلك كله ، وكانوا أرغب ما كانوا فيه ، وربما كلم في ذلك ، فيقول : ليس كل أحد يقدر أن يتكلم بعذره (٧) .

وأورد الذهبي ([٨]) خبراً مفاده : أن مالكاً رحمه الله لم يشهد الجماعة خمساً وعشرين سنة. فقيل له ما يمنعك ؟ قال : مخافة أن أرى منكراً فأحتاج أن أغيره .

وأرى أن هذا ليس هو السبب الحقيقي فليس مالك ممن يتأخر عن النهي عن المنكر ولاشك أن لديه عذراً شرعياً الله أعلم به .

*　　*　　*

---

[١] - القاضي عياض ، ترتيب المدارك ١ / ١٥٥

[٢] - المصدر نفسه ١ /١١٣ -١١٦ .

[٣] - أي لايبالغ في قصه . المعجم الوسيط (حف)

[٤] - جمع نمرقة : الوسادة . المعجم الوسيط (نمرق)

[٥] - هو حبيب بن أبي حبيب، أبو محمد ، كاتب مالك بن أنس ، قال عنه الإمام أحمد : ليس بثقة .

[٦] - الخبر عند القاضي عياض في ترتيب المدارك ١ /١٥٣ – ١٥٤ ، والذهبي في السير ٨ /٦٥ .

[٧] - ترجمته عند ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار الترجمة رقم (١١١٠) وعياض ، ترتيب المدارك ١٠٢/١و الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٨/١٠ وفيه سرد لمواضع ترجمته ، وابن كثير في البداية والنهاية ١٧٤/١٠.

[٨] - الذهبي ، السير ٦٦/٨ -٦٧ .

أقوال العلماء في مالك :

يقول الشافعي: مالك وابن عيينه القرينان ، ولولا مالك وابن عيينه لذهب علم الحجاز.

وقال محمد بن الحسن الشيباني (١) : أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسراً ، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث ، فكان محمد إذا حدث عن مالك أمتلأ منزله ، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير.

قال البخاري ، عن علي بن عبد الله : لمالك نحو من ألف حديث(٢)

وقال الذهبي : قد كان مالك إماماً في نقد الرجال حافظاً مجوداً متقناً . (٣)

- ومما نصح به طلبة العلم والعلماء :

- ألا يتسرع المفتي بالفتوى ، ولايستحيي من الامتناع إن لـــم يعلم ، ولا يجادل أحداً في الدين ، فيقول رحمه الله : جنة العالم "لا أدري" فإذا أغفلها ، أصيبت مقاتله و الجدال في الدين ينشئ المراء ، ويذهب بنور العلم من القلب ، ويقسي ، ويورث الضغن .

وسُمع يقول : ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني ، هل تراني موضعاً لذلك ؟ سألت ربيعة ، وسألت يحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك ، فقيل : فلو نهوك ؟ قال : كنت أنتهي ، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه (٤) .

وكان مالك رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلّمين ، وأشد نقضاً للعراقيين ، وسأل رجل مالكاً ، فقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾(٥) كيف استوى ؟ فسكت مالك ، حتى علاه الرُّحضاء ، ثم قال : الاستواء منه معلوم ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عن هذا بدعة ، والإيمان به واجب ، وإني لأظنك ضالاً ، أخرجوه . فناداه الرجل : يا أبا عبد الله : والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق ، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له(٦).

- محنة الإمام مالك رحمه الله :

قال أصحاب السير: ما دعي مالك وشوور وسمع منه وقبل قوله ، إلا حُسد وبُغي عليه ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره ، أنه لا يجوز عنده . قال : فغضب جعفر ، فدعا بمالك فاحتج عليه بما رفع إليه عنه، فأمر بتجريده وضربه بالسياط وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو (٧).

- الموطأ ورواياته .

أغلب مافي الموطأ من الأحاديث ، هي أحاديث عن رسول الله ﷺ أو الصحابة أو التابعين ، وأخذ مالك هذه الأحاديث عن رجال عديدين كلهم مدنيون إلا ستة . يضاف إلى ذلك ضمن الكتاب تعليقات الإمام مالك وبعض شروحه وترجيحاته كما ضمنه أصول مذهبه الفقهي والعقدي (٨)

---

[١] - هو الإمام المجتهد ، صاحب أبي حنيفة وتلميذه ، وراوي " الموطأ " عن الإمام مالك ، وقد سمعه منه كله ، وضمنه زيادات ليست في الموطآت الأخرى ، ويعد بحق مصدرا من المصادر الأصلية الوثيقة لفقه أهل المدينة والعراق . الذهبي ، السير ،الهامش ٨ /٧٥ .

[٢] - عياض ، ترتيب المدارك ١ /١٢٩ والذهبي السير ٨ /٧٤ .

[٣] - الذهبي ، السير ٨ /٧١ .

[٤] - الذهبي ، السير ٨ / ٦٢ .

[٥] - سورة طه ، الآية ٥ .

[٦] - عياض ، ترتيب المدارك ١ /١٧٠ والذهبي ، السير ٨ /١٠٦ .

[٧] - الخبرعند عياض ، ترتيب المدارك ١ /٢٢٨ والذهبي ، السير ٨ /٨٠ .

[٨] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٧ /٥٣٨ .

وممن روى عن مالك " الموطأ " أبو مصعب الزبيري (١)
وقيل : إن قاضي البصرة محمد بن عبد الله الأنصاري روى " الموطأ " عن مالك إجازة ، وقيل : إن أبا يوسف القاضي رواه ، عن رجل ، عن مالك ، وما زال العلماء قديماً وحديثاً لهم أتم اعتناء برواية "الموطأ" ومعرفته وتحصيله (٢) .
وأشهر النسخ التي وصلتنا للموطأ ، نسخة يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي (ت :٢٣٤هـ/٨٤٨م) ، فقد ارتحل إلى المدينة وسمع الموطأ من مالك بلا واسطة ، وانتهت إليه الرئاسة بالأندلس فانتشر به الموطأ من روايته ، كما انتشر به فقه مالك .
قال علماء الحديث : وإذا قيل "الموطأ " على الإطلاق ، فإنما يراد به نسخة يحيى بن يحيى الليثي ، وعدد أحاديث هذه النسخة ١٨٤٤ وقد طبعت عدة طبعات .([3])
أما النسخة الثانية ، فهي نسخة محمد بن الحسن الشيباني (ت: ١٨٩هـ/٨٠٤ م) وفيه من الأحاديث والآثار ١٠٠٨ ، وقد كتب "الموطأ "ورواه تلامذة مالك : عبد الله بن وهب (ت : ١٩٧ هـ /٨١٢ م) والقعنبي (ت : ٢٢١ هـ /٨٣٦ م) وآخر أصحابه موتا راوي " الموطأ " أبو حذافة أحمد بن اسماعيل السهمي ، عاش بعد مالك ثمانين عاما([4]).
- مصنفات مالك رحمه الله .
ولمالك رحمه الله " رسالة في القدر" و"رسالة في الأقضية " ، و"رسالة إلى أبي غسان محمد بن مطرف " و"رسالة آداب " يقال إنه صنفها للرشيد ، و" جزء في التفسير" ، و "رسالة إلى الليث " في إجماع أهل المدينة ، وأما ما نقل عنه كبار أصحابه من المسائل والفتاوي والفوائد فشيء كثير ومن كنوز ذلك : " المدونة" و"الواضحة"(٥).
- ومن أشهر تلامذة مالك رحمه الله الذين نشروا مذهبه في الآفاق :
- عبد الرحمن بن القاسم ، أبو عبد لله العتقي (ت :١٩١ هـ /٨٠٦ م)عالم الديار المصرية ومفتيها ([6]).
- عبد الله بن وهب بن مسلم ، أبو محمد الفهري ، (ت : ١٩٧هـ / ٨١٢ م) الحافظ المصري ([7]) .
- أشهب بن عبد العزيز،أبو عمرو القيسي ، المصري ، الفقيه (ت:٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م)مفتي مصر ([8]) .
- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث ، أبو محمد المصري ،المالكي ، الإمام الفقيه ، صاحب مالك (ت : ٢١٤ هـ /٨٢٩ م) ، مفتي الديار المصرية ([9]).
- يحيى بن يحيى بن كثيربن وسلاس بن شملال بن منغايا ، أبو محمد الليثي ، البربري المصمودي ، الأندلسي القرطبي (ت:٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) الإمام الكبير، فقيه الأندلس ،مولده في سنة ١٥٢هـ /٧٦٩ م ارتحل إلى المشرق في أواخر أيام مالك ، فسمع منه "الموطأ "

[1]- المصعبي : هو أحمد بن أبي بكر ، القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب الزهري العوفي، قاضي المديئة (ت ٢٤٢هـ) راوي موطأ مالك ، قالوا إن موطأه آخر الموطآت ، ولم يطبع . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، الحاشية ٨ / ٥٨ -٥٩ . وسترد ترجمته في بحثنا مع فقهاء المدينة .
[2]- يسرد الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء ٨٥/٨ -٨٨ من صنف عن مالك أو رجاله أو أسانيده أو تصانيفه من العلماء وهم كثير فليراجع ثمة

[3]- عموش ، أحمد راتب ، مقدمة الموطأ - نسخة الليثي –ط : دار النفائس ، بيروت ١٩٧١ م ص٥ - ١٢ .
[4]- عبد الوهاب ، عبد اللطيف ، مقدمة الموطأ – نسخة الشيباني –ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ١٩٦٧ م ص ١٩ - ٢٨ .
[5]- عياض ، ترتيب المدارك ٢٩٠/١ و الذهبي ، السير ٨٨/٨-٨٩ .
[6]- عياض ، ترتيب المدارك ٢/ ٤٣٣ والذهبي ، السير ٩ / ١٢٠ .
[7]- عياض ، ترتيب المدارك ٢ / ٣٢١والذهبي ، السير ٩ / ٢٢٩ .
[8]- عياض ، ترتيب المدارك ٢ /٤٤٧ والذهبي ، السير ٩ / ٥٠٠ .
[9]- عياض ، ترتيب المدارك ٢ / ٥٢٣ - ٥٢٨ والذهبي ، السير ١٠ /٢٢٠ .

سوى أبواب من الاعتكاف ، شك في سماعها منه ، فرواها عن زياد شبطون- أحد تلامذة مالك - عن مالك ([1])

- وفاة مالك رحمه الله :

رجح علماء السير وفاة مالك في ربيع الأول ، يوم الأحد لتمام اثنتين وعشرين يوماً من مرضه ، سنة تسع وسبعين ومائة (٢).

وهذا تعريف بالمذهب المالكي : فهو من أوسع المذاهب الإسلامية انتشاراً في القديم ، وينبني على الآراء الفقهية والعقائدية والسياسية للإمام مالك بن أنس ، تبلور مذهباً واضحاً ومستقلاً في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وأهم أفكاره إغلاق باب الاجتهاد ، وعدم جواز الخروج على الحاكم الظالم الجائر.

- عوامل الظهور

أ) العامل السياسي المتمثل في تبني الحكم العباسي لكل الأفكار والاتجاهات التي تصب في خدمتهم ، وتبعد الناس عن المذهب المتمثل في أهل البيت ، والتشيع لهم .

ب) الدعم والمكانة اللتان حَظِيَ بهما مالك لدى الخلفاء العباسيين ، مما ساعده على كسب عدد كبير من الطلاب والمؤيدين .

ج) انقسام مدرسة الصحابة إلى مدرسة الرأي ومدرسة الحديث ، وكان من نتائج هذا الانقسام أن ظهرت شخصية مالك في الحجاز ، الذي تبنى مدرسة الحديث والأخذ به وتقديمه

د) محاولة العباسيين خلق قواعد شعبية تساندهم ، وذلك عن طريق اهتمامهم بأئمة العلم السنة ، كالإمام مالك رحمه الله .

تأسس المذهب المالكي على يد مالك بن أنس بعد اتصاله بالخليفة العباسي المنصور، وذلك في منتصف القرن الثاني الهجري ، وتطورت معالمه على يد تلاميذه من بعده.

ارتفع شأنه وصار له صيت شائع نتيجة للدعم اللامحدود الذي أولاه إياه العباسيون، حتى إن المنصور قال له يوماً : أنت والله أعلم الناس وأعقلهم ، لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف ، ولأبعثن به إلى الآفاق فأحملهم عليه .

توسعت قاعدة المذهب المالكي في الحجاز والمدينة المنورة ، وبناءاً على طلب المنصور والمهدي صنف مالك كتاب " الموطأ " . ولكن مالكاً رفض أن يحمل الناس على الأخذ بكتابه دون غيره ، ممايدل على تعقله وعدم استهانته بعلم الآخرين كما مر سابقاً .

وفي المغرب العربي كان لـ : يحيى بن يحيى الليثي ، وهو من تلاميذ مالك ، الأثر الفعال في نشر المذهب هناك وكسب المؤيدين له ، فقد كان مكيناً عند السلطان ، وقد استغل هذه المكانة فكان لا يولي القضاء إلا من كان على مذهبه. ([3]).

- الأفكار والمعتقدات

يعتقدون بصحة إيمان من وحّد الله واعترف بالرسول ﷺ - وإن لم يصل ولم يصم - يقولون بجواز الرؤية البصرية لله تعالى في يوم القيامة ، مستدلين بقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ([4]) يقولون بأن الخلافة لا تصح في غير قريش .

- يعتقدون بعدالة الصحابة وحجية أقوالهم جميعاً

- لايجوز في نظرهم الخروج على الحاكم الجائر .

---

[1] - القاضي عياض ، ترتيب المدارك ٢ / ٥٣٤ – ٥٤٧ و الذهبي ، السير ١٠ / ٥و١٩.

[2] - القاضي عياض ، ترتيب المدارك ١ / ٢٣٧ .

[3] - تيمور ، أحمد ، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين - تقديم محمد أبو زهرة –ط : دار القادري ، بيروت ١٩٩٠م ص٩٠ -٩١ . ونخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٧ /٥٣٨ .

[4] - سورة القيامة ، الآية ٢٢ -٢٣ .

ـ يرون طهارة الكلب وطهارة ماولغ فيه .ـ يجيزون دخول المشرك إلى المساجد عدا المسجد الحرام ـ يعتقدون بصحة الصلاة إلى جنب المرأة وإن كانت أجنبية .
ـ يعتقدون بأن الخليفة يصبح شرعياً إذا بايعه أهل الحرمين - مكة والمدينة - ولا تصح حتى لو بايعته كل الأقاليم إذا لم يبايعه أهل الحرمين .
ـ أصول التشريع عند المالكية هي : القرآن الكريم ، والسنة المشرفة ، وكان مالك لايشترط في الحديث ما اشترطه أبو حنيفة من الشهرة ، وإنما يتطلب صحة السند ولو كان حديثا واحدا .
كما اعتمد مذهب مالك على الإجماع والقياس وعمل أهل المدينة . وخلاصة رأيه في هذا الموضوع أن أهل المدينة إذا اتفقوا على عمل مسألة ، واتفق على العمل علماؤها فهذا حجة يقدم على القياس ، أما إذا لم يكن عملاً إجماعيا ، بل عمله أكثرهم فهذا العمل أيضا حجة ، لأن عمل الأكثر بمنزلة رواية الأكثر .
ومن مسلك مالك في التشريع العمل بقول الصحابي إن صح نسبته إليه ، وكان من أعلام الصحابة كالخلفاء الراشدين ومعاذ بن جبل وابن الخطاب . وقد غذى عمل أهل المدينة وقول الصحابي فقه مالك بآثار كثيرة كان من شأنها تضييق دائرة الرأي ، ومع هذا لم ينكر مالك الرأي فمن أصول مذهبه المصالح المرسلة ، أي المصلحة التي لم يرد ما يدل على اعتمادها أو إلغائها ، والحكم بسد الذرائع ، وهي الوسائل التي من خلالها يتوصل إلى النتائج فكل وسيلة مفضية إلى الحرام فهي حرام ([1]) .

ـ الانتشار ومواقع النفوذ

- انتشر المذهب المالكي في الحجاز انتشاراً واسعاً ، لانها موطن مالك بن أنس .
ـ انتشر في بغداد بسبب دعم العباسيين له ، وظهر في البصرة بعد خمسة قرون من تاريخ انتشاره في الحجاز.
ـ ظهر في بلاد فارس ، وضعف فيها في عهد الدولة الصفوية .
ـ انتشر مذهب مالك في الأندلس حتى كان أهلها يغالون في مالك وفقهه وقد التزموا فتواه نظرا لإلزام السلطة لهم .
ـ يعتبر المذهب المالكي حاليا هو الغالب في البحرين ، وقطر ، والكويت ، والسودان ، وبلاد المغرب العربي(٢)

ـ يوسف بن يعقوب بن بن أبي سلمة (ت : ١٨٥ هـ / ٨٠١ م) (٣)

ـ عبد الله بن نافع الصائغ (ت : ٢٠٦ هـ / ٨٢١م)

من كبار فقهاء المدينة ، صحب مالكاً فترة طويلة ، وثقه علماء الرجال ، ووصفوه بأنه أقدم وأثبت أهل زمانه بمالك ، قد لزمه لزوماً شديداً ([4]).

ـ الأويسي (ت : ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)

هوعبد العزيز بن عبد الله بن يحيى رشي العامري ، أبو القاسم المديني .وصف بالصدق وأنه ثقة . حدث : عن عبد العزيز الماجشون ومالك بن أنس وطبقتهم .
وعنه : البخاري ، وروى أبو داود والترمذي وابن ماجة له بواسطة . وثقة أبو داود (٥) .

---

[1] ـ تيمور ، أحمد ، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعةص ٩٣ . ونخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٧ /٥٣٩ .
[2] ـ ـ تيمور ، أحمد ، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ص٩٤ .
[3] ـ مرت ترجمته ص٣٩ وهومن المحدثين والفقهاء .
[4] ـ القاضي عياض ، ترتيب المدارك ١ / ٣٥٦ الذهبي ، السير ١٠ / ٣٧١ .
[5] ـ ترجمته عند الذهبي في السير ١٠ /٣٨٩ .

-**أبو مصعب** (ت :٢٤٢ هـ / ٨٥٦م)
هوأحمد بن أبي بكر القاسم ، الزهري المدني الفقية ، شيخ دار الهجرة وقاضي المدينة ، لازم مالك بن أنس ، وتفقه به ، وسمع منه "الموطأ" وأتقنه عنه ، وسمع من آخرين .
وحدث عنه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم .
وصف بأنه ثقة ، نادر الغلط ، فقيه اهل المدينة غير مدافع . وكان على شرطة عبيد الله بن الحسن بن عبد الله الهاشمي عامل المأمون على المدينة ، وولي القضاء .
وذكر العلماء :أن آخر شيء روي عن مالك من الموطآت ، "موطأ أبي مصعب"(١) وموطأ أحمد بن إسماعيل السهمي ، وفي هذين الموطأين نحو من مائه حديث زائدة ، وهما آخر ما روي عن مالك ، وفي ذلك دليل على أنه كان يزيد في "الموطأ" أحاديث كل وقت كان أغفلها ثم أثبتها ، وهكذا يكون العلماء رحمهم الله ([٢]).

رابعاً : السيرة النبوية والتاريخ .

تعتبر مدرسة المدينة التاريخية ، أقدم المدارس التاريخية الإسلامية ، لما لها من أثر طيب في نفوس المسلمين ، وقد شهدت قيام الدولة الإسلامية ، ووفادة العرب إلى رسول الله ﷺ ، ثم انطلاقة الفتوحات المظفرة ، كل هذا وغيره دفع المسلمين إلى معرفة تفاصيل حياة رسول الله ﷺ فتوجهوا نحو المدينة المنورة وطرحوا تساؤلاتهم ، فتصدى للإيضاح والجواب من كان بها من أبناء صحابة رسول الله ﷺ وكان هؤلاء أساس هذه المدرسة العتيدة ، وعلى رأسهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.([٣])
وبسبب رحيل الكثير من العلماء والمصنفين إلى دار الخلافة في العراق ، قلّ التصنيف في المدينة في أواخر العصر العباسي الأول – بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي - ولم يهجر تماماً لأنه متصل بجذور دينية ، وعاودت نشاطها بعد القرن الثالث ، لكن السير والمغازي التالية كانت ترجيعاً وتكراراً مختصراً أو مطولاً للسير الأولى (٤) .
ومن أهم سمات مدرسة المدينة التاريخية:
١ - ركزت على دراسة السيرة النبوية .
٢ - اهتمت بالإسناد ، وقد ظهر متزامنا مع رواية الحديث .
٣ - ارتبطت بدراسة الحديث حتى تكاد تكون متفرعة منه ، ولاسيما أن الذين حملوا لواء هذه المدرسة وشيدوا صرحها هم (المحدثون) أمثال عروة بن الزبير، والزهري ، وعبد الله بن أبي بكر ، وموسى بن عقبة ([٥]).

وممن اشتهر بالتأريخ ..

- عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت : ١٣٥ هـ / ٧٥٢م)

هوأبو محمد الأنصاري ، صاحب " المغازي " وشيخ ابن إسحاق ، حدث عن : أنس بن مالك وطائفة . حدث عنه : الزهري - وهو أكبر منه - وابن جريج ، وابن إسحاق ، ومالك وآخرون . قال عنه العلماء : رجل صدق ، كثير الحديث ، ويرسل كثيراً ([٦]).

---
[١]- وموطؤه لم يطبع ، وفيه زيادات كثيرة عن موطأ الليثي ، والبغوي في شرح السنة ينقل عنه كثيرا (حاشية السير ٤٣٦/١١)
[٢]- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٣٦/١١ .
[٣]- مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٣ م ١٥٨/١.
[٤] - ينظر، المرجع نفسه ٢٠١/١ .
[٥]- الدوري ، د . عبد العزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ط: المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ م ص٦١ ، والفراجي ، د . عدنان أحمد، الحياة الفكرية في المدينة ص ٢١٦ -٢١٧ .
[٦]- ابن سعد ، محمد(ت : ٢٣٠ هـ/٨٤٤ م) الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ، تحقيق زياد محمد منصور ، ط: دار العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٦/١ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٣١٤ .

- موسى بن عقبة ابن أبي عياش (ت : ١٤١هـ/٧٥٨م)

هوالامام الثقة الكبير، أبو محمد القرشي .

وثقه علماء الرجال ، وكان بصيراً بالمغازي النبوية ألفها في "مجلد " فكان أول من صنف في ذلك . أدرك ابن عمر وجابراً ، وعداده في صغار التابعين .

وحدث عنه : شعبة ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج ومالك ، وخلق كثير (١).

ويذكر الدكتور شاكر مصطفى رحمه الله (٢): أن ابن عقبة تميز بفكر تاريخي منظم ، فقد قدم مادته التاريخية في تسلسل زمني حولي ، ويعتبر إلى جانب ابن أبي حزم أول من قدم هذه الخدمة لتطوير التدوين التاريخي .

وقد لقي كتابه " المغازي" اهتماماً كبيراً لدقته واستيفائه ، فقد خطه أبو نعيم الأصفهاني بيده ، واستخدم النسخة ذاتها ياقوت الحموي بعد قرنين من الزمن ، واحتفظ ابن حجر العسقلاني بنصوص كثيرة نقلها عنه في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة " (٣) .وكان مالك اذا سئل عن المغازي ؟ قال : عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة ، فإنها أصح المغازي . وإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ليقيد من شهد مع رسول الله ﷺ ، ولم يكثر، كما كثّر غيره (٤).

ويعلق الذهبي بقوله (٥) : هذا تعريض بابن إسحاق ، ولا ريب أن ابن إسحاق كثّر وطول بأنساب مستوفاة ، اختصارها أملح، وبأشعارغيرطائلة حذفها أرجح ، وبآثار لم تصحح ، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده ، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح ، ورواية ما فاته ، وأما "مغازي" موسى بن عقبة فهي : في مجلد ليس بالكبير ، وغالبها صحيح ، ومرسل جيد ، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة ، وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمى بكتاب "دلائل النبوة" .

وكان يحيى بن معين يقول : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب .

وقال الواقدي: كان لإبراهيم وموسى ومحمد بني عقبة حلقة في مسجد رسول اللهﷺ ، وكانوا كلهم فقهاء محدثين ، وكان موسى يفتي (٦).

- الوليد بن كثير المخزومي ، المدني (ت : ١٥١ هـ/ ٧٦٨م)

حدث عن محمد بن عمر الواقدي وجماعة ، وكان أخبارياً علامةً ثقة بصيراً بالمغازي(٧).

-محمد بن إسحاق المطلبي (ت:١٥٢ هـ/ ٧٦٩م)

هو أبو بكر القرشي المدني ، علامة حافظ إخباري ، صاحب "السيرة النبوية " ولد سنة ثمانين ، ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيد بن المسيب ..

قال العلماء: هو أول من دون العلم بالمدينة ، وذلك قبل مالك وذويه ، وكان في العلم بحراً عجاجاً . وعن الشافعي قال : من أراد أن يتبحر في المغازي ، فهو عيال على محمد بن إسحاق . وكان مالك رحمه الله يعاديه ، ويتهمه بالدجل (٨).

---

[١] - ابن سعد ،الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ١١٦/١و ابن خياط ، الطبقات ٢٦٧ ، و الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١٤/٦

[٢] - مصطفى ، د. شاكر ،التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٥٩ .

[٣] - يوجد مخطوط في برلين يحوي جزءا من مغازي ابن عقبة ، نشره سخاو ١٩٠٤ م . المرجع نفسه .

[٤] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١٥/٦.

[٥] - المصدر نفسه ٦ / ١١٥ .

[٦] - المصدر نفسه ١١٧/٦ .

[٧] - المصدر نفسه ٧ / ٦٣ .

[٨] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء .٣٦/٧ .

قال علي بن المديني : مدار حديث رسول الله ﷺ ستة ، فذكرهم ، ثم قال : فصار علم الستة عند اثني عشر، أحدهم محمد بن إسحاق ([1]).

قال الخطيب (٢): ذكر بعضهم أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة .

ويرد على هذا القول الذهبي بقوله (٣): كلا ما عابهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك ، وهو مثاب على ذلك - وأن أخطأ اجتهاده رحمة الله عليه - ولسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حادة فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة ، وقد علم أن كثيرا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به . ولكن صدق القاضي أبو يوسف إذ يقول : من تتبع غريب الحديث كذب . وهذا من أكبر ذنوب ابن إسحاق ، فإنه يكتب عن كل أحد ، ولا يتورع سامحه الله (٤).

ويعتبرابن إسحاق عمود المدرسة التاريخية المدنية ، وقد كتب أقدم سيرة نبوية محفوظة إلى الآن برمتها ، وقد تقصى أخبار هذا البلد من أهله . وله من الكتب " المبدأ " ويتناول مبدأ الخلق حتى ظهور الإسلام ، وجمع مادته من قصص وهب بن منبه، والإسرائيليات(٥)

وكتابه "المغازي" يعتبر مجده الحقيقي ، ويجمع فيه بين آيات القرآن الكريم والحديث النبوي والوثائق والأخبار التاريخية . والروايات التي بقيت للكتاب : رواية البكائي ،وهي التي اعتمدها ابن هشام ، وعمل على تنقيحها وتقريبها من وجهة نظر المحدثين ، واعتمدها أيضا اليعقوبي والطبري . ورواية يونس بن بكير الشيباني التي اعتمدها الحاكم النيسابوري في " المستدرك" وابن الأثير في "أسد الغابة"وابن حجر في "الإصابة" ([6]).

- أبو معشر السندي (ت : ١٧٠ هـ / ٧٨٦م)

هونجيح بن عبد الرحمن السندي ثم المدني ، ويقال أصله حميري ،إمام محدث ، صاحب المغازي .وقد اشترى نفسه بالمكاتبة وارتبط بالعباسيين وبالخليفة المهدي بخاصة ([7]).

- المخرمي (١٧٠ هـ /٧٨٦م)

هوعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن ، أبو محمد ، ابن صاحب النبي ﷺالمسور بن مخرمة الزهري ، المدني إمام محدث. حدث عن أبيه وعمة أبيه أم بكر بنت المسور ومحمد بن عمر الواقدي وعدة ، وكان فقيهاً مفتياً بصيراً بالمغازي . وثقه علماء الرجال . وقيل كان قصيراً جداً ، له فضل وشرف ومروءة - وله هفوة حيث نهض مع محمد بن عبد الله بن حسن وظنه المهدي ثم إنه ندم فيما بعد وقال : لا غرني أحد بعده ([8]).

---

[1] - المصدر نفسه ٣٦/٧ .

[2]- تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

[3]- الذهبي – مصدر سابق - ٣٧/٧ .

[4]- ابن سعد ، الطبقات ٣٢١/٧ و ابن خياط ، الطبقات (٢٧١) وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٣٩ والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢١٤/١ و الذهبي ، سير أعلام النبلاء٣٣/٧

[5] - ينظر ، ابن النديم ، الفهرست ص ١٣٦ . ومصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٦٠ - ١٦١ ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣ م

[6] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٦٢/١ .

[7] - ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، أبو الفرج (ت : ٣٨٥هـ/٩٩٥ م) الفهرست ، ط : دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨م ، ص ١٣٦ . وقد ترجمته مع مؤرخي بغداد ص١٦٠ .

[8]- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٢٨ .

- ابن زبالة (ت: أواخر القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي)

هومحمد بن الحسن بن زبالة ، كان من أوائل الذين كتبوا عن المدينة المنورة . روى عن أنس بن مالك وغيره . وأخذ عنه الزبير بن بكار وغيره ([1])

- الواقدي (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٢م) ([2])

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م ،رحل إلى بغداد ، وولي القضاء فيها ، وبها نال شهرته الواسعة ، وتوفي فيها بعد أن قضى الثلاثين سنة الأخيرة من عمره ([3]) .

خامساً : الأدب في المدينة المنورة :

١- الشعر :

في العصر العباسي الأول نجد قلة من الشعراء البارزين في المدينة ، ذلك أن الحواضر الجديدة اجتذبت الشعراء ، وكانت بغداد على رأس هذه الحواضر التي قصدها الشعراء ، فمن أهل المدينة الذين ينطبق عليهم هذا القول : إبراهيم بن علي بن هرمة .ومن شعراء المدينة :

- إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن (ت: ١٤٥هـ / ٧٦٣م)

هوأخومحمد الملقب بالنفس الزكية،من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، له في رثاء أخيه محمد قوله :

أبا المنازل ياغير الفوارس من ... يفجـــــع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلـــــــــم أني لو خشيتهم ... أو آنس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوك ولم أسلـــــم أخي لهم ... حتـــــى نعيش جميعا أو نموت معا([4])

- إبراهيم بن علي ، ابن هرمة (ت:١٥٠ هـ / ٧٦٧م)

هوأبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، ولد في قرية تدعى بالسيالة قرب المدينة. شاعر مقتدر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، رحل إلى دمشق فمدح الوليد بن يزيد الأموي، فأجازه، ثم رحل إلى المنصور العباسي فأكرمه وأعطاه عشرة آلاف درهم . وكان من أفذاذ الشعراء، وهو آخر من يحتج بكلامه على قواعد اللغة ، وله ديوان شعر . قال الأصمعي : ختم الشعر بابن هرمة ، ومن شعره :

كـأن عينيّ إذ ولّـت حمولـهم ... عنّي جناحا حمام صادفت مطرا
أو لؤلؤٌ سلـسٌ في عقد جاريةٍ ... خـرقاء نـازعها الـولـدان فانتثرا

روي أنه كان مولعاً بالشراب فجلده صاحب شرطة المدينة على ذلك.
أخباره قليلة في كتب التاريخ، و يستنتج أنه كان يقطن المدينة أوضواحيها، لا توجد تفصيلات عن مولده ونشأته(٥) .

- يعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي (ت : ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)

هو من ولد عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة ، كان شاعرا مجيدا ، وفي إحدى قصائده يقول :

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني إليك ، فإن الحب أقصاني

---

[1] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء٢/ص٢٠٢ .

[2] - ابن سعد ، الطبقات ٧ / ٣٣٧ ، وابن خياط ، الطبقات ٤٧٢ ، والبغدادي ، تاريخ بغداد ٣ /٣ – ٢١ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٥٤

[3] - وجدت من الأنسب ذكر ترجمته مع مؤرخي بغداد ص١٥٢ .

[4] - الشامي ، د . يحيى ، موسوعة شعراء العرب ، ط : دارالفكر العربي ، بيروت ١٩٩٩ م ١٥١/١ .

[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٦ /١٢٧ والذهبي ، السير ٦ / ٢٠٧ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٥٠٩، والزركلي ، الأعلام ٥٠/١ .

وله في الرثاء ، ومواضيع أخرى ([1]).

٢- الخطابة :

قلة هم الخطباء في المدينة ، الذين ذكروا في المصادر، ومن وجدته منهم :

- سلمة بن دينار (ت : ١٤٠ هـ / ٧٥٧م)

هو أبو حازم المديني المخزومي ، إمام واعظ ، شيخ المدينة . روي عنه قوله : إني لأعظ وما أرى موضعاً ، وما أريد إلا نفسي .

وروي أنه قال: اشتدت مؤنة الدين والدنيا . قيل : وكيف؟ قال : أما الدين فلا تجد عليه أعواناً ، وأما الدنيا فلا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه.

وذكر عنه قوله : ليس للملوك صديق ، ولا للحسود راحة ، والنظر في العواقب تلقيح العقول .

ونقل الذهبي (٢) من أقواله أيضاً:لا تكون عالماً حتى يكون فيك ثلاث خصال : لا تبغ على من فوقك ،ولا تحقر من دونك ، ولا تأخذ على علمك دنيا .

وكان يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة،قال فيه رجال الحديث : ثقة كثير الحديث .

وقيل : إن بعض الامراء أرسل الى أبي حازم ، فأتاه وعنده الزهري والأفريقي وغيرهما . فقال: تكلم يا أبا حازم . فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء(٣).

- محمد بن عبد الله بن الحسن (ت:١٤٥ هـ/ ٧٦٢)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية .أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له : صريح قريش، لأن أمه وجدّاته لم يكن فيهن أم ولد. وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية بالشام اتفق رجال من بني هاشم بالمدينة على بيعته سرّاً، وكان بينهم بعض بني العباس، منهم: أبو العباس (السفاح)، وأبو جعفر المنصور، ولما قامت دولة العباسيين تخلف هو وأخوه إبراهيم عن البيعة، ورأى أنه أحق من العباسيين بالخلافة. وتوارى ، وبدأ ينتقل بين المدينة والمناطق المجاورة، ويعد للثورة على العباسيين. واستطاع الخليفة العباسي السفاح أن يستميله إليه، فلما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة طلبه طلباً شديداً، ودس عليه العيون، وأيقن أنه سيثور عليه، فقبض على والده، وعدد من أقاربه، وعذبهم وسجنهم في الكوفة سبع سنوات حتى ماتوا. وعلم محمد (النفس الزكية) بموت أبيه فخرج من مخبئه ثائراً في مائتين وخمسين رجلاً فقبض على أمير المدينة رياح بن عثمان المري، وبايعه أهلها بالخلافة، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس، وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكها. كتب إليه المنصور يحذره عاقبة عمله، ويعده بالأمان وواسع العطاء فأجابه: (لك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك) وتتابعت بينهما الرسل دون جدوى ، وجهز المنصور ولي عهده عيسى بن موسى ، فسار إليه بأربعة آلاف فارس فقاتله محمد بثلاثمائة رجل على أبواب المدينة، وثبت لهم

---

[1]- ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٢٦٢ ، أحداث سنة ٢٠٠ هـ .

[2]- الذهبي ، السير ٦ /٩٧ .

[3]- ابن خياط ، طبقات ٢٦٤ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦ /٩٦ .

ثباتاً عجيباً، وقتل منهم بيده سبعين رجلاً، وكان يقاتل بسيف رسول الله ﷺ ذي الفقار .

ثم تفرق عنه أكثر أنصاره ، فقتله عيسى بن موسى وبعث برأسه إلى المنصور(١) .

ومن أشهرخطبه على منبر رسول الله ﷺ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، قال :

..وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين ، أبناء المهاجرين الأولين والأنصار والمواسين .. أيها الناس ، إني والله ماخرجت بين أظهركم ، وأنتم عندي أهل قوة ولاشدة ، ولكني اخترتكم لنفسي ، والله ماجئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وأُخذ لي فيه البيعة(٢)

٣ ـ القصص :

ممن اشتهر بالقصة في المدينة ..

- عطاء بن السائب (ت: ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م)

هوأبو السائب الثقفي ، روى عن : أبيه والحسن وغيرهم .

روى عنه : أبو حنيفة ، والسفيانان (٣) ، وشعبة وخلق ، رحل من المدينة إلى الكوفة ، وتوفي فيها كان يسمى : قاص أهل المدينة ، وهو الذي طلبت منه عائشة رضي الله عنها ، تحديد أوقات معلومة يقص فيها على الناس : قالت عائشة لابن أبي السائب : ثلاثاً لاتتابعني عليهن أو لأناجزنك ، قال : وماهن ؟ بل أتابعك ياأم المؤمنين ، قالت : اجتنب السجع بالدعاء ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك ، وقص على الناس في كل جمعة مرة ، فإن أبيت فثنتين ، فإن أبيت فثلاث ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديثهم فتقطع عليهم حديثهم ، ولكن اتركهم ، فإذا حدوك عليه ، وأمروك ، فحدثهم . وثقه الإمام أحمد وقال : رجل صالح من خيار عباد الله (٤) .

ولم أجد من اشتهر بالقصة في عصر البحث غيره ، وربما يرجع ذلك إلى اهتمام العلماء بعلم الحديث وتدوينه ، ونقد الرجال وتمحيص حديث رسول الله ﷺ وتفنيد الصحيح من السقيم ، وقد أفل نجم القصاص لأنه خرج جماعة منهم أساؤوا إلى هذا الفن ، وينسب إليهم تزوير حديث رسول الله ﷺ ، فكان علماء الحديث لهم بالمرصاد.

ثانيا : مكة المكرمة

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

شرفها الله سبحانه أن جعل فيها البيت الحرام تهفو إليه قلوب المؤمنين منذ أن أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج ، كما تشرفت بخاتمة الرسالات ، وخاتمة الرسل عليه الصلاة والسلام ، وتليت فيها أولى كلمات الله تعالى لتحدد معالم الطريق السوي للمسلمين ، وتضع **على** كاهل العرب مسؤولية نشر الدعوة المثلى للناس أجمعين ، ولأن رفض طغاة مكة هداية رب العالمين جحودا واستكبارا ، واضطُروا محمداً ﷺ إلى الهجرة إلا أن قلبه كان التعلق بها " الله يعلم أنك أحب بلاد الله إليّ ولولا أن الله أمرني بالهجرة ماتركتك " (٥)

١- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦ /٢١٠ .

٢- الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٥٥٨ .

٣ - سفيان الثوري (١٦١ هـ / ٧٧٨ م) أمير المؤمنين في الحديث ، من علماء الكوفة ،وسفيان بن عيينة (ت : ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) عالم مكة في زمانه ، وسترد ترجمتهما لاحقا .

٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٣٥/٦ وابن خياط ، الطبقات ص١٦٤ .

٥ - ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميري ، أبو محمد (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) السيرة النبوية ، ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٥م ١/ ٤٨٨ .

ولـم يطـل الغيـاب ، فقـد رجـع إليهـا فاتحـاً مظفـراً ، ومـن يومهـا بـدأت مكـة تسـاهم فـي نشـر الدعوة وجمع المسلمين على الحق .

تقع مكة على امتداد سفوح جبال السروات ، وتمثـل نقطـة التقـاء سـهول تهامـة بالجبـال التـي تحيط بمكة من جميع الجهات ، فمكة مجموعة من الأودية المتخللة لهذه الجبـال ، وهـي أيضـا منافذها وخاصة بالاتجاه نحو الساحل من الجهة الغربية ، ولموقعها في الماضي أهميـة كبـرى ، حيث كانت تقع في منتصف خطوط القوافل التجارية القديمة التي كانـت تـزاول نشـاطها بـين اليمن جنوباً وبلاد الشام شمالاً ([1]).

وإثر مبايعة أبي العباس السفاح خليفـة سـنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ولـى داود بـن علـي بـن عبـد الله بن العباس على مكة المدينـة و اليمن واليمامـة ، و دامـت ولايتـه حتـى مـات سـنة ١٣٦ هـ /٧٥٣م بعد أن قتل من ظفر به من بني أمية بمكة والمدينة .([2])

وخلفه زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي ، خـال السفاح مع الطـائف والمدينـة واليمامـة و دامـت ولايتـه إلـى سـنة سـت وثلاثـين و مائـة . ثـم العبـاس بـن عبـد الله بـن معبـد بـن العبـاس الهاشمي ([3]) وممن ولي مكة للسفاح عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بـن زيـد بـن الخطـاب العدوي . وولي مكة للخليفة المنصور : العباس بن عبد الله بن معبد ([4])

ثم زيـاد بـن عبيد الله بـن الحـارث مـع المدينـة والطـائف ودامـت ولايتـه إلـى سـنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م و هو الذي تولى للمنصور عمارة ما زاده في المسجد الحرام ([5]) .

ثم عزلـه المنصور وولى مكة للهيثم بن معاوية العتكي الخراساني مع الطـائف سـنة ١٤١هـ إلى ١٤٣هـ ([6]). ثم السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبـد المطلـب مـع الطـائف و دامت ولايته إلى سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢ م ([7]).

ثـم ولـي مكـة بالتغلـب محمـد بـن الحسـن بـن معاويـة بـن عبـد الله بـن جعفـر بـن أبـي طـالـب القرشي الهاشمي الجعفري ، وقد استعمله محمد النفس الزكيـة لمـا ثـار سـنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م بالمدينة ، وغلب عليها . ([8]) - وقد استعمل القاسم بن إسحق على اليمن – ولم يلبـث بهـا كثيـرا ، حيث قتل محمد النفس الزكية ، فعاد السري واليا على مكة حتى سنة ١٤٦هـ .

وولي مكة بعده عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس العباسي عم المنصور والسفاح وولي مع ذلك الطائف ، ودامت ولايته إلى سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦م .

ثم وليها محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد . ودامت ولايته إلى سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م ([9]).

وفـي خلافة المهدي وليها إبراهيم بن يحيـى بـن علـي مـع الطـائف بوصـية المنصـور([10]) ، ثـم جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس العباسي مع الطائف ، ثم ضمت لـه المدينـة و اليمامة([11]). ثم وليها عبد الله بن قثم بن العباس من سنة ست وستين حتى تسع وستين ، ووليهـا

---

[1] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٨ /٣٣٨ .

[2] - ابن خياط ، التاريخ ٤١٠ وابن الأثير ،الكامل في التاريخ ٤٤٥/٥ والفاسي المكي ، محمد بن أحمد (ت : ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م))، شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام ٢ /٢٧٧ تحقيق : د. عبد السلام تدمري ط : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٥ م .

[3] - ابن الأثير ، الكامل ٥ / ٤٦٣ ، ودحلان ، أحمد بن زيني (١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ط: مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م ، ص ٦ .

[4] - ابن الأثير ، الكامل ٤٨٣/٥ .

[5] - المصدر نفسه٥ / ٤٨٣ -٥٠٧ و الفاسي المكي ، شفاء الغرام ٢ /٢٧٨ .

[6] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (آخر أحداث سنة ١٤١ هـ) ٥ / ٤٦٥ .

[7] - دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٨ .

[8] - الفاسي المكي ، شفاء الغرام ٢ / ٢٧٩ ودحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص٦ .

[9] - دحلان ،خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص٧ .

[10] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٦/٦ .

[11] - نفس المصدر ٦١/٦ والفاسي المكي ، شفاء الغرام ٢ /٢٨١ .

أيضاً في خلافة المهدي محمد بن إبراهيم العباس . وأيضا قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي [1] ، ثم عبيد الله بن قثم و ضمت له الطائف [2] .
ثم وليها بالتغلب : الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن الحسني لأنه ثار بالمدينة و فتك بمن فيها من العباسيين ، و نهبوا بيت المال بالمدينة ، و بويع على كتاب الله و سنة نبيه ، و خرج هو و أصحابه إلى مكة في ذي القعدة سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥ م . والتقاه محمد بن سليمان بن علي العباسي بأمر الخليفة الهادي و قتله مع مائة من أصحابه بفخ ([3])

وممن ولي مكة بعد ذلك محمد بن عبد الرحمن السفياني و كان ذلك في خلافة الرشيد ، ثم وليهاعدة ([4]) . كان آخرهم عبيد الله بن قثم الذي استمر في ولايته سبع سنوات ، ثم الفضل بن العباس إلى سنة إحدى و تسعين ، ثم أبدله الخليفة الرشيد بحماد البربري واعطاه ولاية مكة مع اليمن .ثم وليها في خلافة الأمين داود بن عيسى و كان عليها سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨م([5]) . وضم له الخليفة الأمين المدينة أيضاً .ثم إنه تولى خلع الأمين بمكة سنة ١٩٦هـ / ٨١١م ([6])

ووليها في خلافة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد العباسي ، حيث إن واليها داود بن عيسى خرج منها خائفاً من الحسين بن الحسن بن علي ، الملقب بالأفطس - وقد بعثه والياً عليها أبو السرايا الذي ثار بالكوفة و ضرب بها الدراهم - مع قدرة داود على الدفع و القتال فوليها بالتغلب الحسين الأفطس ([7]) وقام بنزع كسوة الكعبة و كساها كسوة أبي السرايا من قزرقيق إحداهما صفراء و أخرى بيضاء ، و أخذ ما في خزانة الكعبة و قسمه مع كسوتها على أصحابه ، و هرب الناس من مكة ، لأن أصحاب الحسين كانوا يستحلون أموال الناس بحجة أنها ودائع لبني العباس ، و دامت ولاية الحسين على مكة إلى أن بلغه قتل أبي السرايا في سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م ([8]) .

ثم ولي مكة بعد الأفطس محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباجة - لجمال وجهه - و قد أكره على مبايعته بالخلافة من قبل الأفطس ، ولا زال بها إلى أن أخرجه العباسيون بجند أرسله المأمون ، ثم طلب الأمان ، و دخل مكة و اعتذر لأهل مكة . و لحق بالمأمون فعفا عنه . و مات بجرجان . وقد ترجم له الذهبي فقال[9] : محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين العلوي الحسيني المدني ، أبو جعفر، سيد بني هاشم في زمانه يلقب بالديباج وهو أخو موسى الكاظم لم يكن في الفضل والجلالة بدون أخيه ، وكان سيداً مهيباً عاقلاً فارساً شجاعاً يصلح للإمامة ، وله عدة أخوة . و لما ماجت الدولة العباسية بالكائنة الكبرى بقتل الأمين وحصار بغداد عشرين شهرا ثم بخلع العباسيين في بغداد للمأمون ، دعا محمد هذا إلى نفسه وخرج بمكة فبايعوه سنة مائتين ، وقد شاخ فاتفق أن أبا اسحاق المعتصم حج حينئذ – بأمر أخيه الخليفة المأمون - وندب عسكراً لقتال هذا ، فأخذوه ، فلم يؤذه أبو إسحاق ، وصحبه إلى بغداد فلم يطول بها وتوفي ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، واتفق موته بجرجان في شهر شعبان فصلى عليه المأمون ونزل بنفسه في لحده ، وقال : هذه رحم قطعت من سنين .

[1] - ابن الأثير ، الكامل (٢١٤/٦) .
[2] - الطبري ، تاريخه ٢٠٤/٨ (أحداث سنة ١٦٩ هـ).
[3] - الطبري ، تاريخه ١٩٢/٨ – ٢٠٣ .
[4] - ذكرهم ابن الأثير في الكامل ٢١٤/٦ .
[5] - الكامل في التاريخ ٢٢٦/٦ ودحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٨ .
[6] - الفاسي المكي ، شفاء الغرام ٢/ ٢٨٥ .
[7] - ابن الأثير ، الكامل ٣٠٧/٦ ودحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٨ .
[8] - ابن الأثير ، الكامل ٣٠٦/٦ – ٣١١ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٢٥٦ .
[9] - ينظر سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٥ .

ثم في عهد المأمون تولى مكة له عيسى بن يزيد الجلودي ثم عزل بهارون بن المسيب ([1]) الذي تولى المدينة و مكة (الحرمين) ،ثم وليها حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان([2]) ،ثم وليها إبراهيم بن موسى بن جعفر ([3])
ثم تناوب على ولايتها عدد كبير من الولاة إلى عهد الخليفة المعتصم حيث وليها صالح بن العباس و كان على مكة سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م ([4])
ثم وليها محمد بن داود بن عيسى الملقب ترنجة في سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧ م ([5]) و دامت ولايته إلى خلافة المتوكل .

ب) دور العلم في مكة المكرمة :

لاينافس المسجد الحرام في دوره لتلقي العلم مكان آخر ، فقد ذكر علماء السير أنه كانت حلقة في المسجد الحرام تعقد لعبد الله بن عباس ، ولما توفي كانت هذه الحلقة لعطاء بن رباح ثم كانت لعبد الملك بن جريج (ت:١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) ([6]) يضاف إلى ذلك أن مكة كانت موئل المسلمين جميعاً لأداء فريضة الحج ، وطلبة العلم منهم يتحينونها فرصة للأخذ عن علمائها المشهورين ، وذُكر أنه كان كثير من طلبة الحديث يتكلفون الحج ، وما المحرك لهم سوى لقيا سفيان بن عيينة (ت : ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) لإمامته وعلو إسناده وجاور عنده غير واحد من الحفاظ ، وكانت له حلقة كبيرة في المسجد الحرام ([7])

د) العلوم التي اشتهرت في مكة المكرمة في العصر العباسي الأول :

أولاً - علوم القرآن الكريم

أ - القراءات :

في بداية القرن الهجري الثاني ، انتهى علـــم القراءات والإقراء في مكة المكرمة إلى عبد الله بن كثير (ت : ١٢٠ هـ / ٧٣٨م) أبو معبد الداري نسبة إلى بني عبد الدار ، أو لأنه كان عطاراً - والعرب تسمى العطار دارياً نسبة إلى دارين- موضع بالبحرين يُجلب منه الطيب - وصف بأنه كان طويلاً جسيماً أسمر اللون ، أبيض الرأس واللحية ، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً ، عليه السكينة والوقار ، وهو أحد القراء السبعة وتابعي جليل. لقى عددا من الصحابة بمكة ، وروى عنهم. وتلقى القراءة عن عبد الله بن السائب المخزومي ، و مجاهد بن جبر المكي ، ودرباس مولى عبدالله بن عباس . وقرأ ابن السائب على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وقرأ مجاهد على عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس، وقرأ درباس على عبد الله بن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وقرأ أُبَيّ وزيد وعمر على رسول اللهﷺ . وكان قاضي الجماعة بمكة ، وأعلم الناس بالعربية ، وإمام الناس في القراءة بها ، لم ينازعه فيها منازع . وروى عنه القراءة : إسماعيل بن عبد الله القِسط ، وإسماعيل بن مسلم ، وحماد بن سلمة ، والخليل بن أحمد ، وسليمان بن المغيرة ، وشبل بن عباد ، وعبد الملك بن جريج ، وابن أبي مليكة ، وسفيان بن عيينة ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، ونقل الإمام الشافعي قراءة ابن كثير وأثنى عليها، وقال : قراءتنا قراءة عبد الله بن كثير، وعليها وجدت أهل مكة (٨).

---

[1] - الطبري ، تاريخه ٥٣٥/٨ و ٥٣٩ والفاسي المكي ، شفاء الغرام ٢٨٨/٢ .
[2] - الأزرقي ، أخبار مكة ٢٢٦/١ .
[3] - الطبري ، تاريخه ٥٦٧/٨ و ابن الأثير ، الكامل ٣٥٠/٦ .
[4] - ودحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٩ .
[5] - ابن الأثير ٥٢١/٦ ودحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص٩ .
[6] - ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ / ٣١٩ .
[7] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٥٦ .
[8] - ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ١٩٧/١ .

والذين سنترجم لهم من قراء مكة ، هم تلامذته ، وكانوا صلة الوصل بين شيخهم ابن كثير ورواته المعتمدين ، وهما راويان :

١- البَزي (ت : ٢٥٠ هـ / ٨٦٣ م)

هوأحمد بن محمد بن عبد الله ابن أبي بزة . أكبر من روى قراءة ابن كثير ، رواها عن عكرمة بن سليمان عن إسماعيل بن عبد الله القسط . ولم ينفرد البزى برواية قراءة ابن كثير بل رواها معه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب ، لكنه كان أشهر الرواة وأميزهم وأعدلهم ([١]).

٢- قنبل (ت : ٢٩١هـ / ٩٠٣ م)

هومحمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي المكي ، أخذ القراءة عرضاً عن أحمد البزي . وروى القراءة عنه عرضاً أناس كثيرون ([٢]) .

- وأشهر القراء في مكة في العصر العباسي الأول :

- القسط (ت : ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)

هوإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، أبو إسحاق المخزومي ، المعروف بـ القُسط ، مقرئ أهل مكة ، وهو آخر أصحاب ابن كثير وفاة . عرض قراءته على ابن كثير وعلى صاحبيه شبل بن عباد ومعروف بن مشكان ، وأقرأ الناس دهراً ، وكان الناس يجيئون بمصاحفهم فيصلحون بقراءته ([٣]).

- الزنجي (ت : ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)

هو مسلم بن خالد المخزومي ، أبو خالد ، فقيه مكة ، ومن قرائها ، ، ولد سنة مائة أو قبلها بيسير . حدث عن : الزهري وزيد بن أسلم وعبد الله بن كثير الداري ، نقل عنه الحروف ، روى عنه هذه القراءة الإمام الشافعي ، ولازمه وتفقه به ، حتى أذن له في الفتيا ، وحدث عنه هو والحميدي ومسدد وإبراهيم بن موسى الفراء وجماعة . وتفقه بابن جريج وأثنى عليه العلماء وأنه لابأس به ، حسن الحديث . ولقب بالزنجي بالضد فإنه كان أشقراً(٤).

- عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر (ت : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)

هوأبو القاسم المكي ، عرض على شبل وإسماعيل القسط . عرض عليه : أحمد بن محمد البزي .كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه ، وقد تفرد عنه البزي بحديث التكبير من الضحى ([٥]) .

- عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن (ت : ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)

هو أبو عبد الرحمن ، الأهوازي الأصل ، البصري ، ثم المكي، حافظ مقرئ محدث ، شيخ الحرم . مولده في حدود سنة عشرين ومائة . حدث عن : حيوة بن شريح ، وشعبة بن الحجاج ، والليث ، ومالك ، وخلق . حدث عنه : البخاري – وهو من كبراء مشيخته - وأحمد بن حنبل ، وعدد كثير. أخذ الحروف عن نافع بن أبي نعيم و تلاعليه ، وله اختيار في القراءة ، رواه عنه ولده محمد بن أبي عبد الرحمن . تلقن عليه عدد كثير .

يقول ولده محمد : كان ابن المبارك إذا سئل عن أبي ، قال : كان ذهباً خالصاً (١).

---

[١] - المصدر نفسه ٥٢/١ .

[٢] - المصدر نفسه ١ / ٣٠٥ .

[٣] - الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط : دار الكتب الحديثة .القاهرة ١٩٦٩ م ، ١ / ١١٧ ، وابن الجزري ،شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ت : ٨٣٣هـ ، غاية النهاية عني بنشره : ج . برجستراسر ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ١ / ١٦٥ والصفدي ،الوافي بالوفيات ٩ /١٤٦ .

[٤] - ابن سعد ، الطبقات ٥ / ٤٩٩ ، والذهبي ، السير ٨ / ١٧٦ .

[٥] - الذهبي ، معرفة القراء الكبار ١ /١٢١ وابن الجزري ، غاية النهاية ١ /٥١٥ .

من آثاره : " أحاديث " في خمسة عشر صفحة ([٢])
وقد طال عمره ، وسُمع يقول قبل موته : أنا ما بين التسعين إلى المائة ، وأقرأت القرآن بالبصرة ستاً وثلاثين سنة ، وهاهنا بمكة خمساًوثلاثين سنة ([٣]).

- أحمد بن محمد بن علقمة (ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
هوأبو الحسن النبال ، المكي المعروف بـ القواس .إمام أهل مكة في القراءة ، قرأ على ابن واضح ، قرأ عليه قنبل وغيره كثير.وقراء آخرون (٤).
ب – التفسير :
لم أجد من علماء مكة من اهتم بتفسير القرآن الكريم ، سوى :
- شبل المكي (ت : ١٤٨ هـ /٧٦٥ م)
هو شبل بن عباد ، روى عن قيس بن سعد وابن أبي نجيح ، روى عنه : ابن عيينة وابن المبارك وأبو أسامة وروح بن عبادة . له " تفسير " اقتبس منه الطبري (٥) .
- أبو جعفر المقرئ (عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) كان تلميذا لعبد الملك بن جريج ، ألف كتاب " غريب القرآن " مخطوط ([٦]) .
- سعيد بن منصور (ت : ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م)
محدث حافظ ، وله في التفسير ، كتاب " التفسير" أفاد منه الثعلبي في كتابه " الكشف والبيان " ([٧])
ثانياً - علم الحديث :
إن الباحث في علم الحديث في مكة في فترة البحث ، يجد أن علماءها ينهجون نهج علماء الحديث في المدينة المنورة ، فهم جميعاً ينتمون إلى مدرسة واحدة – سبق ذكر سماتها – وقد خرج في مكة كثير من علماء الحديث ، تختلف مراتبهم ، ولكنهم شكلوا نواة كتب الصحاح التي اعتمدها المسلمون شرقاً وغرباً ، ذلك بما جمعوه من أحاديث رويت عنهم ، تتسم بالضبط والإتقان ، وهنا نجد عالمين ، سبقوا غيرهم في التصنيف في علم الحديث ، وهما الحميدي صاحب المسند ، وسعيد بن منصور مصنف كتاب السنن . ومن أشهر علماء الحديث في مكة المكرمة في العصر العباسي الأول :
- عبد العزيز بن أبي رواد (ت : ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م)
هوشيخ الحرم ، واسم أبيه ميمون الأزدي المكي أحد الأئمة العباد. أحاديثه في كتب السنن الأربعة . حدث عن : سالم بن عبد الله والضحاك بن مزاحم وعكرمة ونافع العمري وجماعة وليس هو بالكثير للحديث . حدث عنه : ولده فقيه مكة عبد المجيد بن أبي رواد وعبد الرزاق وابن المبارك وآخرون . كان من أعبد الناس ، مكث أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء فبينا هو يطوف حول الكعبة إذ طعنه المنصور بأصبعه فالتفت فقال : قد علمت أنها طعنة جبار. وقد ذهب بصر عبد العزيز عشرين سنة ولم يعلم به أهله ولا ولده .

[١] - الذهبي ، السير ١٠ / ١٦٧ .
[٢] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي م١ ج١ ص١٨٥.
[٣] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٦٧ ، وابن الجزري ،غاية النهاية ١ / ٤٦٣ .
[٤] - الذهبي ، معرفة القراء ١ /١٤٩ وابن الجزري ، غاية النهاية ١ /١٢٣ .
[٥] - الذهبي ، معرفة القراء الكبار ١ / ١٠٧ وسزكين ، د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ،مجلد ١ الجزء ١/ ص ٨٥ .
[٦] - سزكين ، د. فؤاد / تاريخ التراث العربي ، مجلد ١الجزء١ /ص٨٥ .
[٧] - المرجع نفسه المجلد ١ الجزء ١ / ص١٩٥ .

وما رؤي أحد قط أصبر على طول القيام من عبد العزيز بن أبي رواد. وذكر أنه كان في شبابه أفقه منه في شيخوخته (١).

- إبراهيم بن نافع (ت : ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)

هوأبو إسحاق المخزومي ، المكي المحدث الحافظ ، أحاديثه عند الجماعة .

حدث عن : عطاء بن أبي رباح وابن طاووس . روى عنه : عبد الرحمن بن مهدي وزيد بن الحباب . وكان حافظاً ، وهو أوثق شيخ بمكة في عصره (٢) .

- نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي المكي (ت : ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م)

هوالحافظ الثبت. أحاديثه عند الجماعة . حدث عن : ابن أبي مليكه وأمية بن صفوان الجمحي وبشر بن عاصم الثقفي . روى عنه : ابن المبارك ويحيى القطان وخلق سواهم ، تكاثر عليه رواة الحديث لإتقانه وعلو سنده . وكان من أثبت الناس ، ثقة ثبتاً صحيح الحديث (٣) .

- زياد بن سعد (ت : ؟)

هوأبو عبد الرحمن الخراساني ، حافظ حجة ، ، المجاور بمكة . أحاديثه عند الجماعة .

كان شريكاً لابن جريج ، ثم نزل قرية عك من بلاد اليمن ، وحدث عن : عمرو بن دينار وابن شهاب وعمرو بن مسلم الجندي وغيرهم . روى عنه : رفاقه ابن جريج ومالك وسفيان بن عيينة وأبو معاوية الضرير وآخرون . وثقه عدد من العلماء ، وكان عالماً بحديث الزهري . لم تحدد المصادر سنة وفاته (٤).وروايته عن ابن جريج(ت:١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) – فقيه مكة - تحدد حياته في هذه الفترة .

- محمد بن مسلم (ت : ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)

هوأبو عبد الله الطائفي المكي ، أحاديثه عند مسلم وأصحاب السنن الأربعة . حدث عن : عمرو بن دينار وابن طاووس وجماعة . وعنه : أسد السنة والقعنبي وخلق .قال علماء الرجال : كتبه صحاح (٥).

- الفضيل بن عياض (ت : ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م)

هوأبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله ، الإمام القدوة ، ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد ، وارتحل في طلب العلم عن الكوفيين والحجازيين .أحاديثه عند البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي .

حدث عنه : ابن المبارك وابن عيينة والأصمعي والشافعي والحميدي وخلق كثير.

وكان صحيح الحديث ، صدوق اللسان ، شديد الهيبة للحديث إذا حدث ، وكان يثقل عليه الحديث جداً .

وذكر أنه كان فاسداً ، يؤذي الناس ليس له أدنى عناية بالعلم ثم تاب وأناب ، وعن قصة توبته تذكر مصادر ترجمته : أنه كان شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ﴾ (٦) فلما سمعها ، قال : بلى يا رب قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم : نرحل . وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلاً على

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٥ / ٤٩٣ ، وابن خياط ، الطبقات ٢٨٣ ، والذهبي ، السير ٧ /١٨٤ .

[٢] - ابن خياط ، الطبقات ٢٨٤ ، والذهبي ، السير ٧ / ٢٢ ، والصفدي ، الوافي بالوفيات ٢ / ١٤٠ .

[٣] - ابن سعد ، الطبقات ٥ /٤٩٤ ، وابن خياط ، الطبقات ٢٨٣ ، والفاسي ، تقي الدين المكي (ت : ٨٣٢هـ / ١٤٢٩ م) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد القادر عطا ٧ أجزاء ، " : ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨ م ، ٧ /٣٢٦ والذهبي ، السير ٧ / ٤٣٣ .

[٤] -الذهبي ، السير ٧ / ٢٨٥ . .

[٥] - ابن خياط ، الطبقات ٢٧٥ ، والذهبي ، السير ٨ /٢٨٥ .

[٦] - سورة الحديد ، الآية ١٦ .

الطريق يقطع علينا .قال : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي ، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني ، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع .اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام .

سكن مكة إلى أن مات بها في سنة ست وثمانين ومائة - في خلافة هارون الرشيد - وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث .

ويوصف بأنه صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه ، فهو ممن نفعه علمه . ويعد من الأبدال ([1]) . وكان شديد الخشية ، إذا ذكرَ الله أو ذُكرعنده ، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن ، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره ، وكان دائم الحزن شديد الفكرة ، أراد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ومنعه وبذله وبغضه وحبه وخصاله كلها،وإذا خرج في جنازة ، لا يزال يعظ ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر ؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها .

ومن أقواله وحكمه :

- لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال .

- ولما دخل على هارون الرشيد أمير المؤمنين ، قال : يا حسن الوجه لقد كلفت أمراً عظيماً ، أما إني ما رأيت أحداً أحسن وجهاً منك ، فإن قدرت أن لاتسوّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل .قال : عظني . قال : بماذا أعظك ، هذا كتاب الله بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه ، وماذا عمل بمن عصاه ، إني رأيت الناس يغوصون في النار غوصاً شديداً ، ويطلبونها طلباً حثيثاً ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها .قال الرشيد : عد إليّ . فقال : لو لم تبعث إليّ لم آتك ، وإن انتفعت بما سمعت عدتُ إليك .

- وسُمع يقول في مرضه : ارحمني بحبي إياك فليس شيء أحب إلي منك . ويقول وهو يشتكي : مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ([2]).

وكان العلماء يعظمونه ويقدرونه ، رأى أحدهم سفيان بن عيينة يقبل يد الفضيل مرتين ([3]).

وللفضيل رحمه الله مواعظ وقدم في التقوى راسخ ، وله ترجمة في كتاب "الحلية " ([4]) وفي تاريخ أبي القاسم ابن عساكر([5]) وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير ويمتنع من جوائز الملوك .

قال بعضهم : كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض ، فقلنا له : كم سنك ؟ فقال :

بلغـــت الثمانين أو جزتـــها فماذا أؤمل أو أنتـــــظر
علتني السنون فأبلينـــــــــي فدقّ العظام وكلّ البـــــصر([6])

---

[1] - الأبدال : قوم من الصالحين بهم يقيم الله الأرض ، أربعون في الشام ، وثلاثون في سائر البلاد ، لايموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر، فلذلك سموا أبدالاً . ابن منظور ، محمد بن مكرم ، أبو الفضل الأنصاري الريفعي (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) لسان العرب ، ط: دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ ، مادة (بدل) .

[2] - أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ /١٠٣٨ م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ ج) ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ هـ /١٩٨٨ م ٨ / ٨٤ والذهبي ، السير ٨ / ٤٢١. ومصادر ترجمته أكثر من أن تحصى ..

[3] - الذهبي ، السير ٨ / ٤٣٨ .

[4] - أبو نعيم الأصفهاني ، الحلية ٨ /٨٥ .

[5] - ابن عساكر الدمشقي ، تاريخ دمشق ، ط : دار الفكر – دمشق ١٩٩٢ م ١٤ / ١٢٩

[6] - الذهبي ، السير ٨ / ٤٤٠ .

- الطائفي (ت : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)
هو يحيى بن سليم القرشي ، أبو زكريا الطائفي ، نزيل مكة ، محدث مسن ، أحاديثه عند الجماعة .حدث عن : ابن جريج وموسى بن عقبة وجماعة .وعنه : الشافعي وأحمد وآخرون . كان ثقة كثير الحديث . فاضلاً يعد من الأبدال ، وكان إذا ركب حماراً أو دابة لا يقول له أغد ، إنما يقول : لا إله إلا الله (١) .
- القداح (ت : ١٩٦ هـ / ٨١١ م)
هو سعيد بن سالم المكي ، أبو عثمان القداح ، إمام محدث ، أحاديثه عند أبي داود والنسائي . حدث عن : ابن جريج وسفيان الثوري وطائفة . روى عنه : سفيان بن عيينة وبقية بن الوليد وهما اكبر منه والإمام الشافعي وآخرون . أثنى عليه العلماء وذكروا : أن ليس به بأس (٢) .
- سفيان بن عيينة (ت : ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)
هو أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ، إمام كبير ، حافظ العصر ، أحاديثه عند الجماعة . مولده بالكوفة في سنة سبع ومائة ، وطلب الحديث وهو حدث ، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً ، وجمع وصنف ، وعمر دهراً ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علو الإسناد ، ورُحل إليه من البلاد . سمع من : ابن شهاب الزهري وعاصم بن أبي النجود وأبي إسحاق السبيعي وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم وسفيان وشعبة وزياد بن سعد وزائدة بن قدامة وخلق كثير وتفرد بالرواية عن خلق من الكبار .
حدث عنه : الأعمش وابن جريج وشعبة وهؤلاء من شيوخه ، والشافعي وعبد الرزاق والحميدي وسعيد بن منصور ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأمم سواهم خاتمهم في الدنيا شيخ مكي يقال له : أبو نصر اليسع بن زيد الزينبي عاش إلى سنة اثنتين وثمانين ومائتين .
وعن سبب سكناه مكة يقول : كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه دين فحملنا إلى مكة .
ولقد كان كثيرمن طلبة الحديث يتكلفون الحج ، وما المحرك لهم سوى لقيا سفيان بن عيينة لإمامته وعلو إسناده وجاور عنده غير واحد من الحفاظ ، ومن كبار أصحابه المكثرين عنه الحميدي والشافعي وابن المديني وأحمد وإبراهيم الرمادي .
ذكرعن الإمام الشافعي قوله : لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز. وقوله أيضاً : وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث ، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثا (٣).
يعلق الذهبي على قول الشافعي قائلا (٤) : فهذا يوضح سعة دائرة سفيان في العلم ، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين وارتحل ولقي خلقاً كثيراً مالقيهم مالك وهما نظيران في الإتقان ولكن مالكاً أجل وأعلى.
يذكرالخطيب بسنده إلى النضر الهلالي ، قوله (٥) : كنت في مجلس سفيان بن عيينة ، فنظر إلى صبي فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره فقال سفيان : (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) (٦) ثم قال : يا نضر، لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار،

---

١ - ابن سعد ، الطبقات ٥ / ٥٠٠ ، الذهبي ، السير ٩ / ٣٠٧ .
٢ - الفاسي ، العقد الثمين ٤ / ٥٦٤ ، والذهبي ، السير ٩ / ٣١٩ .
٣ - ابن سعد ، الطبقات ٥ / ٤٩٧ وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٧ /٢٧٠ ، والخطيب ، تاريخ بغداد ٩ /١٧٤ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢ /٣٩١ ، والفاسي ، العقد الثمين ٤ / ٥٩١ ، و الذهبي ، السير ٨ /٤٥٤ .
٤ - الذهبي ، السير ٨ / ٤٥٧ .
٥ - الخطيب ، تاريخ بغداد ٩ / ١٧٦ ، والذهبي ، السير ٨ /٢٥٩ .
٦ - سورة النساء ، الآية ٩٤ .

ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، وأختلف إلى علماء الأمصار كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلمي كاللوزة ، فإذا أتيت ، قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير. ثم ضحك .

ومن كلام ابن عيينة قوله : الزهد هو : الصبر وارتقاب الموت . وقوله : العلم إذا لم ينفعك ضرك . عاش إحدى وتسعين سنة . قال الخطيم([1]) في ابن عيينة :

سيري نجاءً وقاك الله من عطب	حتى تلاقي بعد البيت سفيانا
شيخ الأنام ومن حلّت مناقبه	لاقى الرجال وحاز العلم ازمانا
حوى بياناً وفهماً عالياً عجباً	اذا ينص حديثاً نص برهانا
ترى الكهول جميعاً عند مشهده	مستنصتين وشيخاناً وشبانا
يضم عمراً إلى الزهري يسنده	وبعد عمرو إلى الزهري صفوانا
وعبدة وعبيد الله ضمهما	وابن السبيعي أيضاً وابن جدعانا
فعنهم عن رسول الله يوسعنا	علماً وحكماً وتأويلاً وتبيانا([2])

- مؤمل بن إسماعيل (ت : ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م)

هوأبو عبد الرحمن العدوي ، جاور بمكة ، أحاديثه عند الترمذي والنسائي وابن ماجة .

وحدث عن : شعبة والثوري وحماد بن سلمة وطبقتهم . حدث عنه : احمد وآخرون ، وثقه يحيى بن معين . وصف بأنه صدوق ، شديد في السنة ، كثير الخطأ (٣).

- الحميدي (ت : ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)

هو عبد الله بن الزبير بن عيسى ، حافظ فقيه ، شيخ الحرم ، أبو بكر القرشي ، الأسدي ، الحميدي ، المكي صاحب "المسند" ([4]) . حدث عن : إبراهيم بن سعد وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة فأكثرعنه .حدث عنه : البخاري ويعقوب الفسوي وأبو زرعة الرازي وخلق سواهم .وعده أحمد بن حنبل إماماً فقال : الحميدي عندنا إمام . واعتبر أثبت الناس في سفيان بن عيينة ، ورئيس أصحابه دون منازع مع توثيقه وإمامته .

يقول عن نفسه : جالست سفيان بن عيينة تسع عشرة سنة أو نحوها . وأحمد بن حنبل بالعراق ، وإسحاق بخراسان لا يغلبنا أحد ([5]).

رحل إلى مصر وتتلمذ على الشافعي ، ولما توفي الشافعي أراد الحميدي أن يتصدر موضعه فتنافس هو وابن عبد الحكم على ذلك ، وغلبه ابن عبد الحكم على مجلس الإمام ، ثم إنه رجع إلى مكة وأقام بها ينشر العلم رحمه الله . ([6])

من آثاره : نقل عنه البخاري في ٣٣ موضعاً ، و" المسند " وكتاب " النوادر " ([7])

- سعيد بن منصور (ت : ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م)

هو أبو عثمان الخراساني المروزي ، ثم المكي المجاور شيخ الحرم مؤلف كتاب "السنن " ([8]) سمع بخراسان والحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة وغير ذلك من مالك بن أنس والليث بن سعد وفليح بن سليمان وأبي معشر السندي وخلق سواهم ، وكان

---

[1] - لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .
[2] - الذهبي ، السير ٨ /٤٧٤ .
[3] - المصدر نفسه ١٠ / ١١٠ .
[4] - طبع في جزأين بتحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ، وهو من منشورات المجلس العلمي بالهند ، وثمة طبعات أخرى للكتاب .
[5] - ابن سعد ، الطبقات ٥ / ٥٠٢ والفاسي ، العقد الثمين ٥ / ١٦٠ والذهبي ، السير ١٠ / ٦١٦ .
[6] - الذهبي ، السير ١٠ /٦١٩ وينظر السبكي ، تاج الدين بن علي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود على الطناحي ، ط: هجر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٣ هـ ٢ /١٤١ .
[7] - سزكين ، تاريخ التراث العربي م١ ج ١ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .
[8] - مطبوع ومتداول .

ثقة صادقاً من أوعية العلم . روى عنه : أحمد بن حنبل وأبو محمد الدارمي وأبو داود ومسلم وخلق سواهم . ذكرلأحمد بن حنبل فأحسن الثناء عليه . وكان شديد الحفظ ، أملى على طلابه نحواً من عشرة آلاف حديث من حفظه . ([1])
ومن آثاره : " السنن " و " أحاديث العوالي " و" جزء تسمية ما انتهى إلينا من الرواة "([2])

- إبراهيم بن محمد الشافعي (ت : ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م)

هو أبو إسحاق القرشي المطلبي المكي ، ابن عم الإمام الشافعي ،إمام محدث .
حدث عن : الحارث بن عمير وحماد بن زيد وجده لإمه محمد بن علي بن شافع وسفيان بن عيينة وجماعة . روى عنه : ابن ماجة وأحمد بن سيار ومسلم في غير صحيحه .
وثقه غير واحد من أصحاب الشأن ([3]).

- الحلواني (ت : ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م)

هو الحسن بن علي بن محمد الهذلي الريحاني الخلال ، إمام حافظ ، أبو محمد ، المجاور بمكة . حدث عن : أبي معاوية الضرير ووكيع بن الجراح وعبد ا لرزاق وخلق كثير. حدث عنه : الجماعة سوى النسائي وآخرون . وصفه علماء الرجال أنه كان ثقة ثبتاً متقناً . وكان يقال في زمانه : بقي اليوم في الدنيا ثلاثة محمد بن يحيى الذهلي بخراسان ، وأحمد بن الفرات بأصبهان ، والحسن بن علي الحلواني بمكة ([4]) .

ثالثاً- علم الفقه في مكة :

شهدت مكة في عصر البحث تدوين الفقه على يد أجل علمائها ، وهو ابن جريج ، الذي كان أول من دون العلم في مكة بشهادة أحمد بن حنبل ، حيث سأله ولده عبد الله : من أول من صنف الكتب ؟ قال : ابن جريج وابن أبي عروبة ([5]) ، تبعه عدد من تلاميذه حفظوا علمه ونشروه ، وكانت مكة المكرمة موئل الكبار من العلماء ، يأتون من كل صقع بقصد الحج والأخذ عن علمائها المقيمين فيها أو المجاورين لفترة محدودة من الزمن ، كما أنه كانت لابن جريج اجتهادات لم أجد من يناقشه فيها العلماء، إنما يقفون عند قولهم : إنما هو اجتهاد منه . وهذا يدل على أن ابن جريج فقيه مجتهد كما هو حال أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى ، ولكن لم يكتب لمذهبه وعلمه الانتشار. ومن خلال الاطلاع على فقه أهل مكة وجدت أن فقههم يتسم بسمات مدرسة الفقه في المدينة ، حيث الاعتماد على الاستنباط من القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ وممارسة الاجتهاد والقياس، وهذه ترجمة أشهر الفقهاء والمفتين في مكة :

- ابن جريج (ت: ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)

هوعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي المكي ، الحافظ شيخ الحرم ، صاحب التصانيف ، وأول من دون العلم بمكة .
يقول هو عن نفسه : ما دون العلم تدويني أحد .ورواياته وافرة في الكتب الستة وفي " مسند أحمد و"معجم "الطبراني الأكبر وفي الأجزاء .
حدث عن : عطاء بن أبي رباح فأكثر وجوّد ، ويقول : اختلفت إلى عطاء ثماني عشرة سنة . وحدث أيضا عن ابن أبي مليكة ونافع مولى ابن عمر وطاووس حديثا واحدا .
وأخذ عن مجاهد حرفين من القراءات ، وزيد بن أسلم والزهري وخلق كثير .

---

[1] - ابن سعد ، الطبقات ٥/ ٥٠٢ والفاسي ، العقد الثمين ٤ /٥٨٦ و الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٨٦ .
[2] - سزكين ، تاريخ التراث العربي م١ ج١ ص١٩٥ - ١٩٦ .
[3] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٦٥ .
[4] - المصدر نفسه ١١ / ٣٩٨ .
[5] - المصدر نفسه ٣٢٨/٦

وكان من بحور العلم ، يروي الرواية بالإجازة وبالمناولة ([1]). روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام . ([2]) حدث عنه : ثور بن يزيد والأوزاعي والليث والسفيانان والحمادان ([3]) وعبد الرزاق بن همام وأمم سواهم .

ذُكرعن أستاذه عطاء بن أبي رباح قوله : سيد شباب أهل الحجاز ابن جريج ، وسيد شباب أهل الشام سليمان بن موسى ، وسيد شباب أهل العراق حجاج بن أرطأة .

وكانوا يسمون كتبه ، كتب الأمانة وإن لم يحدث من كتابه لم ينتفع به .

وذكر غير واحد ممن ترجم لابن جريج أنه كان يرى المتعة ويجوزها ، تزوج بستين إمرأة . وقيل إنه عهد إلى أولاده في أسمائهن لئلا يغلط أحد منهم ويتزوج واحدة مما نكح أبوه بالمتعة . وفي بداية علمه تتبع الشعر والأنساب ، فقيل له : لو لزمت عطاء ، فلزمه .

مولد ابن جريج سنة ثمانين ، عام الجحاف ([4]) .

قال علماء الحديث : لابن جريج نحو من ألف حديث يعني المرفوع ، وأما الآثار والمقاطيع والتفسير فشيء كثير ([5]) .

ومن آثاره : كتب " السنن " وكتاب " التفسير" ، وهو أول من رتب الأحاديث ترتيباً موضوعياً ([6])

- شعيب بن حرب (ت : ١٩٧ هـ / ٨١٢ م)

هوأبو صالح المدائني المجاور بمكة من أبناء الخراسانية .وصف بأنه إمام يقتدى به .

روى عن : إسماعيل بن مسلم العبدي وشعبة وأبان بن عبد الله البجلي وسفيان وإسرائيل وخلق سواهم .وعنه : أحمد بن حنبل وآخرون .

كان من أبناء خراسان في بغداد فتحول إلى المدائن ، واعتزل بها وكان له فضل ، ثم خرج إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها . وعرف عنه أنه شديد الزهد والتقشف ، سُمع يقول : أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة (٧).

- عبد المجيد بن عبد العزيز (ت : ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م)

هو أبو عبد المجيد المكي ، الحافظ الصادق القدوة . شيخ الحرم .

حدث عن : ابن جريج بكتبه – وكان أعلم الناس بحديثه - وعن أبيه وجماعة .

حدث عنه : أبو بكر الحميدي وأحمد بن حنبل والزبير بن بكار وخلق كثير ، وكان من المرجئة ، ومع هذا فوثقه أحمد ويحيى بن معين ،ووصفوه بالصدق . وقال أحمد : كان فيه غلو في الإرجاء ، يقول : هؤلاء الشكاك - يريد قول العلماء أنا مؤمن إن شاء الله - كان معظماً لله لم يرفع رأسه إلى السماء [تواضعاً وخشيةً] ([8]).

---

[1] - الإجازة في اصطلاح أهل الحديث : الإذن بالرواية لفظاً أو كتابة . والمناولة في اصطلاح أهل الحديث : إعطاء الشيخ تلميذه كتابا من سماعه . الجويني ، عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي (ت : ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م) البرهان في أصول الفقه ، تحقيق د. عبد العظيم محمود الديب ، ط : دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ١٤١٨ هـ ،٤١٥/١ .

[2] - الذهبي ، السير ٦ /٣٢٧ .

[3] - سبق ذكر السفيانين ص ٥٨ . أما الحمادان ، فهما : حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت : ١٦٧ هـ /٧٨٤ م) أبو سملة: مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة . وحماد بن زيدالبصري (ت :١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) شيخ العراق في عصره . الزركلي ، الأعلام ٢٧١/٢ . وستأتي ترجمتهما مع علماء الحديث بالبصرة ص ٨٨.

[4] - الجحاف : سيل كان بمكة . الذهبي ، السير ٦ /٣٣٣ .

[5] - ابن خياط ، الطبقات ٢٨٣ وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٤٥والخطيب ، تاريخ بغداد ١٠ /٤٠٠ وابن خلكان ،وفيات الأعيان ٣ /١٦٣ والفاسي ،العقد الثمين ٥ /٥٠٨ والذهبي ، السير ٦ /٣٢٥ .

[6] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي م١ ج١ ص١٦٦ .

[7] - ابن سعد ، الطبقات ٧ /٣٢٠ والفاسي ، العقد الثمين ٥ /١١ والذهبي ، السير ٩ / ١٨٨ .

[8] - ابن سعد ، الطبقات ٥ /٥٠٠والفسوي ، المعرفة والتاريخ ٣ /٥٢ والذهبي ، السير ٩ /٤٣٤ .

- سليمان بن حرب (ت : ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م)

هوأبو أيوب الواشحي الأزدي ، البصري ، قاضي مكة ، وصف بأنه ثقة حافظ .
حدث عن : شعبة ،وحماد بن سلمة ، وعدة .
وعنه : البخاري ، وأبو داود ، والحميدي - ومات قبله - والدارمي ، وأبو زرعة ، وأحمد بن حنبل قال عنه علماء الرجال : إمام من الأئمة ، كان لا يُدَلِّس ، ويتكلم في الرجال ، وفي الفقه ، وقد ظهر له نحو من عشرة آلاف حديث ، وما رؤي في يده كتاب قط ، وكان له مجلس ببغداد ، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل ، وكان مجلسه عند قصر المأمون ، فبنى له شبه منبر ، فصعد سليمان ، وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد ، والمأمون فوق قصره ، وقد فتح باب القصر ، وقد أُرسل سِتْرٌ شَفّ وهو خلفه ، وكتب ما يملي . ولي قضاء مكة سنة أربع عشرة ومائتين ، ثم عزل سنة تسع عشرة ومائتين . ثم إنه رجع من مكة ، وصرف من قضائها ، ومات بالبصرة ([١]).

رابعاً - التاريخ والسير :

تأخر نشوء المدرسة التاريخية المكية ([٢]) عن باقي المدارس التاريخية الأخرى كمدرسة المدينة ومدرسة الشام ومدرسة العراق ، مع وجود المادة التاريخية متناثرة في هذا المصنف أو ذاك – وهي كثيرة ومتنوعة – ومع تميز المدينة المقدسة بخصائصها الاجتماعية ، لم تظهر هذه المدرسية جلية واضحة ، إلا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي([٣]) ، وقد بدأت هذه المدرسة بـ :

- الأزرقي (ت : ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م)

هومحمد بن عبد الله بن أحمد ، أبو الوليد ، أحد الأخباريين وأصحاب السير ، ألف أقدم كتاب في تاريخ مكة " كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها " ([٤]).

وقد بقي كتاب الأزرقي " تاريخ مكة " مصدراً رئيسياً للمؤرخين والرحالة ، وأصحاب المناسك ، وكتب الفضائل ، حتى إن القارئ لايكاد يجد واحداً من المؤلفين في الموضوع لم يعتمده في النقل والإحالة عليه مباشرة في أغلب الأحيان ، أو بواسطة الناقلين عنه أحياناً أخرى كما أن الكتاب كان يدرّس في حلقات العلم بالمسجد الحرام ([٥]).

- الزبير بن بكار (ت : ٢٥٦ هـ /٨٦٩ م)

هوأبو عبد الله القرشي الأسدي الزبيري المدني المكي ، الحافظ النسابة ، قاضي مكة وعالمها، مولده في سنة اثنتين وسبعين ومائة . سمع من : سفيان بن عُيَيْنَة ، ومصعب بن عبد الله الزبيري عمه ، وخلق سواهم . حدث عنه : ابن ماجه في " سُنَنِه " ، وأبو حاتم الرازي ، وغيرهم كثير، وحدث في أواخر أيامه ببغداد. وهو مصنف كتاب "نسب قريش" ، وهو كتاب كبير نفيس ([٦]) .

وثقة عدد من العلماء من أصحاب الشأن وقالوا : كان ثقة ثبتا عالما بالنسب وأخبار المتقدمين . ([٧])

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٧ /٣٠٠ والخطيب ، تاريخ بغداد ٩ /٣٣وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢ /٤١٨، والفاسي ،العقد الثمين ٤ /٦٠١ والذهبي ، السير ١٠ /٣٣٠ .

[٢] - لم أجد من تصدر للكتابة عن تاريخ مكة قبل الأزرقي ، ولاشك أن مادة الكتابة متوفرة وأقصد وجود الرواة من أهل مكة ، فلم يتيسر لمكة كالواقدي في المدينة – يجمع أخبارها ويصنف في تاريخها .

[٣] - ينظر : الهيلة ، محمد الحبيب ، التاريخ والمؤرخون بمكة ، ط : مؤسسة الفرقان للتراث العربي ، مكة المكرمة ١٩٩٤م ص٩ .

[٤] - كتاب الأزرقي ، مطبوع في سلسلة أخبار مكة المشرفة التي نشرها المستشرق وستنفلد (ليبزغ سنة ١٨٥٩ م) سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي م ١ج٢ص٢٠٢ و مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ٢٠٦ .

[٥] - الهيلة ، محمد الحبيب ، التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٦.

[٦] - وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ١١ /١٦٤ اثنين وثلاثين كتابا للزبير بن بكار .

[٧] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٨ /٤٦٩ .

ويذكر أن الزبير بن بكارلقي إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فقال له إسحاق : يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميته كتاب " النسب " ، وهو كتاب الأخبار . فقال : وأنت يا أبا محـمد ، عملت كتاباً سميته كتاب " الأغاني " وهو كتاب المغاني ([١]) . .

يقول الدكتور شاكر مصطفى ([٢]) : وقد كتب في الأخبار وأخبار الشعراء والعهد الجاهلي ، وفي النسب ، ونجد بين كتبه مثلا قديما لتسمية الكتاب باسم من ألف له ، فله كتاب " الموفقيات " في اللغة ألفه للموفق بالله أخي الخليفة المعتمد ، وهو كتاب أقاصيص تاريخية تمازجه القصائد الكثيرة ، ويبدو ولع الزبير بالشعر في هذا الكتاب ([٣]). وأبرز كتبه التي بقيت لنا " نسب قريش وأخبارها " ، ونجد مخطوطات منه أو من بعضه في استانبول وغيرها ، كما طبع الجزء الأول منه في القاهرة عام١٩٦١ م وحققه : محمود محمد شاكر .

توفي بمكة . وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة ، وصلى عليه ابنه مصعب بعد فراغه من قراءة كتاب "النسب" علي طلابه بثلاثة أيام ([٤])

وكان سبب وفاته أنه وقع من فوق سطح منزله فانكسرت تَرْقُوَتُه ووَرِكُه ، فمكث يومين لا يتكلم ، ثم مات ([٥]) .

خامساً – الأدب في مكة المكرمة

أ- الشعر:

ممن عرف من الشعراء في مكة في العصر العباسي الأول :

- **ميمون الخضري المحاربي الحجازي** (عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي) ([٦])

[ولم أعثر على شئ من شعره]

ثالثاً : صنعاء

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تقع صنعاء شمال بلاد اليمن ، وسط وادي فسيح تحيط بها الجبال العالية . وهي اليوم عاصمة الجمهورية اليمنية ([٧]) .

وقال ياقوت الحموي : صنعاء قصبة اليمن ، وأحسن بلادها ، تشبّه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها ، وهي منسوبة إلى جودة الصنع([٨]) وقد ورد في الحديث : " ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله "([٩])

ووصفت صنعاء بأوصاف حسنة ، منها ما نقله ياقوت الحموي عن محمد بن أحمد الهمداني الفقيه : صنعاء طيبة الهواء، كثيرة الماء . يقال : إن أهلها يشتون مرتين ويصيفون مرتين ، غيرأن شتاءهم قريب من صيفهم ([١٠]).

وحين تولى العباسيون الخلافة دانت لهم اليمن ، ونهجوا السياسة نفسها في التولية والعزل التي كان قد انتهجها الأمويون من قبل ، وذلك لأسباب سياسية بحتة ، الأمر الذي

---

[١] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٨ / ٤٦٩ .

[٢] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٩٦ .

[٣] - وثمة أقسام مخطوطة له في غوتنغن- مكتبة في ألمانيا - ونسخة في البصرة (عباسية رقم ٥٥) وطبع في بغداد ١٩٧٣ م .المرجع نفسه .

[٤] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٨ /٤٦٧ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢ /٣١١ والفاسي ، العقد الثمين ٤ /٤٢٧ و الذهبي ، السير ١٢ /٣١١ ومصطفى ،د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٩٦ ط: دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٣ م .

[٥] - الذهبي ، السير ٣١٤ .

[٦] - المرزباني ، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران ، معجم الشعراء ص ٢٠٤ ، وسزكين ، تاريخ التراث العربي م٢ج٤ص٢٧٦ .

[٧] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٢٥٠/١٢ .

[٨] - ياقوت ، معجم البلدان ٣ / ٤٨٤ .

[٩] - البخاري ، الصحيح الجامع ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ٢٩ من حديث خباب بن الأرت مرفوعا .

[١٠] - ياقوت - مصدر سابق -٣ / ٤٨٤ .

نتج عنه فقدان الاستقرار المستمر . فحين بويع أبو العباس السفاح بالخلافة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م أوكل إلى عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس (ت : ١٣٣هـ / ٧٥٠ م) إدارة الحجاز واليمن مكافأة له على ماقام به من جهد أثناء قيام الدولة العباسية ([١]) ، ويماثل هذا الموقف موقف عبد الملك بن مروان مع الحجاج ، حيث ولاه العراق مكافأة له على جهوده في قتال عبد الله بن الزبير.

تولى داود بن علي اليمن والحجاز ، ولكن دون أن يكلف نفسه الدخول إلى اليمن حيث أقام في المدينة لأنها قد تكون مصدراً للاختلال في بنية الدولة الجديدة ، بينما اليمن كما يبدوا لم تكن فيه أحداث تستحق الإشراف المباشر عليها ، فقد أناب عنه عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي ، ليتولى شؤون إمارة اليمن ، ومالبث أن توفي بعد خمسة أشهر ، فبعث أبو العباس السفاح واليا آخر كان بداية سلسلة من الولاة تناوبوا إدارة اليمن في عهده ... هذه السلسة من الولاة أغلبها تنسب إلى بني عبد المدان من بني الحارث وهم من اليمن ، وكان مقرهم في نجران ([٢]) وذلك لأن أم السفاح منهم .

ولم يذكر المؤرخون شيئاً عن حوادث ذات بال حتى عام ١٤٢هـ / ٧٥٩ م حينما تولى إمرة اليمن معن بن زائدة الشيباني الذي اشتبك مع خوارج حضرموت ([٣]) .

ولايخرج وضع اليمن في عصر بني العباس عن وضعه في عصر بني أمية بل اتخذت السياسة نفسها مع هذا الإقليم ، خاصة من ناحية الطريقة التي كانوا يديرونها بها

سياسة التولية والعزل

ففي عهد أبي العباس السفاح الذي دام حوالي أربع سنوات تولى اليمن أربعة ولاة ، بعضهم تولى أربعة شهور إلا أن الموت – غالبا – كان سبب ذلك التغيير ، بينما وصل عددهم في عهد أبي جعفر المنصور إلى ثمانية ولاة .وهكذا تفاوت العدد في عهد الخلفاء الذي تولوا اليمن ، إلى أن جاء عهد هارون الرشيد (ت : ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) فوصل عدد الولاة إلى ثلاثة عشر والياً ، وربما كان لطول عهد هارون الرشيد ما يبرر هذا العدد لأنه ظل في الخلافة حوالي ثلاثاً وعشرين سنة ([٤]) .

وممن ولاه الرشيد اليمن : محمد بن خالد البرمكي ، سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م فبنى بصنعاء دار البرامكة التي عرفت فيما بعد بدار الضرب بصنعاء ، وكانت داراً واسعة ، وبنى مسجداً . وكثرت الدور المجملة في صنعاء في عهد الرشيد وازداد عدد مساجدها ([٥])

وزاد عدد الولاة في عهد ابنه المأمون إلى أربعة عشر والياً ، وسبب ذلك يرجع إلى كثرة ما حصل في عهده من أحداث([٦]).

وكما سبق فإن العباسين اتبعوا طريقة الأمويين نفسها في إدارتهم لليمن ، فالنيابة في الولاية أصبحت ظاهرة لم يتخلف عنها معظم الولاة العباسيين ([٧]) الأمر الذي أسرع باليمن

---

[١] - الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد ، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى ، صنعاء ٢٠٠٢ م ص١٦١.

[٢] - ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت : ٧٤٣ هـ ، ١٣٤٢ م) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، ط: دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٢٨ - ٢٩.

[٣] - المصدر نفسه .

[٤] - ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد علي الأكوع ، ط : الدار السلفية ، القاهرة ، بلا تاريخ ١ / ١٣٨ -١٤٩.

[٥] - الرازي ، محمد بن زكريا ، أبو بكر (ت : ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبد الله العمري ، ط : دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م ص١٥٥ .

[٦] - ابن الديبع - مصدر سابق - المصدر ١ / ١٣٨ - ١٤٩.

[٧] - الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، (ابن الحائك) (ت: ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص٣٢٣. وسبب النيابة في الولاية ، لأنه كانت تجمع للوالي عدة ولايات ، فيمكث في إحداها وينيب في الباقي .

لمحاولة الانفصال عن جسد الدولة العباسية . ففي سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، الذي يقال له الجزار- لكثرة من قتل من أهل اليمن ، وأخذ من أموالهم - وكان من قبل في مكة ، وفعل فيها الخبائث ، فلما بلغه قتل أبي السرايا ([١])هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائب اليمن خبره ترك اليمن وسار إلى خراسان واجتاز بمكة وأخذ أمه منها . واستحوذ إبراهيم هذا على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة يطول ذكرها([٢])

وبسبب اختلال الأمن في البلاد اليمنية ورسوخ التشيع فيها أراد المأمون أن يختار لولاية تهامتها من يأخذ على أيدي المفسدين فيها ، فأشار عليه الحسن بن سهل برجل من ولد زياد بن أبي سفيان وهو محمد بن إبراهيم الزيادي فولاه إياها سنة ٢٠٣هـ / ٨١٨ م فتوجه بعد أن أدى فريضة الحج ؛ ففتح تهامة واختط مدينة زبيد (٣) سنة ٢٠٤هـ/٨١٩ م وهي التي صارت حاضرة تهامة ، وقد عظم أمر الزيادي بعد ذلك باليمن وصار كملك مستقل إلا أنه كان يخطب لبني العباس ويحمل إليهم الخراج والهدايا وطال ملكه إلى سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ، ثم صار الملك في أبنائه ، وتعرف هذه الدولة بالدولة الزيادية وهي أول الدول استقلالاً باليمن([٤]) .

ومن الأحداث التي جرت في اليمن زمن الخليفة المأمون ، في سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله الذي يتصل نسبه بعلي بن أبي طالب ﵁ ببلاد عك من اليمن يدعو إلى الرضا من آل محمد ، وذلك بسبب أن عمال العباسيين أساؤوا السيرة وظلموا الرعايا ، فلما ظهر بايعه الناس فبعث إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو سمع وأطاع ، فحضروا الموسم ثم ساروا إلى اليمن ، وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار ، فساروا إلى بغداد ولبس السواد بها ([٥])

وفي عهد الخليفة المعتصم ، ولى جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي على نجد اليمن صنعاء وما إليها ، فأرسل إليها نائباً عنه عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي ، ولما توفي عبد الرحيم قام في الولاية مقامه ابنه يعفر بن عبد الرحيم واستقل عن العباسيين سنة ٢٤٧هـ / ٨٥٧م ، وتنسب إليه الدولة اليعفرية ، واستمر ملك صنعاء في أعقابه أكثر من قرن من الزمن ([٦])

ب) دور العلم في صنعاء :

- جامع صنعاء الكبير : من أقدم المساجد الإسلامية، وهو أول مسجد بني في اليمن، ويعتبر من المساجد العتيقة التي بنيت في عهد الرسول ﷺ حيث أجمعت المصادر التاريخية على أنه بني في السنة السادسة للهجرة، حين بعث الرسول ﷺ الصحابي الجليل و بر بن يحنس الأنصاري والياً على صنعاء، وأمره ببناء المسجد فبناه ما بين الصخرة الململمة وقصر غمدان([٧]) ، ثم إن المسجد وسع في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ -

---

[١] - تقدم ذكر خروجه ضد العباسيين في الكوفة وإرساله نوابا له إلى مكة .(في البحث عن مكة المكرمة) .

[٢] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٢٥٧ .

[٣] - مدينة يمنية تطل على البحر الأحمر .

[٤] - كحالة ، عمر رضا ، مختصر تاريخ الدول الإسلامية ، ط : المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨ م ٢١٨/٢ .

[٥] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٢٧١ .

[٦] - كحالة ، عمر رضا ، مختصر تاريخ الدول الإسلامية ٢/ ٢٢١ .

[٧] - الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص١٢٧ .

٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) ووسعه أيضا نائب الوالي العباسي في صنعاء الأمير عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وتلا ذلك توسعات أخرى عبر الزمن ([1]).

وثمة روايات تُذكر في فضل هذا المسجد ، تقول إن مؤخرته روضة من رياض الجنة ([2]) لذلك اكتسب أهمية كبيرة في قلوب اليمنيين ، الذين مابرحوا يأمون المسجد للعبادة والاعتكاف وطلب العلم .

ج) العلوم التي اشتهرت في صنعاء :

أولاً : علوم القرآن الكريم :

أ – القراءات :

في عصر بحثنا ، نجد أن عدداً من أصحاب القراءات زاروا اليمن وأقرأوا القرآن فيها ، منهم أبو عمرو بن العلاء ، ومعمر بن راشد الذي نشر قراءة عاصم في اليمن .

لم تسعفنا المصادرعن تفاصيل مرضية عن القراء في صنعاء ، وذكر الرازي في تاريخ صنعاء عدداً من قراء اليمن ، ولكن دون الاهتمام بتواريخ حياتهم أو وفاتهم ، وقد اخترت عددا من القراء الذين وجدوا في صنعاء في العصر العباسي الأول ، ودليلي في ذلك ، قراءتهم على شيوخ القراءات الذين ورد ذكرهم في المراكز الأخرى التي نبحث بها (إما بالرحلة إليهم ، أو لقياهم في الحج ، أو قدوم أولئك القراء إلى صنعاء) وفي حين لم تقدم صنعاء قارئا من القراء السبعة أو العشرة – وهم مراجع القراءة التي اعتمدها المسلمون – تعددت القراءات فيها بسبب قراءة هؤلاء القراء على علماء القراءة في كل من المدينة ومكة والبصرة والكوفة ، ففي صنعاء انتشرت معظم القراءات القرآنية التي عرفها المسلمون .

ومن قراء صنعاء :

- **عطاء بن مركيود** من أبناء فارس (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) أول من جمع القرآن بصنعاء وأقرأه ([3]) .

- **حفص بن عمر** بن أبي يزيد بن كيسان (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) وكان قد قرأ القرآن على قراء المدينة ([4]) .

- **السلام بن يزيد** بن المعلم (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) قرأ القرآن على القاسم بن عبد الواحد المكي ([5]) .

- **أبو خالد أو أبو خليد** ، محمد بن خالد بن ماهان(عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) صاحب معمر بن راشد ، وكان معمر زوج أخت أبي خالد ، وقد قرأ على أبي عمرو بن العلاء شيئاً من القرآن لما قدم أبو عمرو إلى صنعاء ([6]) .

- **بكر بن عبد الله بن الشرود** (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) قرأ القرآن على إسماعيل بن عبد الله مولى ميسرة ، الذي قرأ على عبد الله بن كثير المكي ([7]) .

- **رباح بن زيد** (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) من قراء صنعاء ، كان ذا فضل ودين وقراءة قرآن ومعرفة بالعلم ([8])

[1] - الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ص١٢٨ .
[2] - المصدر نفسه ص١٢٨.
[3] - المصدر نفسه ، ص٣٣٦ .
[4] - المصدر نفسه ، ص٣٤١ .
[5] - المصدر نفسه ص٣٤١ .
[6] - المصدر نفسه ص٣٤٢ .
[7] - المصدر نفسه ص٣٤٢ .
[8] - الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص٣٤٤ .

- **محمد بن عمرو** بن مقسم المعلم (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) كان إماماً بالقراءة بصنعاء ، وكان له قراءة عذبة وله جلالة عند أهل صنعاء ([١]) .

- **عبد الله بن صالح بن أبي غسان الكوفي** ، الصنعاني (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) كان أحد القراء المشهورين بصنعاء . كان يلزم حرف حمزة بن حبيب الزيات . وكان أيضاً يقرأ بقراءة عاصم ، وقرأ عليه بها . وكان ابن أبي غسان نسيج وحده بصنعاء في العبادة والفضل وتعليم الخير. قال عنه أحد طلابه : ما سمعت أحداً أقرأ من ابن أبي غسان ، ذكر أنه خرج ذات يوم من مدينة صنعاء إلى ضاحية (سعوان) شرقي صنعاء لبعض حوائجه ، فرصده راصد ، فوجده لم يتوضأ في اليوم والليلة ، غير مرة واحدة في وقت الظهر ، دلالة على مداومته للعبادة والذكر ([٢]).

ب - التفسير:

نحا التفسير في صنعاء نحو مدرسة المدينة في التفسير ، ذلك أن من فسر القرآن في صنعاء كان قد تلقى علمه في المدينة أو مكة . فممن اشتهر بعلم التفسير في صنعاء :

- الثقفي (ت : ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م)

موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ، روى عن عبد الملك بن جريج . وصف بأنه مفسر ليس بثقة . من آثاره : التفسير ([٣]).

ثانيا : علم الحديث في صنعاء :

كانت صنعاء مقصد كثير من علماء القراءة والحديث والفقه ، فقد قصدها أبو عمرو بن العلاء البصري ، وأقرأ الناس فيها ، وسمع الحديث من علمائها ، ورحل إليها الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وصديقه يحيى بن معين ، وسمعا من عالمها عبد الرزاق ، وثمة عوامل متعددة جعلت بعض من زارها من العلماء يستطيب العيش فيها كمعمر بن راشد مؤسس مدرسة الحديث في اليمن ([٤]) وعبد الله بن صالح بن أبي غسان الكوفي المقرئ وغيرهم ، والذي توصلت إليه أن أهم هذه العوامل : طيب أهلها ورغد العيش فيها ونقاء هوائها ، ورغبة أهلها في طلب العلم . وليس أدل على ذلك من قول معمر بن راشد : وطئت أرضين كثيرة شاماً وخراسان وعراقاً ، فما رأيت مدينة أطيب من صنعاء ([٥])ً.
وهاهم أعلام الحديث فيها :

- معمر بن راشد (ت : ١٥٣هـ / ٧٧٠ م)

هوأبو عروة ، بصري ،إمام حافظ ،أحاديثه عند الجماعة ، نزل اليمن ونشر العلم فيها . طلب العلم وهو حدث . حدث عن: قتادة والزهري وعمرو بن دينار وهمام بن منبه وغيرهم كثير ، وأخذ القرءة عن عاصم بن أبي النجود .حدث عنه خلق كثير ، منهم : وسعيد بن أبي عروبة والسفيانان وابن المبارك وهشام بن يوسف قاضي صنعاء وأبو سفيان محمد بن حميد ومروان بن معاوية ورباح بن زيد ومحمد بن عمرو الواقدي وعبد الرزاق بن همام ومحمد بن كثير الصنعانيان ، وآخر أصحابه موتاً محمد بن كثير، بقي إلى آخر سنة ست عشرة ومائتين .

---

[١] - المصدر نفسه ص٣٤٤ .

[٢] - المصدر نفسه ص٣٤٤ .

[٣] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد ١ الجزء١ ص٨٥ .

[٤] - الحجري اليمني ، محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط : دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٩٩٦ م ص٦٦

[٥] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٣ / ٤٨٤ .

قال علماء السير : لما دخل معمر صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم، فقال لهم رجل : قيّدوه . فزوّجوه . وصف بأنه كان من أوعية العلم مع الثقة والصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف .

- أقوال العلماء فيه :

سُمع أحمد بن حنبل يقول : ما أضم أحداً إلى معمر إلاّ وجدت معمراً أطلب للحديث منه ،هو أول من رحل إلى اليمن . وقال العلماء : إن علم التابعين صار إلى أحد عشر رجلا : سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وشعبة والثوري وابن جريج وأبي عوانة ومالك وابن عيينة وهشيم ومعمر بن راشد والأوزاعي . قال عبد الرزاق : قال لي مالك : نعم الرجل كان معمر لولا روايته التفسير- لانقطاع أسانيدها – ويقول عبد الملك بن جريج : عليكم بهذا الرجل يعني معمرا فإنه لم يبق في زمانه أعلم منه . ومن شدة ورعه كان يتحرّى الحل في طعامه ، ولايقبل هدية الأمراء . حدث عبد الرزاق تلميذه ، قال: أكل معمر من عند أهله فاكهة . ثم سأل ، فقيل هدية من فلانة النواحة. فقام فتقيأ . وبعث إليه معن والي اليمن بذهب فردة وقال لأهله : إن علم بهذا غيرنا لم يجتمع رأسي ورأسك أبدا . قال عبد الرزاق : ما نعلم أحدا عفّ عن هذا المال إلا الثوري ومعمراً .

وكان غزير العلم ، نشر قراءة عاصم في اليمن ، وروى أحاديث رسول الله ﷺ ، قال عبد الرزاق : كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث (١) .

ورحلته إلى اليمن كانت أولى رحلات المحدثين ، وكان صلة الوصل بين مدرستي العراق واليمن قبل أن يستقر نهائيا في صنعاء يحدث فيها حتى الوفاة ، من مصنفاته : " المغازي " نقل فيه عن الزهري ، وعن أهل الكتاب ، ثم نقل عنه الواقدي والبلاذري وابن سعد والطبري ، واتبع في كتابه الترتيب الموضوعي ، على غرار ما فعله في كتابه في الحديث . فهو يعتبر من أوائل الذين رتبوا الحديث في أبواب ومواضيع ، وله "جزء في التفسير" (٢)

- حفص بن ميسرة (ت : ١٨١ هـ / ٧٩٧ م)

هو أبو عمر الصنعاني العقيلي ، محدث إمام ، أحاديثه عند البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة . وثقه علماء الرجال . يروي عن زيد بن أسلم وموسى بن عقبة والعلاء بن عبد الرحمن وهشام بن عروة ومقاتل بن حيان . حدث عنه : الثوري وهو أكبر منه وابن وهب وسعيد بن منصور ومحمد بن أبي السري والهيثم بن خارجة . وقيل كان ناسكاً ربانياً كثير العبادة (٣) .

- عبد الرزاق بن همام (ت : ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)

هو أبو بكر الحميري ، حافظ كبير، عالم اليمن ، ارتحل إلى الحجاز والشام والعراق وسافر في تجارة ، أحاديثه عند الجماعة . وثقه علماء الرجال مع تشيعه . حدث عن : ابن جريج ومعمر فأكثر عنه ، وحجاج بن أرطاة والأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس ووالده همام وخلق سواهم . وحدث عنه : شيخه سفيان بن عيينه ومعتمر بن سليمان وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وإبراهيم بن محمد بن برة الصنعاني . قال عبد الرزاق : لزمت معمراً ثماني سنين . وقال عنه صديقه هشام بن يوسف : كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا . وكان لايحدث إلا من كتاب مخافة الغلط . وقد اختبره علماء الحديث وأنسوا إلى حفظه ، مع ذلك لايحدث إلا بكتاب سُمع البخاري يقول: عبد الرزاق ما حدث

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٥ /٥٤٦ وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٩٢ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ /٥ .

[٢] - ابن النديم ، الفهرست ٢٢٨ ومصطفى ، د. شاكر ، التاريخ والمؤرخون العرب ١/ ١٥٩ .

[٣] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٣١ .

من كتابه فهو أصح . وقد رحل إليه أحمد بن حنبل وصديقه يحيى بن معين ، وقال : أحمد بن حنبل : كان في قرية عبد الرزاق بئر فكنا نذهب نبكر على ميلين نتوضأ ونحمل معنا الماء ، ثم نأتي بيته فنسمع منه . وقد سُئل أحمد بن حنبل : أكان عبد الرزاق يفرط في التشيع؟ قال : أما أنا فلم أسمع منه في هذا شيئا ، ولكن كان رجلاً يعجبه أخبار الناس أو الأخبار([١]).

من آثاره : " المصنف " في الحديث ، و" التفسير" وهو صورة معدلة عن تفسير معمر ابن راشد ، وكتاب " الصلاة " و" الأمالي في آثار الصحابة " ([٢]).

- محمد بن ثور (ت : ؟؟)

أبو عبد الله الصنعاني ، إمام محدث ، وثقه أئمة الشأن ، أحاديثه عند أبي داود والنسائي .

حدث عن : ابن جريج ومعمر بن راشد . وعنه : نعيم بن حماد ومحمد بن عبيد بن حساب ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني وآخرون . وكان مشهوراً بالعبادة والصدق (٣) .

وفي تاريخ مدينة صنعاء ([٤]) : ومن المحدثين ، سليمان بن داود بن قيس ، أخذ عنه عبد الرزاق .والراجح أنه (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي) .

ثالثاً - علم الفقه في صنعاء :

لم يشتهر مذهب خاص في اليمن قبل مجيء الإمام الشافعي إلى صنعاء([٥]) إنما كان الفقه متنوع المصادر ، وحسب اجتهادات المفتين والقضاة . والراجح أن الفتيا في صنعاء كانت أقرب إلى مدرسة المدينة ، وذلك لقربها وكثرة رحيل علماءها إلى المدينة أو مكة لأخذ العلم عن العلماء فيهما ([٦])

- يوسف بن يعقوب بن إبراهيم (ت : ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م)

كان قاضياً بصنعاء لأبي جعفر المنصور ، وكان فقيها ([٧]) .

- هشام بن يوسف الصنعاني (ت :١٩٧ هـ / ٨١٢ م)

هوأبو عبد الرحمن ، قاضي صنعاء اليمن وفقيهها ، إمام ثبت ، من أقران عبد الرزاق لكن العلماء وصفوه بالأجل والأتقن من عبد الرزاق ، ووثقوه ، وقالوا : هو أصح اليمانيين كتاباً .أحاديثه عند البخاري وأصحاب السنن الأربعة .

حدث عن : ابن جريج ومعمر وسفيان الثوري والقاسم بن فياض وجماعة . روى عنه : إبراهيم بن موسى الفراء ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن محمد المسندي وخلق سواهم.

ولما قدم سفيان الثوري اليمن ، فقال : اطلبوا كاتباً سريع الخط . فارتادوه فكان يكتب ([٨]) .

وقد ذكر الرازي في تاريخ مدينة صنعاء([٩]) عدداً من فقهاء صنعاء دون التوسع في تراجمهم أو ذكر تاريخ وفاتهم ، ومن المرجح أنهم عاشوا في القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي ، ومنهم : سماك بن الفضل ، وإسماعيل بن شروس الصنعاني ، وعبد الله بن طاوس اليماني ، وخلاد بن عبد الرحمن . وقال : كانوا فقهاء أهل اليمن .

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٥ /٥٤٨ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢١٦/٣ والذهبي ، السير ٩ /٥٦٤ .

[٢] - سزكين ، د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد ١الجزء١ ص١٨٤ .

[٣] - ابن خياط ، الطبقات الترجمة رقم ٢٦٧١ والذهبي ، السير ٣٠٢/٩ .

[٤] - للرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص٣٤٢ .

[٥] - كانت رحلة الشافعي سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦م تقريباً ، وأخذ فيها عن هشام بن يوسف القاضي – سترد ترجمته – كما نشر آراءه الفقهية هناك ينظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ /٧ .

[٦] - الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ص٣٣٩ ، بتصرف .

[٧] - المصدر نفسه ، ص٣٣٩ .

[٨] - ابن سعد ، الطبقات ٥٨٠/٧ ، والذهبي ، السير ٩ /٥٨٠.

[٩] - الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ص٣٣٩ .

رابعاً - السيرة والتاريخ في صنعاء :

يعود الفضل في علم التاريخ في اليمن إلى وهب بن منبه (ت : ١١٤ هـ / ٧٣٢م) ، الذي يعتبر موسوعة تاريخية ، لكثرة ماروى وجمع وصنف من الكتب والأخبار، فقد رويت عنه أخبار عن تاريخ اليمن القديم ، وقصص الأنبياء ، والمغازي والفتوحات ([١]) ومن اهتم بالتأريخ بعده في اليمن ، لابد أن يكون قد غرف من معين مروياته ومصنفاته.

وتعتبر جهود ابن منبه ومن جاء بعده من المؤرخين أساسا لمدرسة تاريخية إقليمية خاصة باليمن ، استطاعت توجيه الأنظار إلى التاريخ اليمني الخاص، ووقوفه على قدميه ([٢])، وممن اشتهر بالتاريخ في فترة البحث :

- إسماعيل بن عبد الكريم بن عبد الصمد (ت : ٢١٠ هـ /٨٢٥ م)

نقل روايات وهب بن منبه - وكان أحد أحفاد شقيقه - ([٣])

- الحميري (ت : ٢١٣هـ / ٨٢٨ م)

هوعبد الملك بن هشام بن أيوب ، أبو محمد ، صنف كتاب " التيجان في ملوك حمير " وضعه على أساس كتاب وهب بن منبه ، ثم أضاف إليه موادّ جديدة أخذها من مؤلفات أخرى كابن السائب الكلبي وغيره ([٤])

- عبد المنعم بن إدريس (٢٢٨ هـ / ٨٤٢م)

أحد رواة وهب بن منبه ، وهو سبطه – ابن بنته – ([٥])

خامساً – علوم اللغة والأدب في صنعاء :

أ) الشعر :

كان للشعر في صنعاء بل اليمن عموماً أهمية خاصة ، لأنها بلاد العرب الأولى ، ولكن في فترة بحثنا ، نجد أن معظم الشعراء الكبار رحلوا إلى بلاد العراق رغبة في التقرب من الخلفاء والفوز بأعطياتهم ، وهذا لم يمنع من وجود شعراء في صنعاء استطاعوا أن يضعوا بصماتهم واضحة في ديوان الشعر العربي . ومنهم :

- بكر بن مرداس (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)

شاعر متغزل ، ظريف ، أعجب به أبو نواس ، بل إنه قدمه على نفسه ، حين سأله أحد حجاج اليمن شيئاً من شعره . فقال : تطلبني مثل هذا وعندكم بكر بن مرداس ! قال : قلت : وإنه عندك بهذه المنزلة؟ فقال: أما هو القائل:

يا إخوتي إن الطبيب الذي ترجون أن يبرئنـــي مسقمي
وما آلى نصحاً ولكنــــه عن علم ما بي من سقام عـــمِ
فسائلوه عن عقاقيـــــره وسائلوه ما الذي احتمـــــيَ؟
فإنما الطب لمــــن داؤه من مرَّة أو بلغـــــــم أودم
والحب لا يشفي بإيـــارج ولا بترياق ولا محجـــــــمِ([٦])
إلا بشم الحبِّ أو ضمـــه ومجِّ ريق من فـم في فـــــم
فيا شفاء النفس من دائها داوي سقامي وارحمي ترحمي ([٧])

---

[١] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ والمؤرخون العرب ١/ ١٣٧ .
[٢] - المرجع نفسه ١/ ١٣٩ .
[٣] - المرجع نفسه ١/ ١٣٨ .
[٤] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ والمؤرخون العرب ١٣٩/١ .
[٥] - المرجع نفسه ١ /١٣٨ .
[٦] - إيارج : فارسي معرب ، وتفسيره : الدواء . الشيمري ، عبد الولي عبد الوارث فرحان ، موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه ، ط : دار الحكمة ، صنعاء ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ص٨٢ .
[٧] - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٢٩ . و الشيمري ، موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه ص٨٢ .

وقال بكر أيضاً على لسان أعرابيين وفدا على يزيد بن الوليد والي اليمن وذكر اللحية:

فقدنا لحانـــا ما أقل غناءهـــــا وأضيع فيها الدهن يا ابن مطيع
دهنّـــا ونفَّشناهمـــــا لأميرنـــا كخافيتي نســـر هوى لوقوع
فما ساقتا خيراً سوى الطول منهما وأنهما غـــمّ لكل ضجيـــع
فيا ليتنا كنا سناطيـــن منهمـــا نؤمـل كالأعراب كل ربيـــع
فنسلب مالاً لا نروِّع بعـــــده مخافـة عـري ، أو مخافة جـوع ([1])

وكان بكر ظريفاً آدم حسن الهيئة والنظارة ، وكانت له ثياب بعدد أيام مخرجه من منزله في السنة. وكان من تمام مروءته ألاَّ يخرج من منزله حتى يعقد شسعي نعله فلم يره أحد منقطع الشسع في طريق ، وكان شعره سائراً ([2]) .

- أبو السمط الفيروزي (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)

من شعراء صنعاء ، من الأبناء ، شاعر مفلق ، وفد على المهدي ممتدحاً فقبل مدحه، ومدح البرامكة فأكثروا من إكرامه ، واقتطعوا له من المهدي أموالاً بصنعاء وعقاراً ([3])

- عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)

من شعراء صنعاء ، بل من باديتها ، وكان مطبوعاً مفوّهاً مفلقاً . يقول الهمداني : وقد أثبتنا قصائد من شعره في الكتاب الأول من الإكليل ([4]) مع أخبار بني شهاب([5]) .

- إبراهيم ابن الجدوية (مات في النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)

من شعراء صنعاء نفسها ، وكان مطبوعاً في الشعر وكان في الرجز أبرع ، وكان ربما يشابه في بعض مذهبه الكميت في مثل كلمته في العلوي الناصر(والي صنعاء):

ناصر الدين لم تزل منصورا شكر الله سعيك المشكورا

وله في أبي الحسين الرسي مرثية وهي:

وهت عضد الإسلام واندقَّ كاهله وغالت بينه في الأنام غوائله

وكان يستغرق أكثر شعره هجاء السوقة والسقاط ، ومن أحسن شعره كلمته في أسعد بن أبي يعفر وأولها:

يا طائرين أخال البين فارتفعا إن النوى قد قضت أوطارها فقعا ([6])

يقول الهمداني : قد ذكرنا شيئاً من شعره في كتاب الإكليل .

- ومن البلغاء في صنعاء :

- بشر ابن أبي كبار البلوي (عاش في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي)

كان من أبلغ الناس ، وكانت بلاغته تتهادى في البلاد ، وكان له فيها مأخذ لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه فيه ، وتعجب ببلاغته ونفاستها وأنه فيها أوحد ، وأنه لا يشابه بلاغته البلغاء ، وإنه منفرد بحسن اختلاس القرآن . وهذه إحدى رسائله : كتب بشر إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبيّ وإلى صنعاء لهارون الرشيد - وكان قدم صنعاء سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م فأقام بها سنة وشهراً ثم صرف - في بغي هشام بن يوسف الأبناوي عليه (وكان قد عزم على أن يولي بشراً بعض نواحي اليمن فكسر غلَّته هشام بن يوسف) : أما بعد فإن رآى الأمير أمتع الله به أن لا يعلم هشاماً ما يريد من صلتي ، فإنه لم يردني وآلي قط بخير، ولم يفتح لي باب صلة ، فتكون منه خالصة لا يريد بها إلا وجه الله وحده ، ولا يرجو بها إلا ثوابه إلا عرض هشامٌ من دونها فثقلها وكرهها ، وأدار القياس فيها ، وضرب لها الأمثال ، وألقى الحيلة

[1] - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٣٠
[2] - المصدر نفسه ، ص٢٩ و و الشيمري ، موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه ص٨٢ .
[3] - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٣٠
[4] - كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، ط: دار الجيل الجديد ، صنعاء ١٩٩٠ م .
[5] - - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٣١ .
[6] - المصدر نفسه ص ٣٢ .

فيها إلى الكاتب والحاجب وقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين ، ومدحني بما لا يُسمع به من أخلاقي وانتقصني فيما لا يطمع بغيره مني ليكون ما أظهر من المدحة مصدِّقاً لما أسر من العيبة ، ثم زخرف ذلك بالموعظة وزينه بالنصيحة وقاربه بالمودة وأغراه من ناحية الشَّفقة وشهد عليه أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة إن غضب الله عليه إن كان من الكاذبين . فإذا الحاجب يزلقني ببصره ، وإذا الكاتب يسلقني بلسانه ، وإذا الخادم يعرض عني بجانبه ، وإذا الوالي ينظرني نظر المغشي عليه من الموت ، فصارت وجوه النفع مردودة، وأبواب الطمع مسدودة، وأصبح الخير الذي كنت أرجوه هشيماً تذروه الرياح ، والصلة التي كنت أشرفت إليها صعيداً زلقاً ، وأصبح ماؤها غوراً ، فما أستطيع له طلباً فأسأل الذي جعل لكل نبي عدوّاً من المجرمين ، أن يكفيني شره ، ويصرف عني كيده ، فإنه يراني هو وقبيله من حيث لا أراهم . والسلام.([1])

وقد اختار له الهمداني عشر رسائل بمثل هذه البلاغة .

رابعاً : العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في بلاد الحجاز واليمن

بعد البحث في العلوم التي نمت وازدهرت في المراكز المذكورة آنفاً ، لابد من ذكر العوامل التي ساعدت على نموها وازدهارها :

١ ـ**تدوين العلم** ، يعتبر تدوين العلم من أهم العوامل ، ذلك أن الكتاب يساعد على توثيق العلم وحفظه ، ثم انتقاله من مكان إلى آخر ووصوله إلى أيدي الراغبين في التعلم ،وقد مر معنا كيف أن المدينة المنورة سبقت غيرها من بلاد الإسلام في هذه المهمة الرائدة ، وقد تم البدء في تدوين الحديث الشريف فيها قبل عصر بحثنا ، فوصل حديث رسول الله ﷺ مدونا ، فوقع على عاتق علماء المدينة دراسته وضبطه وتدقيقه ، ووضع منهج رصين للأخذ به وصونه من الوضع والتدليس ، ونتج عن ذلك ولادة مدرسة حديثية رائدة موطنها الأول الحجاز(المدينة ومكة)

٢ ـ **وجود علماء كبار :** حازوا بعلمهم شهرة واسعة فغدوا مأمل كل طالب علم وعالم من آفاق العالم الإسلامي ، ليرحل إليهم ويغب من معين علومهم ومعارفهم ، كمالك وابن عيينة في المدينة ، وابن جريج في مكة ومعمر بن راشد وعبد الرزاق في صنعاء .

٣ ـ**محاولة الخلفاء العباسيين الحفاظ على الأمن** والاستقرار في سائر بلاد الخلافة عامة ومنطقة الحجاز واليمن خاصة ، وقد سبق ومر خلال البحث محاولات الخروج على العباسيين من هذه المناطق ، لكن الذي لحظناه مسارعة الخلفاء إلى الإطباق على هذه المحولات والتخلص منها ولو باستعمال العنف والقسوة . فاستتباب الأمن من أهم عوامل نمو الحركة العلمية .

٤ ـ**الاهتمام الذي لقيه علماء الحجاز من الخلفاء العباسيين** ، وقد رأينا كيف أن الخلفاء كانوا يكثرون من الحج ، ويبذلون الأموال الباهظة لسكان بلاد الحرمين الشريفين والحجاج والوقوف على حاجاتهم ، ويلتقون العلماء ويقفون على حاجاتهم أيضاً ، ويعجبون بعلومهم ، وليس أدل على ذلك من موقف الخلفاء المنصور والمهدي والرشيد من الإمام مالك رحمه الله .

[1] ـ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٣٢ .

الفصل الثالث

المراكز العلمية في بلاد الرافدين (العراق)

أولاً : البصرة .
ثانيا : الكوفة .
ثالثاً : بغداد .
رابعاً : العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في هذه المراكز.

أولاً :البصرة

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تعتبر البصرة أهم مدن العراق وأكبرها ، في القسم الجنوبي منه ، تقع على الضفة الغربية (اليمنى) لنهر شط العرب ، الذي يتكون من التقاء دجلة والفرات ، ويصب في الخليج العربي ([1]).

وهي أقدم المدن التي بناها العرب المسلمون ، أو أقدمها ولاتزال باقية إلى الآن(٢) وسميت كذلك نسبة إلى البصرة وهو نوع من الحجر الأبيض بنيت به المدينة، وبالقرب من موضعها جرت موقعة الجمل عام ٣٦هـ / ٦٥٦م بين علي من جهة وبين عائشة وطلحة والزبيرمن جهة أخرى ، ونظراً لموقع البصرة الجغرافي كانت مركزاً لكثير من الثورات السياسية والفكرية، منها ثورة الخوارج والزنج والقرامطة، وفيها ظهر مذهب الأشاعرة.

أسسها عتبة بن غزوان عام ١٦هـ / ٦٣٧م. في خلافة عمر بن الخطاب ، حيث كتب للخليفة عمرﷺ :إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ويسكنون به إذا انصرفوا من غزوهم فأجابه بأن يجمع أصحابه في موضع واحد ويسكن قريبا من الماء والمرعى ، وأن يكتب إليه بصفته (٣) واختار عتبة الموقع فوافق الخليفة عمرعليه ، فكانت البداية متواضعة إذ ضربوا الخيام والقباب والفساطيط ولم يكن بناء.

ثم بنى الناس مساكن بالقصب وهو متوفر في تلك الناحية فبني المسجد ودار الإمارة ودونه الرحبة ، وهي رحبة بني هاشم وفيها السجن والديوان. فكانوا إذا خرجوا للفتح نزعوا ذلك القصب وحزموه وصفوه حتى إذا رجعوا أعادوا بناءه ([4]) ربما لأنه لم يكن بنية المسلمين أن يقيموا إقامة دائمة ، فإن هذا كان يشغلهم عن الغزو والجهاد .

وفي مرحلة تالية استعملوا بناء اللبن والطين وسقف الخشب. وكتب إليهم عمر: قد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم ، فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب ([5]) .

وكانت أول دار بنيت في البصرة دار نافع بن الحارث ، ثم دار معقل بن يسار المزني. وكان ذلك في العامين الأوليين ما بين ١٤هـ/ ٦٣٦م و١٦هـ/ ٦٣٤م. وتوالى على إدارة البصرة من بعد عتبة مجاشع بن مسعود السلمي، ثم المغيرة بن شعبة الثقفي ، ثم جاء أبو موسى الأشعري ما بين عامي ١٧-٢٩هـ/ ٦٣٨-٦٥٠م وشرع في تغيير هيكل المنشآت الدينية والإدارية والمدنية في البصرة فبنى المسجد ودار الإمارة باللبن والطين، وغرس النخل وتسابق الناس إلى زراعة الأرض المتروكة ([6]) .

ومع انتقال مركز الخلافة إلى الشام ، استمرت البصرة في التوسع وكثر عمرانها،وبذل الأمويون جهودا كبيرة في إظهارها بالمظهر اللائق كمركز مهم من مراكز ولاة الإقليم في بداية الحكم الأموي، وصاحب هذا التقدم العمراني نموٌ واضحٌ في الصناعة والزراعة والتجارة وفنون أخرى ([7]) .

---

[1] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٢٩/٥ .

[2] - الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة المدن الإسلامية ،ط : دار الرشيد ،بغداد ١٩٨٢ م . ص٦٧

[3] - البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ /٨٩٢ م) فتوح البلدان ، تحقيق : د. عبد الله أنيس الطباع ، ط: مؤسسة المعرف للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٧ هـ ، ص٣٤١ .

[4] - المصدر نفسه ص ٤٨٣ .

[5] - الجاحظ ، عمرو بن بحر ، أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . ٢ج / ص٢٢٦ وياقوت ، معجم البلدان ١ / ٦٣٩ .

[6] - وكان ذلك بموافقة الخليفة عمر رضي الله عنه ، البلاذري ، فتوح البلدان ص٤٩٠ .

[7] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشاة المدن الإسلامية ص٦٧ .

وفي العصر العباسي الأول ازدهرت البصرة وذاعت شهرتها وقصدها طلاب العلم والأدب واللغة وبرز فيها أعلام كان لهم دور بارز في علوم اللغة والفقه والأدب، ومع المكانة العلمية البارزة التي احتلتها البصرة إلا أنها لم تنعم بفترات أمان طويلة فكانت تتعرض لنكبات عديدة عبر التاريخ تخرب مبانيها وتقتل سكانها و لامجال لذكرها في بحثنا هذا ([١]) .

والبصرة مدينة فسيحة الأرجاء ذات بساتين كثيرة، وفواكه أثيرة، ليس في الدنيا أكثر نخلا منها، سبخة التربة ملحة الماء؛ لأن المد يأتي من البحر يمشي إلى ما فوق البصرة بثلاثة أيام ([٢]) وماء دجلة والفرات إذا انتهى إلى البصرة خالطه ماء البحر فيصير ملحا. وفي البصرة معالم حضارية لاتحصى منها المساجد والحمامات والأسواق ([٣]).

وكانت البصرة بحكم موقعها بعيدة عن أي تهديد لخطر خارجي. ولكن في عام ١٥٥هـ / ٧٧١م في عهد المنصور بني سور يحيط البصرة ومن حوله خندق، وكان ذلك بسبب تكاثر غارات الميد البحريين (الديلم) عليها ما بين سنتي ١٤١-١٥٣هـ/ ٧٥٩-٧٧٠م. (وهم قوم من القراصنة من أطراف كرمان على المحيط الهندي اجترؤوا على الصعود في الخليج العربي، ثم أتوا دجلة البصرة فكانوا ينهبون ويخربون فيه) ([٤])

ب) ولاة البصرة في العصر العباسي الأول ([٥])

في سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩م ولى عبد الله السفاح ، سفيان بن عيينة المهلبي على البصرة ، الذي سعى كل السعي إلى توطين الأهالي ، وتعمير ما خرب من البلاد([٦]) . وفي سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠م صرف سفيان ، ووليها سليمان بن علي عم السفاح ، وألحق بالبصرة السواد وكور دجلة والبحرين وعمان . وفي سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢م رتب موكب الحج في البصرة لجميع حجاج البلاد من المسلمين ، فاجتمع بالبصرة ماينوف على مائتي ألف حاج فاستفاد الناس فائدة عظيمة . وفي سنة ١٣٩ هـ/٧٥٦م صرف عن البصرة سليمان بن علي ، ووليها سفيان بن معاوية ، وشدد العذاب على أكثر كبراء البصرة لاستئصال عبد الله بن علي أخي سليمان وعم المنصور ([٧]).وكان قد عصى الخليفة المنصور فقاتله أبو مسلم الخراساني بأمر الخليفة ، فهرب وا ختفى بالبصرة عند أخيه سليمان .

وفي سنة ١٤٠ هـ /٧٥٧م حفر الخصيب حاجب المنصور نهر أبي الخصيب ، وغرس عليه النخيل بما لايعد ولا يحصى ([٨]) . وفي سنة ١٤٢ هـ /٧٥٩ م عصى عيينة بن موسى بن كعب في البصرة، فقدمها الخليفة المنصور بعساكر جرارة ، فعمل للبصرة جسراً عظيماً من قوارب أخشاب ، وأعمر أكثر أماكنها وأمنها، ثم رجع مظفراً([٩]).

وفي سنة ١٤٤هـ / ٧٦١ م خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فجمع ماينوف على مائة ألف مقاتل من البصرة وأطرافها ليحارب المنصور ، ثم سار إلى

---

[١] - للمزيد ، ينظر الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن الإسلامية ص٦٨ .

[٢] - أي مسيرة ثلاثة أيام للماشي أو الراكب على بعير . وقد بحثت لأعرف كم تقدر بمقياس زماننا فلم أجد تقديراً دقيقاً ، وثمة اختلاف في تقديرها بين الفقهاء ؛ لأنها من شروط قصر الصلاة للمسافر ، والمسح على الخفين – ويقدرها الفقهاء المعاصرون بأربعين كيلو مترتقريباً أو بخمسة وعشرين ميلاً – وينظر الزحيلي ، د. وهبة ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ط : دار الفكر ، دمشق ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م ، الطبعة الرابعة ٢ / ١٣٤٢ .

[٣] - ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٦٣٩ .

[٤] - الطبري ، تاريخه ، أحداث سنة ١٥٥هـ .

[٥] - سأقتصر هنا على ذكر بعض الولاة الذين جرت في عهدهم أحداث هامة ، وللاطلاع على أسماء ولاة البصرة ينظر : ابن الغملاس ، البصرة ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى الحكم العثماني ، ط: الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٨ م ، ففيه سرد لأسماء ولاة البصرة .

[٦] - وذلك بسبب ملاحقة العباسيين لأنصار الأمويين فيها . وينظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، أحداث سنة١٣١ و١٣٢ هـ .

[٧] - ابن الغملاس ، البصرة ولاتها ومتسلموها ، ص٢٠ .

[٨] - الطبري ، تاريخه ، أحداث سنة ١٤٠ هـ.

[٩] - ابن الغملاس - مرجع سابق - ص٢١ .

الكوفة ونشبت الحرب في قربها مع عساكر المنصور، وحمي وطيسها ثم تفرقت جموع إبراهيم ، وقتل هو أيضا ، وقد قتل في هذه الحرب قدر عشرين ألفاً من أهل البصرة ([١])

وفي سنة١٤٥ هـ /٧٦٢ م أمر المهدي ابن الخليفة المنصوربهدم دور من تابع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن([٢]) من أهل البصرة ، وتخريب بساتينهم ومصادرة أموالهم ، وقتل من وجد منهم،وتولى الأمر مسلم بن قتيبة ثم محمد بن سليمان.وفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م تولى البصرة عقبة بن مسلم ، ووصلت العلوم العربية إلى الغاية القصوى ، وبوشر بجمع اللغات العربية بالجد والسعي الكامل ([٣]).

وفي سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م كثرت السراق بالبصرة واختل الأمن وسلبت الراحة بها ، فصرف عنها واليها عبد الملك بن ظبيان الثميري ووليها الهيثم بن معاوية واستتب الأمن فيها . وفي سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦م ولي البصرة محمد بن سليمان ، وألحق بالبصرة كور دجلة والبحرين وعمل على توسيع المسجد الجامع لضيقه بالمصلين .

وفي سنة ١٦٦ هـ/ ٧٨٢ م تولى البصرة روح بن حاتم . وفي سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ م ثارت العربان والعشائر الذين هم بين البصرة والبحرين وهجموا على البصرة وقتلوا كثيرا من النفوس ونهبوا الأموال ، فاستنجد روح بالخليفة فأرسلت العساكر فأصلح ما فسد ([٤]) .

ثم وليها طائفة من الولاة ولم تكن أحداث ذات أهمية . وفي سنة ١٩٣ هـ/ ٨٠٨ م وليها إسحاق بن عيسى بن علي . وكانت الناس في أمن كامل وراحة وطيدة ، وهمة من الله وافرة والناس كلهم يشتغلون في العلم وتحصيل المعارف ([٥]) . وفي سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م خرج رد بن الحروري فعاث في إحراق البصرة وأفسد وفتك ، فأرسل إليه الخليفة الرشيد عسكرا كافيا ففرق شمله وبدد جمعه . وفي سنة ١٩٥ هـ / ٨١٠ م ولي البصرة المنصور بن المهدي من قبل الخليفة الأمين ، ولما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون- ابني الخليفة هارون الرشيد - استولى طاهر القائد المشهور للمأمون على واسط والأهواز والكوفة ، فاجتمع أهل البصرة وأرادوا الحرب مع طاهر انتصارا للأمين فخالفهم المنصوربن المهدي ، ثم خلع الأمين وبايع للمأمون فأقره على عمله ([٦]). وفي سنة ١٩٦ هـ / ٨١١ م جمعت العراق وفارس والبحرين وولاها المأمون للحسن بن سهل ، فأرسل الحسن عاملاً عنه على البصرة وهو العباس بن محمد الجعفري . وفي سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م خرج أبو الريا الطالبي فاستولى على الأهواز وواسط والكوفة ، وهجم على البصرة فجمع والي البصرة الجموع من الأهالي فانهزم بعد حروب شديدة واستولى الطالبيون على البصرة . وفي سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م جمع المأمون العساكر وأرسلهم بقيادة أخيه صالح لمحاربة الطالبيين فلما وصلوها نشبت الحرب فغلب صالح الطالبيين ، وبعد حروب طويلة استرد البصرة ثم تولاها من قبل أخيه المأمون . وفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م جمعت البصرة واليمامة والبحرين ووليت لداود بن ماسحور([٧]) .

وفي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م كان إحصاءالمدرسين والعلماء وطلبة العلم بأمر الخليفة المأمون ، وقد ذكرنا هذا في الفصل الأول من هذا البحث ([٨]).

---

[١] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٩٣ – ٩٧ .

[٢] - إبراهيم هو أخو محمد بن عبد الله بن الحسن – النفس الزكية – الذي عارض العباسيين وأعلن خلافته في المدينة ، وولى أخاه إبراهيم البصرة وقد تبعه جمع كبير ، وقد مر ذكر محمد بن عبد الله بن الحسن في المدينة المنورة ص ٥٨ .

[٣] - ابن الغملاس ، البصرة ولاتها ومتسلموها ، ص٢١ .

[٤] - المرجع نفسه ص٢٢ .

[٥] - المرجع نفسه ص٢٢ .

[٦] - المرجع نفسه ص٢٥ .

[٧] - المرجع نفسه ص٢٥- ٢٦ .

[٨] - الصفحة ٤٣ .

وفي سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م ظهرت طائفة الزط في البصرة ، فعاثوا في القرى والمزارع وأحرقوها ونهبوا الأموال ،فاستعد لهم عجيف بن عنبسة والي البصرة وجمع لهم الجموع وهاجمهم فقتل منهم ٥٠٠ نفر وبدد شملهم . وفي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م وقعت زوبعة عظيمة ([1]) في البصرة فهدمت بعض الدور ، فتلف تحت الردم ماينوف عن ٥٠ أو ٦٠ شخصا ، ثم ظهرت في الأهواز . وفي سنة ٢٣٢هـ ولي البصرة عمير بن عمار ، واستمر بها إلى عام ٢٣٩ هـ ([2]).

ج) مكانة البصرة العلمية و دور العلم فيها :

ترك الصحابة الذين وفدوا إلى البصرة – وهم كثيرون - ميراثا عظيما من العلوم الشرعية ، فتلقفه من بعدهم من التابعين بحرص شديد وبرع منهم علماء أجلاء كالحسن البصري(ت: ١١٠ هـ / ٧٢٧ م) . الذي ذُكر أنه التقى بخمسمائةٍ من الصحابة ([3]) واستمر الاهتمام على أشده إلى العصر العباسي ، ورغم أن البصرة لم تكن بوزن الكوفة سياسياً ، إلا أنها سبقت شقيقتها بكثير من العلوم ، ونجد العلماء وطلبة العلم المخلصين يأتونها لطلب العلم من أربابه ، حتى غدت ولفترة طويلة أهم المراكز العلمية في الدولة الإسلامية ، وليس أدل على ذلك مما نجده من أخبارها ،فقد ذكر ابن المعتز ضمن ترجمته لأبي نواس الشاعر: وقد تأدَّب في البصرة ، وهي يومئذٍ **أكثر بلاد الله علماً وفقهاً وأدباً** ([4]) .

وحين أمر الخليفة المأمون بإحصاء العلماء وطلبة العلم في البصرة ؛ ظهر فيها **سبعمائة مدرس ، وأحد عشر ألفاً من طلبة العلم**([5]).

- **أما دور العلم في البصرة فأهمها :**

١- المسجد الجامع : للمسجد الجامع في البصرة الدور الأجل في نشر العلوم الشرعية المختلفة ، ورث أهل البصرة هذا عن سابقيهم ، فقد ذكرنا ما للمسجد من أهمية في نشر العلم منذ عهد رسول الله ﷺ ([6]) فدور المسجد لم يقتصر على الصلاة وحسب ، بل له وظائف أخرى علمية واجتماعية .

وحين بنيت البصرة بني المسجد الكبير بالقصب مثل بقية أبنية المدينة، وعندما اجتاح الحريق مدينة البصرة التهم هذا الحريق المسجد أيضاً، فقام أبو موسى الأشعري بتوسيع المسجد وبنائه باللبن والطين وصبغ جدرانه واتخذ له سقفا وكان المسجد في ذلك الوقت مربع الشكل، ولم يبق المسجد على حالته طويلا بل وسع وجدد وأعيد بناؤه أكثر من مرة، ففي العصر العباسي وتحديدا عام ١٦١هـ / ٧٧٨م ضاق المسجد بالمصلين ، فأمر والي البصرة محمد بن سليمان فأحصي من صلى في مسجد البصرة فكان عددهم عشرين ألف رجل ، ولما رأى الوالي ذلك عمل على توسيع المسجدالجامع ، وأدخل فيه عدة دور ، وفي عهد الرشيد وسع المسجد مرة أخرى وأدخلت فيه دار الإمارة وصار من أوسع مساجد البصرة الجامعة آنذاك، وصار له ثمانية عشر مدخلاً ([7]).

والمهم في الأمر أن المسجد كان الميدان الأرحب للعلماء وطلبة العلم ، وبالنظر إلى تراجم علماء البصرة فإنه لم يقتصر التعليم في المسجد على الدراسات الشرعية ، بل تعدى

---

[1] - الزوبعة : الإعصار الشديد ، وزوبعة : اسم شيطان مارد .ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زبع) .

[2] - ابن الغملاس ، البصرة ولاتها ومتسلموها ص٢٦ - ٢٧.

[3] - ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ /٢٧٨ .

[4] - ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز العباسي (ت : ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م) طبقات الشعراء ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، ط : دار الهلال ، بيروت ٢٠٠٢ م ٥٩/١ .

[5] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٢٧٧ وابن الغملاس ، ولاة البصرة ص ٢٦ .

[6] - الصفحة ٢٨- ٢٩ من هذا البحث .

[7] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن الإسلامية ص٧٢ .

ذلك إلى دراسة الأدب وعلوم العربية والشعر، وكان لايشترط لحضور هذه الحلقات سوى الرغبة في السماع ، وكانت مباحة لأي وارد ، كي يأخذ منها ما يريد من زاد المعرفة ([1]).

وقد ظهرت في البصرة طائفة من العلماء والأدباء نوعوا معارفهم تنويعاً واسعاً ، إذ لم يكتفوا بالاختلاف إلى حلقة واحدة من حلقات المساجد ، بل مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات ، آخذين بطرفٍ من كل لون من ألوان المعرفة ، حتى أصبحوا يشبهون الصحفيين المعاصرين الذين يستطيعون أن يتحدثوا حديثاً شائقاً في كل صور المعرفة والثقافة ، وكان يطلق على هذه الطائفة اسم **المسجديين** ، وكان لهم حلقات خاصة بهم في المساجد ، يسوقون فيها فنوناً من الجدال والحوار في أي شيء يعنّ لهم ([2]).

٢ – مربد البصرة : وثمة مكان آخر في البصرة كان له دور مهم في النشاط العلمي والثقافي لايحسن إغفاله ألا وهو **المربد** : وهو من أشهر محال البصرة ، وكان سوقا للإبل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ([3]) .

وقد ورد في تراجم الكثيرين من العلماء من كان يرتاده لسماع الشعر أو قوله أو مخالطة الأعراب الذين يردون المربد وأخذ العربية الصرفة عنهم ، كأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١١ هـ / ٨٢٦ م) ([4])الذي اشتهر بأنه كان يجمع معلومات عن رواة البدو حين يأتون المربد بالبصرة، فجمع روايات قبلية ومحلية وأسرية .

٣ - **حوانيت الوراقين** : وهذه الحوانيت فتحت أصلاً لأغراض تجارية ، ثم غدت بداية من البصرة مسرحاً للثقافة والحوار العلمي ، وظهرت هذه الدكاكين منذ مطلع الدولة العباسية ، وانتشرت سريعاً في العواصم والبلدان المختلفة ، ولم يكن بائعوا الكتب مجرد تجار ينشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان ذوي ثقافة يسعون للذّة العقلية من وراء هذه الحرفة ، ومع تقادم الزمن عرفت قائمة أسماء الوراقين شخصيات لامعة كابن النديم صاحب " الفهرست " وياقوت الحموي صاحب " معجم البلدان " (٥) .

وفي عصر بحثنا نجد أن هؤلاء الوراقين كانوا يقومون بعملية نسخ للكتب المشهورة وبيعها لطلبة العلم الذين يفدون من شتى بلاد الإسلام طلبا للعلم ، وأصبحت هذه الدكاكين مغدىً ومراحاً للطلبة والعلماء ، يتذاكرون فيها ويتناقشون ، حتى أن الجاحظ كان يكتري دكاكين الوراقين في البصرة ويبيت فيها للنظر فيما تحتويه من كتب(٦) .

٤- بيوت العلماء : لايحسن أن نغفل بيوت العلماء كمكان مهم لتلقي العلم ، ولكن لم أجد خبراً يبرز أهميتها في البصرة – كما كان حال بيت مالك في المدينة المنورة – ([7])ولكن ما عهدنا عالماً أوصد بابه في وجه طلبة العلم ، وأظن أن في البصرة من محال العلم مايغني عن اتخاذ البيوت معاهد لها ، هذا بالإضافة إلى الأعداد الغفيرة من طلبة العلم الذين – حسب ظني - لايمكن أن تتسع لهم البيوت ، فقد ذكر أن النضر بن شميل (ت :٢٠٣ هـ /٨١٨ م) تلميذ الخليل بن أحمد ، حين عزم على الخروج من البصرة إلى خراسان شيعه ثلاثة آلاف شخص بين محدث ونحوي ولغوي وعروضي وإخباري (٨) فهذا دليل على كثرة طلاب العلم في البصرة ، فأي بيت سيتسع لهؤلاء ؟ وأضيف إلى ذلك أن بيوت

---

[1] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٠١ .
[2] - المرجع نفسه ص١٠١ - ١٠٢ .
[3] - ياقوت ، معجم البلدان ٥/ ١١٤ .
[4] - سترد ترجمته مع مؤرخي البصرة .
[5] - عبد الدائم ، عبد الله ، التربية عبر التاريخ ط: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م ص١٤٨ .
[6] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٠٣.
[7] - سبق أن ذكرت صفة بيت مالك وتلقي الطلبة العلم على يديه في بيته عند الكلام عن دور العلم في المدينة المنورة ص ٣٠.
[8] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب ص١٠١ .

البصرة – كما سبق وذكرنا – كانت بيوتاً تغلب عليها البساطة ، مبنية من القصب والطين ، فهذا يرجح سبباً آخر لعدم اتخاذ بيوت العلماء مكاناً للدرس .

هـ) ومن العلوم التي اشتهرت بالبصرة :

أولا : علوم القرآن الكريم

أ – علم القراءات :

كانت علوم القرآن على رأس العلوم التي عني بها علماء البصرة ، فقد أجمع المؤرخون على أن علم نقط المصحف علمٌ بصريٌ ([1]) قام به ظالم بن عمرو المعروف بأبي الأسود الدؤلي البصري (ت: ٦٩ هـ ، ٦٨٨م) وتتابع الاهتمام بالقرآن وعلومه حتى ظهرت علوم قرآنية كثيرة ، فالخليل بن أحمد هو أول من ابتكر شكل القرآن ، وذلك لضبط قراءته وصونها من الغلط والتحريف ([2]) وكان لعلماء البصرة يد طولى في علم القراءات ، فأنتجت واحدا من القراء السبعة وهو أبو عمرو بن العلاء ، وآخر من القراء العشرة وهو يعقوب بن إسحاق الحضرمي ([3]) ، وبالاطلاع على تراجم قراء البصرة نستنتج أن :

- أكثر القراء نبغ بالعربية إلى جانب نبوغه في القراء ة .
- كانوا السباقين إلى التأليف في علم القراءات ، فقد صنف أبو عمرو كتاب القراءات ، وجمع يعقوب بن إسحاق عامة اختلاف القراءا ت في كتاب سماه الجامع،وللزهراني كتاب يماثله أيضا([4])
- ولم تقتصر تآليفهم في القراءات وحسب ، بل نجد لهم تآليف في علوم مختلفة ، يدلنا هذا على موسوعيتهم وغزارة علومهم . ومن أشهر قراء البصرة :

- أبو الأشهب (ت: ١٦٥ هـ /٧٨١ م)

هو جعفر بن حيان العطاردي البصري الضرير . قرأ القرآن على أبي رجاء العطاردي ، وقرأ عليه يعقوب بن إسحاق الحضرمي . وثقه غير واحد من العلماء ([5]) .

- أبو عمرو البصري (ت: ١٥٤ هـ / ٧٧٥م)

هو زبان بن العلاء ، أبو عمرو التميمي المازني البصري ، أحد القراء السبعة . غطى على جميع من تقدم من القراء ، كان متمسكاً بالسنة محافظاً على تطبيقها لا يخالف عما جاء من الأئمة ممن قبله ، وفي بداية طلبه للقراءات رحل إلى الحجاز : مكة والمدينة وسلك في القراءة على طريقتهم ، ولم يتهيأ لأي بصري قبله مثل ماتهيأ له ، فقد رزقه الله بطلاب بررة مجدين أخذوا علوم القراءات منه ودرسوها ونشروها إلى أن أصبحت قراءة أبي عمر بن العلاء هي القراءة الرسمية في البصرة وما حولها. كان لأبي العلاء ميزة عن غيره من القراء،فقد رحل منذ صغره مع أبيه الهارب من الحجاج ، فكان أبوه لا يمر على بلد أو مصر من الأمصار إلا وأخذ معه ابنه ليأخذ القراءة من أشهر القراء ويتعلم العربية من أشهر العلماء في كل بلد يذهب إليه. فهو أكثر القراء شيوخاً وأكثرهم طلباً للقراءة.

سمع : أنس بن مالك وغيره ، وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن جبير وعاصم بن أبي النجود وعبد الله بن كثير المكي وغيرهم كثير . وتسلسل قراءته عن ابن

---

[1] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ، ط: بغداد ١٩٨٥ م ، علوم القرآن ٧/ ١٨ .
[2] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب ، العصر العباسي الأول ص١٢٩ .
[3] - سترد ترجمة أبي عمرو والحضرمي مع القراء في البصرة .
[4] - سترد ترجمة الزهراني مع قراء البصرة .
[5] - الذهبي ، السير ٢٨٦/٧ وابن الجزري ، شمس الدين ، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت : ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) غاية النهاية في طبقات القراء ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠ بعناية ج . برجستراسر ١ / ١٩٢ .

كثير ومجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أُبي ، عن رسول الله ﷺ. وروى القراءة عنه عرضا وسماعا : جماعة كثيرة يتعذر حصرهم ، لكن أشهرهم يحيى اليزيدي . تصدر أبو عمرو للقراءة والإقراء في المسجد الكبير بالكوفة رغم وجود الحسن البصري الذي كان إماماً ومن القراء والعلماء وله قراءة مستقلة (١) . وأبو عمرو من أوائل من صنف بعلم القراءات (٢)

وصف بالصدق والثقة والزهد والأمانة والدين ، يصف حفظه فيقول : لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأ لقرأت كذا وكذا وذكر حروفا . وما رأيت أحدا قبلي أعلم مني ([٣]).

كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب – حسب شهادة العلماء في عصره - وكانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها وتفرد للعبادة وجعل على نفسه أن يختم القرآن في كل ثلاث ليال .

وممن شهد له : الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد كان يزكي قراءته ويجيب السائلين عن أي القراءات أفضل ؟ فيوصيهم بقراءة أبي عمرو بن العلاء المازني ([٤]).
انتشرت قراءة أبي عمرو بن العلاء المازني البصري حتى تجاوزت البصرة و العراق والشام ووصلت مصر ، وكانت في زمن ابن الجزري (ت : ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) هي السائدة والرسمية في الكوفة والشام والبصرة والمدينة ومصر واليمن وزحفت على جميع القراءات الموجودة وأصبحت هي القراءة السائدة ، إلا أنها بدأت تتراجع بعد ذلك أمام قراءة عاصم وتحديداً رواية حفص ، خاصةً مع السلاطين العثمانيين الذين اعتمدوا قراءة حفص رحمه الله ، وطبعوها ونشروها ؛ لأنها كانت القراءة الرسمية لدولتهم . ومع ذلك لا زالت رواية أبي عمرو بن العلاء موجودة حالياً في بعض المناطق مثل السودان وأرتيريا و الحبشة ، وهي أيضا متواجدة في بعض مناطق الصعيد في مصر، ومناطق من حضرموت باليمن جنبا إلى جنب مع رواية حفص. ([٥])

ونقل ابن الجزري ([٦]) قول شعبة بن الحجاج وهو يوصي أحد طلابه بالتزام قراءة أبي عمرو فيقول : تمسك بقراءة أبي عمرو ، فإنها ستصير للناس إسناداً .
قال ابن الجزري : والقراءة التي عليها الناس اليوم بالشام والحجاز واليمن ومصر هي قراءة أبي عمرو فلا تجد أحداً يلقن القرآن إلا على حرفه خاصة في الفرش ، وقد يخطئون في الأصول ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة فتركوا ذلك ، لأن شخصا قدم من أهل العراق وكان يلقن الناس بالجامع الأموي على قراءة أبي عمرو، فاجتمع عليه خلق واشتهرت هذه القراءة عنه وأقام سنين كذا بلغني وإلا فما أعلم السبب في

[١] -- الزبيدي ، محمد بن الحسن ، أبو بكر الأندلسي(ت : ٣٧٩ هـ/ ٩٩٠ م) طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، بلا تاريخ ص٣٥ و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٧ وابن الجزري ، غاية النهاية ١ / ٢٨٨والعمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٥ / ٢٢٣ .
[٢] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ص١٢٩
[٣] - الذهبي ، السير ٤٠٨/٦ والعمري ، مسالك ٢٢٣/٥ .
[٤] - ينظرالذهبي ، السير ٦ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .
[٥] - ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ط: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م ٦٤/١ .
[٦] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٩١/١ .

إعراض أهل الشام عن قراءة ابن عامر وأخذهم بقراءة أبي عمرو . ([1]) وأنا أعد ذلك من كرامات شعبة – حسب قول ابن الجزري –

وكان أبو عمرو ينصح تلاميذه بقوله : كن على حذر من الكريم إذا أهنته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن الأحمق إذا مازحته ، ومن الفاجر إذا عاشرته ، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك أو تحدث من لا ينصت لك([2]) .

ذكر ابن الجزري في النهاية([3]) أن أبا عمرو ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة .

- **يحيى اليزيدي (ت: ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م)**

هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي . رحل من البصرة الى بغداد ، وهو عدوي وليس يزيدي ، لقب باليزيدي لأنه كان يؤدب أولاد يزيد بن منصور الحميري – خال الخليفة المهدي– فنسب إليه(٤).

وهو تلميذ أبي عمرو بن العلاء المازني ، تصدر للقراءة بعد شيخه أبي عمرو، وكان قد جالسه دهراً وضبط حروفه ضبطاً ، لم يتقدم عليه أحد من تلامذة أبي عمرو وقيل أنه أملى عليه عشرة آلاف ورقة .تلا عليه خلق منهم أبو عمر الدوري (٥) من القراء العشرة .

وكان متبحراً في النحو والعربية وأنساب العرب وتاريخهم وسيرهم ، وكان من المراجع في ذلك . ولما توفي الإمام أبي عمرو بن العلاء انتصب اليزيدي للرواية عنه ، وتصدر لها ، فبلغت روايته الآفاق وكل الطرق والقراءات صارت بعد ذلك تنتهي إلى اليزيدي رحمه الله ([6]) .

وكان المؤدب للمأمون بن الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وكان الكسائي([7]) زميلاً له في تأديب المأمون ، وكان كلاهما – اليزيدي والكسائي – يُقرؤون الناس في مسجد واحد ببغداد فقيل إنه كان بينهما منافسة في جوانب من النحو والعربية أدت إلى تناظرهما في بعض مسائل العربية أكثر من مرة.([8])

وتذكر المصادر له تصانيف عدة منها :كتاب " النوادر" و"المقصور والممدود " و" الشّكل" و"نوادر اللغة" وله نظم حسن ([9]) .

---

[1] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٩١/١ .

[2] - الذهبي ، السير ٦ / ٤١٠ .

[3] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٩٢/١ .

[4] - الذهبي ، السير ٥٦٢/٩ .

[5] - هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري ، ثقة ثبت ضابط ، إمام القراءة في زمانه (ت : سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠ م) نزيل سامراء . ابن الجزري ، غاية النهاية ١/ ٧٣ .

[6] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٦/١٤ والذهبي ، السير٥٦٢/٩ وابن الجزري ، غاية النهاية ٣٧٥/٢ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٤٧ .

[7] - هو علي بن حمزة الكسائي ، أحد القراء السبعة (ت: ١٨٩ هـ/ ٨٠٤ م) وسترد ترجمته مع قراء الكوفة .

[8] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٧٧/٢ .

[9] - الذهبي ، السير ٩ /٥٦٣ .

- يعقوب (ت : ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م)

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد ، أبو محمد الحضرمي البصري ، أحد القراء العشرة ، أخذ القراءة عرضاً على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل المزني وغيره ، وقيل : إنه قرأ على أبي عمرو نفسه، وسمع الحروف من حمزة الكسائي .

ويذكر أن قراءته تتسلسل عن الثقات إلى أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ، إلى رسول الله ﷺ ، وهو سند في غاية من العلو والصحة . (١)

وكان أعلم الناس في زمانه بالقراءات، والعربية ، والرواية، وكلام العرب، والفقه وانتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو، وكان إمام جامع البصرة سنين . واستمر الأمر على هذا الحال بعده فإمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب(٢).

وصف بأنه كان صدوقاً ، فاضلاً ، تقياً ورعاً ، زاهداً ، سُرق رداؤه وهو في الصلاة ورُد إليه ولم يشعر لشغله بالصلاة(٣) .

وروى عنه القراءة خلق كثير . وكان من بيت علم بالقراءات والعربية وكلام العرب، ولبعضهم فيه :

أبوه مـــــن القراء كان وجده ويعقوب في القراء كالكوكب الدرى
تَفَرُّدُهُ محض الصواب ووجهه فمن مثـــــله في وقته وإلى الحشر

وله كتاب سماه " الجامع " جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات، ونسب كل حرف إلى من قرأ به وكتاب " وقف التمام" وكان يأخذ أصحابه بعدّ آي القرآن العزيز، فإن أخطأ أحدهم في العدّ أقامه ([٤]) .

- الزهراني (ت : ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م)

هوسليمان بن داود ، أبو الربيع الأزدي البصري ، حافظ مقرئ . وثقه غير واحد من العلماء . وأجمعو على الاحتجاج به ، طال عمره ، وتفرد في وقته . وكان أجل علماء عصره مع شهرتهم وعلو مرتبتهم . وله كتاب جامع في" القراءات " ([٥])

ب- **علم التفسير في البصرة :**

يعد الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ / ٧٢٧م) رأس المدرسة البصرية في التفسير ، حيث أدرك جماعة من علماء الصحابة ، وأخذ عنهم ، وكان بحراً من بحور العلم مع ورعه وتقواه ، وله تفسير رواه عنه جماعة من تلامذته ، ونجد صدى قوياً لهذه المدرسة في تفسير الطبري ، الذي أكثر من النقل عن رواتها ([٦]) وتولى العلماء المترجَمون فيما سيأتي أمانة حمل هذه المدرسة مع الاستزادة فيها وتصنيفها .

- اتجاهات علم التفسير :

أخذ علم التفسير في عصر بحثنا عدة اتجاهات :

١- **التفسير اللغوي** : وهي التفاسير التي اهتمت بمعاني القرآن وإعراب القرآن .

٢- **بيان أحكام القرآن** : وهو التركيز على المسائل الفقهية في القرآن ، ولم تعرف مصنفات هذا الاتجاه في عصر البحث في العراق ، وأول من صنف فيه الإمام الشافعي رحمه الله (ت: ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م) .

---

[١] - ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ ١٨٦/١ -١٨٧ . وغاية النهاية ٢٨٧/٢ .
[٢] - نفس المصدر .
[٣] - الذهبي ، السير ١٠ / ١٧٣ . ومعرفة القراء الكبار ط: دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٩ م ١٣١/١ .
[٤] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٦٠/٦ وابن الجزري ، غاية النهاية ٣٨٦/٢ والذهبي ، السير ١٠ / ١٦٩ والعمري ، مسالك الأبصار ٥ / ٢٥٠ .
[٥] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٩ /٣٨ و السير ١٠/ ٦٧٦ وابن الجزري ، غاية النهاية ٣١٣/١ .
[٦] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧/ ٥١ و٦٢ .

٣- **التفسير بالأثر** : وهو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أوكلام الصحابة أو التابعين مبيّنا لمراد الله تعالى من كتابه ([1]).

٤- **التفسير بالرأي** : وهو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيها في القول ومعرفة ألفاظ اللغة ومعرفة الناسخ والمنسوخ ،واسباب النزول ووجوه القراءات وتعليلها . ([2])

٥- **علم متشابه القرآن** :وقد شهدت البصرة أيضا ظهور هذا العلم الجديد ،الذي ليس له سابقة ، وهو من ميادين البحث الشائكة ، وقد تحاشاه كثير من الباحثين ، ووقف منه أهل الأهواء موقف التأويل البعيد ، فذهبوا مذاهب للتأويل توافق أهواءهم ، ولذلك يحتاج الباحث في هذا العلم إلى أن يكون دقيقاً وموضوعياً إلى أقصى درجات الالتزام المنهجي([3]) .
وسنجد أن أول من طرق باب هذا العلم وألف فيه مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) إذاً فقد شكل علم التفسير في البصرة اللبنات الأساسية للمؤلفات الجامعة في التفسير التي ظهرت جلية في القرن التالي لزمن البحث هذا .

وفي" تاريخ التراث العربي " ([4]) سادت في النصف الأول من القرن الثاني الهجري طريقة الجمع في تفسير القرآن التي تأخذ بعين الاعتبار الأجزاء التاريخية و الفقهية ، و كذلك الأجزاء اللغوية من التفاسير القرآنية الأولى ، وقد واصلت هذه الطريقة الجامعة تطورها في النصف الثاني من القرن الثاني ، وكان أكثر مؤلفي هذه الفترة قد تتلمذوا على مؤلفي التفاسير الجامعة من أبناء الجيل السابق ، و اهتموا علاوة على ذلك بالتاريخ والحديث كما اهتم بعضهم بالفقه ، وإلى جانب هذه التفاسير القرآنية الجامعة ، فقد ظهرت في الفترة نفسها دراسات لغوية في نص القرآن الكريم ، و كانت الأعمال التمهيدية قد سبقت حركة تأليف هذه الكتب اللغوية بحوالي نصف قرن ، وتحمل هذه الكتب العناوين التالية :

- غريب القرآن
- معاني القرآن
- مشكل القرآن
- مجاز القرآن (كتاب واحد)

وقد ضاعت أكثر هذه الكتب ، كما ضاع كثير من الكتب في المجالات الأخرى للتراث العربي ، وقد وصل إلينا منها كتابان من أهم هذه الكتب و هما :

١- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م).
٢- معاني القرآن للفراء الكوفي (ت ٢٠٧هـ /٨٢٢م).

وكان للكتابين أثر كبير في التطور الذي حدث بعد ذلك ([5])

ولقد اهتم أكثر علماء الحديث في النصف الأول من القرن الثالث الهجري بالتأليف في التفسير إلى جانب مؤلفاتهم في علم الحديث – فالبخاري اختار صحيحه من كتب الحديث المتاحة ، وخصص لتفسير القرآن بابا مستقلا ، يضم هذا الباب عند البخاري مقتبسات غير مرتبة،أكثرها دون سلسلة إسناد ، ومأخوذ من التفاسير المبكرة في القرنين الأول و الثاني للهجرة ،ومن الكتب اللغوية في القرن الثاني للهجرة . ويرجع التفسير الموضوعي الكبير الذي ألفه الطبري إلى القرن الثالث الهجري ، وقد جمع فيه أهم كتب التفسير المؤلفة قبله ،

[1] - المرجع نفسه ج٧ / ٥٣ – ٦٣ .
[2] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ج٧ / ٥٣ – ٦٣ .
[3] - المرجع نفسه ٧ / ٥٠ -٥١ .
[4] - سزكين ، د. فؤاد تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية د. عرفة مصطفى ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣ هـ ، مجلد ١جزء١/ص٨٣ .
[5] - سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١/ص٨٣ .

فاقتبس مادتها من أسانيدها اقتباسا يكاد يكون كاملا ، واغلب الظن أن التفاسير الأولى للمعتزلة ترجع إلى بداية القرن الثاني الهجري ([1]).

- أشهر مفسري البصرة :

أنجبت البصرة عدداً من المفسرين ، تنوعت تفاسيرهم ، وكانت تفاسيرهم أصولاً اعتمد عليها المفسرون الكبار أمثال الطبري وغيره ، فمنهم :

- مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)

هو أبو الحسن البلخي ، كبير المفسرين ، ضعفه بيّن ، ذُكر عن ابن المبارك قوله : ما أحسن تفسيره لو كان ثقةً . وذكر قصة وهي أن الخليفة المنصور ألحّ عليه الذباب ، فطلب مقاتلاً ، فسأله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذلّ به الجبارين ([2]). وهو أول من ألف كتاباً باسم: "متشابه القرآن" . ([3])

وفي " تاريخ التراث العربي " ([4]) : أصله من بلخ وعاش في البصرة ثم انتقل إلى بغداد ، كان مفسرا ومتكلما ، ولم يكن تفسيره موضع تقدير لأنه في شروحه يطلق العنان لخياله ، ويكمل الجوانب الموجزة في القرآن الكريم بمأثورات النصارى واليهود ، وفوق هذا فإنه أفاد من تفاسير قديمة دون ذكر الأسانيد ودون سماع .

آثاره :

- تفسير خمسمائة آية من القرآن – يتناول الأوامر والنواهي ([5]).
- تفسيرا لقرآن ذكره الخطيب (١٤/ ٧٨) مخطوط ، وله نسخ كثيرة .
- وجوه حرف القرآن ، هذبه تلميذه أبو نصر بعنوان " الوجوه والنظائر في القرآن " ذكره الخطيب ([6]) .
- كتاب اللغات في القرآن .
- كتاب الجوابات في القرآن .
- كتاب الرد على القدرية([7]) .

- مؤرج بن عمرو البصري (ت: ١٩٤هـ / ٨٠٩ م)

هوأبو فيد السدوسي ، أخذ القراءة والعربية عن أبي عمر بن العلاء ، انفرد بكتاب " معاني القرآن " اعتمد عليه كل من ألف في هذا الباب بعده ([8]).

- التيمي (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

هويحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، كان مفسرا ومحدثا .

آثاره :

- التفسير.
- التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه) ([9]).

- روح بن عبادة (ت : ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م)

يعد من المفسرين والمحدثين ، ومن آثاره في التفسير :

---

[1] - المرجع نفسه مجلد ١جزء١/ص٨٤ .
[2] - ابن سعد ، الطبقات ٣٧٣/٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٦٠/١٣ والذهبي ، السير ٢٠١/٧ .
[3] - مجموعة من الباحثين ، حضارة العراق ٢٩/٧ .
[4] - سزكين د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد١الجزء ١ ص٨٥ .
[5] - مخطوط : في المتحف البريطاني .
[6] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٦٠/١٣.
[7] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد١الجزء ١ ص ٨٦ .
[8] - مجموعة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ /٣٠ .
[9] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٧٣/٢ وسزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ١ الجزء١/ ص٨٨ .

- التفسير ، أفاد منه الثعلبي في كتابه " الكشف والبيان " وأفاد منه الطبري نقلاً عمن نقل عنه ([1]).

- الأخفش (ت: ٢١٠هـ / ٨٢٥ م)

هوسعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ، أول من صنف في "معاني القرآن" وكتابه مطبوع ومتداول([2]) .

- معمر بن المثنى ، أبو عبيدة (ت : ٢١١ هـ / ٨٢٦ م)

له عدة كتب في التفسير([3]) منها "معاني القرآن " وإعراب القرآن " وقد ترجم مع المؤرخين لغلبة مصنفاته التاريخية ([4]).

- أبو حذيفة (ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

هو موسى بن مسعود النهدي البصري ، أحد شيوخ البخاري .

آثاره :

- تفسير القرآن . أفاد منه الطبري في تاريخه ، وفي تفسيره ، وكذلك الثعلبي في " الكشف والبيان " ([5])

-ثالثا : علم الحديث في البصرة :

وصف الخطيب البغدادي ([6])رواة الحديث في البصرة بقوله : وأما أهل البَصْرة فلهم من السُّنَنِ الثابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم ، مع إكثارهم وانتشار رواياتهم .

ويلاحظ أن علم الحديث في البصرة كان له حظوة على غيره ، وبالاطلاع على تراجم علماء الحديث نجد لهذا العلم خصائص متعددة منها :

- غزارة الأحاديث المروية ، مع الدقة والتمحيص والانتقاء ، وبلا ريب فقد شكلت هذه الأحاديث في مجملها كتبا صنفت في القرن التالي ، أجمع المسلمون على اعتمادها مراجع للحديث النبوي كالصحاح والسنن ، التي انتشرت في آفاق العالم الإسلامي .

- علماء البصرة هم أول من أوجد نقد الرجال الذي سمي : علم الجرح والتعديل ، وأول من عمل به شعبة بن الحجاج (ت: ١٦٠ هـ / ٧٧٦م) ويحيى القطان (ت: ١٩٨ هـ/٨١٣م) ثم أصبح من بعدهم علما لايستغني عنه طالب حديث ([7]) .

- وهم أول من ألف في الحديث كتبا مصنفة على الأبواب ، كسعيد بن أبي عروبة (ت: ١٥٦هـ/٧٧٣م) وروح بن عبادة (ت: ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م)([8]) .

- ورغم أنهم سبقوا في التصنيف إلا أن العلماء منهم كانوا يشجعون تلامذتهم على الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، قبل اللجوء إلى الدواة والقلم – أبو داود الطيالسي وأبو عاصم الضحاك ([9]).

- ومنهم من تفرد - مع ثقته وتقواه - بأحاديث لم يشاركه فيها أحد كـ : عكرمة بن عمار (ت ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م)([10])

---

[1] - سترد ترجمته مع المحدثين ، وماهنا يخص علمه في التفسير أفدته من : سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١/ص٩٢.

[2] - سترد ترجمته بأوسع مما هنا مع النحاة في البصرة .

[3] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ط: بغداد ١٩٨٥ م ج٥٤/٧ .

[4] - مصطفى ، د. شاكر،التاريخ العربي والمؤرخون ط٣: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣م ١ /١٩٨ وسترد ترجمته صفحة ٩٨ وصفحة ١٠٥

[5] - سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١/ص٩٣ .

[6] - الجامع لأخلاق الراوي ، ط : ٢/ ٢٨٦ .

[7] - الذهبي ، السير ٢٠٤/٧ .

[8] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي مجلد ١ جزء١ ص١٦٧ -١٦٨ .

[9] - الذهبي ، السير ٩ / ٣٤٦ و ٣٧٨ .

[10] - المصدر نفسه ١٣٥/٧ .

ونظراً لكثرة أعداد المحدثين في البصرة ، تم الاقتصار على المشهور منهم ، أو أصحاب التصانيف ، فمن هؤلاء :

- حبيب بن الشهيد (ت : ١٤٥ هـ /٧٦٢ م)

كان من كبار العلماء له نحو من مائة حديث . وثقه أحمد بن حنبل ، وقال : ثقة مأمون ([1]).

- قرة بن خالد السدوسي البصري (ت : ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م)

ثبت متقن ضابط ، له نحو مائة حديث روى له البخاري ومسلم([2]) .

- هشام الدستوائي (ت :١٥٤ هـ / ٧٧٠ م)

هوهشام بن أبي عبد الله ، أبو بكر البصري الربعي ، كان يتجر في القماش الذي يجلب من دستوا ولذا قيل له صاحب الدستوائي (٣)

يقول شعبة تلميذه : ما من الناس أحد أقول إنه طلب الحديث يريد به الله إلا هشام صاحب الدستوائي ، وكان يقول : ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافاً لا لنا ولا علينا . وكان صاحب علم غزير([4]) . وقد رمي بالقدر (٥) .

قال الذهبي (٦) : حديثه في الدواوين كلها إلا الموطأ . ثم ذكر الذهبي حديثاً - هشام في سنده - يروي عن أنس بن مالك ، قال: لأحدثنكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: " إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويظهر الزنى ويشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى تكون في الخمسين امرأة القيم الواحد "([7]) .

- سعيد بن أبي عروبة (ت : ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م)

هو أول من صنف في الحديث كتباً مبوبة ، ومن آثاره :

- كتاب المناسك رواه عن أستاذه قتادة .
- تفسيره، ذكره ابن حجر في الإصابة ، وهو مأخوذ من تفسير قتادة ([8]).

- عكرمة بن عمار (ت : ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م)

هوأبو عمار البصري ثم اليمامي ، وثقه علماء الرجال ، ومنهم يحيى بن معين حيث قال فيه : ثقة . وحديثه عند مسلم ، وينفرد بأحاديث طوال ، لايشاركه فيها أحد ([9]) .

- شعبة بن الحجاج بن الورد (ت :١٦٠ /٧٧٦ م)

هوأبو بسطام الأزدي ، عالم أهل البصرة وشيخها ، أمير المؤمنين في الحديث ، سكن البصرة من الصغر ورأى الحسن البصري وأخذ عنه مسائل ، وهو أول من جرح وعدل . وأحاديثه مبثوثة في الكتب الستة وغيرها وتعد بالآلاف .

ونقل عن الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق وقال الإمام أحمد : كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن . ووصفه العلماء بالتقوى والزهد وشدة الخشية من الله عز وجل ،

---

[1] -ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ص١٥٢ و الذهبي في السير ٧ / ٥٦ .
[2] - ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ص١٥٦ و الذهبي في السير ٧ / ٩٥ .
٣- دستوا : بليدة من أعمال الأهواز . الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان (دستوا) .
[4] - ابن سعد ، الطبقات ٧٩/٧ و ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ص١٥٨ والذهبي في السير ٧ / ١٤٩ .
[5] - سئل يحيى بن معين : أرأيت من يرمى بالقدر ، يكتب حديثه ؟ قال : نعم ، قد كان قتادة وهشام الدستوائي وذكر جماعة يقولون بالقدر .الذهبي ، السير ١٥٣/٧ .
[6] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ١٥٦ .
[7] - البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الصحيح الجامع ، كتاب النكاح رقم ٤٨٣٠ .
[8] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي مجلد ١ جزء١ ص١٦٧ -١٦٨ .
[9] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٥٧/١٢ و الذهبي في السير ٧ / ١٣٤ .

ذكر أحدهم قائلا : ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه نسي ، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي . قال أحد معاصريه : سمعت شعبة يقول : إذا كان عندي دقيق وقصب ما أبالي ما فاتني من الدنيا ([1]).

وكان يخشى تدليس الحديث فيقول : لأن أزني أحب إلى من أن أدلس . وعنه قال : وددت أني وقاد حمام وأني لم أعرف الحديث ([2]) .

وتذكر الروايات على أنه كان شاعرا قبل تحوله إلى علم الحديث ، ذكر ذلك الأصمعي حيث قال : لم نر قط أعلم من شعبة بالشعر قال لي : كنت ألزم الطرماح ([3]) فمررت يوما بالحكم بن عتيبة وهو يحدث فأعجبني الحديث وقلت : هذا أحسن من الشعر فمن يومئذ طلبت الحديث ([4]).

وفي " تاريخ التراث العربي " ([5]):شعبة بن الحجاج هو من أوائل من بوبو الحديث في البصرة ، وامتاز بأنه أول من بحث أحوال المحدثين ، وأفرد لذلك عملا مستقلا ، و آثاره مجموعة في :" أحاديث شعبة " لمحمد بن المظفر البزاز ت ٣٧٩ هـ /٩٨٨م .

ومن حديثه عن أبي داود الطيالسي قال : كنا عند شعبة نكتب ما يملي ، فسأل سائل ، فقال شعبة : تصدقوا . فلم يتصدق أحد ، فقال : تصدقوا فإن أبا إسحاق حدثني ، عن عبد الله بن معقل ، عن عدي بن حاتم قال : قال رسولﷺ:" اتقوا النار ولو بشق تمرة " قال : فلم يتصدق أحد . فقال : تصدقوا فإن عمرو بن مرة حدثني ، عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : " أتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة " فلم يتصدق أحد . فقال : تصدقوا فإن مجلا الضبي حدثني ، عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : " استتروا من النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة " ([6]) فلم يتصدق أحد .([7]) فقال : قوموا عني ، فوالله لاحدثتكم ثلاثة أشهر. ثم دخل منزله فأخرج عجينا فأعطاه السائل فقال : خذ هذا فإنه طعامنا اليوم ([8]).

- حماد بن سلمة بن دينار (ت : ١٦٧ هـ / ٧٨٣م)

هوأبو سلمة البصري النحوي البزاز، أحاديثه في الصحيحين والسنن الأربع ، وقد كتب عنه تلامذته الآلاف من الأحاديث ، وكان يكره مقابلة الأمراء فقد روي عنه قوله : إن دعاك الأمير لتقرأ عليه (قل هو الله أحد) الإخلاص ، فلا تأته . وقد امتدحه العلماء لورعه وتقواه . وكان شديد المواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى . قال أحمد بن حنبل : إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديدا على المبتدعة([9]).

واشتهر بالقراءة والإقراء ، فقد روى الحروف عن عاصم وابن كثير، و أخذ عنه الحروف حرمي بن عمارة وأبو سلمة التبوذكي . (١٠)

وإلى جانب شهرته بالحديث والقراءة ، كان عالما بالعربية حاذقا بها ، ولأحدهم يرثيه :

يا طالب النحو ألا فابكه   بعد أبي عمرو وحماد(١)

---

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٥٥/٩وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٦٩/٢ والذهبي ، السير ٧ / ٢٠٢ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٣٩١ .
[2] - الذهبي ، السير ٧ / ٢١٠ و٢١٣ .
[3] - الطرماح بن حكيم ، شاعر إسلامي فحل ، ولد ونشأ بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة ، فكان معلما فيها ، وكان هجاءا توفي عام ١٢٥هـ .
[4] - الذهبي ، السير ٢١٢/٧ .
[5] - سزكين ، المجلد ١ الجزء ١/ ص ١٦٨ -١٦٩ .
[6] - مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، رقم الحديث ١٠١٦ .
[7] - هذا يبرز حفظه للحديث الواحد من طرق متعددة .
[8] - الذهبي ، السير ٢٢٨/٧ .
[9] - الذهبي ، السير ٧ /٤٤٤ والعمري ، مسالك الأبصار ٥ / ٦٦٢.
[10] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٥٨/١ .

قال الذهبي ([2]) : وكان مع إمامته في الحديث إماما كبيرا في العربية فقيها فصيحا رأسا في السنة صاحب تصانيف

- حماد بن زيد بن درهم (ت : ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)

هوأبو إسماعيل ، ، حافظ ثبت ، محدث الوقت ،أصله من سجستان سبي جده درهم منها ، له أربعة آلاف حديث كان يحفظها ولم يكن له كتاب ، وأحاديثه في الصحاح .

وهو رابع أربعة من علماء العصر وقتذاك ، فقد ذكر أن أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وكان سريع الحفظ يتمتع بذاكرة قوية ، حتى قال أحـــــد تلاميذه : ما رأيت شيخا أحفظ من حماد بن زيد ([3]).

وامتدحه العلماء ووثقوه كيحيى بن معين الذي قال فيه : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد . وقال أحمد بن حنبل : حماد بن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين هو أحب إلي من حماد ابن سلمة . (٤)

قال الذهبي (٥) : لا أعلم بين العلماء نزاعاً في أن حماد بن زيد من أئمة السلف ومن أتقن الحفاظ وأعدلهم وأعدمهم غلطاً على سعة ما روى رحمه الله .

- أبو عوانة (ت : ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م)

الوضاح بن عبد الله مولى يزيد بن عطاء اليشكري الواسطي البزاز ، محدث البصرة ، حافظ ثبت ، كان الوضاح من سبي جرجان . هو ممن دوّن الحديث بالبصرة ، وله كتاب ، وأحاديثه في السنن الأربعة .

قال فيه أحمد بن حنبل : هو صحيح الكتاب ، وإذا حدث من حفظه ربما يهم . وكان مولاه يزيد قد خيره بين الحرية وكتابة الحديث ، فاختار كتابة الحديث ، وفوض إليه مولاه التجاره ، فجاءه سائل فقال : أعطني درهمين فإني أنفعك فأعطاه ، فدار السائل على رؤساء البصرة وقال : بكروا على يزيد بن عطاء فإنه قد أعتق أبا عوانة . قال : فاجتمعوا إلى يزيد وهنؤوه فأنف من أن ينكر ذلك وأعتقه حقيقة ([6]).

- معتمر بن سليمان (ت : ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)

هوأبو محمد التيمي البصري ، جمع الكثير من الأحاديث أكثرها في السنن الأربعة ، كان من كبار العلماء ، وثقه أئمة الشأن كابن معين وأبي حاتم ([7]).

- غندر (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م)

هومحمد بن جعفر ، أبو عبد الله الهذلي ، أحاديثه عند الجماعة ، وهو أحد المتقنين ، شهد له بذلك يحيى بن معين حيث قال : أخرج غندر إلينا ذات يوم جرابا فيه كتب فقال : اجهدوا أن تخرجوا فيها خطأ قال : فما وجدنا فيه شيئا ، والتفت غندر يوما إلي فقال : اعلم أني منذ خمسين سنة أصوم يوما وأفطر يوما . وكان غندر يتجر في الطيالسة وفي الكرابيس (٨) وكان من خيار أصحاب الحديث ومجوديهم ، واتفق أرباب الصحاح على الاحتجاج به ([9]).

---

[1] - البيت ، من مرثية ليحيى اليزيدي ، تقدمت ترجمته مع القراء في البصرة .
[2] - الذهبي ، السير ٤٤٧/٧ .
[3] - ابن سعد ، الطبقات ٢٨٦/٧ وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ص١٥٧ و الذهبي في السير ٧ / ٤٥٦ .
[4] - الذهبي ، السير ٧/ ٤٥٨ .
[5] - المصدر نفسه ٧ / ٤٦٤ .
[6] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٦٥/١٣ و الذهبي في السير ٨ / ٢١٧ .
[7] - الذهبي في السير ٨ / ٤٧٧ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٦٦٢ .
[8] - الطيلسة : ج طيلسان وهو ضرب من الوشاح خال عن التفصيل والخياطة . و الكرابيس : ج كرباس ، ثوب غليظ من القطن . المعجم الوسيط (طلس)
[9] - ابن سعد ، الطبقات ٢٦٠/٧ و الذهبي ،السير ٩ / ٩٨ .

- معاذ بن معاذ (ت : ١٩٦ هـ / ٨١٠ م)

هوأبو المثنى العنبري البصري القاضي ، أحاديثه عند الجماعة . ذكرأحمد بن حنبل : أنه إليه المنتهى في التثبت .

ولي قضاء البصرة لهارون الرشيد ، ولم يجد له العلماء خطأً في الحديث مع انشغاله بالقضاء ([١]).

- عبد الرحمن بن مهدي (ت : ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)

هو أبو سعيد العنبري، سيد الحفاظ ، طلب الحديث وهو ابن بضع عشرة سنة ، وكان إماماً حجة ، قدوة في العلم والعمل ،كما ذكر الشافعي وقال : لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن . وأحاديثه عند الجماعة .

وقد سئل : كيف تعرف الكذاب ؟ قال : كما يعرف الطبيب المجنون .

ويروى عنه أنه قال : من طلب العربية فآخره مؤدب ، ومن طلب الشعر فآخره شاعر يهجو أو يمدح بالباطل ، ومن طلب الكلام فآخر أمره الزندقة ، ومن طلب الحديث فإن قام به كان إماما ، وإن فرط ثم أناب يوما يرجع إليه وقد عتقت وجادت ([٢]) .

وكان يذهب مذهب تابعي أهل المدينة ويقتدي بطريقتهم - بالتثبت والإتقان – ومجلسه مجلس وقار وأدب كحال مجلس مالك بن أنس ، فلا يُتحدث في مجلسه ، ولا يبرى قلم ، ولا يتبسم أحد ، ولا يقوم أحد قائما ، كأن على رؤوسهم الطير ، أو كأنهم في صلاة . فإذا رأى أحدا منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج ([٣]) .

- يحيى بن سعيد القطان (١٩٨ هـ / ٨١٣ م)

هوأبو سعيد التميمي الأحول القطان ، أمير المؤمنين في الحديث ، أحاديثه عند الجماعة عني بهذا الشأن أتم عناية ورحل فيه ، وساد الأقران وانتهى إليه الحفظ ، وتكلم في العلل والرجال ، وتخرج به الحفاظ ، وصف : أنه أحد أمناء حديث رسول الله ﷺ في عصره ، وكان في الفروع على مذهب أبي حنيفة إذا لم يجد النص ، مع تقواه وكثرة عبادته ، فكان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس . ولايتكلم بغير العلم بسوى التسبيح ، يجيء معه بمسباح فيدخل يده في ثيابه فيسبح ([٤]).

كان متعنتا في نقد الرجال ، فقد اتفق أئمة الحديث على أنه إذا وثق شيخا فيعتمد عليه دون مراجعة ، أما إذا لين أحدا فيجب التأني في أمره حتى ينظرفي قول غيره فيه ، فقد لين جماعة احتج بهم الشيخان ، وله كتاب في الضعفاء . ينقل منه ابن حزم وغيره .

ومما اشتهر من أقواله : لا تنظروا إلى الحديث ولكن انظروا إلى الإسناد فإن صح الإسناد وإلا فلا تغتروا بالحديث إذا لم يصح الإسناد (٥).

- الطيالسي (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٧ م)

هو سليمان بن داود بن الجارود البصري ، صاحب " المسند " - وهو أول من صنفه على ترتيب الصحابة من البصريين - وأحاديثه عند مسلم والسنن الأربعة .

كان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث ، وكان شيخه شعبة يحدث، فإذا قام قعد أبو داود الطيالسي وأملى من حفظه ما مر في المجلس . وثقه جل علماء الرجال والحديث مع بعض الخطأ عنده (٦).

---

[١] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣١/١٣ وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ص٢٧٠ و الذهبي ، السير ٩ / ٥٤ .
[٢] - ترجمته عند الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٠ والذهبي ،السير ٩ / ١٩٢ والعمري ، مسلك الأبصار ٥/ ٣٩٤ .
[٣] - الذهبي ، السير ٩ /٢٠١ .
[٤] - أجدني عثرت على أصل في استخدام المسباح للتسبيح .
[٥] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣٥/١٤ والذهبي ،السير ٩ / ١٧٥ .
[٦] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٩ /٢٤والذهبي ، السير ٩ / ٣٧٨ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٣٩٨ .

وفي " تاريخ التراث العربي " (١) : كان يفاخر بقوة حافظته وبقدرته على الإملاء دون استخدام أصول مدونة ، وأدى ذلك إلى حدوث بعض الأخطاء ، آثاره " المسند " رواه يونس بن حبيب .

- العقدي (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)

هوعبد الملك بن عمرو العقدي البصري ، أبو عامر، محدث البصرة ،أحاديثه عند الجماعة ، وكان من مشايخ الإسلام وثقات النقلة مأموناً (٢).

- روح بن عبادة (ت : ٢٠٥ هـ ، ٨٢٠ م)

هوأبو محمد القيسي البصري ، كان من كبار المحدثين وأحاديثه عند الجماعة .

وقد طلب الحديث ثم صنفه فاجتمع له مائة ألف حديث ، ويظهر كتبه للطلبة فينتقوا ماشاؤوا([٣]).

قال أبو بكر الخطيب ([٤]) : يُظهر كتبه حجة له على مخالفيه ، إذ روايته عن حفظه موافقة لما في كتبه ، وروح كان بصريا ، قدم بغداد وحدث بها مدة طويلة ثم انصرف إلى البصرة فمات بها وكان كثير الحديث ، صنف الكتب في السنن والأحكام وجمع التفسير وكان ثقة .

وفي" تاريخ التراث العربي "(٥) : روى عن الكبار ، يعد من المحدثين الذين ألفوا عدة كتب مصنفة على الأبواب .

- بكر بن بكار (ت : ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م)

هوأبو عمرو القيسي البصري ، عالم ومحدث كبير ، له جزء مشهور، كان يطوف في البلاد ويحدث . ليس له شيء في الكتب الستة ([٦]).

وفي " تاريخ التراث العربي " (٧) : آثاره : الأحاديث .

- سعيد بن عامر (ت : ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م)

البصري الزاهد ، سُمع يحيى القطان يقول : سعيد بن عامر شيخ المصر منذ أربعين سنة (٨).

- أبو عاصم الضحاك (ت : ٢١٤ هـ /٨٢٩ م)

هو الضحاك بن مخلد الشيباني البصري ، شيخ المحدثين الأثبات ، من أكبر شيوخ البخاري وأجلهم ، وثقه علماء الحديث وذكروا : أنه كان يحفظ قدر ألف حديث من جيد الحديث ، وكان فيه مزاح ، و له عناية بالتفسير والفقه .

ومن أقواله : من طلب الحديث فقد طلب أعلى الأمور فيجب أن يكون خير الناس .

ولقب بالنبيل لأنه كان يلبس الخز وجيد الثياب ، وكان إذا أقبل قال شيخه ابن جريج : جاء النبيل . قال أحد طلبة الحديث في عصره : ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشرة فسألناه أن يحدثنا . فقال : تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة ! اخرجوا إليه ([٩]).

- الأنصاري (ت : ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)

[١] - سزكين مجلد ١ جزء ١ ص١٨١ -١٨٢ ، وأرخ تاريخ وفاته ٢٠٤ هـ .
[٢] - ابن سعد ، الطبقات ٢٩٩/٧ والذهبي ، السير ٩ /٤٦٩ .
[٣] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠١/٨ والذهبي ، السير ٩ /٤٠٢.
[٤] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٨ /٤٠٣ .
[٥] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مجلد ١جزء١/ص٩٢ .
[٦] - الذهبي ، السير ٩ / ٥٨٣ .
[٧] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ،المجلد ١ جزء ١ ص١٨٢ .
[٨] - ابن سعد ، الطبقات ٧/ ٢٩٦ والذهبي ، السير ٩ / ٣٨٥ .
[٩] - ابن سعد ، الطبقات ٢٩٥/٧ والذهبي ، السير ٩ / ٣٤٦ .

هومحمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري ، ثم البصري ، أبو عبد الله ، قاضي البصرة محدث ثقة ، أحاديثه عند الجماعة . وكان أسند أهل زمانه وله جزء مشهور([1]).

وفي " تاريخ التراث العربي " (٢) : كان قاضيا في بغداد والبصرة ،وفقد بعض كتبه وجرّحه العلماء .آثاره : جزء من حديث أبي عبد الله .

- حبان بن هلال (ت : ٢١٦ هـ / ٨٣١ م)

هوأبو حبيب الباهلي الكناني البصري ، وثقه علماء الرجال .

قال أحمد بن حنبل : حبان إليه المنتهى في التثبت بالبصرة . أحاديثه في السنن الأربعة . وله عناية بالنحو (٣).

- حجاج بن منهال (ت : ٢١٦ هـ ، ٨٣١ م)

هوأبو محمد البصري ، أحاديثه كثيرة في السنن الأربعة ، وكان صاحب سنة وورع ([4]).

- عفان بن مسلم الأنصاري (ت : ٢٢٠ هـ /٨٣٥ م)

هوأبو عثمان البصري الصفار([5]) ، محدث العراق ، وأحاديثه عند الجماعة ، وثقه علماء الرجال وكان ثبتا صاحب سنة . وكان ويحفظ الآلاف من الأحاديث . وكان يكثر من ذكر الألفاظ ، أنبأنا وأخبرنا وسمعت وحدثنا يعني شعبة ([6]).

وهو أول من امتحن من الناس ، فقد أرسل المأمون إلى واليه إسحاق بن إبراهيم أن امتحن عفان وادعه إلى أن يقول القرآن كذا وكذا فإن قال ذلك فأقره على أمره وإن لم يجبك إلى ما كتبت به إليك فاقطع عنه الذي يجري عليه - وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مئة درهم - فلما قرأ الكتاب على عفان ، قال له إسحاق : ما تقول فقرأت عليه ﴿ قل هو الله أحد ﴾حتى ختمتها فقلت : أمخلوق هذا ؟ فقال : يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك فقلت : ﴿ وفي السماء رزقكم وماتوعدون ﴾ ([7]) .

قال الذهبي ([8]) : هذه الحكاية تدل على جلالة عفان وارتفاع شأنه عند الدولة فإن غيره امتحن وقيد وسجن وعفان ما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه .

وفي " تاريخ التراث العربي " ([9]) : إمام كبير ، محدث العراق ، من آثاره : مجوعة أحاديث .

- مسلم بن إبراهيم (ت : ٢٢٢/ ٨١٧ م) ([10])

هوأبو عمرو الأزدي البصري ، مسند البصرة ، أحاديثه عند الجماعة ، وثقه علماء الرجال ، وهو أكبر شيخ لأبي داود ، وقد قال عنه : ما رحل مسلم إلى أحد وكتب عن قريب من ألف شيخ .

- التبوذكي (ت : ٢٢٣ / ٨٣٧ م)

---

[1] ـ ابن سعد ، الطبقات ٢٩٤/٧والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠٨/٥ والذهبي ، السير ٥٣٢/٩. .
[2] ـ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء ١ ص١٨٦ .
[3] ـ ابن سعد ، الطبقات ٢٩٩/٧ والذهبي ، السير ١٠ /٢٣٩ .
[4] ـ ابن سعد ، الطبقات ٣٠١/٧ والذهبي ، السير ١٠ / ٣٥٢ .
[5] ـ نسبة إلى بيع الأواني الصفراوية المصنوعة من الصّفر ، وهو ضرب من النحاس . القاموس المحيط (صفر) .
[6] ـ ابن سعد ، الطبقات ٣٣٦/٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٦٩/٢ والذهبي ، السير ١٠ / ٢٤٢ .
[7] ـ سورة الذاريات ، الآية ٢٢ .
[8] ـ الذهبي ، السير ١٠ / ٢٤٤ .
[9] ـ سزكين ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ١ جزء ١ ص١٩٠ -١٩١ .
[10] ـ ابن سعد ، الطبقات ٣٠٤/٧ والذهبي ، السير ١٠ / ٣١٤ .

هوموسى بن إسماعيل المنقري أبو سلمة البصري التبوذكي ([1]) كان من بحور العلم كثير الحديث متقنا ، ثقة مأمونا . أحاديثه عند الجماعة . ذكر ابن معين :

أنه كتب عنه خمسة وثلاثين ألف حديث ([2]).

- أبو الوليد الطيالسي (ت : ٢٢٧ هـ /٨٤١ م)

هشام بن عبد الملك ، أحاديثه في السنن الأربع ، نعته ابن حنبل بشيخ الإسلام . يروي عن سبعين امرأة ([3]) وكانت إليه الرحلة بعد أبي داود الطيالسي ، كان كثير الحفظ ، فقيها عاقلا([4]).

- علي بن المديني (ت : ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م)

هوأبو الحسن ، أمير المؤمنين في الحديث ، كان أبوه محدثاً مشهوراً ، وبرع في هذا الشأن، وصنف وجمع ، وساد الحفاظ في معرفة العلل ويقال ان تصانيفه بلغت مئتي مصنف .ذكر أنه قال : رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها .
وعلق أحد تلامذته : صدق الله رؤياه ، فقد بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد ، وكان علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل . وقد صنف مسنداً جمع فيه أحاديث منتقاة وخلفه في المنزل ، ثم غاب في الرحلة فخالطته الأرضة ، ولم ينشط لجمعه مرة أخرى . وكان أحمد بن حنبل لا يسميه إنما يكنيه- أي يذكره بأبي الحسن - تبجيلاً له ، ولكنه فتن في المحنة وتخوف وذكر كلاماً تسبب في إيذاء ابن حنبل رحمه الله ، ثم تاب وأناب وكفّر من قال بخلق القرآن .وما أثر عنه قوله : التفقة في معاني الحديث نصف العلم ، ومعرفة الرجال نصف العلم ([5]).
وفي " تاريخ الأدب العربي " ([6]): كان علماً في الناس لذكائه ولمعرفته الحديث والعلل ، من مصنفاته :- تسمية أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ .- علل الحديث ومعرفة الرجال .

- شيبان بن فروخ (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م)

هوأبو محمد البصري مسند عصره ، كان عنده خمسون الف حديث ، وتفرد بالأسانيد العالية وأحاديثه في السنن الأربعة ([7]).
وفي " تاريخ الأدب العربي " ([8]) : له أحاديث نقحها أبو بكر الباغندي .

ثالثاً : علم الفقه في البصرة :

يبدو واضحاً أن الفقه في البصرة تأثر كثيراً بمدرسة الرأي والقياس ([9]) التي تزعمها أبو حنيفة النعمان في الكوفة (ت: ١٥٠ هـ / ٧٦٧م) وأكبر دليل على ذلك ، ماقام به تلميذه زفر من نشر فقهه في البصرة ، ولكن يستطيع المرء أن يلحظ اهتمام فقهاء البصرة

---

[1] - نسبة لمن يبيع رقاب الدجاج وقوا نصها أو إلى تبوذك - بلدة معروفة - وقد ألصقت به هذه النسبة ولم يكن كذلك ،إنما سكن في داره ناس من تبوذك فنسبوه إليهم . السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد (ت : ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) الأنساب ، ط : مركز الخدمات والأبحاث ، نشر دار الجنان ، ؟ ٢٢/٣

[2] - ابن سعد ، الطبقات ٣٠٦/٧ والذهبي ،السير ١٠/ ٣٦٠ .

[3] - وهذا يدل على مشاركة واسعة للمرأة المسلمة في علم الحديث خاصة وفي سائر العلوم ، ولقد عهدنا هذا عند أمهات المؤمنين والصحابيات اللواتي حفظن حديث رسول الله ﷺ ثم حدثن به غيرهن . وللمرء أن ينظر تراجم النساء عند ابن سعد في الطبقات- مثلاً - ليعرف أهمية مشاركة المرأة المسلمة في العلم ونشره .

[4] - ابن سعد ، الطبقات ٣٠٠/٧ والذهبي ، السير ١٠ / ٣٤١ .

[5] - ترجمته عند الخطيب ، تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨ والذهبي ، السير ١١ / ٤١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٤٠٣ .

[6] - سزكين د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ،المجلد ١ الجزء ١ص٢٠٤ -٢٠٥ .

[7] - الذهبي ، السير ١١ / ١٠١ .

[8] - المرجع السابق المجلد ١ الجزء١ ص٢٠٧ .

[9] - سيأتي الكلام مبسوطا عن هذه المدرسة عند الكلام عن علم الفقه في الكوفة .

بالحديث والاشتغال به إلى جانب اشتهارهم بالفقه والفتيا ، وقد تم الاقتصار في تراجم الفقهاء على المشهورين وأصحاب التصانيف .

وفيما يلي عرض لهم :

- زفر بن الهذيل (ت : ١٥٨ هـ /٧٧٥م)

هوالفقيه المجتهد ، أبو الهذيل ، وُلد في العراق([1])، ولا يعرف على وجه الدقة موضع ولادته، وهو من أصل عربي عريق حيث يرجع نسبه إلى قبيلة تميم، التي اشتهرت بالفصاحة والبيان. وزفر كلمة عربية تطلق على الرجل الشجاع أو الجواد.

وكانت أسرة زفر على جانب من سعة الرزق وبحبوحة العيش، وهو ما ساعده على الانصراف إلى طلب العلم دون أن يشغل نفسه بأعباء الحياة، فحفظ القرآن صغيرًا واستقام به لسانه، ثم مالت نفسه ورغبت في تلقي الحديث النبوي، فتردد على حلقاته واتصل بشيوخه الأبرار، ويأتي في مقدمتهم محدث الكوفة سليمان بن مهران المعروف بالأعمش.

ثم إن أباه تولى أمر أصبهان بعد مقتل الخليفة الوليد بن عبد الملك، فرافقه إليها وأخذ عن علمائها ومحدثيها المشهورين حتى أصبح حافظًا متقنًا، وثقة مأمونًا.

ولما رسخت قدمه في السُّنة أقبل عليه طلاب العلم يتعلمون على يديه، ويروون عنه أحاديث رسول الله ﷺ وكان زفر محدثاً بصيرًا وخبيرًا بفنون الحديث وناقدًا دقيقًا، ويصف أبو نعيم الأصبهاني – تلميذه - ذلك بقوله: كنت أعرض الحديث على زفر، فيقول هذا ناسخ وهذا منسوخ، وهذا يؤخذ به وهذا يُرفض ([2]).

وبلغ من سعة علمه وتمكنه من فنون الحديث وقدرته على التمييز بين درجات الحديث من حيث الصحة والضعف أنه كان يقول للحافظ أبي نعيم: هات أحاديثك أغربلها لك غربلة([3])

اتصاله بأبي حنيفة

ولما عاد إلى الكوفة وكانت تموج بحلقات العلماء؛ استأنف اتصاله بكبار الأئمة، وانتظم في حلقاتهم، ونهل من علمهم، حتى اتصل بأبي حنيفة النعمان - وكان قد انتهت إليه رئاسة الفقه في العراق- واتسعت شهرته، فلازمه ملازمة لصيقة حتى غلب عليه الفقه وعرف به، فقيل: كان صاحب حديث ثم غلب عليه الفقه.

وكان تلاميذ أبي حنيفة أئمة في العلم، أفذاذًا في الفهم والإدراك، لم يتركوا شيخهم ليستقلوا بحلقات العلم؛ إجلالاً له وإكبارا لمنزلته، ذكر الخطيب البغدادي ([4]) من أن رجلاً قال في حلقة وكيع بن الجراح الحافظ المعروف: أخطأ أبو حنيفة، فقال وكيع: وكيف يقدر أبو حنيفة أن يخطئ ومعه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر في قياسهم واجتهادهم.

وبلغ من تقدير أبي حنيفة لتلميذه النابه أنه لما حضر حفل زواجه التمس منه زفر أن يخطب، فقال الإمام: هذا زفر إمام من أئمة المسلمين، وعلم من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه .

---

[1] - نشأ وتعلم ونبغ بالكوفة ، وترجمته هنا لأنه نشر علمه في البصرة ، وتتلمذ عليه عدد كبير من علماء البصرة .

[2] - ابن سعد ، الطبقات ٣٨٧/٦ وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٧٠ والذهبي ، السير ٣٨/٨ وابن خلكان ،وفيات الأعيان ٣١٧/٢ و حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر بن الهذيل أصوله وفقهه ، ط : وزارة الأوقاف ، بغداد ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

[3] - الذهبي ، السير ٤٠/٨ .

[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٨ /٤٨٩ وحامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ص ٧٧ .

وكان مبعث هذا التقدير ما لمسه الإمام في تلميذه من ذكاء متقد، وبصيرة نافذة، وتعلق بالعلم، ونهم في طلبه مع ثبات في الحق، ودماثة في الخلق، وورع في الدين، وإخلاص في العمل، وكان هذا بعض صفات الإمام ([1]).

خلافته لأبي حنيفة

تُوفِّي أبو حنيفة النعمان سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) وخلفه في حلقته زفر بن الهذيل بإجماع تلامذة الإمام دون معارضة، فمكانته لا يملؤها إلا من هو جدير بها علمًا وفضلاً([2])

ثم إنه قدم البصرة في ميراث له من أخته فتشبث به أهل البصرة ، فلم يتركوه يخرج من عندهم . ([3])

اجتهاده

لم تكن منزلة زفر بن الهذيل منزلة المقلد المتبع، بل منزلة المجتهد المتبع عن بينة ودليل، وفهم ودراية، وكان هو آية في الفهم، بارعاً في القياس، ولم ينافسه فيه أحد من أصحاب أبي حنيفة، ويتفق زفر مع شيخه في الأصول الكلية، وقد ارتضاها عن فهم واجتهاد، لا عن اتباع وتقليد، والأدلة التي أقام عليها زفر في استنباطه الفقهي هي نفسها أدلة المذهب الحنفي : وهي القرآن والسنة وأقوال الصحابة إن وجدت، فإن لم توجد عمد إلى إعمال الرأي من قياس واستحسان، وكان يقول: إنما نأخذ بالرأي ما لم يوجد الأثر، فإذا جاء الأثر تركنا الرأي وأخذنا بالأثر.

وكان زفر يدقق النظر ويعمل الفكر ولا يقف على ظواهر النصوص، بل يتغلغل إلى فحواها وأعمق معانيها، حتى بلغ في الاستنباط بالقياس مرحلة عالية جعلته موضع إعجاب الإمام، فشهد له بأنه أكثر تلامذته استعمالاً للقياس، وأشدهم تمسكًا به، ولذا اشتهر به كاشتهار شيخه أبي حنيفة في استعمال القياس .

وأدى استعماله القياس بكثرة إلى تضخم مادته الفقهية وثرائها وغزارتها، واتساع مسائلها

وساعده على القيام بالقياس ملكات عقلية خاصة، وفهم عميق لنصوص الشرع ، وأكسبه ذلك شخصية مستقلة ذات فقه متميز السمات، يختلف أحيانًا مع أئمة المذهب الحنفي في الأصول والفروع، ولا يقل الاختلاف معهم عن الاختلاف الحاصل بين المذهب الحنفي وغيره([4])

إنتاجه الفقهي

على الرغم من سعة علم زفر وقدرته الفائقة على القياس فإنه لم يسهم في التأليف مثل زميليه العظيمين: أبي يوسف ومحمد بن الحسن، ولعل ذلك يرجع إلى انشغاله بنشر المذهب والدفاع عنه، واشتغاله بالإفتاء والتدريس في حياة أبي حنيفة وبعد مماته، كما أن حياته القصيرة لم تمكنه من الانصراف إلى التأليف؛ لأنه توفي بعد شيخه بثماني سنوات.

غير أن آراءه الفقهية مبثوثة في كتب كثيرة عن أمهات الكتب الحنفي، مثل: المبسوط للسرخسي، وبدائع الصنائع للكاساني، وغيرها من الكتب التي تُعنى بمسائل الخلاف .

---

[1] ـ حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ص٨٥ .
[2] ـ حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ص٨٥ .
[3] ـ الذهبي ، السير ٣٩/٨ .
[4] ـ حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ١٠٥ ـ ١٥٢ .

وفي " تاريخ التراث العربي" ([1]) : ذكر ابن النديم في كتابه " الفهرست" : أنه ألف كتباً ، وذكرله حاجي خليفة في " كشف الظنون ([2]) " كتاباً بعنوان " المقالات " وهناك عدد لايحصى من الاقتباسات من كتبه لاتزال موجودة في كتب فقه الحنفية .
ولزفر سبع عشرة مسألة يُفتى بها في المذهب في أبواب متنوعة([3])
وخلاصة القول أن زفر كان من أعلام الفقه، أسدى إلى الفقه الحنفي خدمات جليلة وأسهم في تطويره في حياة الإمام أبي حنيفة وبعد وفاته، وترك ثروة فقهية هائلة خالف في معظمها شيخه وأصحابه، وانفرد بها عنهم.

وفاته

أقام زفر في البصرة، وعقد حلقته العلمية التي تسابق طلاب العلم إلى حضورها ولم يشغله عن التدريس ولقاء تلاميذه شاغل، فرفض منصب القضاء حين عُرض عليه ، وكان مجلسه آية في الجلال يتصدر الحلقة بوجه باش ونفس مطمئنة، ينثال العلم منه انثيالاً، وطلابه مقبلون عليه في وقار العلم. ولم تطل به الحياة، فتوفي شابًا في الثامنة والأربعين في أحد أيام شهر شعبان من سنة ١٥٨هـ /٧٦٧ م ([4]).

- مرحوم بن عبد العزيز بن مهران (ت : ١٨٧هـ / ٨٠٣ م)

محدث وفقيه ([5]).

- ابن علية ، محمد بن إسماعيل (ت : ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) ([6])

كان فقهاً إماماً مفتياً من أئمة الحديث ، موصوفاً بالدين والورع والعلم ، وحديثه في كتب الإسلام كلها . ومن ولده الحافظ أبو بكر محمد بن محمد بن إسماعيل قاضي دمشق ومحدثها ومفتيها توفي سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٨ م .

- ابن أبي الشوارب (ت :٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م)

هومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب البصري ، أبو عبد الله ، محدث وفقيه ، ويصل نسبه إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي . كان من جلة العلماء([7]) .
وذكرأن المتوكل نهى عن الكلام في القرآن ، وأشخص الفقهاء والمحدثين إلى سامراء ، منهم ابن أبي الشوارب ، وأمرهم أن يحدثوا ، وأجزل لهم الصلات([8]).

رابعا : **علم التاريخ في البصرة :**

لم ينشأ علم التاريخ في البصرة وحده كزهرة في صحراء ، وإنما كان زهرة في ربيع واسع ([9]) ففي الوقت الذي نجد فيه نهضة واسعة للعلوم المختلفة التي ذكرنا نبذة عن بعضها في هذا البحث ، نجد أن علم التاريخ كان جزءاً مهماً من هذه النهضة الثقافية .
وبالاطلاع على أعمال مؤرخي البصرة نجد :
- تأثرهم الكبير بمدرسة المدينة المنورة من حيث الاعتماد على الإسناد في نقل الرواية التاريخية ، كما أنهم تأثروا بأراء الصنعانيين ومدرسة اليمن الذين عرفوا برواياتهم

---

[1] - سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١ جزء١/ ص٥١ .
[2] - خليفة ، حاجي ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(كاتب جلبي) كشف الظنون عن أسامي الكتب " : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م : ص١٧٨٢.
[3] - ألّف فيها السيد "أحمد الحموي" قصيدة سماها: "عقود الدرر فيما يفتى به في المذهب من أقوال زفر"، وقد شرحها الشيخ "عبد الغني النابلسي" بعنوان: " نقود الصرر شرح عقود الدرر".عبد الستار ، حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ص١٥٦ .
[4] - حامد ، عبد الستار ، الإمام زفر ص١٩٨ .
[5] - الذهبي ، السير ٨ /٣٣٠ .
[6] - ابن سعد ، الطبقات ٣٢٥/٧والخطيب ، تاريخ بغداد ٦/ ٢٢٩ والذهبي ، السير ٩/ ١٠٧ .
[7] - الذهبي ، السير ١١/ ١٠٣ .
[8] - ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٠ /٣٣٠ .
[9] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج٨٦/١ .

للأساطير والإسرائيليات – والسبب في ذلك هو العلاقات التجارية البحرية خاصة والبرية بين البصرة واليمن ([1]). ((وأظن أن هذا ينحصر في علم الأنساب وتاريخ العرب القدماء وعلاقاتهم مع الشعوب الأخرى))

- يلاحظ أن روايات البصرة في الجملة أخف حدة من روايات الكوفة وأقرب منها إلى مذاهب المحدثين ، وأقل تعصبا على بني أمية ([2])

- ظهرت الكتابات التاريخية على أساس إسلامي بحت ، ونظمت على أساس التقويم الإسلامي الهجري ، وهذا ساعد على تنظيمها واستقلاليتها عن تواريخ الأمم السابقة .

- تابعوا الكتابة في السيرة النبوية ولكنهم توسعوا فيها وهذبوها (ابن هشام) وانتقوا الصحيح منها (ابن طرخان)

- وإلى جانب السيرة نجد لهم اهتماما بالتأريخ للصحابة والتابعين والصحابيات والتابعيات وتصنيفهم إلى طبقات بما لم يسبقوا إليه (ابن سعد) و(ابن خياط) .

- تنوعت كتاباتهم التاريخية ، واتصفت بالشمولية ، فكتبوا بالأنساب والقبائل وبيوتات العرب والخلفاء والولاة وكبار الموظفين والشعراء والفتوحات والتاريخ الحضاري (المدائني) وتاريخ العلم (الشاذكوني) ولم يتركوا ذوي الحاجات الخاصة - مصطلح عصري- بل كتبوا عنهم كالزمنى والعرجان والعميان (ابن خياط) وبذلك قدموا وبلاشك مادة تاريخية ثرة لمن بعدهم من المؤرخين المسلمين الكبار كالطبري وغيره([3]).

وهذه تراجم لأشهر المؤرخين وأهم آثارهم :

- سليمان بن طرخان (ت : ١٤٣ هـ /٧٦٠ م)

من التابعين البارزين ، والمحدثين الثقات ، له " السيرة الصحيحة " الذي فقد سوى سبع وسبعين صفحة ([4]) .

- يوسف بن خالد (ت : ١٩٠ هـ ٨٠٥/ م)

له روايات تاريخية ، ضمن تاريخ خليفة بن خياط ، وكانت عنايته بأخبارشمال أفريقية في العصر الأموي ، وغزو المسلمين لصقلية وسردينية وغيرها ، وله روايات عن فتوحات الأمويين في المشرق وقتالهم للخرز والترك([5]) .

- وهب بن جرير الأزدي (٢٠٦ هـ /٨٢١ م)

أبو العباس ، نقل أخباراً تاريخية كثيرة تتعلق بمعركة الجمل وواقعة الحرة وحركات الخوارج في البصرة ، وذكر بعض خطط البصرة ، وكان أحد مصادر ابن سعد وخليفة بن خياط ([6]).

- معمر بن المثنى ، أبو عبيدة (ت : ٢١١ هـ / ٨٢٦ م)

اشتهر بأنه كان يجمع معلومات عن رواة البدو حين يأتون المربد بالبصرة، فجمع روايات قبلية ومحلية وأسرية ، وشهد له علماء الصنعة بأنه اعلم الناس بجميع العلوم ، وأنه ديوان العرب في بيته .

---

[1] - المرجع نفسه ج١ /٨٦

[2] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ /٨٦

[3] - الفقرة والتي قبلها ، مما استنتجته بعد دراسة تراجم المؤرخين البصريين ، وآثارهم .وسآتي على ترجمة هؤلاء المؤرخين الذين ذكرت أمثلة على كتاباتهم واهتماماتهم .

[4] - نشرها المستشرق كريمر ، في ختام كتاب " المغازي " للواقدي ط : كلكتا ١٨٥٦ م . نقلاً عن مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٧٧ .

[5] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٧٧ .

[6] - المرجع نفسه ص١/ ١٧٧ .

وله من الكتب مايزيد عن المائة وثلاثة كتب ،اشتهر منها في الفتوح : " فتوح الأهواز" ، و"فتوح أرمينية ،وكتاب "خراسان" ، وكتاب "السواد وفتحه" ([1]) .

ولقد اعتمد المؤرخون رواياته وتراهم لايتهمونه بالوضع في أخباره ، ولكنه كان مكروها من جهة أنه أكثر من ذكر مثالب العلماء ، ووقف من الشعوبية موقف المناصر لهم وبذلك يمثل تياراً ثقافيا له جذوره الشعبية في العراق في العصر العباسي الأول ، وإذا كان للتاريخ العربي موقفه من الشعوبية ، إلا أنها من وجهة نظر علم التاريخ قد أسهمت بدورها في إغناء المادة التاريخية ([2]) .

- عبد الملك بن هشام (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣م)

هوأبو محمد الذهلي الحميري المعافري البصري نزيل مصر ، علامة نحوي أخباري ، كان أول طلبه للعلم في البصرة ، ثم إنه نزل مصر واستقر بها ، وصارعلامه أهل مصر بالعربية والشعر والمغازي ، هذب "السيرة النبوية" وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن اسحاق وخفف من أشـــعارها، وله مصنف في "أنساب حمير وملوكها "([3]) .

- العباس بن بكار الضبي (ت : ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م)

هوأبو الوليد ، وهو بصري المولد والإقامة والوفاة ، وكان إخباريا له مصنفات كثيرة وصلنا منها : "أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية" ، و"أخبار الوافدات" ، وهما رسالتان مخطوطتان ([4]).

- المدائني ، علي بن محمد (ت : ٢٢٥هـ / ٨٣٩ م)

أصله من البصرة ولكنه انتقل إلى المدائن ثم بغداد – وكانت يومها تستقطب جل العلماء وأرفعهم – كان غزير التأليف فقائمة كتبه تعد ٢٤٠ كتاباً ، يذكر د . شاكر مصطفى رحمه الله ([5]) : أن المستشرق مرغليوث قسمها إلى مجموعات – ولكل مجموعة تفصيلات وتصنيفات - ومنها :

- أخبار النبي ﷺ.
- في أخبار قريش .
- مناكح الأشراف .
- في الأحداث الرئيسية في الإسلام .
- في الفتوح .
- أخبار العرب .
- التاريخ الشعري .
- في التاريخ الحضاري .
- كتب أخلاقية وجغرافية . ([6])

وتكشف هذه القائمة ميل المدائني إلى الغريب من المواضيع ، وأن كتاباته كانت مرحلة انتقال من الرواية إلى الكتاب المنفرد ، واطلاعه الواسع على التاريخ الإسلامي ، وبقـــي من كتبه إلـــى اليوم " نسب قريش وأخبارها " وقد اتبع المدائني في كتاباته التاريخية

[1] - ابن النديم ، الفهرست ص٧٩ و مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٩٨ .
[2] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ١ ص١٩٩ .
[3] - الذهبي ، السير ١٠ / ٤٢٨ .
[4] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص ٢٠٥ . وفيه :والرسالتان محفوظتان في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا .
[5] - المرجع نفسه ج١ص١٨٥ .
[6] - المرجع نفسه ج١ ص ١٨٥ .

طريقة المحدثين في نقد الروايات وإثبات الإسناد ، وهذا ما أكسبه ثقة الناس بما يروي ويكتب([1]) .

- العيشي (ت : ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م)

هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، القرشي التيمي البصري الأخباري ، ويعرف بابن عائشة وبالعيشي لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأحاديثه ورواياته عند أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي ، وثقه علماء الرجال ووصفوه بالصادق. وكان طلاباً للحديث عالماً بالعربية وأيام الناس ،عنده تسعة آلاف حديث ، وقد طلب الرشيد لقاءه لما عرف من سنا أخلاقه ، وكان من سادات أهل البصرة غير مدافع كريماً سخياً جواداً كثير الإنفاق على أهله وذويه ، ولم يعرف له مصنف سوى أنه راوية معتمداً عند المؤرخين ، وثقة عند المحدثين ([2]).

- محمد بن سعد (٢٣٠ هـ /٨٤٤ م) ([3])

هوأبو عبد الله ، البصري الزهري - كاتب الواقدي - ولد في البصرة وتوفي في بغداد ، وبالرغم أنه التقى بعدد من الشيوخ في المدينة وغيرها إلا أنه ظل ملتصقا بالواقدي إلى آخر حياته ، ويعد ابن سعد آخر جامعي السيرة من مصادرها الأولى ، وثاني مؤلف لها بعد ابن إسحاق ، ووصلنا كتابه عن السيرة والطبقات كاملا ، وله ملامح خاصة في أسلوبه التاريخي ، فإنه كان يسند كل قول إلى مرجعه ، ويذكر الوثائق بنصوصها ويستشهد بالشعر كثيرا . ([4])

وهو أول من عني بالصحابة والتابعين اعتناءه بالسيرة النبوية ، كما اعتنى بالصحابيات والتابعيات وخصص لهن الجزء الثاني من الطبقات ([5]) .

- محمد بن سلام الجمحي (ت : ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م)

هوأبو عبد الله ، كان عالماً أخبارياً أديباً بارعاً ، ذكر أنه قدم بغداد سنة ٢٢٢هـ /٨٣٦م فاعتل علةً شديدةً فأهدى إليه الرؤساء أطباءهم ، وكان منهم ابن ماسويه الطبيب فلما راه ، قال : ما أرى من العلة كما أرى من الجزع . قال : والله ما ذاك إلا لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلمه . فقال : لا تجزع ، فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما إن سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى . فوافق كلامه قدرا فعاش كذلك . صنف من الكتب التاريخية : " طبقات الشعراء الإسلاميين " و" بيوتات العرب " و" طبقات الشعراء الجاهليين " ([6]) .

- الشاذكوني ، سليمان بن داود (ت : ٢٣٤هـ / ٨٤٨ م)

هوأبو أيوب البصري ، من الحفاظ المكثرين ، ورغم تضعيف رجال الحديث له ، إلا أن كتابه " تاريخ طبقات العلم ومن نسب منهم إلى مذهب " ظل في يد طلبة العلم يتدارس عدة قرون ، وقد روي حتى في الأندلس عند ابن خير وابن عبد البر ([7]).

- خليفة بن خياط (ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

هوأبو عمرو العصفري البصري ، ويلقب بشباب ،علامة اخباري ، وكان صدوقاً نسابة عالماً بالسير والأيام والرجال ، وثقه بعضهم ، روى له البخاري في صحيحه سبعة أحاديث

---

[1] - المرجع نفسه ج١ص١٨٥
[2] - الذهبي ،السير ١٠ /٥٦٤ .
[3] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٦ .
[4] - المرجع نفسه ١ /١٦٧ .
[5] - نشر كتاب " الطبقات " بعناية المستشرق سخاو ، وطبع في ليدن ١٩١٧ م وخصص المجلد الأخير منه للفهارس .
[6] - الذهبي ،السير ١٠ / ٦٥١ ، ود. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٢٠٧ .
[7] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٢٠٨ .

وله من المصنفات:" التاريخ" و" الطبقات" و "طبقات القراء " و" تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان " وكتاباه الأولان مطبوعان متداولان ([1]).

ويذكر د. شاكر مصطفى ([2]): أن ابن خياط يأتي في طليعة المؤرخين الكبار ،وله اهتمامات تاريخية لانجدها عند الطبري ، كاهتمامه بذكر أسماء الشهداء في الغزوات ، ويقدم قوائم هامة بأسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء ، ومن كان من الموظفين الكبار على الشرطة وبيت المال والخزائن وغير ذلك ، ويقدم معلومات عن أحداث لاتوجد في مصادر أخرى مثل أخباره عن شمال أفريقيا وواقعة الحرة والزاوية وغيرها .

- **الحسن بن نصر بن ميمون (ت :؟ غيرمعروف)** مؤرخ بصري ، له : كتاب الدولة وكتاب المآثر.([3])

خامسا : علوم اللغة والأدب في البصرة :

١- علوم اللغة العربية

أ) النحو

ثمة أسباب عديدة جعلت علماء البصرة والكوفة ينبرون لجمع ألفاظ اللغة وأشعارها من أهمها :

- حاجة الشعوب الأجنبية التي دخلت في الإسلام إلى تعلم لغة القرآن الكريم .
- شيوع اللحن على ألسنة الموالي المستعربين ، وعلى ألسنة بعض العرب أنفسهم .
- اعتزاز العرب بلغتهم اعتزازاً شديداً جعلهم يخشون عليها من الفساد والانحراف .

ولاشك أن هذا الأمر الجليل ساعد على بقاء ونقاء اللغة العربية بل وتقويتها وحتى لاتذوب في لغات الشعوب المستعربة ، ولتسلم لها مقوماتها الأصلية ، وتنقى وتطرح شوائب اللهجات القبلية ([4])

واشترط هؤلاء العلماء على أنفسهم أن لايأخذوا اللغة من عربي حضري ، وأن يرحلوا في طلبها إلى باطن الجزيرة حيث ينابيعها الصافية ، وبذلك اكتسبوا السليقة اللغوية السليمة ، وقوّوا ألسنتهم ، والتقطوا مادتهم اللغوية الصحيحة من الأفواه مباشرة ، ثم عرضوها على الناشئة وفي حلقات المساجد([5]) .

وإضافة إلى ماذكر فإن بعضاً من الأعراب الفصحاء أقبلوا من أغوار نجد إلى البصرة والكوفة ثم بغداد ، ليتكسبوا برواية الأشعار وتلقينها للناشئة وبعض العلماء اللغويين ، مثل ثور بن يزيد الذي أخذ عنه ابن المقفع الفصاحة ، وأبي سوار الغنوي أستاذ أبي عبيدة وغيرهم كثير([6])

ومن الواضح أن البصرة كانت السباقة إلى وضع قواعد النحو العربي ومصطلحا ته، وهي التي شادت صرحه ورفعت أركانه، بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كله - حتى منتصف القرن الثاني للهجرة –بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار([7]) .

وقد قدم ابن النديم تراجم البصريين وقال : وإنما قدمنا البصريين أولاً ، لأن علم العربية عنهم أخذ .([8])

[1] - ترجمته في مقدمة كتابه الطبقات ، والذهبي في السير ١١/ ٤٧٢ وشاكر مصطفى ج١ ص٢٣٤ . سزكين المجلد ١ الجزء ١ ص٢٠٩ .
[2] - التاريخ العربي والمؤرخون ج١ص٢٣٥ .
[3] - ابن النديم ، الفهرست ، ص١٠٨ ، و مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٢٠٥ .
[4] - ينظر ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ص ١١٨ .
[5] - المرجع نفسه .
[6] - ابن النديم ، الفهرست ص٦٧ .
[7] - ضيف ، د. شوقي ، المدارس النحوية ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، بلاتاريخ (الطبعة السابعة) ص١١ .
[8] - ابن النديم ، الفهرست ص ٥٩ .

ولا يشك امرئ أن قواعد النحو العربي كانت وليدة العقل العلمي العربي الذي استوى على سوقه في القرن الثاني ، ولم يكن له صلة بقواعد نحوية للغات أخرى ([1]) .

وأول واضع للنحو في البصرة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت: ١١٧ هـ / ٧٣٥ م) يقول ابن سلام : هو أول من بعج (فتق) النحو ومد القياس وشرح العلل ، من تلاميذه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ومن بعدهم يونس بن حبيب ([2]) .

وأصبحت المدينتان – البصرة والكوفة - محجا لطلبة النحو ، وظهر خلاف بين المدرستين في مسائل فرعية في النحو . **وللتوضيح** فالمدارس النحوية لم تكن مدارسا بالمفهوم النظامي للمدرسة، بل كانت مذاهب لنحاة اللغة العربية، يسمى تابعوها بها. مثال:نحاة البصرة أو مذهب البصريين .

وقياس مدرسة البصرة في النحو هو ما تعارفت عليه ألسنة العرب من صحيح الكلام، وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة، ولم تعتد هذه المدرسة بالشواذ في اللغة ولا بلسان الأعاجم المستعربين، إلا من فصح منهم في لسان العرب ([3]) .

وعمدت هنا إلى ترجمة رؤوس علماء النحو ممن اشتهروا في البصرة ، و لهم مصنفات لايزال بعضها بين أيدي الدارسين ، لايُستغنى عنها :

- أبو عمرو بن العلاء (ت : ١٥٧ هـ /٧٧٣ م)

سبقت ترجمته مع قراء البصرة ، وكان أعلـــم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس ([4]).

- عيسى بن عمر (ت : ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)

هوأبو عمر الثقفي البصري ، إمام النحو وأول من وضع الكتب فيه ، صنف كتابي "الإكمال" و"الجامع"

وكان صاحب فصاحة وتقعر وتشدق في خطابه ، وكان صديقا لأبي عمرو بن العلاء ، وقد أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن أبي إسحاق وابن كثير المكي . وأخذ عنه الكبار كالأصمعي والخليل بن أحمد الفراهيدي وإمام النحاة سيبويه وغيرهم كثير، وكان صاحب افتخار بنفسه ، قال مرة لأبي عمرو: أنا أفصح من معد بن عدنان ([5]) .

وقد شملت دراسته القراءات القرآنية والتفسير واللغة والحديث والنحو ورواية الشعر ونقده ، فكان ناقداً لشعر النابغة، ناظراً في شعر الفرزدق وذي الرمة . ([6])

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)

هو أبو عبد الرحمن البصري ، صاحب العربية ومنشىء علم العروض ، كان رأساً في لسان العرب ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير الشأن . ووصف بأنه مفرط الذكاء .

و يقال : إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ؛ ففتح له بالعروض وله كتاب" العين " في اللغة ، ورغم أنه لم يتممه ([7]) ولم يهذبه ولكن العلماء يغرفون من بحره (٨) .

---

[1] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٢١ .

[2] - ضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٨ وما بعدها .

[3] - المرجع نفسه ص١٢ .

[4] - المرجع نفسه ص٢٧ .

[5] - ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١ هـ /١٢٨٤ م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق د . إحسان عباس ط: دار صادر بيروت بلا تاريخ ج ٤٨٦/٣ والذهبي ، السير ٧ / ٢٠٠ وابن الجزري ، النهاية ٦١٣/١ وضيف ، المدارس النحوية ص٢٥ .

[6] - ناجي د. عبد الجبار ، من مشاهير أعلام البصرة ط: جامعة البصرة ١٩٨٣ م ، ص ٧٨ .

[7] - يرى المحققون من أهل العلم أن الخليل بن أحمد قد تمثل منهج الكتاب في ذهنه ، واستحضر مواده ، وشرع فيه ، ورتب أوائله ، ولكنه لم يكمله ، وإنما أكمله من بعده الليث بن نصر وبقية تلامذته . نصار حسين ، المعجم العربي نشأته وتطوره ط: مكتبة مصر للمطبوعات ١٩٨٨م ج ٢٥٤/١ .

[8] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص٤٧ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٤/٢ والذهبي ، السير ٧ / ٤٢٩ وابن الجزري ، النهاية ٢٧٥/١ وضيف ، المدارس النحوية ص ٣٠ .

وكتاب " العين " صنف على أساس الحروف الهجائية الصوتية ، ورتبت الكلمات ترتيبا بحسب مواقع الحروف من جهاز النطق ابتداءاً من الحلق وانتهاءاً بالشفتين، ولأن حرف العين ينطلق صوتها من أعمق مدرجة في الحلق فقد أطلق الخليل اسم معجمه عليها ، وكان ذلك بعد أن فكر في صنع كتاب في اللغة يحصر فيه لغة العرب كلها ، لاتفلت منه كلمة ولا يشذ منها لفظ . ([1])

وكان متقشفاً متعبداً ، ذكر أحد تلامذته أنه كان يقيم في خصٍّ (٢) له بالبصرة لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال وكان كثيراً ما ينشد :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وكان هو ويونس (٣) إمامي أهل البصرة في العربية .

ومن أجلّ من أخذ عنه النحو: سيبويه ومؤرج بن عمر السدوسي وهارون بن موسى النحوي والأصمعي ([4]) .

وفي " تاريخ الأدب العربي " ([5]): الخليل هو الواضع الحقيقي لعلم النحو في صورته النهائية التي أداها عنه تلميذه سيبويه في مصنفه الملقب باسم "الكتاب" وهو في كثير من صفحاته يحكي آراءه وقد ذكره في نحو ثلاثمائة وسبعين موضعا ، **فهو بحق –أي الخليل – المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي ، بل هو المقيم لقواعده والمشيد لبنائه وأركانه.**

وربما كان اطلاع الخليل على بعض الأبحاث الهندية في الأصوات ، جعله يعني بالهمز والتشديد والروم والإشمام ، ويبلغ تطبيقه لفكرة التباديل والتوافيق الرياضية الغاية في وضعه لعلم العروض ، لا من حيث ما اقترحه من تفاعيل فقط ، بل من حيث ما وضعه فيه من دوائر ، إذا قدّمت فيها أجزاء التفعيلات بعضها على بعض خرجت الأوزان التي استعملها العرب وأوزان أخرى أهملوها ولم يستعملوها ، وبذلك فتح الأبواب واسعة أمام الشعراء كي يجدّدوا في الأوزان حسب إرادتهم الفنية ([6]) .

- الأخفش الكبير (ت : ؟)

هوأبو الخطاب البصري ، شيخ العربية ، يقال اسمه : عبد الحميد ابن عبد المجيد ، تخرج به سيبويه ، وحمل عنه النحو، ولولا سيبويه لما اشتهر، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب([7]).

- سيبويه (ت : ١٨٠ هـ/٧٩٦م)

هوعمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري ، إمام النحو ، سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، بديع الحسن ، له عناية بجماله ونظافته . في بداية طلبه اعتنى بالفقه والحديث ، ولم يمض على طلبه طويلاً من الوقت حتى تعلق من كل علم بسبب وضرب بسهم في كل أدب ، مع حداثة سنه ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر وألف فيها كتابه الكبير" الكتاب " ، وقد أخذ النحو عن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب والخليل وأبي الخطاب الأخفش الكبير ([8]).

---

[1] - ناجي د. عبد الجبار ،من مشاهير أعلام البصرة ص٩٦ .
[2] - البيت من القصب .المعجم الوسيط (خص)
[3] - هو يونس بن حبيب الضبي ، ستأتي ترجمته لاحقا .
[4] - الذهبي ، السير ٧ / ٤٣٠ .
[5] - ضيف د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، ص١٢٢.
[6] - المرجع نفسه ص١٢٢ .
[7] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص٤٠ .والذهبي ،السير ٧ / ٣٢٣ .
[8] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٦٠ والخطيب / تاريخ بغداد ١٩٥/١٢ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٨٧/١ والذهبي ، السير ٨ / ٣٥١ . وضيف ، المدارس النحوية ص ٥٧ .

وقد أودع سيبويه في مصنفه تراث الخليل الضخم ، مضيفا إليه من أنظاره ما يدل على فطنته ونفاذ بصيرته ، والكتاب يعد آية خارقة من آيات العقل العربي ، حتى سماه بعضهم قرآن النحو([1]) .

ويقول صاعد بن أحمد الأندلسي : لاأعرف كتاباً ألّف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب أرسطوطاليس في علم المنطق ، وثالثها كتاب سيبويه البصري النحوي ، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا مالا خطر له ([2]).

- يونس بن حبيب الضبي (١٨٣ هـ / ٧٩٩م)

هوأبو عبد الرحمن ، البصري ،إمام النحو ،كان له حلقة ينتابها الطلبة والأدباء وفصحاء الأعراب ، وقيل إنه لم يتزوج ولا تسرى (٣). وله تواليف في القرآن واللغات منها : " الأمثال " و " القياس في النحو " و" معاني القرآن " و" النوادر"و" اللغات " وأراؤه مبثوثة في كتب النحاة واللغويين . ([4])

- مؤرج بن عمر (١٩٥ هـ / ٨١٠ م)

هوأبو فيد السدوسي ، شيخ العربية ، له عدة تصانيف منها "غريب القرآن" وكتاب "جماهير القبائل" وكتاب "المعاني" وغيرها ،أخذ عن الأعراب الكثير، وكان من أصحاب الخليل بن أحمد ، ويعد مع سيبويه والنضر بن شميل (٥).

- النضر بن شميل (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)

هو أبو الحسن المازني البصري ، النحوي ، أصله من مرو ، وطلب العلم في البصرة فلما استقام عوده نزل مرو وصارعالمها دون منازع وولي القضاء فيها ، وكان إماما في العربية والأدب وأيام الناس والحديث .

قال عن نفسه : أقمت بالبادية أربعين سنة . وشهد له أنه أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان ([6]).

وهو من أصحاب الخليل بن أحمد - وكان قل من يدانيه- وله ملاحظات على كتابه العين . وله كتب كثيرة لم يسبقه إليها أحد منها : " المدخل إلى العين " ([7]).

- الأخفش الأوسط (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)

سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن البلخي ثم البصري ، إمام النحو ، أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنانه ، و كان قدرياً ([8]) أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل ، وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن ، وكان مقربا من الأمراء والأثرياء يقرأ لهم ويؤدب أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ، وكان أجلع([9]) .

---

[1] - ضيف ،د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٢٣

[2] - صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (ت : ٤٦٢ هـ /١٠٧٠ م) طبقات الأمم ، عني بنشره الراهب لويس شيخو اليسوعي ، ط: مطبعة اليسوعيين ، بيروت ١٩١٢ م ص٨٧ وضيف ،د . شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ١٢٣ .

[3] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٥١ و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٤/٧. والذهبي ، السير ٨ / ١٩١ .

[4] - ناجي ، د. عبد الجبار ، من مشاهير أعلام البصرة ص ١٠٠ .

[5] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٥٨/١٣ وابن خلكان وفيات الأعيان ٣٠٤/٥ والذهبي ، السير ٩ /٣٠٩

[6] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٥٥ و الذهبي ، السير ٩ / ٣٢٨ .

[7] - نصار ، حسين ، المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٢٥٥ .

[8] - فكر عقدي ، أول من جاء به : غيلان بن يونس القدري الدمشقي ، وفحواه أن الإنسان يفعل مايشاء باختياره ، لاعتقادهم أن الله لايأمر بالظلم ولايأمر بالفاحشة أوالعصيان بل إن كل ذلك من عمل الإنسان . وقد أتيت بمافيه كفاية عن القدر ص١٩٥ من هذا البحث .

[9] - وهو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه . المعجم الوسيط (جلع) .

ويوم توفي الأخفش ، حزن عليه أهل العلم حزناً عظيماً وعطلت الدروس ثلاثة أيام في البصرة . وسمع يقول : كنت أجالس سيبويه وكان أعلم مني وأنا اليوم أعلم منه([1]) .

- معمر بن المثنى (ت : ٢١١ هـ / ٨٢٦ م)

هو أبو عبيدة،التيمي البصري النحوي اللغوي ، ولد في البصرة وكان إباضياً ([2]) ، وهو أول من صنف في غريب الحديث ، وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب والأيام ، وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه بالعلَم ، ويذم الأصمعي . فقد سئل أبو نواس عن الأصمعي فقال : بلبل في قفص ، وعن أبي عبيدة فقال : أديم طوي على علم . كان من أجمع الناس للعلم وأعلمهم بأيام العرب وأخبارهم ، وأكثر الناس رواية . وكان أبو عبيدة عالما بالشعر والغريب والأخبار والنسب . وله أكثر من مائة مصنف منها " مجاز القرآن" و" إعراب القرآن" و"الأمثال" و " غريب الحديث" و"ما تلحن فيه العامة " و" نقائض جرير والفرزدق " و " أيام العرب " و " الخيل " وغيرها ([3]) .

وفي " تاريخ التراث العربي " ([4]) : كان لتفسيره " مجاز القرآن " تأثير هائل من حيث شروحه النحوية واللغوية للمواضيع المشكلة من القرآن الكريم عند من جاء بعده من المفسرين ، فنرى البخاري ينقل معظم أبواب التفسير في صحيحه يكاد يكون تاماً عن "مجاز" أبي عبيدة ، ولم يكن ذلك مطابقا لموضوع كتابه ولا الغرض منه ، ولأبي عبيدة تأثير آخر عظيم ندركه عند الطبري – ومع أنه من أتباع التفسير السلفي للقرآن – إلا أنه لم يجد بداً من التعويل في المقام الأول على أبي عبيدة في تفسير المسائل اللغوية المشكلة .

- أبو زيد الأنصاري (٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)

هو أبو زيد الأنصاري البصري النحوي ، حجة العرب ، صاحب التصانيف ، جده الأعلى أبو زيد هو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ واسمه ثابت بن زيد بن قيس الخزرجي . كانت له حلقة بالبصرة يرتادها كبار أئمة اللغة ، فذكر أن الأصمعي جاء مجلسه فأكب على رأسه وجلس وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة ، ثم جاء خلف الأحمر فأكب على رأسه وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة . وكان يقول : كل ما قاله سيبويه أخبرني الثقة ، فأنا أخبرته ([5]).

ويقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة ، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة ، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة ، وكان عمرو بن كركرة الأعرابي يحفظ اللغة كلها . ([6])

- الجرمي (ت : ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م)

هوصالح بن إسحاق الجرمي ، أبو عمر البصري ، النحوي إمام العربية ، صاحب التصانيف ، وصف بالصدق والورع والخيرية . أخذ العربية عن سعيد الأخفش ، واللغة عن يونس بن حبيب وأبي عبيدة ، وحصل له بالأدب دنيا واسعة وحشمة . وكان عالماً باللغة حافظاً لها ، جليلاً في الحديث والأخبار . ناظر الكبار في بغداد كالفراء وغيره ، وله مقدمة في النحو مشهورة تعرف بـ " المختصر" و كتاب " الأبنية " وكتاب " العروض " وكتاب "غريب سيبويه" ([7]). قال الخطيب: كان الجرمي أثبت القوم في كتاب سيبويه . ([8])

[1] - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٧٢ و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٨٠/٢ والذهبي ، السير ١٠ / ٢٠٦ .
[2] - إحدى الطوائف الإسلامية ، ويسمى مذهب الاستقامة ، وتأسس على يد عبد الله بن إباض التميمي ، وإليه ينسب . الزركلي ، الأعلام ٦٤/٤ .
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣ /٢٥٢ والذهبي ، السير ٤٤٥/٩ و مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٩٨ .
[4] - سزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ١الجزء ١ ص ١١١ ومابعدها .
[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٧٧/٩ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٧٨/٢ والذهبي ، السير٩ / ٤٩٤ .
[6] - الذهبي ، السير ٤٩٦/٩ .
[7] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٢٣/٩ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٨٥/٢ والذهبي ، السير ١٠ / ٥٦١ .
[8] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣١٤/٩ .

ب) اللغويون والأدباء :

- عبد الله بن المقفع (ت : ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م)

أصله فارسي ، ولكنه اختلط بمواليه التميميين بالبصرة – وهم يشتهرون بالفصاحة واللسن والخطابة – عمل أبوه في دواوين الدولة زمن الحجاج ، وظهرت له خيانة ، فضربه الحجاج حتى تقفعت يده (ييست) وظل على الزرادشتية حتى ماقبل مقتله بسنوات قليلة ، أما عبد الله فقد تكسب بصناعة أبيه ، وكتب لسليمان بن علي عم الخليفة المنصور وواليه على البصرة ، وأعلن إسلامه على يد عيسى بن علي والي الأهواز ، وكتب كتاباً إلى الخليفة المنصور من عبد الله بن علي تشدد فيه وأغلظ الكلام ، فاغتاظ لذلك المنصور وسأل عن كاتبه وأمر بقتله . درس الفارسية وتعلم العربية من كتب الأدباء واشترك في سوق المربد . وقد سئل يوما من أدبك ؟ قال : نفسي ، إذا رأيت من غيري حسناً أتيته وإن رأيت قبيحاً أبيته . وقد ترجم الكثير من كتب الفرس إلى العربية ، وانتشرت في أيدي الناس ، وكانت تحمل في طياتها كفراً بواحاً ، ولكن العرب تنبهوا إلى غايته وردوا عليه ، ودليل ذلك ماكتبه القاسم بن طباطبا (ت : ٢٤٦هـ / ٨٦٠ م) في " كتاب الرد على الزنديق[١] اللعين ابن المقفع لعنه الله " ذكر فيه أن ابن المقفع وضع كتابا عاب فيه المرسلين وافترى الكذب على رب العالمين ، فتصدى له يهدم مزاعمه هدما ([٢]).

ومع زندقته وصف بأنه نبيل الخلق كريماً وقوراً يترفع عن الدنايا ، ولا يجعل للهوى سلطاناً على عقله ، يأخذ نفسه بكل مايمكن من خصال المروءة والشعور بالكرامة .

وكان يقدر الأخوة والصداقة حق قدرهما وبنى عليهما كثيرا من حكمه وأدبه في كتابيه : " الأدب الصغير" و"الأدب الكبير" وكان ذكيا ذكاءً مفرطا فنقل عن ابن سلام قوله : لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ، ولاكان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع ([٣]).

وكان يرى أن الذكاء لايأتي بثماره بدون العلم ، فلذلك دأب على التثقف بكل ما استطاع من الأدب الفارسي وما ترجم إليها من الهندية واليونانية زمن كسرى أنوشروان ، فأصبح يجمع بين ثقافات متعددة ثم إنه نقل إلى العربية – وقد كان له قدم السبق في الترجمة - خير ماعرف من الثقافات ، ومما نقله إلى العربية كتاب " خاي نامه " وهو في سيرة ملوك الفرس ، و" آيين نامه" وهو في أنظمة الملك وتدبير السياسة والحكم ، و"كليلة ودمنة" وهو خير أثر في لغة الهنود ، ونقل كتب أرسطو في المقولات والقياس المنطقي([٤]) .

كان ابن المقفع بارعاً في البحث والتحليل ، وفي سرد القصص وضرب الأمثال ، وسوَّق كل ذلك في استطراد محكم ، وتشويق قلَّ نظيره ، أما عبارته فطويلة تنساب في هدوء وجلال ،همّها التعبير عن المعنى المحشور فيها في غنى وعمق ، ومرماها الإفهام والإيضاح ، وهي عبارة توقن أنها وسيلة لأداء المعنى ، وخادمة للمعنى ، لاتصلح إلاّ به ، ولاتقوم إلا معه . ([٥])

- الأصمعي (ت : ٢١٤ هـ /٨٢٩ م)

هوعبد الملك بن قريب .... ويصل نسبه إلى معد بن عدنان ، ابو سعيد ،الأصمعي البصري اللّغوي الأخباري العلامة ، حجة الأدب،لسان العرب ، ومن أعلم الناس في فنه .

---

[١] - الزنديق : القائل ببقاء الدهر ، فارسي معرب ، والعرب تقول زنديقاً ، لمن لا يؤمن بالآخرة ووَحْدانيّة الخالق . ابن منظور ، لسان العرب ، مادة: (زندق) .

[٢] - يعقوب . د. إميل بديع ، موسوعة الأدب و الأدباء العرب في روائعهم ط: دار نوبلس بيروت ٢٠٠٦ م ج٥/ ١١٦ – ١٢٢ .

[٣] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ، ص٥٠٧ ، مصطفى د . شاكر ج١ ص١٤٢ .

[٤] - ضيف ، د. شوقي تاريخ الأدب العربي ، ص٥١١ .

[٥] - يعقوب . د. إميل بديع ، موسوعة الأدب و الأدباء العرب في روائعهم ج٥/ ١١٨ .

كان كثير الحفظ ، نقل عنه قوله : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان الخليفة هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر .
وذكر أحد تلامذته : شهدت الأصمعي وقد أنشد نحواً من مئتي بيت ما فيها بيت عرفناه .
وله لقاءات مع الخلفاء والولاة ، وكانوا يقدرونه أشد تقدير ، فإنه كان بلبلاً يطربهم بنغماته حسب ماوصفه أبو نواس الشاعر .
ومع غزارة علمه باللغة إلا أنه كان يتقي أن يفسر الحديث كما يتقي أن يفسر القرآن .
وأكثر وصاياه لطلبة العلم ، الحرص على تعلم النحو ، فيقول : ان اخوف ما اخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو ان يدخل في جملة قوله عليه السلام من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار([1])

وكغيره من المهتمين باللغة من أهل البصرة ، كان يجوب البوادي بحثاً عن الغريب والنادر في لغة العرب ، ويلتقط اللفظ الصحيح من أفواه الأعراب فيدونه في ألواح يمتلكها ، ثم يأتي المربد ليفاخر بما عنده من الغريب الذي لم يكن لغيره قصب السبق فيه ، يضاف إلى ذلك قراءاته الكثيرة عن شعر الشعراء الذين روى دواوينهم ، ونقد شعرهم ، ويضاف إلى ذلك تقدمه في الرواية اللغوية فقد عدَّ مع أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري عصب الرواية في البصرة. ووصف بأنه كان ذا فطنة وحضور ذهن ، وذكاء متقد ، ومعرفة واسعة باللغة والشعر والنوادر. ([2])
قال الخطيب نقلاً عن المبرد ([3]): كان الأصمعي بحراً في اللغة لا نعرف مثله فيها .
وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة وأكثر تواليفه مختصرات ، ومنها كتاب النسب ، وكتاب الخراج ، وكتاب الفتوح ، و"تاريخ ملوك العرب الأولية" ([4]) ونقل عنه الطبري في أحد عشر موضعاً ، أنفسها أخباره عن معركة ذي قار ([5]).
وله " الأصمعيات" وهي مجموعة رائعة للشعر القديم ، وهي تزخر بالغريب من الشعر القديم الجاهلي والإسلامي، وإنما قصد الأصمعي منها بعث الإيمان في طلبة اللغة آنئذ إلى أن الشعر القديم هو القدوة المثلى.([6])

- الجاحظ (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٩ م)

هوعمرو بن بحرالكناني البصري ، أبو عثمان ، كان قصير القامة جهم الوجه ، دميم الخلقة ، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، أي : نتوئهما . أول طلبه للعلم كان مع أولاد القصّابين في الكتّاب ، فقد توفي والده وهو صغير السن ، فعمل ببيع الخبز والسمك في البصرة ، ومع فقره كان محباً للعلم ولعاً به ، دفعه ذلك إلى الأخذ من العلماء والأدباء في المساجد ومجالستهم ، ثم محاورتهم بذهن متوقد وحافظة قوية ، ثم تحول إلى المربد فتلقى الفصاحة من الخطباء ورواد تلك السوق الأدبية ، ولم يشبعه هذا فذهب إلى دكاكين الوراقين فكان يكتريها ويبيت فيها منقبا عن دقائق العربية وفرائدها ([7]).

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٧٠/٣ والذهبي السير ١٠ / ١٧٥ ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٩٩/١ .
[2] - ناجي ، د. عبد الجبار ، من مشاهير أعلام البصرة ص١٠٥ و١٠٧ ، وقد تم حصر سبع وأربعين مصنفا للأصمعي .
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٤ .
[4] - طبع في بغداد ١٩٥٩ م .
[5] - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٩٣/٢ .
[6] - ضيف ، د . شوقي ،تاريخ الأدب العربي ١٣٩ .
[7] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٢/١٢ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٧٠/٣ والذهبي ، السير ٥٢٦/١١ ومصطفى ، د . شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ٢١٨ .

وذهب إلى بغداد وتردد إلى مجالس ابن وهب وابن الزيات فأعجب بهما وانبهر ، وأضاف إلى زاده الفكري مما اختزنه في مجتمع البصرة ما جعله يأخذ مداه الرحب في الانطلاق إلى التعبير عن هذا المخزون الكبير . ([1])

ومصادر ثقافة الجاحظ كثيرة فقد طالع الكثير من كتب العرب والفرس واليونان والهنود ، وعرف بخفة روحه وظرف حديثه وحسن عشرته وفكاهته الطبعية ، ذلك ما جعل الناس يقبلون على معاشرته للاستماع لحديثه والتفكه بفكاهاته الظريفة . وهو من أشهر كتاب العربية ، مؤلفاته كثيرة أدبية وتاريخية ، منها " البيان والتبيين " و" الحيوان" و" البخلاء" و" التاج في أخلاق الملوك" – وكلها مطبوعة متداولة – وله أيضا رسائل لاتحصى ، والجدير بالذكر هنا أن الجاحظ أضاء جوانب من التاريخ الإسلامي غفل عنها غيره ، وهي مايتعلق بالتاريخ الاجتماعي والفكري لعصره ، ويوصف فكره عموما بالفكر الموسوعي الذكي ، وكأنه منجم للمعلومات والمعطيات والأخبار الفريدة ([2]) .

ج) الشعر :

الشعر صورة عن المجتمع ، ويصيبه ما يصيب أوجه الحياة من جمود أو تطور وتجديد ، وقد اتسعت مجالات الحياة في العصر العباسي الأول، وتعددت نشاطاتها وفتح العرب أبوابهم لحضارات وثقافات جديدة متنوعة جعلتهم ينتقلون من طور البداوة والانغلاق والفقر إلى بناء حضارة جديدة خالدة بعد أن نهلوا من كل موارد الفكر والثقافة وتوافر لهم الرخاء الاقتصادي ، فكان لابد أن يتأثر إبداعهم الأدبي وإنتاجهم الشعري بروح العصر وخصائص الحضارة مع الاحتفاظ بسمات الشعر القديم.

وكان لتطور الشعرفي العصر العباسي عوامل عدة ، أذكر منها :

أ) وجود علماء اللغة الذين جمعوا للشعراء اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي ، ووضعوا لهم مقاييسها وضعاً دقيقاً ، وظلوا طوال العصر يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى . وكان من بين هؤلاء اللغويين شعراء بارعون بادروا إلى الاحتذاء على هذه القدوة ، من بينهم حماد الراوية والخليل بن أحمد والأصمعي([3]) .

ب) رقيّ الحياة العقلية في هذا العصر رقياً بعيداً ، ذلك الرقيّ الذي هيأت له الكتب الكثيرة التي ترجمت عن الهنود والفرس واليونان ، كما هيأت له المناظرات والمحاورات بين أصحاب الملل والنحل والأهواء ، تللك المناظرات التي دفعت الشعراء إلى التفكير المتصل الذي يصقل العقل حتى يبلغ أقصى مايريد من العلم والمعرفة ([4]) .

وأهم ملامح الشعر في هذا العصر وميزاته:

١ -تجدد الفنون الشعرية ، فظهر:

- شعر المدح :

ظلت المثل الخلقية في هذا العصر هي الموضوع الذي يطرقه الشعراء في المدح ، ويمدحون بها الخلفاء والوزراء والقادة وكل من يلعب دوراً في تصريف شؤون الدولة ، فخلق الشعراء من هذه الصفات صوراً حية في نفوس الممدوحين بما استنبطوه من معان دقيقه في الكرم والمروءة والشجاعة وشرف النفس وعلو الهمة يسعفهم في ذلك عقول

[1] - ناجي ، د. عبد الجبار ، من مشاهير أعلام البصرة ص ١٧٠ . وتم حصر اثنين وسبعين مصنفا للجاحظ .
[2] - ناجي ، د. عبد الجبار ، من مشاهير أعلام البصرة ص ١٧٠
[3]- ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ١٣٨ -١٤٦ .
[4] - المرجع نفسه ١٤٧ – ١٥٩.

خصبة وأخيلة بارعة ، وأضاف الشعراء مثالية جديدة ، هي : تقوى الله والحكم بالشريعة كما في قول مروان بن أبي حفصة في مدح المهدي :

أحيا أمير المؤمنين محمد   سنن النبي حرامها وحلالها ([١])

ونجد قصائد المدح أحياناً تسجل الوقائع والأحداث والفتن والصراع داخل الدولة ، وصراعها مع الروم خارجها كما في قصيدة فتح عمورية لأبي تمام :

لقد تركت أمير المؤمنين بها   للنار يوما ذليل الصخر والخشب([٢])

- شعر الهجاء

لم تعد العصبيات أساس الهجاء في شعر هذا العصر وإنما اهتم الشاعر بسلب المهجو الإيجابية والمثالية الخلقية وإلصاق المثالب به. فكان الهجاء يأتي طعنا وتحقيرا ورميا بالقذارة والدنس والبخل والظلم ([٣]) .

- شعر الفخر والحماسة :

لم يستطع بعض الشعراء أن يتخلصوا من الفخر القبلي كتعصب أبي نواس مثلا لمواليه بني سعد، وتعصب بشار للقيسيين ، والجديد في شعر الفخر أن بعض الشعراء أخذوا يصدرون في فخرهم عن أحاسيسهم بالمروءة والأخلاق والقيم المثلى .وللحث على الجهاد وملاقاة الأعداء والفخر بالبطولات في المعارك للإثارة والحماسة([٤]).

- شعر الرثاء :

شهد شعر الرثاء نشاطا خاصا حيث وجه اغلبه لرثاء من يموت من كبار رجال الدولة كالخلفاء والوزراء والقادة ، وركزوا على تمجيد البطولة والقوة في المرثي كرثاء أبي تمام لمحمد بن حميد الطوسي ، وذلك لإضرام الحمية في النفوس ، واتجه الشعراء في رثائهم إلى الأصدقاء والأبناء والزوجات ، وظهرت ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، من ذلك رثاء المدن حين تنزل بها كوارث النهب والحرق ، كالذي جرى لبغداد حين قتل الأمين ، وقد رماها الجيش الذي أحاط به بالمنجنيق ، فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض أحيائها ، وعمّ فيها نهب الأموال وقتل الأبرياء ، فبكاها الشعراء ، وقد غمرهم الحزن والأسى ، من مثل قول بعضهم :

ألا ابك لإحراقٍ وهـــدم منازلٍ   وقتــلٍ وإنهاب اللُّهى والذخائر
وإبراز ربات الخدور حواسراً   خرجن بلا خُمـــرٍ ولا بمآزر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً   وملهى رأتـــه عينٌ لاه وناظر ([٥]) .

- شعر الوصف :

كان الشعر في السابق غالبا ما يأتي في ثنايا القصائد ، وأصبح الوصف في هذا العصر فنا مستقلا بفعل الطبيعة الغنية بالجمال ، وإضافة إلى المظاهر الحضارية التي عنى بوصفها الشعراء كالمطر والسحب والحدائق والقصور والبرك والطبيعة في فصل الربيع ووصفوا المعارك الحربية خاصة مع الروم ([٦]) .

---

[١] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ١٦٠ .
[٢] - البيت ، في ديوان أبي تمام ،حبيب بن أوس الطائي (ت : ٢٣١ هـ / ٨٤٥م) ط : دار صادر ، بيروت – لبنان ، بلا تاريخ ١/ ١٩ ويعقوب ، د. إميل بديع ، موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم ، ط : دار نوبليس ، بيروت ٢٠٠٦ م ١٧٩/٥ .
[٣] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ١٦٧ - ١٦٩ .
[٤] - المرجع نفسه ١٧٠ .
[٥] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ١٧٠ – ١٧٥ .
[٦] - المرجع نفسه ١٦٥ و١٨٤ .

- **شعر الغزل:**

الغزل في هذا العصر كان ينبع من عاطفة صادقة ، لذلك تميز بالرقة والتلطف وسار في اتجاهين :

- اتجاه الغزل العفيف مثل الذي نجده في غزل العباس بن الأحنف باحتشامه.

- الغزل الصريح الماجن ومن أسبابه انتشار الجواري والقيان كغزل بشار بن برد وغيره ،ويعكس انغماس الشعراء في أنواع الترف والنعيم([1]) .

- **شعر العتاب والاعتذار:**

يكون بين الأصدقاء وبين الحكام والولاة يعبر عن عواطفهم ويدل على رهافة الحس وخصب الذهن ، وأظهر الشعراء فيه قدراتهم العقلية ، وقد اتخذوا للاعتذار والعتاب مسالك دقيقة تدل أوضح الدلالة على رهافة الحس وخصب الذهن ، كقول أبي تمام :

لئن كنت أخطو ساحة المحل إنني لأترك روضاً من جداك وجدولا([2])

- **الشعر السياسي:**

هو شعر الصراع بين القوى المتنافسة سياسياً كالشيعة والدعاة إلى العلويين ، والمدافعين عن حق العباسين في الخلافة ، وشعراء البرامكه ، وشعراء الوزراء والولاة والقواد([3]) .

- **الفنون الشعرية الجديدة :**

- **شعر الزهد والحكمة:**

وأصبح موضوعاً أساسياً نظم فيه الشعراء ممن زهدوا في الحياة ودعوا إلى التقشف، وكان يقابل التيار الذي جذبه الترف وانساق وراء المجون ، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه أبو العتاهية وعبد الله بن المبارك ([4]).

- **الشعر التعليمي:**

وهو القصص أو المعارف أو بعض السير والأخبار التي ينظمها جماعة من الشعراء لتعليم النا س ..وكان أبان بن عبد الحميد اللاحقي ([5]) هو الذي عمل على إشاعة مثل هذا الشعر حيث نظم بابي الصوم والزكاة شعراً، ونظم كليلة ودمنة في أربعة عشر ألف بيت يستهلها بقوله:

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

وكل ذلك من اجل التهذيب والتعليم لأنهم نظموا مسائل علمية ودينية وفقهية وفلسفية وتاريخية ([6]).

- **معاني الشعر وأخيلته :**

من الطبيعي أن ينعكس هذا التغير الجذري الذي حدث في الحياة العربية ثقافياً وفكرياً وحضارياً واجتماعياً على الأدب شعره ونثره ، فيعمق نظرة الشعراء إلى الحياة ،لأن الحياة العقلية ارتقت وأصبح الشعراء يلتمسون المعرفة ، ويتزودون بها ويحيلون هذه المعرفة - بعد أن يتمثلوها - إلى شعر يتميز بالمعاني العميقة والتصوير الحسن وترصيعه بلآليء

[1] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٧٦ -١٧٧ .

[2] - المرجع نفسه ص١٧٥ . والمحل : الجدب . الجدا : العطاء .

[3] - المرجع نفسه ص ٢٩٠ – ٢٩٥ .

[4] - المرجع نفسه ص ١٨٠ - ١٨١ .

[5] - شاعر مكثر من أهل البصرة (ت: ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) تقرب من البرامكة ونظم لهم كليلة ودمنة ، وقلدوه ديوان الشعر ، وعن طريقهم تقرب من الرشيد فأصبح من شعراءه . الزركلي ، الأعلام ١ / ٢٧ .

[6] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٩٠ - ١٩٢ .

البديع وتقريبه وتجميله بصور التشبيه والاستعارة وترتيبه وتنسيق أفكاره لميلهم إلى المنطق واستفادتهم من الفلسفة وعلم الكلام ([1]) .

- ألفاظ الشعر :

أصبحت لغة الشاعر سهلةً واضحةً مألوفةً ابتعدت عن الغرابة والغموض ..ولكن مظاهر الحضارة المادية وأوجه الثقافة الأجنبية فتحت الباب على مصراعيه لدخول الألفاظ غير العربية في الشعر كالنيروز والبستان والإسطرلاب والمهند س.. وظهرت الزخرفه اللفظية في هذا العصر بشكل واضح ، بل من الشعراء من أخذ يكثر منها مثل أبي تمام وقد سبقه إليها مسلم بن الوليد ، واهتم الشعراء بالصور الشعرية - خاصة أبو تمام والبحتري وغيرهما - ممن عنوا بالتعبير عن المعاني بألفاظ تأنقوا في اختيارها ([2]) .

- بنا ء القصيدة :

من حيث الوزن والقافية..أصبح المجتمع الجديد مترفاً ميالاً إلى اللهو، وشاع فيه الغنا ء ، والغناء يلزمه المقطوعة الشعرية ذات الأوزان الخفيفة ،لاالقصائد ذات الأوزان الطويلة فطوروا الأوزان القديمة بل استنبطوا أخرى جديدة أكمل نغماً وإيقاعاً([3]).

ومن شعراء البصرة :

- بشار بن برد (ت : ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م)

هوأبو معاذ العقيلي بالولاء ، أشعر المولدين على الإطلاق ، نشأ في البصرة ضريراً ، فاستعاض عن بصر العين بنور الذكاء الملتهب ، قال الشعر وهو ابن عشر سنين ،واتجه نحو الرثاء بسبب حرمانه وحقده على المجتمع ، فهجا واصل بن عطاء- والي البصرة – فحرض واصل الناس عليه ، فغادر البصرة وقصد سليمان بن هشام بن عبد الملك في حران ومدحه ، ولكنه لم يحسن مجازاته فعاد إلى البصرة ، وحقد على الأمويين لتعصبهم للعرب على حساب العجم ، ولم يؤيد العباسيين في بداية أمرهم بل إنه هجا المنصور هجاءاً مراً ، ثم لما قويت شوكتهم سعى إلى الانضمام إليهم ، اتصل بخالد البرمكي الذي أجزل له العطاء ، ثم وجد حظوة عند الخليفة المهدي ، وكثر حسّاده ، فأوغروا صدر الخليفة عليه فحرمه العطاء فترك العاصمة بغداد ورجع إلى البصرة حيث مولده ونشأته ، ونشبت بينه وبين حماد بن عجرد المهاجاة ، ولما هجا وزير المهدي يعقوب بن داود هجاءاً لاذعاً اتهم بالزندقة وضرب بالسياط حتى مات ، ودفن بالبصرة ([4]).

وشعره متنوع الأغراض ، كثير المعاني ، يمزج الجد بالهزل ، ويجيد التهكم ، بارعاً في الفخر ، والغزل والهجاء والحكمة ، وله ديوان مطبوع ومتداول .

ومن شعره في الغزل :

وذات دل كأن البـــــــدر صورتها   باتت تغني عميد القلب سكرانا
إن العيون التــــي في طرفها حور   قتلننا ثم لـــــــــم يحيين قتلانا
قلت أحسنت يا ســـــؤلي ويا أملي   فأسمعيني جـــزاك الله إحسانا
يا حبذا جبل الريان مـــــــن جبل   وحبذا ساكن الريــــان من كانا
قالت فهلا فدتك النفس أحسن من   هذا لمن كان صب القلب حيرانا
يا قوم أذنى لبعض الحي عاشـــقة   والأذن تعشق قبل العيـــــن أحيانا

---

[1] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٩٣ - ١٩٤ .
[2] - المرجع نفسه ١٩٦ .
[3] - المرجع نفسه ص١٩٧.
[4] - ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم أبو محمد الدينوري (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ط: دار المعارف ، مصر ص٧٦١ و ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٢٠١ .

فقلت أحسنت أنت الشمس طالعـة   أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطرباً هزجـاً   يزيـد صباً محباً فيك أشجانا ([1])

- السيد الحميري (ت : ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م)

هوإسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعه الحميري ، أبو هاشم ، من فحول الشعراء ، ولد ونشأ بالبصرة ، ثم انتقل إلى بغداد ورجع إلى البصرة ومات فيها . له مدائح بديعة في أهل البيت ، قيل إن بشارا قال له: لولا أن الله شغلك بمدح أهل البيت لافتقرنا (٢).

وذكر أنه لم يترك فضيلة لعلي رضي الله عنه إلا ونقلها إلى الشعر ، وكان يفرط في سب أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة لايرعوي ولا يزدجر، ويعد من غلاة الشيعة ، وله شعر في الحسين ألقاه على جعفر الصادق يقول فيه:

أمرر علـى جدث الحسـ   ـين فقل لأعظمه الزكية
آ أعظما لازلـت من   وطفاء سـاكبة روية
وإذا مـررت بقبـره   فأطـل به وقف المطية
وابـك المطهَّر للمطهّـ   ـر والمطهّرة النقية
كبـكاء معولة أتت   يـومـا لواحدها المنية

فسالت دموع جعفر على خديه مدراراً ، وارتفع النشيج والصراخ في داره فأمره بالإمساك فأمسك . وأطول قصائده الشيعية قصيدة تسمى المذهبة ، عني بها الشيعة وشرحوها مراراً ولشعره رونق وحلاوة ، يلذ الأسماع والأفئدة ،ويسير سهلاً على الشفاه والألسنة .وله ديوان محفوظ ([3]).

- أبو نواس (ت : ١٩٦ هـ / ٨١١ م)

هوالحسن بن هانئ بن صباح ، أبو علي ،ولد في الأهواز جنوب العراق لأم فارسية الأصل و والده كان من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . توفي والده فانتقلت به أمه البصرة في العراق، و هو في السادسة من عمره، و عندما أيفع وجهته إلى العمل في حانوت عطار. ثم انتقل من البصرة إلى الكوفة، ثم إلى بادية بني أسد فأقام فيهم سنةً كاملةً آخذاً اللغة من منابعها الأصيلة. ثم عاد إلى البصرة و تلقى العلم على يد علمائها أدباً و شعراً.و لم يقتصر طلبه علم على الشعر و الأدب بل كان عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام و الفُتيا ، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حفظٍ و نظرٍ و معرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن و متشابهه ، و ناسخه و منسوخه ..ثم ذهب إلى دمشق ثم إلى مصر متجهاً إلى الفسطاط ،عاصمتها يوم ذاك، و اتصل بوالي الخراج فيها الخصيب بن عبد الحميد فأحسن وفادته و غمره بالعطاء فمدحه بقصائد مشهورة.وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وغيره ومدح الخلفاء والوزراء ونظمه في الذروة حتى قال فيه أبو عبيدة شيخه : أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين .

وقرأ القرآن على شيخ القرَّاء يعقوب الحضرمي فلما حذق بالقرآن رمى إليه يعقوب بخاتمه وقال له :اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة .

وبفضلِ فطنتهِ وذكائه وجدّه في طلب العلم وروايته الحديث وأخذه عن مشاهير علماء البصرة وغيرها ومعاناته اللغة والأدب والشعر وعلوّ الهمَّة بخروجه إلى البادية وإقامته بها يتعلَّم اللغة هذا وهو فقير يتيم لا مُربِّي له و لا مرشد انتقل من أجير عطَّار إلى تلميذ علماء

---

[1] - يعقوب ، د. إميل بديع ، موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم ، ط : دار نوبليس ، بيروت ٢٠٠٦ م ٦ / ٥٢١ .
[2] -ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٤٣/٦ والذهبي ، السير ٨ / ٤٤ و ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ٣٠٩ .
[3] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ٣١٣ – ٣١٤ .

وأدباء وشعراء ثم إلى أستاذ علماء ونبلاء ثم انتقل إلى معاشرة الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء أمثال: هارون الرشيد والأمين والبرامكة وغيرهم .
وقد لقب بأبي نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه أي : تضطربان .
ولم يكن له أدنى اهتمام بنسبه ، ويقول : أغناني أدبي عن نسبي . وربما كان يخفي نسبه واسم أمه لئلا يهجى .
ويرد على من يتهمه بالمجون والعبث والاستهتار بأنه :

لـــذو حيـــاءٍ وذو محافظـــــةٍ مبتاع حمـــــد الرجال بالغ
فإن دنــس المال عــرض ذي شرفٍ فـإن عرضـــي يُصان بالما

ومن صفاته : أنه كان حَسَنُ الوجه رقيق اللون أبيض حلو الشمائل ناعم الجسم ألثغ بالراء حيث يجعلها غيناً وفي حلقه بُحَّة لا تفارقه وكان ظريفاً ولطيفاً لا ينزع العمامة عن رأسه . وبشهادة أكابر الأدباء والعلماء وفحول الشعراء والنقَّاد، أن أبا نواس هو سلطان الفصاحة والبيان في عصره فعبقريته ظاهرة ومعانيه باهرة وهو مقدَّم على جميع الشعراء المحدَثين فهو رقيق اللفظ بديع المعانِي والخيال ساحر الأفكار بعيد المنال شعره من السهل الممتنع يأخذ بمجامع القلوب ويؤثِّر في النفوس تأثير الخمرة التي اشتهرت أوصافها به . وكان يقال: كأن المعاني حُبِسَتْ له فأخذَ منها حاجتهُ وفرَّق الباقي على الناس ([1]) .
وفي" تاريخ الأدب العربي " ([2])أبو نواس أهم شاعر يصور الفساد الخلقي من جميع جوانبه ، وهو نفسه وقع في حبائل شيطان كبير وهو والبة بن الحباب – أحد مجان الكوفة المشهورين – وقد ارتحل معه وترك أمه في البصرة ، وكانت ذكراها تؤذيه كثيرا ، فأخذ يعب من الخمر كي ينسى أمه ، ثم مالبث أن انغمس في الخطايا والآثام، وتلونت بها حياته
ولكنه لايلبث أن ينيب إلى ربه ، ويدعو الله ويبتهل إليه كثيراً ، وخاصة حين علت سنه ووخطه الشيب ، وأخذ يفيق من سكره مفكراً في الحياة وعواقبها وفي البعث والنشور والموت والفناء ومما قال :

يا رب إن عظمت ذنوبي كــثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
إن كـــان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمن يلوذ و يستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرتَ تضرعا فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليك وسـيلةٌ إلا الرجـــا وجـــميل عفوك ثم إني مسلمُ
متمسِّكاً بـمحمـــدٍ وبآلـــــه إنَّ الموفَّقَ مـــن بـهم يستعصمُ

وكانت وفاته أن داس بنو نوبخت في بطنه حتى مات لأنه هجاهم ، وقيل إن إسماعيل بن أبي سهل دسَّ له السمّ لأنه هجاه ، ودفن في مقابر الشونيزيه على شاطئ نهر عيسى في بغداد ([3]) .

- العتبي (ت : ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م)

هومحمد بن عبيد الله الأموي ثم العتبي ، أبو عبد الرحمن البصري ، كان أديباً فاضلاً شاعراً ، يروي الأخبار وأيام العرب ، ومات له بنون فكان يرثيهم ، وشعره كثير وجيد ، ومن شعره :

فإنــــي مـــــن قوم كريم ثناؤهم لأقدامهم صيغت رؤوس المنـــــابر
خلائف فـــي الإسلام ، في الشرك قادة بـــــــهم وإليهم فــخر كل مفاخر

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٣٦/٧ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٩٥/٢ والذهبي ،السير ٩ / ٢٧٩ وشوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ص ٢٢٠

[2] - ضيف ، د . شوقي ص٢١٨ .
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٧ / ٤٣٩ .

وله أيضا :

لما راتني سُليمى قاصــــــــرا بصري   عنها وفــــي الطّرف عن أمثالها زَوَرُ
قالت عـــهدتك مجنونا ، فقلت لــــــها   إن الشباب جنــــــــون بُرؤُه الكبرُ([1])

وهذا البيت من الأمثال السائرة ([2])

وكان يشرب . وله تصانيف أدبيات منها : كتاب " الخيل " وكتاب " أشعار الأعاريب " و" أشعار النساء اللواتي أحببن ثم أبغضن" وكتاب " الذبيح " وكتاب " الأخلاق " ([3]).

ثانياً : الكوفة

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

الكوفة مدينة بالعراق ، تقع في وسطه ، على الجانب الأيمن لنهر الكوفة – أحد روافد الفرات – وهي مدينة تاريخية هامة ([4])

وسميت الكوفة بذلك نسبة إلى أرضها التي كانت أرضا رملية تخالطها حصباء ، وقيل غير ذلك([5]) وبنيت بعد الفتح الإسلامي للعراق عام ١٦ هـ/ ٦٣٧ م، ويرجع الفضل في بنائها لثلاثة من الصحابة هم سعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان.

ويعود سبب بنائها إلى أن الصحابة استوخموا المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم لكثرة ذبابها وغبارها ، فكتب سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فكتب عمر إلى سعد يأمره باختطاط مدينة جديدة للمسلمين ، و سكنها أربعون ألفاً من العرب في بيوت شيدت من الطوب اللبن ، وبني فيها مسجد جامع كان موقعه في وسط المدينة. وقد اختارها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتكون مقراً لخلافته التي بدأت عام ٣٥ هـ/ ٦٥٦ م وانتهت بعد خمسة أعوام بمقتله فيها . وفي منتصف القرن الهجري الأول تمتعت الكوفة بالازدهار التجاري لموقعها الممتاز بين الهند والشام وأفريقيا وآسيا الصغرى والحجاز ([6]).

وتميزت الكوفة في العصور الإسلامية الأولى بحسن مبانيها وأسوارها وأسواقها ، وكان فيها حصن قوي يحميها من الاعتداءات . وتنتشر حولها أشجار النخيل بأعداد غفيرة. ولكثرة خيرات نهر الفرات ، وصفه الإمام جعفر الصادق بقوله : ما أعظم بركته، لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب وما انغمس فيه ذوي عاهة إلا برئ ([7])

وبعد قيام الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م فضل العباسيون اتخاذ الكوفة عاصمة لهم لقربها من بلاد فارس التي كانت المحطة الأولى لظهور دعوتهم ، وقد استمر هذا حتى استكمال بناء بغداد ١٤٩ هـ /٧٤٢م ، وقسم العراق حينها إلى ثلاث مناطق إدارية هي بغداد والبصرة والكوفة ، وكان ولاة الكوفة والبصرة يتم تعيينهم من قبل الخليفة مباشرة ، ويتبع هؤلاء الولاة عدة دوائر إدارية تساعدهم في الإدارة وتطبيق النظام وتنفيذ القوانين ، وكان على رأس كل دائرة إدارية موظف يعينه الخليفة ، فكان إلى جانب الوالي صاحب الشرطة وصاحب ديوان الخراج والقاضي والمحتسب([8]).

---

[1] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٩٨/٤ والذهبي ، السير ١١ / ٩٦ .
[2] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٩٨/٤ .
[3] - سزكين ، د . فؤاد تاريخ التراث العربي المجلد٢ الجزء٤ ص٢٦٤ .
١- مجموعة من الباحثين ، الموسوعة العربية الميسرة ، الطبعة الثانية ن ط: دار الجيل ، بيروت ٢٠٠١ م ٢٠١٧/٤ .
[5] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص ٨٢-٨٣ .
[6] - المرجع نفسه ص٧٨ – ٨٢ .
[7] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص٨٣ .
[8] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ١٢٣/٦ .

أما ولاة الكوفة في العصر العباسي الأول فهم كثيرون ، وغالباً ماكان الخليفة يختارهم من كبار رجال الدولة . ولم أجد فائدة من ذكر ولاة الكوفة فهم كثيرون ، ويتم تغييرهم باستمرار، والراجح في الأمر أن الكوفة أكثر أهلها من العلويين- شيعة علي ﷺ- وكانت أعين الخلفاء في العصر العباسي الأول لاتغفل عن الكوفة وملاحظة من يثور ضدهم ، لأنه سرعان ما يجد أنصاراً له فيها ([1]) ومن أمثلة ذلك خروج محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م يدعوا إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وهو الذي يقال له ابن طباطبا ، وكان القائم بأمره وتدبير الحرب بين يديه ، أبو السرايا ، السري بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فج عميق ، ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة ، وكان النائب على الكوفة من جهة الحسن بن سهل سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وقد أرسل إليه الحسن بن سهل بالمدد فتقاتلوا خارج الكوفة ، فهزم جيش العباسيين واستبيح الجيش ونهب ، وتوفي ابن طباطبا وتابع أبو السرايا خروجه وتقاتل مع العباسيين غير مرة فكان يهزمهم ، وضرب الدراهم والدنانير في الكوفة ، ونقش عليها : ﴿ إن الله يحب الذي يقاتلون في سبيله صفا ﴾([2]) وقويت شوكته ، ووثب هؤلاء على دور بني العباس بالكوفة ، فنهبوها وخربوا ضياعها ، وفعلوا أفعالاً قبيحة ، وبعث أبو السرايا إلى المدائن فاستجابوا ، كما أرسل جيشاً إلى مكة ، ولم يدخلها بحرب إنما هرب نائبها فدخلها ليلاً ([3]) . كمااستحوذ نوابه على اليمن ، وانطفأت ثائرة هؤلاء الطالبيين سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م ([4]) .

ب) مكانة الكوفة العلمية ودور العلم فيها :

لما اتخذ علي ﷺ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية ، ازدلفت إليها زرافات من خيار صحابة رسول الله ﷺ فكان من علمائهم عبد الله بن مسعود الهذلي (ت : ٣٢هـ / ٦٥٢م) وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (ت : ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) وعمار بن ياسر(ت : ٣٧ هـ /٦٥٧م)وخباب بن الأرت (ت : ٣٧ هـ / ٦٥٧م) فبثوا علمهم فيها ، وأفرغوا ماعندهم من علم ورثوه عن رسول الله ﷺ ([5]) ثم تبعهم عدد من علماء التابعين .

وأمر آخر امتازت به الكوفة عن غيرها في مجال تشجيع العلم والعناية بأهله ، ألا وهو وجود أسر عريقة أخذت على عاتقها طلب العلم ونشره ورعاية العلماء وطلبة العلم ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر : آل أبي الجعد ، وآل أبي الجهم القابوسي اللخمي ، وآل أبي رافع ، وآل أبي سارة – وهم أهل بيت فضل وأدب – وبنو الحر الجعفي ، وبنو إلياس البجلي ، وقد برز من هذه الأسر علماء أجلاء ، يضاف إلى ذلك إنفاقهم على أهل العلم المال الكثير ([6])

وأصبحت الكوفة ملتقى العلماء وطلبة العلم الذين وفدوا إليها من الآفاق ، فهاهو ابن سيرين (ت: ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) يقول : أدركت بالكوفة أربعة آلاف شاب يطلبون العلم ، ولازالوا بازدياد ([7])

---

[1] - ينظر ، البراقي ، النجفي ، حسين بن السيد أحمد (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م) تاريخ الكوفة ، ط : دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م فقد ذكر ولاة الكوفة في العصر العباسي الأول ص٢٤٠ - ٢٤١ .

[2] - سورة الصف ، الآية ٤ .

[3] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٥ -٢٥٦ .

[4] - قد ذكرت أحداث ما جرى في مكة واليمن وأفعال أبي السراي ونوابه كل في موضعه بمكة وصنعاء .

[5] - البراقي ، النجفي ، تاريخ الكوفة ، ص٣٩٧ .

[6] - المرجع نفسه ، ص٤١١ .

[7] - الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ص١١٢ .

وظهرت المناظرات والمفاخرات والمجادلات الأدبية في وقت مبكر في الكوفة ، وذلك في مسائل كثيرة في الفقه والنحو والأدب واللغة وغير ذلك ، الأمر الذي سبب المفاخرة بين الفريقين ، بحيث انتمى إلى كل مذهب طائفة حتى قيل مذهب البصريين ومذهب الكوفيين([1]) .

ويقال إن أهل البصرة أرسخ قدماً وأوسع علماً ، وأولى بالثقة من الكوفيين ، ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية ، فقدّمهم خلفاؤها ، لأنهم كانوا من أنصارهم ، ذلك لأنهم نصروهم لما قاموا لطلب الخلافة ، فكانوا يقربونهم دون البصريين ، ويختارون منهم أساتذة لأولادهم ، فالكسائي والفراء والمفضل الضبي ([2]) كلهم من أهل الكوفة ، وقد علموا أبناء الخلفاء ، ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم شديد ذكر . فالسفاح كان ينصب نفسه حكماً بين البصريين والكوفيين ، ويستمع بإمعان لمناظراتهم ومحاوراتهم ومناقشاتهم ، ولايستطيع أن يخفي تعصبه للكوفيين ، فكان يناصرهم ويميل إلى آرائهم ، بل إنه كان يمدحهم في ختام المناظرة ، ويقول : الكوفة بلاد الأدب ، ووجه العراق ، ومبزغ أهله ..([3]) .

ج- أهم دور العلم في الكوفة :

- **المسجد الجامع** : وقد تم تشييده في عام (٧١هـ - ٨٣٦ م)ومنذ تأسيسه ، كان له دور لايداني في نشر العلم ، وكثرت فيه حلقات العلم ، وفي عصر بحثنا اشتهرت حلقة أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) التي كان يحضرها الآلاف من طلبة العلم ([4]) وكذلك حلقة شريك القاضي (ت : ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)، الذي أكره على القضاء فشغل عن طلبته ، وقد تأسف على تركه حلقته في مسجد الكوفة فنقل عنه قوله لبعض إخوانه : أدركت بالكوفة أربعة ألاف شاب يطلبون العلم ، ثم أكرهت على القضاء ([5])

ولم تقتصر الحلقات في مسجد الكوفة على العلوم الدينية ، إنما وجدت فيه حلقات لعلوم أخرى كحلقة المتكلمين التي كانت تجري فيها المناظرات والمحاورات بينهم أنفسهم وبينهم وبين أصحاب الملل والنحل.وحلقات النحو واللغة والعروض ، كحلقة ابن الأعرابي الكوفي (ت:٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) في مسجد الكوفة التي كان يحضرها المئات ([6]) وكثيراً ماكانت تدور في تلك الحلقات أيضاً مناظرات بين أصحابها على نحو مايروى عن الأخفش من أنه تعرض للكسائي في حلقة وسأله عن مائة مسألة محاوراً ومناقشاً مناقشات مستفيضة ([7]) وكان الكسائي (ت : ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) يجلس على كرسي مرتفع في المسجد الجامع بالكوفة ، ويتلو ، وتلاميذه يضبطون عنه ، حتى الوقوف ([8]).

وكانت هناك حلقات للشعراء ينشدون فيها أشعارهم ([9]) ففي ترجمة أبي العتاهية الشاعر (ت : ٢١١هـ /٨٢٦م) نجد أنه أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والمتكلمين في مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية والوقوف على مذاهب أصحاب المقالات ([10]) .

---

[1] - البراقي ، النجفي ، تاريخ الكوفة ص٢٠٦ .
[2] - المرجع نفسه ص٢٠٦ .
[3] - المرجع نفسه ٢٠٧ ، وسترد ترجمة هؤلاء العلماء كل في فنه .
[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣ /٣٣٣ .
[5] - الذهبي ، السير ٨ / ٢٠٥
[6] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ص١٠١ .
[7] - الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء ١١ /٢٢٨ .
[8] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ .
[9] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ص١٠١ .
[10] - المرجع نفسه ص٢٣٨ .

- **الكتاتيب** : انتشرت الكتاتيب في الكوفة ، مثل باقي المدن والقرى في العراق في العهد العباسي ([1]) وعادة كان الناشيء يبدأ علمه بها وهو في سن الخامسة أوالسادسة. ولا أجد زيادة على ماذكرته في المدينة أو البصرة عن الكتاتيب سوى أخبار معلمي الكتاب ، فقد تحول التعليم في هذا العصر إلى حرفة يرتزق منها المعلمون ، بل أصبح صناعة لاستيفاء الرزق اختصت بها طبقة من الناس ، على أن المصادر التاريخية تتحدث عن مهانة معلمي الكتاب ، وأخرى تجلهم وترفعهم . والظاهر أنه كانت هناك مستويات من المعلمين ، ولم يكن كل المؤدبين على علم كاف وثقافة عالية وسمعة طيبة ، فمما يلحظه المرء أن الكبراء والأمراء ماكانوا يعهدون بأبنائهم إلى الكتاب ، بل إنهم يختارون لهم مؤدبين علماء ، كما أن قبول معلمي الكتاتيب للطعام - مثل الخبز- من التلاميذ قد أنزل من مكانتهم الاجتماعية ، ومع ذلك فقد كان يطلب منهم أن يكونوا قدوة صالحة لايأتون منكراً أو فساداً أمام تلاميذهم ، وثمة حسبة على هؤلاء المعلمين ترقب تصرفاتهم ([2])

وأورد الجاحظ ([3]) أسماء طائفة مشهورة من معلمي الكتاب ، وخصهم برسالة ملأها بنوادرهم ، مما كان سببا في أن تدور شخصية معلم الكتاب بين الشخصيات المضحكة في الأدب العربي ([4]).

د) من العلوم التي اشتهرت بالكوفة :

أولا : علوم القرآن الكريم :

أ - **علم** القراءات :

أثمرعلم القراءات في الكوفة بثلاثة من القراء السبعة ، ممايدل على الاهتمام الكبير الذي لقيه هذا العلم فيها ، وهؤلاء هم : عاصم بن أبي النجود (ت: ١٢٨ هـ/٧٤٥ م) وحمزة والكسائي ([5]) ومن خلال تتبع القراء ونتاجهم في الكوفة يتبين لنا أن علم القراءات في الكوفة اتسم بـ :

- إن أكثر القراء من التابعين في القرن الأول كانوا من الكوفة ، ثم إنهم نقلوا قراءتهم إلى من بعدهم .

- أصبحت الكوفة في العصر الهجري الثاني مهبط المشتغلين بالقراءة ، وحرصوا على الانتفاع من جميع المصادر اللغوية مهما كانت منزلتها وآثروا الاعتماد على النقل وقدموه على العقل خدمة للقراءة ، ثم أفادهم هذا في علم النحو واللغة .

- يتميز قراء الكوفة بأنهم الأكثر من حيث العدد من قراء البصرة ، وإن كثيرا منهم غادروها إلى مدينة السلام بغداد عاصمة الخلافة بل عاصمة الدنيا بعد تأسيسها . ([6])

- إن تساهل الكوفيين بالرواية جعلهم يعتدون بالقراءات الشاذة للذكر الحكيم ([7]) لذلك نجدهم التزموا بالقراءات المختلفة واعتدوا بها ، مهما كانت درجتها ، لإيمانهم بأن كل قراءة سنة متبعة يلزم الاعتداد بها والمصير إليها . لذلك لم تسلم قراءات الكوفة من النقض مع أنها الأوسع انتشاراً ([8]) .

وهذه ترجمة لأشهر قراء الكوفة في عصر بحثنا :

---

[1] - الجاحظ ، البيان والتبيين ٢٥٥/١ ونخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٢٣/٨

[2] - مجموعة من المؤلفين ، تاريخ التربية والتعليم ، ط : عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٤ م ونخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٨ /٢٤ ــ ٢٥

[3] - الجاحظ ، البيان والتبيين ١٣٦/١ .

[4] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ص٩٩ .

[5] - سترد ترجمتهما مع القراء في الكوفة .

[6] - مجموعة من الباحثين ، حضارة العراق ، ط : دار الحرية ، بغداد ١٩٨٢م الجزء ٢٨/٧ .

[7] - ضيف د . شوقي ، المدارس النحوية ص١٥٦ .

[8] - المرجع نفسه ص١٥٧ و نخبة من الباحثين العراقيين ٧/ ٢٨

- حمزة بن حبيب الزيات (ت : ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م)

هوأبو عمارة الكوفي الزيات ، شيخ القراءة ، وأحد القراء السبعة ، كان إماما قيّما لكتاب الله ، قانتا لله ثخين الورع رفيع الذكر، عالماً بالحديث والفرائض أصله فارسي . ومن شدة ورعه أنه ربما عطش فلا يستسقي كراهية أن يصادف من قرأ عليه . له عناية بالحديث والأثر، وثقه أئمة الشأن ،وأحاديثه عند مسلم والسنن الأربعة ، وله نحو من ثمانين حديثاً ، وذُكر أنه ما قرأ حرفا إلا بأثر.

وميزة قراءته أنه كان كان يهمز ويكسر. وقد كره طائفة من العلماء قراءة حمزة لما فيها من السكت وفرط المد واتباع الرسم والإضجاع وأشياء ثم استقرالاتفاق على قبولها .

وذكر أن رجلاً قال له : يا أبا عمارة رأيت رجلاً من أصحابك همز حتى انقطع زره . فقال : لم آمرهم بهذا كله . وإن لهذا التحقيق حدا ينتهي إليه ثم يكون قبيحاً ، وإنما الهمزة رياضةٌ ، فإذا حسَّنها ، سلَّها ([1]).

ولقب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ([2]) ثم يجلب منها الجبن والجوز.

من آثاره : " القراءات" و " متشابه القرآن " وهو أول من ألف في هذا الباب في الكوفة([3]).

- عيسى بن عمر (ت : ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م)

هوأبو عمر الهمداني الكوفي ، أخذ القراءة عرضاً على طلحة بن مصرف وعاصم بن بهدلة والأعمش ، كان مقرىء الكوفة في زمانه بعد حمزة ومعه (٤) .

- يحيى بن يمان (ت: ١٨٩ هـ م/ ٨٠٤ م)

هوأبو زكريا العجلي الكوفي ،حافظ مقرئ ، تلا على حمزة الزيات ، وصف بأنه من العلماء العاملين . كان سريع الحفظ سريع النسيان ، ذكر أنه كان يحفظ في مجلس واحد خمس مائة حديث ثم نسي ماحفظه ([5]) .

- الكسائي (ت : ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)

هوعَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ الكُوْفِيُّ ، أَبُو الحَسَنِ ، شَيْخُ القِرَاءةِ وَالعَرَبِيَّةِ ، تَلاَ عَلَى عدد من القراء كحمزة وعيسى بن عمر ، ثم َاخْتَارَ قِرَاءةً اشْتُهِرَتْ، وَصَارَتْ إِحْدَى السَّبْعِ . له كتاب في " القراءات " ([6])

- أبو بكر بن عياش (ت : ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م)

هو شعبة الكوفي الحناط ، في اسمه أقوال ، مقرئ فقيه ، أحاديثه عند البخاري والسنن الأربعة . قرأ القرآن وجوده ثلاث مرات على عاصم بن أبي النجود . وعرضه أيضاً على قراء عصره . واقرأ الناس بحرف عاصم سنين . كان يقول : أنا نصف الإسلام . وكان سيداً إماماً حجة صاحب سنة كثير العلم والعمل ([7]).

---

[1] - ابن سعد ، الطبقات ٣٨٥/٦ والذهبي ، السير ٧ / ٩٠ وابن الجزري ، النهاية ٢٦١/١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢١٩ .

[2] - حلوان : مدينة عامرة تقع آخر حدود السواد ممايلي الجبال من بغداد ، ثمارها كثيرة وأكثرها الرمان . ياقوت ، معجم البلدان ٣٣٤/٢ .

[3] - العمري ، مسالك الأبصار ٢٢١/٥ .

[4] - الذهبي ،السير ٧ / ١٩٩ .

[5] - الذهبي ، السير ٨/ ٣٥٦ وابن الجزري ، النهاية ٣٨١/٢ .

[6] - الزبيدي ، طبقات النحويين ص ١٣٨،و الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ ، والذهبي ، السير ٩/ ١٣١ وابن الجزري ، غاية النهاية ٥٣٥/١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٣٦ . وقد ترجمته بأوسع مما هنا مع النحويين في الكوفة .

[7] - الذهبي ، السير ٤٩٥/٨ وابن الجزري ، النهاية ٣٢٥/١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٤٥ .

- عبد الله بن إدريس (ت : ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م)

هو أبو محمد الأودي الكوفي ، حافظ مقرئ ، ، تلا على نافع ، أقدمه الرشيد بغداد ليوليه قضاء الكوفة فامتنع ، وقال : لآ أصلح ، ثم وصله بمال فامتنع عن أخذه ، ثم طلب إليه الرشيد أن يحدث ولده المأمون ، فوافق على أن يأتي مع الجماعة . وصف أنه من أئمة الدين ، عابداً فاضلاً ، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة - يخالف الكوفيين- وكان بينه وبين مالك صداقة ورواية . وكان شديد الحرص على العربية ، إذا لحن أحد في كلامه لم يحدثه . وخالف الكوفيين في حكم النبيذ فكان يحرمه ، ويقول :

كل شراب مسكر كثيره فإنه محرم يسيره

إني لكم من شره نذيره

ولما نزل به الموت بكت بنته . فقال : لا تبكي يا بنية ، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة . واشتهر بذم قراءة حمزة ، ويقول : ما أستجيز أن أقول لمن يقرأ لحمزة : إنه صاحب سنة . ولكنه منفرد بهذا لم يتابعه أحد ، فقراءة حمزة مقبولة مجمع عليها ، وهي من السبع (١) .

- الحسين بن علي الجعفي (ت : ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)

هوأبو عبد الله وأبو محمد الجعفي الكوفي ، مقرىء مجود زاهد ، قرأ القرآن على حمزة الزيات وأتقنه ، وأخذ الحروف عن أبي عمرو بن العلاء وعن أبي بكر بن عياش . وحديثه في كتب الإسلام الستة وفي مسند أحمد .وصف بالفضل والتقوى ، ووثقه أئمة الشأن ، سأل الخليفة هارون الرشيد : من أقرأ الناس ؟ فقيل له : حسين الجعفي . وكان يُقرىء القرآن رأس فيه ، وتصدر للإقراء زمناً طويلاً . وكان جميلاً لبّاساً ، يخضب وخضابه إلى الصفرة وخلّف ثلاثة عشر ديناراً،حتى قال فيه أحمد بن حنبل : مارأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي ، كان يشبه الرهبان . ولم يُر إلا مقعداً ، ويقال : إنه لم ينحر ولم يطأ أنثى قط . ذكر أحد تلاميذه : كتبنا عنه أكثر من عشرة آلاف حديث (٢).

- عبد الله بن صالح (ت: ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م)

هوأبو أحمد العجلي الكوفي المقرئ ، والد الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي ، صاحب " التاريخ " ، قرأ القرآن على حمزة الزيات ، كانت له حلقة في مسجد الكوفة ، ثم نزل بغداد وأقرأ بها القرآن(٣)

ب - علم التفسير في الكوفة :

تقدم الكلام عن علم التفسير واتجاهاته الجديدة في البصرة ، ولهذا العلم ما يميزه في الكوفة ، ففيها نشأت مدرسة الرأي ، والرأي يطلق على الاعتقاد وعلى الاجتهاد وعلى القياس . فالتفسير بالرأي هو : تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيها في القول ومعرفة ألفاظ اللغة ودلالتها ومعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ووجوه القراءات وتعليلها . والموقف السليم (٤) من هذا الاتجاه هو أن القرآن الكريم قد حثنا على التفكر والتدبر، وإعمال العقل حتى نفهم آيات الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (٥) وقال سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم

---

١ - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤١٥/٩ والذهبي ، السير ٩ / ٤٢ وابن الجزري ، النهاية ١/ ٤١٠ .

٢ - ابن سعد ، الطبقات ٣٩٦/٦ والذهبي ، السير ٣٩٧/٩ وابن الجزري ٢٤٧/١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٥٤ .

٣ - الذهبي ، السير ١٠ / ٤٠٣ .

٤ - اذكر هنا الموقف السليم – وأقصد التفسير بالرأ ي المحمود – وثمة من انتقد التفسير بالرأي وذمه . وكثير من التابعين ومن بعدهم كانوا يقفون عند تفسير الآيات التي لم يرد فيها نص عن رسول الله ﷺ أو خبر عن الصحابة رضي الله عنهم . للمزيد ، انظر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٩٩ ومابعدها ،

٥ - سورة محمد الآية ٢٤ .

تعقلون﴾ ([١]) فكيف يجوز أن يتصور مسلم أن الله سبحانه وتعالى يأمره بتدبر كتابه في الوقت الذي يمنعه فيه من الاجتهاد وإعمال الفكر في تدبر آياته ؟

ولاشك أن التفسير بالرأي لايعني إلقاء القول على عواهنه بلا اعتماد على أثر ولا على لغة .فقد حدد العلماء أربعة أمور يجب أن يراعيها المفسر بالرأي :

الأول : النقل عن رسول الله ﷺ إن وجد متصلاً بما يفسره مع الاحتراز من الضعيف والموضوع .

الثاني : الأخذ بقول الصحابي ولاسيما ما كان متصلاً بأسباب النزول ونحوها مما لامجال للرأي فيه.

الثالث : الالتزام بأساليب اللغة وما عليه الأكثرون من العرب .

الرابع : الأخذ بما تقتضيه أساليب اللغة وأحكامها وأصول الشريعة وقوانينها .

فمن فسر القرآن برأيه ملتزماً بهذه الحدود فتفسيره مقبول ومحمود . ومن حاد عنها وخرج عليها فتفسيره لايعدوا أن يكون أقوالاً قد تصح وقد لاتصح ([٢]).

ومن علماء التفسير في الكوفة :

- ورقاء بن عمر (ت : ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م)

هو أبو بشر ، كان محدثاً ومفسراً ، يقوم تفسيره في المقام الأول على تفسير مجاهد ([٣])ويعده العلماء تفسيراً جيداً .من آثاره : كتاب التفسير، أفاد منه الطبري ، وهو أحد مصادر الثعلبي في كتابه الكشف والبيان(٤)

- زائدة بن قدامة (ت : ١٦١هـ / ٧٧٧ م)

هوأبو الصلت الثقفي الكوفي ، قرأ على عاصم بن أبي النجود ، كان من أصدق الناس وأبرّهم وأعلمهم . وثقه أئمة الجرح والتعديل وكان لا يحدث قدريا ولا صاحب بدعة يعرفه . وقد عده ابن حنبل من الأربعة المتثبتين في الحديث وهم : سفيان وشعبة وزهير وزائدة . وقد صنف حديثه وألف في القراءات وفي التفسير والزهد (٥).

- يحيى بن اليمان (ت : ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م)

كان محدثاً ومفسراً ، من آثاره : التفسير مخطوط في الظاهرية (٦).

- الفريابي ؟؟ (ت : ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)

كان محدثاً ومفسراً ، من آثاره : تفسير القرآن ، أفاد منه الثعلبي في الكشف والبيان([٧]) .

- قبيصة بن عقبة (٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)

كان محدثاً ومفسراً ، من آثاره : التفسير ، أفاد منه الطبري في التفسير ، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان ([٨]) .

---

[١] - سورة يوسف الآية ٢ .

[٢] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٦٠/٧ - ٦١ .

[٣] - مجاهد بن جبر المخزومي المكي ، من كبار تلاميذ ابن عباس وممن رووا عنه ، له تفسير للقرآن (ت : ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) تفسيره ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة ، القاهرة ١٩٨٩ م . مقدمة تفسير مجاهد ص٩-١٠ .

[٤] - ابن الجزري ، النهاية ٣٥٨/٢ وسزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ١الجزء١ ص٨٥ .

[٥] - ابن سعد ، الطبقات ٣٧٨/٦ الذهبي ، السير ٣٧٥/٧ وابن الجزري ، النهاية ٢٨٨/١ .

[٦] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٨١/٢ وسزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١ص٨٦ . **والظاهرية** : مكتبة بدمشق ، بناها الظاهر بيبرس (٦٢٥ - ٦٧٦ هـ / ١٢٢٨ - ١٢٧٧ م) سلطان المماليك . الزركلي ، الأعلام ٢/ ٧٩ . وتحتوي الظاهرية على مخطوطات نادرة ، أقدم باحثون= =عصريون على فهرستها وتصنيفها ، وقد نقلت هذه المخطوطات سنة ١٩٨٢م إلى مكتبة الأسد الوطنية – في دمشق أيضاً – وذلك لتوفر وسائل حديثة لحفظها.

[٧] - سزكين ، تاريخ الثراث العربي مجلد١ جزء١ص ٨٧ .

[٨] - سزكين ، تاريخ الثراث العربي مجلد١ جزء١ص ٨٧ .

- عثمان بن أبي شيبة (ت : ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م)

هوأبو الحسن الكوفي ، حافظ ومفسر ، صاحب تصانيف ، وثقة علماء الجرح والتعديل ، وقد أكثر عنه البخاري في صحيحه ، وروى له أيضاً مسلم وأبو داود وابن ماجة (١).

ثانيا : علم الحديث في الكوفة :

من خلال الاطلاع على تراجم علماء الحديث في الكوفة ، وآثارهم وإنجازاتهم يتبين ما يأتي:

- تأخر تدوينهم للحديث عن أهل البصرة . فأول من صنف " المسند "على ترتيب الصحابة بالكوفة ، هوعبيد بن موسى (ت : ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) كما أن أبا داود الطيالسي أول من صنف المسند من البصريين (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٧ م) ([٢])

- كانت أحاديثهم الأصول التي اعتمد عليها مصنفوا الحديث بعدهم . كوكيع بن الجراح الذي اقتبس من مصنفه أحمد بن حنبل ([٣]).

- كان على رجال النقد وعلم الرجال أن يكونوا شديدي الحذر لكثرة المدلسين في الكوفة فمنهم المتشيع ، ومنهم من يُحلّ ما حُرّم ، ومنهم من يأت بأفكار جديدة القصد منها الإساءة للدين الإسلامي ([٤]) .

- أصاب التشيع معظمهم ، فهم بين متشدد ومعتدل وساعد على ذلك الجو العام في الكوفة .

- كانوا **يجتهدون** مثل استحلالهم شرب النبيذ الذي كثيره مسكر ، مثل وكيع بن الجراح الذي قال: هو عندي أحل من ماء الفرات وعلق على ذلك الذهبي فقال: إنما هو اجتهاد ([٥])

- منهم من كره التقرب من السلطان ، ويتحرج طلبة العلم من الأخذ من الذي يعمل لدى السلطان([٦]) وقد روي في ترجمة شريك القاضي (ت : ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)عن أحد رواة الحديث قوله : لم أكتب عن شريك بعد القضاء غير حديث واحد ([٧]).

ومن أئمة الحديث في الكوفة .

- الأعمش (١٤٨ هـ / ٧٦٥م)

هوسليمان بن مهران ، أبو محمد الكوفي ، كان يقارن بالزهري في الحجاز ، رأى أنس بن مالك ﷺ ولكنه لم يسمع منه ، له نحو من ألف وثلاثمائة حديث ، وهي عند الجماعة .

وصف بأنه أقرأ الناس لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وكان يسمى المصحف من صدقه. وكان صاحب سنة وفضل ومع هذا فيه مزاح ، ذُكر أن أبا حنيفة النعمان عاده في مرضه وطول القعود عنده ، فلما أراد الانصراف قال : ما كأني ثقلت عليك . فقال: والله إنك لثقيل علي وأنت في بيتك (٨) .

- مسعربن كدام (١٥٥هـ / ٧٧١ م)

هوأبو سلمة الهلالي الكوفي الأحول ، شيخ العراق ، أحاديثة عند الجماعة . كان عنده ألف حديث ، ووصف بأنه كان جامعاً للعلم والورع ([٩]).

---

[١] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٨٣/١١ والذهبي ، السير ١٥١/١١ .
[٢] - الذهبي ، السير ٩ / ٥٥٤ .
[٣] - المصدر نفسه ٩ /١٤٤ .
[٤] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٢٨ .
[٥] - الذهبي ، السير ٩ / ١٥١ .
[٦] - الذهبي ، السير ٩ / ١٤٧ .
[٧] - المصدر نفسه ٨ / ٢٠٤ .
[٨] - ابن سعد ، الطبقات ٣٤٢/٦ والخطيب ، تاريخ بغداد ٣/٩ والعمري ، مسالك الأبصار ٦٤٧/٥ .
[٩] - ابن سعد ، الطبقات ٣٦٤/٦ والذهبي ، السير /٧ ١٦٣ .

- مالك بن مغول (ت : ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م)

هوأبو عبد الله البجلي الكوفي ، المحدث ، كان من سادة العلماء . جمع نحواً من مائة حديث ، وأحاديثه عند الجماعة ([١]).

- سفيان الثوري (ت : ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م)

هوأبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، أمير المؤمنين في الحديث ، مصنف كتاب " الجامع " وأحاديثه عند الجماعة . وله " تفسير " مشهور . طلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري . قرأ الختمة عرضاً على حمزة الزيات أربع مرات . وكان له عناية بالحديث والفقه والتفسير ، وكان يحيى بن معين لا يقدّم عليه أحدا في زمانه في الفقه والحديث والزهد وكل شيء . وصف بأنه ساد الناس بالورع والعلم ، وأعلم الناس بالحلال والحرام . وكان سفيان رأساً في الزهد والتأله والخوف رأسا في الحفظ رأساً في معرفة الآثار رأساً في الفقه لا يخاف في الله لومة لائم . من أئمة الدين واغتفر غير مسألة اجتهد فيها ،وهو على مذهب أهل بلده بالنبيذ . وفيه تشيع يسير. وكان يكره السلطان ولا يرى الخروج عليه ، وقد طلبه المنصور للقضاء فرفض وهرب ، وقصته مع المنصور مشهورة تناقلها علماء السير([٢]).

ومن أقواله في الزهد : الزهد زهدان ، زهد فريضة وزهد نافلة ، فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس وأما زهد النافلة فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال فإذا تركت شيئا من ذلك صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله .

ومما اشتهر به أنه يحب عزة النفس والترفع عن حاجة الناس ، فذكر من قوله : لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج الناس .

وأجاب من سأله : من أصاحب إلى الحج ؟ : فقال : لاتصحب من يكرم عليك ، فإذا ساويته في النفقة ، أضر بك وإن تفضل عليك ، استذلك ([٣])

- مفضل بن مهلهل (ت : ١٦٧هـ / ٧٨٣ م) ([٤])

هوأبو عبد الرحمن السعدي الكوفي ، أحاديثه عند مسلم والنسائي وابن ماجة . وصفه علماء الرجال بأنه كان ثقة ثبتا صاحب سنة وفضل وفقه . ولما مات الثوري مضى أصحابه إلى المفضل ، فقالوا : تجلس لنا مكان أبي عبدالله .

- قيس بت الربيع (ت : ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م)

هوأبو محمد الأسدي الكوفي الأحول ، حافظ مكثر، أُخذ عنه ستة آلاف حديث ، أحاديثه عند أبي داود والترمذي وابن ماجة . وقد اعتمد علماء الحديث على ماكتبه لاما حفظه ، لأنه كان - حسب قولهم - صدوقاً مأموناً حين كان شاباً فلما كبر ساء حفظه . واستعمله المنصورعلى المدائن([٥]) .

- سلاّم بن سليم (ت: ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)

هو أبو الأحوص الكوفي ، حديثه نحو أربعة آلاف حديث ، وهي عند الجماعة ، قرأ القرآن على حمزة (٦).

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٣٦٥/٦ والذهبي ، السير ٧/ ١٧٤ .

[٢] - ابن سعد ، الطبقات ٣٧١/٦ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٥١/٩ والذهبي ، السير ٧/ ٢٢٩ والعمري ، مسلك الأبصار ٦٥٩/٥ .

[٣] - الذهبي ، السير ٧ / ٢٤١و ٢٤٤ .

[٤] - ابن سعد ، الطبقات ٣٨١/٦ والذهبي ، السير ٧/ ٤٠٠ .

[٥] - الذهبي ، السير ٨ /٤١.

[٦] - ابن سعد ، الطبقات ٣٧٩/٦ والذهبي ، السير ٨ / ٢٨١ .

- علي بن هاشم (ت : ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)

هوأبو الحسن العائذي ، الكوفي الشيعي الخزاز، أحاديثه عند مسلم والسنن الأربع . وصف بانه صدوق يتشيع يُكتب حديثه ، وهو من أهل بيت تشيع وليس ثمّ كذب(١) .

- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة (١٨٤ هـ /٨٠٠ م)

هوأبو سعيد الهمداني ، جمع بين الفقه والحديث ، وأحاديثه عند الجماعة . وصف بأنه من أوعية العلم ، ويعد من حفاظ الكوفيين مفتياً ثبتاً صاحب سنة ، وكان على قضاء المدائن للرشيد([٢]) . وهو أول من صنف الكتب بالكوفة([٣]).

- المطلب بن زياد (ت: ١٨٥ هـ ، ٨٠١ م)

هومن كبار المحدثين في الكوفة ، أحاديثه عند البخاري في " الأدب المفرد " ، والنسائي وابن ماجة(٤)

- عبد الرحيم بن سليمان (ت: ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)

هوأبوعلي الرازي نزيل الكوفة ، وصف بأنه صالح الحديث صنف الكتب ، أحاديثه عند الجماعة ([٥]).

- عبيدة بن حميد (ت : ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م)

هوأبو عبد الرحمن الكوفي الحذاء ، من كبار المحدثين ، أحاديثه عند البخاري والسنن الأربع ، كان صاحب كتاب وكان مؤدباً للأمين ([٦]).

- أبو معاوية الضرير (ت : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)

هومحمد بن حازم ، محدث مكثر ، كان عنده ألف ومائتا حديث ، وهي عند الجماعة . وصف بالحفظ والإتقان وقوة الذاكرة ، ومع ضرّه فقد كان البصراء عيالاً عليه في الحديث. وكان هارون الرشيد يجل أبا معاوية ويحترمه . قيل إنه أكل عنده فغسل يديه فكان الرشيد هو الذي صب على يده وقال : تدري يا أبا معاوية من يصب عليك ؟ ثم وصله بذهب كثير([٧]).

- محمد بن فضيل (ت : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)

هوأبو عبد الرحمن الضبي الكوفي ، كان ممن قرأ القرآن على حمزة الزيات . قال فيه أحمد بن حنبل : هو حسن الحديث شيعي . ولكنه لم يطعن بالشيخين - بل إنه معظّم لهما - ولا بأحد من صحابة رسول الله ﷺ وقد احتج به أرباب الصحاح فأحاديثه عند الجماعة . من مصنفاته كتاب " الدعاء "وكتاب " الزهد " وكتاب " الصيام " ([٨]) .

- وكيع بن الجراح (ت : ١٩٧ هـ / ٨١٢ م)

هوأبو سفيان الرؤاسي الكوفي ، محدث العراق ، أحاديثه عن الجماعة .

ذكر أنه ورث من أمه مائة ألف درهم فكفته مؤونة لطلب العلم ،وطلبه في الصغر ، وكان من أجل طلبة سفيان الثوري ، ولما مات سفيان جلس وكيع موضعه يحدث الناس ، وكان قوي الحفظ يحفظ عن شيخه ثم يذهب فيكتب ماحفظ في بيته . وثقه رجال الحديث وامتدحوه لحفظه وسعة علمه وإتقانه ، واعتذر أكثر من مرة عن تولية القضاء . وكان كثير

---

١ - الذهبي ، السير ٨ / ٣٤٢ .
٢ - الخطيب ، تاريخ بغداد ١١٤/١٤ والذهبي ، السير ٣٣٧/٨ .
٣ - الذهبي ، السير ٨ / ٣٣٩ .
٤ - الذهبي ، السير ٨ / ٣٣٢ .
٥ - الذهبي ، السير ٨ / ٣٥٧ .
٦ - الذهبي ، السير ٨ / ٥٠٨ .
٧ - ابن سعد ، الطبقات ٣٩٢/٦ والذهبي ، السير ٩ / ٧٣ .
٨ - ابن سعد ، الطبقات ٣٨٩/٦ والذهبي ، السير ٩ / ١٧٣ .وسزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١ جزء١ ص١٧٧ .

الرحلة وما ينزل بلداً إلا ويحدث فيه . وله من المصنفات كتاب" فضائل الصحابة " ووصف بأنه كان أسمراً ضخماً سميناً يكثر من الطعام وشرب النبيذ الذي لايرى فيه بأساً ، ويقول : هو عندي أحل من ماء الفرات ([١]).
وفي " تاريخ التراث العربي" ([٢]) : كان ذا ذاكرة ممتازة ، فكان يحاضر دون أن ينظر في كتاب ، من آثاره :
- كتاب الزهد
- مجموعة أحاديثه .
- المصنف ، اقتبس منه أحمد بن حنبل .
- التفسير ، استخدمه الثعالبي في الكشف والبيان .

- أسباط بن محمد (ت: ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

هوأبو محمد القرشي الكوفي ، جمع وكتب ثلاثة آلاف حديث ، وأحاديثه عند الجماعة ، وكان سفيان الثوري يوصي طلبة الحديث بالأخذ عنه ، وكتابة حديثه ([٣]).

- يحيى بن آدم (ت : ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)

هوأبو زكريا الأموي الكوفي ، صاحب التصانيف. له كتاب "الخراج " (٤) وصف بأنه كان جامعاً للعلم ، ثقة متفقهاً ، من كبار أئمة الاجتهاد (٥).

- الطنافسي (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)

هومحمد بن عبيدالكوفي وصف بأنه ثقة كثير الحديث صاحب سنة وجماعة ، جمع أربعة ألاف حديث يحفظها ، وأحاديثه عند الجماعة ([٦]).

- عبيد بن موسى (ت : ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)

هوأبو محمد العبسي الكوفي ، أول من صنف " المسند "على ترتيب الصحابة بالكوفة ، وأحاديثه في الكتب الستة . وكان من حفاظ الحديث ، مجوداً للقرآن تلا على حمزة الزيات وتصدر للإقراء والتحديث . وصف بأنه ثقة رأساً في القرآن ، عالماً به ما رُئي رافعاً رأسه أو ضاحكاً قط ، وكان صاحب عبادة وليل وأدب . ونجد تردداً من علماء الرجال في ثوثيقه لأنه كان شيعيا محترقاً ، ولكنهم أجازوا حديثه . وذكر أن أحمد بن حنبل كان يدل الناس عليه ، ليأخذوا الحديث عنه – وهو معروف بالرفض – فلم يدع أحداً اسمه معاوية يدخل داره فقيل خل عليه معاوية بن صالح الأشعري - أحد طلبة العلم - فقال : ما اسمك ؟ قال : معاويه قال : والله لاحدثتك ولا حدثت قوماً أنت فيهم (٧).

- الفضل بن دكين (ت : ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م)

هوأبو نعيم الكوفي الملائي الأحول ، له مصنفات ، وأحاديثه عند الجماعة . وكان من أئمة هذا الشأن وأثباتهم . وصف بأنه أعلم الناس بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال ، ثقة حافظ متقن . وكان يحفظ ويأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره . وكان أبو نعيم يحفظ حديث الثوري حفظاً جيداً وهو ثلاث آلاف وخمس مائة حديث ويحفظ حديث مسعر وهو خمسمائة حديث، وقد ثبت عنه أنه كان يأخذ على الحديث شيئاً قليلاً لفقره ، فلامه البعض فقال : يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر نفساً وما في بيتي رغيف . أي يأخذ من الإمام

---

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٦/ ٣٩٤ والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣والذهبي ، السير ٩ / ١٤٠ .
[٢] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد ١الجزء١ ص ١٧٩ .
[٣] - ابن سعد ، الطبقات ٣٩٣/٦ والذهبي ، السير ٩ / ٣٥٥ .
[٤] - طبع في مدينة ليدن بعناية المستشرق وجوينبول سنة ١٣١٤هـ ، ثم طبع بعدها مرات عديدة . (هامش السير) .
[٥] - ابن سعد ، الطبقات ٤٠٢/٦ والذهبي ، السير ٩ / ٥٢٢ .
[٦] - ابن سعد ، الطبقات ٦/ ٣٩٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢ /٣٦٥والذهبي ، السير ٩ / ٤٣٦ .
[٧] - ابن سعد ، الطبقات ٤٠٠/٦ والذهبي ، السير ٩ / ٥٥٣ .

لا من الطلبة . وكان فيه تشيع خفيف . فذكرأنه قال : حب علي ﷺ عبادة وخير العبادة ماكتم ([1]).

وفي " تاريخ التراث العربي " ([2]) : كتبه دقيقة أمينة ، أفاد منها البخاري ، من آثاره :

- كتاب الصلاة .
- تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن أبي نعيم .
- التاريخ ، اقتبس منه ابن حجر .

- يحيى بن عبد الحميد (ت : ٢٢٥ هـ/٨٣٩ م)

هوأبو زكريا الحمّاني الكوفي ، تردد علماء الرجال والنقاد في توثيقه ، وقد جمع آلاف الأحاديث في كتابه " المسند " ولم يرو له أصحاب الكتب الستة . كان فيه تشيع شديد ، ويسرد الحديث مما كتبه دون أن يحفظه- وهذا دليل على أنه لم يتلق الحديث من أهله إنما ينقله من الكتب- واختلف في عدد أحاديثه فمن مكثر يقول بنحو عشرة آلاف وبين مقل يقول بأربعة آلاف حديث . ومن أنصفه قال : إنما تُكلم فيه حسداً . فالله أعلم ([3]).

- ابن أبي شيبة (ت : ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩ م)

عبد الله بن محمد الكوفي ، سيد الحفاظ وصاحب الكتب الكباركالمصنف وغيره ،وهو أخوالحافظ عثمان بن أبي شيبة ، وثقه علماء الرجال وامتدحوه لصدقه . طلب العلم وهو صبي ، وكان بحرا من بحور العلم وبه يضرب المثل في قوة الحفظ ، أحاديثه عندالشيخين وأبي داود وابن ماجة والنسائي .وكان أبو بكر قوي النفس لايجامل أحداً في حديث رسول الله ﷺ. ونقل مترجموا ابن أبي شيبة خبراً أجمع عليه علماء العصر مفاده : أن ربانيي الحديث أربعة ، فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل ، وأحسنهم سياقاً للحديث وأداءً علي بن المديني ، وأحسنهم وضعاً لكتاب أبو بكر بن أبي شيبة ، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين ([4]).

وفي سنة اربع وثلاثين ومائتين أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين فكان فيهم أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة وأمرهم أن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، فجلس عثمان في مدينة المنصور واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً وجلس أبو بكر في مسجد الرصافة وكان أشد تقدماً من أخيه ،اجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً ([5]) .

وفي " تاريخ التراث العربي " ([6]) : من آثاره :

- " المصنف" (المسند)
- "التاريخ" ، ويتناول فجر الإسلام ، وقد أخذ الخطيب البغدادي إجازة روايته في دمشق .
- "كتاب الإيمان" .و " كتاب الأدب" .

ثالثاً -علم الفقه في الكوفة :

إن أبرز مايميز علم الفقه في الكوفة هو الاعتماد على القياس العقلي اعتماداً واسعاً ، وذلك لإيجاد حلول للأحكام التي تطلبتها المشاكل التي نشأت في حياة الناس من الجهتين الدينية والدنيوية .

---

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٤٦/١٢ والذهبي ، السير ١٠ / ١٤٢ .
[2] - سزكين د. فؤاد ،تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء١ ص١٨٨ .
[3] - ابن سعد ، الطبقات ٦/ ٤١١ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٦٧/١٤والذهبي ، السير ٥٢٦/١٠ .
[4] - تاريخ بغداد ٦٦/١٠ والذهبي ، السير ١١ / ١٢٢ والعمري ، مسالك الأبصار ٤١١/٥ .
[5] - الذهبي ، السير ١١ / ١٢٥ .
[6] - سزكين د. فؤاد ،تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء١ ص ٢٠٥ .

والقياس حجة ودليل من الأدلة الإجمالية ومصدر فقهي، وقال الأقلون ليس بحجة، ومنهم النظام والشيعة وأهل الظاهر .وكان للأصوليين طرائق مختلفة في تقسيم القياس، وبيان كل قسم منها، والقسم المتفق عليه من القائلين بالقياس، هو قياس العلة .أما بقية الأقسام ففيها اختلافهم. وعلى القياس يقوم أكثر الفقه الاجتهادي وكله ظني([1])

وأبو حنيفة أكثر المعتمدين على القياس ، فيقال إنه أفتى في ثلاث وثمانين ألف مسألة منها ثمان وثلاثون ألفاً في العبادات والبقية في المعاملات ، وإلى دقته يشير أحد الشعراء :

إذا ما الناس قايســـــونا بآبـــــــدة من الفتيا ظريفه

أتيناهم بقياسٍ طـــــريف مصيب من قياس أبي حنيفة ([2])

- أشهر فقهاء الكوفة في عصر البحث :

- حجاج بن أرطأة (ت : ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م)

هوأبو أرطأة النخعي الكوفي ، الفقيه ، مفتي الكوفة مع الإمام أبي حنيفة ، ولد في حياة أنس بن مالك وغيره من صغار الصحابة. قال عن نفسه : استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة.

وكان من بحور العلم ، انتقده العلماء لكبره وتعجبه وتدليسه ، ولنقص قليلٍ في حفظه ، ولكنهم لم يتركوا حديثه . فقد روى نحواً من ستمائة حديث ، أحاديثه عند مسلم والسنن الأربع . والأرجح أنه كان يخطئ ولم يتعمد الكذب . ويذكر أنه كان فيه تيه ويقول: أهلكني حب الشرف، وقد دعي إلى مجلس فقيل له : ارتفع إلى صدر المجلس فقال : أنا صدرٌ حيث كنت ولي قضاء البصرة ، وولي الشرطة أيضاً . وقد نُقل عن الأصمعي : أول من ارتشى بالبصرة من القضاة حجاج بن أرطاة – والله أعلم بذلك - وذُكر أنه كان لا يحضر الجماعة فقيل له في ذلك فقال : أحضر مسجدكم حتى يزاحمني فيه الحمالون والبقالون ([3]).

- أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت (ت : ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)

لقب بالإمام الأعظم ، ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، و نشأ فى أسرة صالحة غنية . وصف بأنه كان حسن الوجه ، حسن النطق ، قوى الحجة ، شديد الذكاء ، فطناً سريع البديهة ، شديد الكرم ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، زاهداً متعبداً ، جهورى الصوت . وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة . و قد اشتهر بإمام أهل الرأي ، وكان أبو حنيفة يعمل بالتجارة بصدق و أمانة و استمر فى ذلك أكثر حياته ؛ فاكتسب خبرة فى العرف والعادات و المعاملات وطرق الناس فى البيع و الشراء . وقد تفقه أبو حنيفة على يد أستاذه حماد بن أبي سليمان ، و قد لازمه ثمانية عشرعاماً حتى قال حماد : قد أنزفتنى يا أبا حنيفة . كناية عما أخذه منه من علوم .

قال فيه الإمام الشافعي : ما طلب أحد الفقه إلا كان عيالاً على أبى حنيفة .

وكان أبو حنيفة من أصحاب علم الكلام ، و لكنه تحول إلى الفقه ؛ فراح يجمع حوله التلاميذ ، ثم يطرح القضية لمناقشتها فإذا نضجت دونت ، و قد منح تلاميذه قدراً كبيراً من الحرية ، فلم يتركوا مسألة دون نقاش - بينما تجد إماماً مثل مالك رحمه الله يملى على طلبته ما يراه وحسب - و كانت طريقة الأحناف مشجعة على إتاحة فرصة جيدة للتلاميذ للتدريب على الاجتهاد و ضبط المسائل ، كما سار الأحناف وفق منهج واضح يتحرى العلّة و يبحث عنها ، ولكنهم ابتدئوا أولاً بالفقه ثم استخرجوا الأصول و القواعد منه فيما بعد .

[1] - القطان ، خليل مناع ، تاريخ التشريع الإسلامي ، ط : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م ص٣٢١.
[2] - ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٣٠.
[3] - ابن سعد ، الطبقات ٣٥٩/٦ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٣٠/٨ والذهبي ، السير ٧/ ٦٨ .

وقد كان للإمام أبى حنيفة جمهور من التلاميذ على رأسهم أبو يوسف الذي صار قاضياً للقضاة ، و محمد بن الحسن الشيباني ، وزفر بن الهذيل ، والحسن بن زياد ، وأوجدوا بعض المصطلحات الخاصة بهم فإذا اتفق أبو حنيفة وأبو يوسف قالوا :اتفق الصاحبان .

وأطلق على الأحناف أهل الرأي وهو التوجه الشائع في الكوفة ، و كان أبو حنيفة يعمل بكتاب الله أولاً ، فإن لم يجد فسنة رسول الله ﷺ فإن لم يجد في الكتاب أو السنة رجع إلى قول الصحابة أو الإجماع . و إلا فالقياس أو الاستحسان أو العرف .

ومن أقوال أبى حنيفة : ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس و العين ، و ما جاء عن الصحابة اخترنا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال و نحن رجال . وكان الخليفة أبو جعفر المنصور قد حلف على أبي حنيفة أن يتولى القضاء و حلف أبو حنيفة ألا يفعل . وقال : إن أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة أيمانه . فأمر بحبسه حتى توفى رحمه الله في السجن([1]) .

وقد كتب أبو حنيفة كثيراً في مسائل الفقه إلا أن هذه الكتابات لم يصل إلينا منها شيء ، و قد ذكر المؤرخون أن لأبي حنيفة كتباً كثيرة ، منها كتاب " العلم و التعلم " وكتاب " الرد على القدرية " و كتاب " الفقه الأكبر" هذا بالإضافة إلى أن أبا حنيفة قد انفرد بإخراج مائتين وخمسة عشر حديثا هذا بخلاف ما اشترك في إخراجه مع بقية الأئمة ، كما أن له سندا روى فيه مائة وثمانية عشر حديثاً ، كلها فى باب الصلاة ، وقد قام بجمع الأحاديث التي أخرجها أبو حنيفة أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمى .([2]) ويرجح كثير من العلماء أن تلاميذ أبي حنيفة تلقوا عنه الأخبار و الفقه و دونوها و قاموا بتبويبها ، ومن ذلك كتاب " الآثار" لأبى يوسف ، و كتاب " الآثار" لمحمد بن الحسن ، و إن كان أبو حنيفة لم يدون بنفسه شيئا من محتويات هذه الكتب ([3]).

وفي " تاريخ التراث العربي" (٤) إن كثيراً من المصنفات نسبت إلى أبي حنيفة ، ومن الصعب أن نسلم بصحتها جميعاً ، والرأي السائد هو أن أبا حنيفة لم يؤلف كتاباً واحداً منها ، ولكن كيف يستطيع المرء تصورأن أبا حنيفة – وهو مؤسس مذهب في الفقه – لم يؤلف كتاباً قط في حين أن أساتذته كانوا يؤلفون كتباً كثيرة مبوبة ، والأخبار التي وصلت تؤكد وجود بعض المصنفات لأبي حنيفة منها :

١- إن سفيان الثوري (ت:١٦١هـ /٧٧٨ م) وهو صاحب مذهب مستقل ، قد نسخ كتاب " الرهون " لأبي حنيفة .

٢- الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ /٧٧٤ م) وهو أيضاً صاحب مذهب فقهي ، ولم يكن يعرف أبا حنيفة حق المعرفة ، قد أطلعه عبد الله بن المبارك (ت: ١٨١ هـ /٧٩٧م) على كتاب لأبـي حنيفة كان عنده (٥) .

٣- ذكرت لأبي حنيفة بعض الكتب الصغيرة كـ : "الحيل" و" الرسالة " الموجهة إلى عثمان البتّي (ت: ١٤٣هـ /٧٦٠م) في الدفاع عن الإرجاء .

ومن الآثار التي رجّح الباحثون نسبتها إلى أبي حنيفة :

- الفقه الأكبر رواه عنه ابنه حماداً ، وله مخطوطات كثيرة .
- مسند أبي حنيفة رواه تلميذه أبو يوسف .

---

[1] - مصادر ترجمة أبي حنيفة كثيرة اخترت منها : الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣ /٣٢٣ وابن خلكان ، الوفيات ٢١٥/٢ والذهبي ، السير ٣٩٠/٦ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ / ١٠٧ و أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بلاتاريخ ص٩٢ - ١١٢ .

[2] - للمسند عدة طبعات أولها كانت في مصر عام ١٩٥٣ م . الذهبي ، السير ٦ / ٣٩٨ ، الهامش .

[3] - أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٤٠ .

[4] - سزكين ، د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء٣ ص٣١ .

[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٣٨/١٣ .

- وصية إلى أصدقائه في أصول الإسلام ، لها مخطوطات كثيرة .
- كتاب العالم والمتعلم ، رواه تلميذه أبو مقاتل حفص بن سلم السمرقندي (ت: ٢٠٨هـ /٨٢٣م) له عدة نسخ خطية . وقد أورد سزكين عشرات الأبحاث التي صنفت في أبي حنيفة وفقهه .

وكان من أشهر آرائه الفقهية ما قاله في جواز إخراج زكاة الفطر نقوداً . وقد اشتهر المذهب الحنفي في الكوفة و بغداد و مصر و الشام و تونس و الجزائر و اليمن و فارس و الصين وسمرقند و الأفغان و القوقاز([1]) .

- وهذه لمحة عن المذهب الحنفي :

التعريف بالمذهب :

مذهب فقهي من مذاهب أهل السنة الأربعة ، ينسب الى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفَّى سنة ١٥٠ هـ /٧٦٧ م) في بغداد، وقد اعتمد غاية الاعتماد على (الرأي) و(القياس) وبرزت فيه حرية العقل ، وقد تميز أبو حنيفة بمقدرة فائقة في الاستنباط فأحدثت أفكاره تياراً استقطب الكثير من المؤيدين له.

النشأة والتطور:

ـ حاول العباسيون إضفاء طابع الانتماء الديني على دولتهم والإيحاء للرأي العام بأنهم أحق بالأمر من خصومهم الأمويين ؛ فأظهروا الاتصال الوثيق بين الدين والدولة ،وكونوا من أحكام الشريعة دستوراً ونظاماً تسير عليه الدولة ، فقربوا العلماء ، وجعلوا القضاء بيد أهل الرأي من أهل العراق ، حتى ولي أبو يوسف القضاء وهو تلميذ أبي حنيفة فكانت للمذهب الحنفي حظوة واسعة في الشهرة والانتشار . وقد تولى أبو يوسف القضاء لثلاثة من الخلفاء العباسيين منذ أيام المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ، الذي أسند إليه منصب قاضي القضاة .
ـ حِظِيَ الفقه الحنفي بمحمد بن الحسن الشيباني الذي دوّن فقه هذا المذهب وسجله . فساعد هذا الأمر على انتشار المذهب على صعيد العالم الإسلامي ([2]).

الأفكار والمعتقدات :

ـ الأصول عند الحنفية هي : الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس والاستحسان والعرف
ـ وأخذوا بالقياس حتى عرفوا به وتميزوا عن بقية المذاهب.
ـ يعتقدون أن الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير.
ـ أغلقوا باب الاجتهاد مكتفين باجتهاد الأئمة السابقين ، وصار عصرهم عصر تقليد واختيار من كتب السابقين .
ـ كان من مبدئهم إعمال عقولهم فيما إذا روي في المسألة قولان أو أكثر في الصحابة فيختارون منها أعدلها أو أقربها إلى الأصول العامة وعدم الاعتداد بأقوال التابعين إلا أن يوافقوا اجتهادهم.
ـ جاهروا في البصرة بوجوب نصرة إبراهيم أخي ذي النفس الزكية وحاولوا تثبيط بعض قواد المنصور عن الخروج لحرب إبراهيم.
ـ قالوا : إن للمرأة الولاية الكاملة في الزواج ، فكما أن الولاية المالية تثبت لها كاملة ، فكذلك ولاية الزواج ، ثم إنهم قرروا المساواة بين الرجل والمرأة، فكما أن له الولاية الكاملة في شأن الزواج فلها أيضا الولاية على نفسها في شأن الزواج.

---

[1] - أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٢٣ .
[2] - ينظر نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ /١٦٩ -١٧٠ .

ـ كان لهم في الحديث مسلك خاص ، وهو التشديد في قبول الحديث والتحري عنه وعن رجاله حتى يصح، وكانوا لايقبلون الخبر عن رسول الله ﷺ إلا إذا رواه جماعة عن جماعة.
ـ من الأمور الظاهرة في فقه مذهب الحنفية (الحيل الشرعية)، وقد أصبحت باباً واسعاً من أبواب هذا الفقه ([1]) .

ـ المسعودي (ت: ١٦٠ هـ /٧٧٦ م)

هوعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي . كان فقيها كبيرا ورئيسا نبيلا يخدم الدولة ، وله منزلة عالية ، كان أعلم أهل زمانه بحديث ابن مسعود ، أحاديثه في السنن الأربع . وثقه علماء الرجال(٢) .

ـ الحسن بن صالح (ت : ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م)

هو أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي الفقيه العابد ، من أئمة الإسلام لولا تلبسه ببدعة ، فمع فقهه يترك الجمعة ولا يراها خلف أئمة الجور بزعمه . ولا يرى جهاداً معهم . وهو صحيح الحديث ، أحاديثه عند مسلم والسنن الأربع . وذكر أحد تلامذته أنه لازمه عشرين سنة ما رآه رفع رأسه إلى السماء ولا ذكر الدنيا ([3]).

ـ داود الطائي (ت : ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م)

هوداود بن نصير الطائي ، أبو سليمان الكوفي إمام فقيه زاهد ، حديثه في سنن النسائي . كان من كبار أئمة الفقه والرأي برع في العلم بأبي حنيفة ، ثم أقبل على شأنه ولزم الصمت وآثر الخمول وفر بدينه . وقيل إنه غرق كتبه . وكان من أفصح الناس وأعلمهم بالعربية([4])

ـ القاسم بن معن (ت : ١٧٥ هـ / ٧٩١ م)

هوأبو عبد الله الهذلي المسعودي الكوفي ابن عبد الرحمن بن صاحب النبي ﷺ ـ عبد الله بن مسعود ـ الإمام الفقيه المجتهد ، قاضي الكوفة ومفتيها في زمانه . وصف بأنه كان ثقة ،عفيفاً صارماً ، لم يأخذ على القضاء معلوماً . وكان أروى الناس للحديث والشعر، وأعلمهم بالعربية والفقه والأخبار .وهو من أكبر تلامذة الإمام أبي حنيفة ، أخذ عنه العربية محمد بن زياد بن الأعرابي ، وولاه المهدي قضاء الكوفة([5]) .

ـ شريك القاضي (ت : ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)

هوأبو عبد الله النخعي ، من كبار الفقهاء وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع ،كان عاقلاً صدوقاً محدثاً ، شديداً على أهل الريب والبدع ، فيه تشيع خفيف على قاعدة أهل بلده ، وعدّ له علماء الحديث أخطاء في أربعمائة حديث . وامتنع البعض عن سماع حديثه بعد توليه القضاء . وأحاديثه في السنن الأربع.
ونُقل عنه أنه قال لبعض إخوانه : أدركت بالكوفة أربعة ألاف شاب يطلبون العلم ، ثم أكرهت على القضاء ، حملت إلى أبي جعفر فقال لي : قد وليتك قضاء الكوفة .وذكر أنه كان يترخص بشرب النبيذ ، ويروي خبراً بسنده إلى عمر: إنا لنأكل لحوم هذه الإبل ليس يقطعها في بطوننا إلاّ هذا النبيذ الشديد ([6]) .

[1] ـ نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ / ١٧٠ ـ١٧٢ .
[2] ـ الذهبي ، السير ٩٣/٧ .
[3] ـ ابن سعد ، الطبقات ٣٧٥/٦ والذهبي ، السير ٧ / ٣٦١ .
[4] ـ ابن سعد ، الطبقات ٦ /٣٦٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ والذهبي ، السير ٧ / ٤٢٢ .
[5] ـ الذهبي ، السير ٨/ ١٩٠ .
[6] ـ الخطيب ، تاريخ بغداد٢٧٩/٩ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٦٤/٢ والذهبي ، السير ٨ / ٢٠٠ .

- أبو يوسف القاضي (ت : ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)

هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، الإمام المجتهد ، والمحدث ، قاضي القضاة . ويصل نسبه إلى سعد بن بجير الأنصاري الصحابي ، حكى عن نفسه وطلبه للعلم فقال : كنت أطلب العلم وأنا مقل فجاء أبي فقال يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة فأنت محتاج فآثرت طاعة أبي ، فأعطاني أبو حنيفة مائة درهم ، وقال : الزم الحلقة فإذا نفذت هذه فأعلمني . ثم بعد أيام أعطاني مائة .

وقد لزم أبا حنيفة سبع عشرة سنة وتفقه به ، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم ، تخرج به أئمة كمحمد بن الحسن ومعلى بن منصور وهلال الرأي وابن سماعُ وعدة ، وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد بن الحسن . وثقه أئمة الرجال ومنهم ابن معين الذي يقول : ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبي يوسف .

ونقل ابن خلكان عن الطبري قوله : وقد تحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام ، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء . وإلى جانب عنايته بالحديث والفقه ، كان يحفظ التفسير ويحفظ المغازي وأيام العرب . وبلغ من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه وكان الرشيد يبالغ في إجلاله ، فهو قاضي الآفاق ووزير الرشيد وزميله في حجه . وهو أول من دعي بقاضي القضاة ، وأول من غيّر لباس العلماء إلى هيئة خاصة تختلف عن هيئة لباس العامة . ويحرص في فتواه على موافقة الكتاب والسنة ، وسمع عند وفاته يقول : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة . وفي لفظ : إلا ما في القرآن واجتمع عليه المسلمون . ومن أهم مصنفاته : كتاب " الخراج " وهو من أعظم كتب الفقه الإسلامي ، وكان تأليفه استجابة لرسالة من الرشيد إلى أبي يوسف في أن يضع له كتاباً في مالية الدولة وفق أحكام الشرع الحنيف ([1]) . وله كتاب " الجوامع " ألفه ليحيى بن خالد ، يحتوي أربعين كتاباً ذكر فيه اختلاف الناس في الرأي المأخوذ به ([2]).

- محمد بن الحسن (ت: ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)

هوأبو عبد الله الشيباني الكوفي ، فقيه العراق صاحب أبي حنيفة ، ولد بواسط ونشأ بالكوفة . وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه وتممه على القاضي أبي يوسف ، وأقام عند مالك ثلاث سنين وكسراً ، وسمع من لفظه سبعمائة حديث ، وأخذ عنه الشافعي فأكثر جداً .

غلب عليه الرأي وسكن بغداد وولي القضاء للرشيد بعد القاضي أبي يوسف ، وكان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل ، وكذلك بفصاحته . ذُكر عن الشافعي قوله : ما ناظرت سميناً أذكى منه ، ولو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن ؛ذلك لفصاحته . وله من المصنفات " الجامع الصغير " في الفقه ، كتبه عنه ابن معين و" المسائل المشكلة " وهو إفصاح عن المسائل المشكلة في العربية ، وله الفضل في نشر فقه أبي حنيفة ([3]).

وقد ذكر له ابن المديني في "الفهرست " ([4]) الكثير من الكتب ، مما يصعب إحصاؤه ، ووجدتها مختصرة في : " تاريخ التراث العربي " ([5]) : ومن آثاره كتاب" المبسوط " له نسخ خطية كثيرة ، وكتاب" الزيادات" و " الجامع الكبير" له مخطوطات وشروح ، وقد نظمه شعراً أحمد المحمودي النسفي سنة ٥١٥هـ /١١٢١م وكتاب " الآثار" و" السير

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٧٨/٦ والذهبي ، السير ٥٣٥/٨ .

[2] - ابن النديم ، الفهرست ص ٢٨٦ .

[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد١٧٢/٢ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٨٤/٤ والذهبي ، السير ١٣٤/٩ .

[4] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٨٧ .

[5] - سزكين ، د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء٣ ص٧١ .

الصغير " و " السير الكبير " ويعتبر كتاباً في القانون الدولي – مصطلح حديث - وله رواية للموطأ عن مالك ، وكتاب في
" العقيدة " نظمه شعراً في ٧٩ بيتاً ، وله كتب صغيرة كثيرة .

- الحسن بن زياد (ت: ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)

هوأبو علي الأنصاري الكوفي اللؤلؤي ، فقيه العراق ، صاحب أبي حنيفة نزل بغداد وصنف وتصدر للفقه .ووصف بأنه حسن الخلق ، يكسو مماليكه كما يكسو نفسه .

وكان أحد الأذكياء البارعين في الرأي ، وولي القضاء ثم عزل نفسه .

جاور بمكة وأكثر عن علمائها ، ويقول : كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها يحتاج إليها الفقيه (١).

من آثاره : " مسند أبي حنيفة " و " أدب القاضي" و " الخصال " و" معاني الإيمان "([٢])

- ابن كناسة (ت : ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)

هو محمد بن عبد الله الأسدي ، أبو عبد الله ، الكوفي . فقيه وأديب بارع . وثقه علماء الحديث وحديثه في سنن النسائي . وله علم بالعربية والشعر وأيام الناس . وله من المصنفات : كتاب"الأنواء" وكتاب "معاني الشعر" وكتاب " سرقات الكتب من القرآن"([٣]).

رابعاً – علم التاريخ في الكوفة :

سبق وقد كتبت مقدمة لعلم التاريخ في البصرة ، وذلك مما استنتجته من أعمال وإنجازات المؤرخين البصريين ، وهوما ينطبق على الكوفة أيضاً فكلاهما تمثلان **مدرسة العراق التاريخية** والتي لها أسسها وخصائصها ، وهذا ما سأذكره هنا : ففي حوالي أواسط القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد ظهرعدد من الرواة الجامعين الذين أخذوا يجمعون الشعر والأخبار والحديث والأنساب ، وهم من يسمون في الاصطلاح الأدبي بالرواة .. مثل عمرو بن العلاء (ت : ١٥٤هـ /٧٧١ م) وحماد الراوية (ت : ١٥٦ هـ /٧٧٣ م) وفي الاصطلاح التاريخي بالإخباريين مثل أبي مخنف (ت : ١٥٧ هـ /٧٧٤ م) وعوانة بن الحكم (ت : ١٤٧ هـ /٧٦٤ م) وبالرغم من أن بعض هؤلاء تخصص في الأدب أو الشعر أو أيام العرب أو بالنسب ، فإن ميادين الجميع كانت متقاربة يطل بعضها على بعض([٤]) .

ومن خلال الاطلاع على التدوين التاريخي في هذه الفترة يتبين للباحث ما يأتي :

- تحول اختصاص مدرسة الشام بالفتوح والسير إلى العراق ، وبدأ هذا الأمر بتأليف محمد بن الحسن الشيباني لكتاب " السير الكبير" الذي حوى مع الفقه : الأخبار والمغازي والفتوح – ويعتبر أول كتاب يبحث في العلاقات بين الدول – وكان ذلك إثر انتقاد الأوزاعي لكتاب الشيباني " السير الصغير " قائلاً : ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب ؟ فإنه لاعلم لهم بالسير ([٥]).

- اعتُبر النسابون خير معين للمؤرخين في هذه الفترة فقد قدموا ، مع الأنساب معلومات تاريخية عن أصحابها ، وقد توسعوا في معلوماتهم تحت ضغط التيار الشعوبي ، مما أعطى العصبية القبلية مادة هامة تقابل ما أعطته كتب الطبقات لرواة الحديث من مادة أفادتهم في نقد الرجال والتدقيق في رواة الأحاديث . ونضيف هنا أن النسابين تجاوزوا الاهتمام بالقبيلة الواحدة إلى مجموع القبائل ، وصار محور اهتمامهم أخبار الأمة لا أخبار القبيلة الواحدة .

---

[١] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣١٤/٧ والذهبي ، السير ٥٤٣/٩ .
[٢] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٨٨ (وقد أورد له عشرات الكتب)وسزكين ، د . فؤاد تاريخ التراث العربي المجلد ١الجزء٣ ص٨٠ .
[٣] - - الخطيب ، تاريخ بغداد ٥ / ٤٠٤ والذهبي ، السير ٥٠٨/٩ .
[٤] - ينظر : مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ١٧١ .
[٥] - ينظر : مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ١٢٠ -١٢١

وخلق هذا مفهوم الوحدة الثقافية المتصلة بين ماضي الثقافة العربية وحاضرها ، وتكوّن شعور واعٍ لدى المسلمين أنهم أصحاب رسالة عالمية ، ولكن من جهة أخرى أُجبر تيار الموالي والشعوبية على الرجوع إلى التراث الأعجمي وخاصة الفارسي .

- تأثر الأخباريون بأسلوب المحدثين فأعطوا هممهم خاصة للسند ينقدونه أكثر مما ينتقدون نص الخبر، وغالباً ما كانوا يتساهلون في إيراد الإسناد ، وهذا ماسمح بتسرب الكثير من قصص المجالس ومن الشعر المصنوع والحوار الكلامي إلى أخبارهم .

- مع وجود التحزب السياسي أو القبلي أو للمصر نجد أن معظم الرواة رووا أيضاً عن من يعارضوهم كأبي مخنف الذي كشف من خلال مروياته عن ميول علوية وعراقية وأكثر رواياته عن قبيلة أزد العراقية أو روايات أهل الكوفة الذين وقفوا إلى جانب علي رضي الله عنه قد أضاف إلى مروياته روايات أهل الشام وأهل المدينة .

- وقد استخدم الإخباريون الوثائق من عهود سابقة ورسائل رسمية ، ومن المحتمل أنهم لجأوا إلى الدواوين وسجلات ديوان الجند والخاتم في الشام والعراق والمدينة .

- كان جمعهم للأخبار شاملاً ومنظماً ، متصل السلسلة في الزمن ، وظهر هذا في البصرة والكوفة خاصة ، مما يدل على تطور التدوين التاريخي في هاتين المدينتين ([1]).

وممن اشتهر بعلم التاريخ في الكوفة في العصر العباسي الأول :

- عوانة بن الحكم (ت : ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م)

هوإخباري كوفي ، كان متضلعاً بالشعر والأنساب ، وموضوعات مصنفاته تتسم بالسعة والشمولية ، وتعتبر مطالع التاريخ الإسلامي ، وصف بأنه صادق في نقله ، ولكن ليس له رواية في كتب الحديث . ومن مصنفاته : كتاب " التاريخ " و " سيرة معاوية وبني أمية " وعنوان كتابه الأول يعتبر أول مرة يظهر فيها الاسم بمعنى التاريخ كعلم ، ويتناول فيه أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الهجري الأول ، ولم يترك حادثة دون تأريخها بأصالة. أما كتابه الثاني فهو أيضا أول كتاب يخصص لخليفة ولأسرة حاكمة في الإسلام ، وتناول فيه سيرة الخلفاء الأمويين . وتعتبر كتاباته خطوة هامة في تطور التدوين التاريخي، مع أنه أكثر من الشعر ، وكان أسلوبه قصصياً . ولا يكتفي بذكر مآثر الأمويين ولكنه ينقل عن معارضيهم أيضا ، ومرويا ته نقلها البلاذري في كتابه الأنساب ، وكذلك نقل عنه الطبري وأكثر ([2]).

- لوط بن يحيى ، أبو مخنف (١٤٣هـ / ٧٦٠ م)

هوإخباري كوفي ، بل من أبرز الإخباريين فيما يتعلق بفتوح العراق وأخبارها ، له أكثر من ثلاثين كتاباً منها : " الردة " و" الفتوح " و "الشورى " و" صفين " و " الخوارج " و" وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد " وكتب كثيراً عن أخبار العراق في العصر الأموي ، يظهر هذا من نقولات الطبري واعتماده على روايته في هذه الفترة ، واتسمت كتاباته بالوضوح والدقة والتفصيلات المهمة ومراعاة التسلسل الزمني ، أما المحدثين فقد ضعفوه وتركوا حديثه . وقد نشر له د. فؤاد سزكين مخطوطاً وجده بعنوان " أخبار الأمويين " وطبعه في بريل – هولندا سنة ١٩٧٢ م ([1]).

[1] - المرجع نفسه ١٧١/١ – ١٧٣ ويمكن الاطلاع على المرجع نفسه للاستزادة .
[2] - الذهبي ، السير ٧/ ٢٠١ ومصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٧٩/١ .
[1] - الذهبي ، السير ٧/ ٣٠١ وشاكر د. مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٧٧/١ .

- سيف بن عمر التميمي (ت : ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)
أصله من الكوفة ولكنه نشأ في المدينة وبها طلب العلم ، ثم رحل إلى الكوفة والتقى الخليفة أبا جعفر المنصور ، له مصنفان : "الردة والفتوحات " و " الفتنة ووقعة الجمل " وهو متهم في رواية الحديث ووضعه ، ولكنه موثوق الأخبار عند الطبري الذي أكثر النقل عنه إلى سنة ٣٦ هـ / ٦٥٧م وأسلوبه قصصي عاطفي على الأيام ([١]).

- البكائي (ت : ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م)
هوأبو محمد ، زياد بن عبد الله البكائي الكوفي ، روايته عند البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة . وصف بأنه أثبت الناس في المغازي ، روى السيرة النبوية عن ابن إسحاق وقد أملاها عليه مرتين وذكر أنه باع داره وخرج يرحل مع ابن إسحاق ([٢]) .

- يحيى بن سعيد (ت: ١٩٤هـ / ٨٠٩ م)
هوأبو أيوب القرشي الأموي الكوفي ، وهو والد سعيد بن يحيى الأموي صاحب المغازي . حمل المغازي عن محمد بن إسحاق ، ورواها ([٣]).

- يونس بن بكير (ت : ١٩٩ هـ / ٨١٤ م)
هوأبوبكر الكوفي الحمّال ، صاحب المغازي والسير ، روى له أصحاب السنن الأربع روايات في المغازي والسيرة (٤).

- ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب (ت : ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)
هوأبو المنذرالكوفي الشيعي ، إخباري نسابة ،عاش في كنف جعفر البرمكي ، واتصل بالمأمون . ترك المحدثون روايته فلم يأخذوا عنه ، ولـكـن المؤرخين أخذوا عنه الكثير كمحمد بن سعد وخليفة بن خياط ، وتوسع أكثر من أبيه بالأخبار والتاريخ ، وقد بلغت مصنفاته المائة والخمسين مصنفا ، فكتب في الأحلاف والمآثر والبيوتات والمنافرات وأخبار الأوائل والجاهلية وأخبار الإسلام والبلدان والشعر وأيام العرب والنسب ([٥]).
وله كتاب " الجمهرة" في النسب و " جمهرة الجمهرة " ومع أن مصادره شعبية أسطورية فيهما إلا أنه أضحى المرجع الأساسي للمؤلفين من بعده . وله أيضا " حلف الفضول " و" المنافرات " و" الكنى " و " ملوك الطوائف " و" ملوك كندة " وغيرها . وتتنوع مصادره فمنها الشعبية كما مر آنفا ، ومنها المترجم عن الفارسية ، ومنها وثائق وكتب سريانية أو إغريقية في كنائس الحيرة والعراق([٦]) .

- الهيثم بن عدي (ت : ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)
هوأبو عبد الرحمن الكوفي ، إخباري مؤرخ ، تركه المحدثون ، ولكن رواياته تعتبر مصدراً من مصادر محمد بن سعد في الطبقات . ورواياته كثيرة ومتنوعة ، وكتبه تزيد على الخمسين([١]) فقد كتب عن خطط البصرة والكوفة- وهو ماصنف بالتاريخ الحضاري - وكتب في الأنساب " المثالب " الكبير والصغير، ومن أهم كتبه التاريخية " الدولة " حيث جمع فيه معلومات عن الدولة العباسية ، و" الأشراف " الكبير والصغير و" الطبقات " للمحدثين والفقهاء ، ولمن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة - وقد

---

[١] - مصطفى د . شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ١٨٠ .
[٢] - ابن سعد ، الطبقات ٣٩٦/٦ والذهبي ، السير ٩/ ٥ .
[٣] - ابن سعد ، الطبقات٧ / ٣٣٩ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٣٢/١٤ والذهبي ، السير ٩/ ١٣٩ .
[٤]- ابن سعد ، الطبقات ٣٩٩/٦ والذهبي ، السير ٩/ ٢٤٥ .
[٥] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٥/١٤ والذهبي ، السير ١٠ /١٠١ وشاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٩١/١ .
[٦] - مصطفى د . شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٩١/١ – ١٩٣ .
[١] - ابن النديم ، الفهرست ص٩٩ .

سبق فيه ابن سعد - وله كتاب "التاريخ " مرتب على السنين ولعله أقدم كتاب إسلامي مرتب على السنين ، كما كتب عن تاريخ الأمم السابقة كالفرس والعجم وغيرهم . وكل كتبه ضائعة ومابقي إنما هو اقتباسات منها اقتبسها البلاذري في " أنساب الأشراف " وابن قتيبة في" المعارف " والطبري والمسعودي ([1]).

ويوصف بأنه كان ذا فكر منظم جامع ، رسم للمؤرخين طرائق التدوين والتأليف التاريخي ، وهي نماذج للحوليات والطبقات والتاريخ العالمي . وهو أول من كتب في الشؤون الحضارية والأثرية والنظم السياسية والقضائية ، بالإضافة إلى غزارة إنتاجه التاريخي ، وكتابته عن الأمم الأخرى تمثل مطالع الاتصال بين الفكر الإسلامي وتواريخ الأمم السابقة ([2]).

- نصر بن مزاحم بن سيار (ت : ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)

هوأبو الفضل ، المنقري الكوفي ، إخباري بارز ، أبرز مواضيع كتبه كانت حول وقعة الجمل وصفين ومقتل الحسين ومقتل حجر بن عدي ، وأخبار المختار الثقفي ومناقب الأئمة ، وقد خصص لكل حادثة كتاب مفرد ، وقد عُدّ أول إخباري شيعي . ولم يبق من كتبه شيء ([3]). وأسلوبه قصصي احتوى الشعر والحوار والخطب ، وهو يصلح للأسمار ، فهو لايهتم بالإسناد وتحديد التواريخ ([4]).

- الحسن بن علي بن فضال (ت : ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م)

مؤرخ كوفي شيعي ، كتب تاريخ الشيعة وجمعه في " كتاب الرجال " الذي كان مصدراً أساسياً للمؤرخ تقي الدين الحلّي - من رجال القرن السابع - في كتابه الرجال([5]) .

خامساً- علوم العربية في الكوفة :

أ- علم النحو :

سبق البصريون الكوفيين في الاشتغال بالنحو ووضع أسسه ، إذ إن الكوفيين انشغلوا بالفقه والقراءات ورواية الأشعار والأخبار والملح والنوادر ، ولكنهم حين بدؤوا العمل بهذا العلم اتجهوا وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك، ونشأ عن هذا أن أصبح للكوفة مذهب له طابع خاص ([6]).

وكان الكوفيون أسلس وأكثر تساهلاً ، فاحترموا كل ما صحَّ سماعه من العرب - ولو خالف قواعدهم - وأجازوا القياس عليه بل عدّوه أساساً لوضع قاعدة جديدة، وقد اعتمدوا أيضاً على الشعر المصنوع ، وعلى الشعر المنسوب لغير قائله دون أن يهتموا بالتمحيص ، واكتفوا بالشاهد الواحد وبنوا عليه حكمهم واستنبطوا منه قاعدتهم، بل لقد ترخصوا أحياناً فأخذوا بالقياس النظري على مقتضى الرأي حين أعوزتهم الشواهد المسموعة ، فوصلوا بذلك إلى بعض قواعدهم دون اعتماد على شاهد مروي أو أثر مسموع ، وقد أدى هذا بهم إلى أن يقل عندهم التأويل والحكم بالشذوذ والضرورات ، ومما اعتد به الكوفيون أيضاً شعر الأعراب الذين فسدت سليقتهم بسبب الاختلاط بالحضر، وقد حمل هذا البصريين على أن يكثروا من إنكار شواهد الكوفيين والإعراض عنها ، كذلك كان الكوفيون أكثر رواية للشعر وكان المصنوع لديهم منه أكثر من الشعر المصنوع عند البصريين، وهذا هو

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٥٠/١٤ والذهبي في السير ١٠ / ١٠٣ و شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٨٢/١ .
[2] - مصطفى د . شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٨٣/١ .
[3] - جُمع له كتاب "صفين" من تاريخ الطبري وغيره وطبع بمصر ١٩٦٥ م . المرجع نفسه .
[4] - مصطفى د . شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٨٢/١ .
[5] - المرجع نفسه ٢٠٦/١ .
[6] - ضيف ، د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٥٥ -١٥٦ .

السبب الذي جعل النحو الكوفي يأخذ شواهده من نظيره البصري وليس العكس ([1]).

وقد أدى أخذ الكوفيين بكل شاهد مهما كانت درجته إلى أن يصبحوا أشبه بالمجددين الذين يتلمسون التوسع ويجرون وراء الابتكار، وتميز نحوهم بالترخص وبالاهتمام بتتبع المرويات اللغوية والتسامح في أخذها عن كل واحد ولو كان أعرابية رعناء ، وبأنهم كانوا إذا سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف لأصولهم جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه ، وبأنهم أخذوا عن أعراب قرى بغداد والكوفة - وهم عند البصريين من غير أهل الفصاحة وممن لا يجوز الأخذ منهم.. . وهذا الأمر جعل بعض البصريين يفخرون على الكوفيين بقولهم : نحن نأخذ اللغة عن خرشة (أكلة) الضباب وأكلة اليرابيع (أي البدو الخلّص) وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز ([2]) وباعة الكواميخ (أي عرب المدن) ([3])

وكأخذ الكسائي من أعراب الحطمة وهم عشيرة من بني عبد القيس نزلت بغداد وأقامت بها ، فكان – وهو باني المدرسة النحوية في الكوفة – لايرى بأساً من الأخذ من هؤلاء، بينما لايرى البصريون الأخذ من مثل هؤلاء الأعراب .وقد انتقده البصريون لذلك ، قائلين : إنه كان يسمع الشاذ الذي لايجوز ، والذي يحتوي الخطأ واللحن ، وشعر غير أهل الفصاحة ،فيجعل ذلك أصلاً ، ويقيس عليه ؛ حتى أفسد النحو ([4])

وهكذا نجد أنهم حرصوا على الانتفاع من جميع المصادر اللغوية مهما كانت منزلتها وآثروا الاعتماد على النقل وقدموه على العقل بسبب تأثرهم بمنهج القرّاء - إذ كانت الكوفة آنذاك مهبط المشتغلين بالقراءة - مما جعلهم أكثر حرصاً على تفسير الظواهر الإعرابية تفسيراً أدنى إلى طبيعة اللغة نفسها ، وأكثر عزوفاً عن التأويلات ، يضاف إلى ذلك أنهم استعملوا القياس وهو عملية عقلية تركيبية ، وتوسعوا فيه فأخذوا بالقياس النظري في بعض الأحيان الذي لا يعتمد على شاهدٍ البتة مترخصين فيه على مقتضى الرأي وحده، وبهذا أصبحوا أكثر قياساً من البصريين في الكم ، وأقل منهم إتقاناً له في الكيف ، وبأنهم أضافوا مصطلحات نحوية بعيدة عن التعمّق الفلسفي ، وأقرّوا بوجود العوامل التي أقرّ بها البصريون وبدورها في الإعراب ، ولكنهم لم يمنحوها كالبصريين خصائص العلة العقلية ولم يفلسفوها مثلهم ([5]) .

- ويبدأ النحو الكوفي بداية حقيقة بالكسائي وتلميذه الفراء كما سيأتي ، وهذه تراجم أشهر النحاة في الكوفة :

- أبو جعفر الرؤاسي (؟ ، لم أجد من أرّخ لوفاته)

هوواضع علم النحو في الكوفة ، وقد تتلمذ على عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء البصريين ، وكان بينه وبين الخليل في البصرة بعض الخلاف ، وقد وضع كتاباً في النحو سماه " الفيصل" . ولكنه لم يخرج عما أخذه عن البصريين ولم يأت بجديد ([6]).

- شيبان (ت :١٦٤هـ / ٧٨٠ م)

هوأبو معاوية النحوي ، أصله من البصرة ، ولكنه عاش وتلقى العلم في الكوفة ، ثم نزل بغداد ، وكان صاحب حروف وقراءات واهتمامه كبير في النحو له كتاب فيه ([1]).

---

[1] - ضيف ، د. شوقي ، المدارس النحوية ص ١٦٠ .
[2] - جمع شيراز ، وهو اللبن الرائب المصفى . المعجم الوسيط (شرز) .
[3] - أي مايسمى بالمخللات في عصرنا . وينظر : ضيف ، د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٦٠ .
[4] - الحموي ، ياقوت ، معجم الأدباء ١٣ /١٨٣ .
[5] -. ضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص ١٦١ .
[6] - لم يذكر أحد سنة وفاته ، وترجمته عند الزبيدي ، طبقات النحويين ص١٣٥وضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٥٣ .
[1] - الذهبي في السير ٧ /٤٠٦ .

- معاذ بن مسلم (ت : ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م)

هوأبو مسلم الكوفي الهرّاء([١])، شيخ النحو ، كان شيعيا معمرا ،اختلف إلى البصرة وتلقن النحو والصرف ، ثم رجع إلى الكوفة وقعد للإملاء ، وأخذ عنه فيمن أخذوا الفراء ، وقد نقلت عنه حروف في القراءات . وقد صنف في العربية ، وكان معاذ صديقا للكميت الشاعر([٢]) وله شعر قليل ([٣]).

- الكسائي (ت : ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)

هوأبو الحسن ، علي بن حمزة الكوفي ، شيخ القراءة والعربية ، لقب بالكسائي لكساء أحرم فيه ، وقيل : كان أيام تلاوته على حمزة يلتف في كساء ، فقالوا: الكسائي . تَلاَ عَلَى عدد من القراء كحمزة وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ، ثم اخْتَارَ قِرَاءةً اشْتُهِرَتْ، وَصَارَتْ إِحْدَى السَّبْعِ. وجالس في النحو الخليل ، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربية ، فقيل : قدم وقد كتب بخمس عشرة قنينة حبرعن العرب سوى ماحفظ([٤]) . وصار في النحو بحراً على حسب قول الشافعي . واجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب ، وأوحدهم في علم القرآن ، حتى إنهم كانوا يكثرون عليه فيجمعهم ، ويجلس على كرسي مرتفع في المسجد الجامع بالكوفة ، ويتلو ، وهم يضبطون عنه ، حتى الوقوف وممن نقل النحو عنه : يحيى الفراء وأبو عبيدة وخلف البزار([٥]) .

ويعتبر الكسائي النحوي الأول الذي رسم للكوفيين رسوماً يعملون عليها، وهو الذي تولى رياسة مدرسة الكوفة ، وقد سلك منهجاً ابتناه على أسس بصرية وكوفية ، أما الأسس البصرية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائى بدراسته على الخليل و غيره من قدماء البصريين ، أما الأسس الكوفية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائى في بيئته العلمية الأولى، يوم أن كان قارئاً معنياً بالرواية و النقل ، شان القراء و المحدثين الذين طغى منهجهم على البيئات العلمية فى الكوفة. ([٦]) وكَان ذا منزلَة رفيعة عند الرشيد ، وأَدَّب ولَديه الأمِين والمأمون ، وَنَال جاهاً وأموالاً.

والرشيد كان يجلّه ويقدره ، و يحكي قصة جرت معه فيقول : صليت بالرشيد ، فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي ، قلت لعلهم يرجعين ، فوالله ما اجترأ الرشيد أن يقول : أخطأت ، لكن قال : أي لغة هذه ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد يعثر الجواد . قَال: أَمَّا هذا فنعم. وقيل إنه تعلم النحو على كبر ، قَرَأَ عَلَى المِنْبَرِ: ﴿أَنَا أَكْثَر مِنْكَ مالاً﴾ بِالنَّصْبِ، فَسأَلُوه عن العلَّة ، فثار في وجوه القوم ، فَمحوه، ثم قال : من يسلَم من اللَحن؟ ([٧])

وَمن أشهر تصانيفه : " معاني القرآن" وكتَاب فِي " القراءات " وكتاب " النَّوادر الكبير" ومختصر في النحو ([١]).

---

[١] - الهراء : هو الذي يبيع الثياب الهروية . المصدر نفسه ٨ / ٤٨٢ .

[٢] - الكميت بن زيد الأسدي (ت١٢٦ هـ /٧٤٣م) شاعر عربي من شعراء العصر الأموي ، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع ، وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات. ، كان كاتباً حسن الخط ، خطيبا لبني أسد ، فقيهاً متضلعاً بالفقه ، فارساً ، شجاعاً ، سخياً ، حافظاً للقرآن ، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك . الزركلي ، الأعلام ٥ /٢٣٣ .

[٣] - الذهبي ، السير ٤٨٢/٨ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥ /٢١٨ وضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص٥٤ .

[٤] - ضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١١٥

[٥] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ و الزبيدي ، طبقات النحويين ص ١٣٨ والذهبي ، السير ٩/ ١٣١ وابن الجزري ، غاية النهاية ٥٣٥/١ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٣٦ وضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٧٣ .

[٦] - السامرائي د. إبراهيم ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص٧٩ .

[٧] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠٦/١١ .

[١] - ابن النديم ، الفهرست ص ٩٧ والعمري ، مسالك الأبصار ٥/ ٢٣٦

- الفرّاء (ت : ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)

هويحيى بن زياد ، أبو زكريا الفراء ، الكوفي النحوي ، صاحب الكسائي ، قيل : عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام .و قالوا : لولا الفراء لما كانت عربية ، ولسقطت لأنه خلّصها ولأنها كانت تُتنازع ويدّعيها كل أحد . وكثيراً ما كان يعظم أستاذه الكسائي مع أنه أعلم منه بالنحو . وأخبر به الخليفة الرشيد ، فطلبه وجعله مؤدب ولديه الأمين والمأمون .

وذكر أن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وأُفرد في حجرة ، وقرر له خدماً وجوارٍ ووراقين فكان يملي في ذلك سنين . ولما أملى كتابه " معاني القرآن " اجتمع له الخلقٍ فكان من جملتهم ثمانون قاضياً ، وأملّ الحمد في مائة ورقة . واشتهر بكثرة حفظه ، يأخذ عن العلماء ولا يكتب ، ويملي على طلبته من حفظه ، وله عناية بعلوم مختلفة كالفقه والطب واللغة وأيام العرب والشعر والنجوم .

وله من التصانيف الكثير ، وقد بلغت ثلاثة آلاف ورقة أشهرها " معاني القرآن " وله كتاب " البهي " جمع فيه الفصيح من كلام العرب [1].

- هشام بن معاوية الضرير (ت: ٢٠٩ هـ / ٨٢٤م)

هو أنبه تلاميذ الكسائي بعد الفراء ، وكان يتصدر للتدريس والإملاء على الطلاب في المسجد الجامع بالكوفة ، و يؤدب أبناء الأثرياء وذوي الجاه ، وبعضهم كان يجري عليه راتباً شهرياً . اعتنى بالتصنيف في النحو؛ فله ثلاثة كتب هي: الحدود والمختصروالقياس.

وله أراء كثيرة في النحو تارة يتفق مع أستاذه وتارة يعدّل في أرائه ، وكثيراً ماينفرد بآراء يخص نفسه فيها [2].

ومن اللغويين في الكوفة :

- ابن الأعرابي (ت : ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م)

هومحمد بن زياد ، أبو عبد الله ، أبوه عبد سندي ،أما هو فإمام اللغة ، كانت رواياته أشبه بالبصريين ، و يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يعرفان شيئا . حفظ ما لم يحفظه غيره وسمع من بني أسد وبني عقيل فاستكثر وصحب الكسائي في النحو كان له مجلس عامر في مسجد الكوفة يحضره المئات ، ولم يكن يحمل كتابا قط ، إنما يحدث من حفظه ، وقد انتهى إليه علم اللغة ، وصف بالزهد والورع والصدق ، وكان صاحب سنة واتباع . له مصنفات كثيرة في الأدب وتاريخ القبائل . وكان يقول : جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء [3].

الشعر في الكوفة :

تقدم الكلام عن الشعر وتطوره في العراق في العصر العباسي الأول في البصرة بحيث لا أجد فائدة من الزيادة عليه ، ومع كثرة عدد الشعراء بالكوفة اخترت ثلاثة من الشعراء المجيدين جمعوا ألوان الشعر المختلفة التي سادت في العراق في العصر العباسي الأول ، فنجد في شعر مسلم بن الوليد من التعمق في الأفكار مايدل دلالة قاطعة على أنه اختلف إلى جمهور المتكلمين الذين كثر عددهم في البصرة والكوفة ، وحذق على أيديهم النظر والتفكير وتصحيح المعاني والخلوص إلى دقائقها وطرائفها وحدودها الخفية . وأيضاً في أشعاره مايدل دلالة بينة على ثقافة واسعة بالشعر القديم : الجاهلي والإسلامي ، فقد أُشربت روحه

---

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٦/١٤ والزبيدي ، طبقات النحويين ص١٤٣وابن النديم ، الفهرست ص٩٩ والذهبي ، السير ١٠ /١١٨ .

[2] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٦٤/٣ وضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٨٨ .

[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٢ والزبيدي ، طبقات النحويين ص١٤٩ والذهبي ، السير ١٠ /٦٨٧ .

بصياغاته وبجميع معانيه وصوره وخصائصه الموسيقية . والتحمت في نفسه ثقافته هذه بشعر بشار بن برد ومعاصريه من شعراء الجيل العباسي الأول التحاماً قوياً خصباً ([1])

أما أبو العتاهية فينقسم شعره إلى قسمين : القسم الأكبر يدور على الزهد - وفي ذلك أقوال ومناقشات يطول بحثها إذ البعض يُرجع زهد أبي العتاهية إلى تأثره بالثقافة الفارسية وتعاليم ماني ([2]) – وفيه امتاز أبو العتاهية عمن سبقه من شعراء الزهد ، بأنه أكثر فيه وأطال ، وبأنه فلسفه ، ودعا إليه محاولاً الإقناع في إلحاح وصدق لهجة .والقسم الثاني من شعره مديح ورثاء وهجاء ووصف وحكمة وموعظة . ويتسم شعره عامة بسهولة الألفاظ ، وقلة التكلّف وقرب المعاني من الأفهام ، ولذلك سار على ألسنة العوامّ والخواص ([3])

- ومن شعراء الكوفة :

- حماد عجرد (ت: ١٦١ هـ / ٧٧٦ م)

هوحماد بن عمر ، أبو عمرو الواسطي ثم الكوفي ، قدم بغداد زمن المهدي، شاعر مفلق ، بينه وبين بشار بن برد مزاح وهجاء فاحش ، أتهم بالزندقة، وهو القائل :

فأقسمتُ لو أصبحتَ في قبضة الهوى   لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكن بلائي منك أنك نـــاصحٌ   وأنـــك لا تدري بأنك لا تـــدري

ويقال : إن أعرابياً مرّ به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان فقال له : تعجردت يا غلام . فسمي عجرد . ([4]).

- صريع الغواني (ت: ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م) تقريبا

مسلم بن الوليد الأنصاري ، كوفي نزل بغداد ، وصف بأنه حامل لواء الشعر، كان شاعراً مداحاً محسناً مفوهاً . امتدح جعفر البرمكي بقوله :

كـأنه قمـــرٌ أو ضيـــغمٌ هصـــرٌ   أو حيـــةٌ ذكـــرٌ أو عـارضٌ هطـلُ
لا يضـــحك الدهـــر إلا حيـــن تسأله   ولايعبـــسُ إلا حيـــن لا يُسَلُ([5])

يقول د. شوقي ضيف ([6]) : لعل القرن الثاني للهجرة لم يعرف شاعراً جهد نفسه في صنع الشعر ، كما جهدها مسلم ، فقد أقبل يتمثل نماذج الشعر القديم في الجاهلية والإسلام بكل معانيه وصوره ، وأضاف إليه نماذج لاتقل عمقاً ولا دقة من الشعر العباسي كما لمعاصريه ، فغدا ينفق حياته الفنية في المزج بينهما إبداعاً ونقداً وتحليلاً واستنباطاً .

ثم ساق له بضع أبيات من لاميته الطويلة والتي قالها مادحاً يزيد بن مزيد الشيباني - قائد الرشيد - :

لولا يزيـد لأضـحى الملك مطرحـا   أو مائـــل السمك أو مســترخى الطّـول
يغشــى الوغـى وشهاب الموت في يده   يرمـــي الفـوارس والأبطـال بالشّعــل
موف علـــى مهج في يوم ذي رهج   كأنـــه أجـــل يسـعى إلـى أمـــل
لايرحـــل النــاس إلا نحـــو حجرتهً   كالبيـت يفضـــي إليـــه ملتـــقى السـبل

وإن المتذوق لشعره يشعر بضخامة البناء وقوة الحبك ، وأن مسلماً يتسلط على كلماته ومعانيه وصوره بضبط وإحكام . وله ديوان مشهور ([1])

---

[1] - ينظر : ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ٢٥٤ .
[2] - المرجع نفسه ص٢٤٢ .
[3] - ينظر : يعقوب ،د. إميل ، موسوعة الأدب والأدباء العرب ٢٣٩/٥ .
[4] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٧٧٩ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٨/٨ والذهبي ، السير ١٥٦/٧. والمتعجرد : المتعري . ولها معان أخرى. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عجرد) .
[5] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٥٢٨ والذهبي ، السير ٣٦٥/٨ .
[6] - تاريخ الأدب العربي ص٢٦٠ ومابعدها .. بتصرف .
[1] - وديوانه مطبوع ، ولكنه لا يحتفظ بكثير من قصائده فجلها مفقود ، مثل أشعاره في المأمون والفضل بن سهل .المرجع نفسه .

- أبو العتاهية (٢١١ هـ / ٨٢٦ م)

هوإسماعيل بن القاسم الكوفي نزيل بغداد ، سمي بأبي العتاهية لاضطراب فيه . ولد في عين التمر قرب الكوفة ، وكان أبوه يشتغل بالحجامة وانتقل إلى الكوفة بأسرته لما ضاقت سبل العيش به .. كان أبو العتاهية سيء السيرة في مطالع حياته . عمل في حرفة الخزف وكان نبع الشعر قد أخذ يتدفق على لسانه، فكان يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره ويكتبونها على ما تكسر من الخزف وما يشترونه من الجرار. واشتهر أمره في الكوفة وأخذ يختلط بالشعراء أمثال مطيع بن إياس ووالبة بن الحباب ([1]) . كما أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والمتكلمين في مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية والوقوف على مذاهب أصحاب المقالات ، وفي أثناء ذلك يكثر من نظم رقائق الغزل ومن الغدو والرواح إلى نوادي القيان والمغنين، ولم تلبث الصلة أن توثقت بينه وبين مغن ناشئ من النبط دوت شهرته فيما بعد هو إبراهيم الموصلي ، وتعاقدا على أن ينزلا بغداد، لعل بضاعتهما تروج فيها، وفتحت الأبواب لإبراهيم بينما سدت في وجه أبي العتاهية ، فصمم على العودة إلى الكوفة ، لكن إبراهيم الموصلي صديقه أقبلت عليه الدنيا حين ولي الخلافة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤ ــ ٧٨٥ م) وقربه مع من قرب من المغنين، فأرسل إليه أن يلحق به ، ليقدمه للخليفة ، وأعجب الخليفة بمديحه ، وأخذ يغدق عليه جوائزه، وأوسع له في مجالسه حتى أصبح أثيراً عنده مقدماً له على كثير من الشعراء ، وعظم شأن أبي العتاهية ، وتهاداه كبار رجال الدولة ، ومنهم والي طبرستان عمر بن العلاء وله يقول من قصيدة :

إني أمنت من الزمان وصرفه	لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله	تخذوا له حرالخدود نعالا
إن المنايا تشتكيك لأنها	قطعت إليك سباسبا ورمالا
فإذا وردن بنا وردن خفائفا	وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ويقال إنه وصله على القصيدة بسبعين ألف درهم ([2])

وتوفى المهدي فخلفه ولده الهادي (١٦٩- ١٧٠هـ/ ٧٨٥ ــ ٧٨٦م) ولازال أبو العتاهية ينشده مدائحه في كل مناسبة وعطاياه تهطل عليه كالغيث المنهمر، ولما تولى الرشيد الخلافة (١٧٠- ١٩٣هـ / ٧٨٦ ــ ٨٠٨م) كان منقطعاً إليه ملازماً لا يفارقه في سفر ولا حضر ، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم ، وينال جوائز كثيرة من كبار رجال الدولة حينئذ ، وعلى رأسهم يزيد بن مزيد الشيباني . ويقال : إنه أجازه في إحدى مدائحه فيه بعشرة آلاف درهم . وظل يعيش حياة لهو وقصف إلى أن نزل الرشيد الرقة عام ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م فتحول من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف ولبس الصوف . ومع أن الرشيد حاول أن يعود به ثانية إلى حياته القديمة وإلى ما كان يصنع له

---

[1] - مطيع بن إياس الكناني(ت : ١٦٦ هـ / ٧٨٣ م) أبو سلمى: شاعر، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.كان ظريفا، مليح النادرة، ماجنا، متهما بالزندقة. مولده ومنشأه بالكوفة .مدح الوليد بن يزيد ونادمه، في العصر الاموى، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات. الزركلي ، الأعلام ٧ / ٢٥٥ .

- والبة بن الحباب الاسدي الكوفي (ت : ١٧٠ هـ/٧٨٦ م)أبو أسامة: شاعر غزل، ظريف، ماجن، وصاف للشراب.من أهل الكوفة. وهو أستاذ أبي نواس. رآه غلاما في البصرة، يبري العود، فاستصحبه إلى الأهواز ثم إلى الكوفة، فشاهد معه أدباءها، فتأدب بأدبهم.وقدم والبة بغداد، في أواخر أعوامه، فهاجى بشارا وأبا العتاهية وغلباه، فعاد إلى الكوفة كالهارب. وكان أبيض اللون أشقر الشعر. ولما مات رثاه أبو نواس .الزركلي ، الأعلام ٨ /١٠٩ .

[2] - ضيف ، دز شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٢٣٨ -٢٣٩ .

من رقائق الغزل، ولكنه امتنع ، وضاق الرشيد بامتناعه، وأمر بضربه وحبسه حتى يصدع لأمره ، واسترسل أبو العتاهية في استعطافه بمثل قوله:

إنما أنت رحمة وســـــلامة   زادك الله غبطة وكرامــه
لو توجعت لي فروحت عني   روح الله عنك يوم القيامة

فرق له الرشيد وأمر بإطلاقه ، وأخذ في الإكثار من شعر الزهد وذكر الموت والفناء والثواب والعقاب والدعوة إلى مكارم الأخلاق.ومن شعره :

إن الشـــــباب والفراغ والجـــــدة   مفســـدة للمرء أي مفســـــدة
حسبـــــك ممـــــا تبتغيـــــه القوت   ما أكثـــــر القوت لمن يموت
هـــــي المقاديـــــــر فلمني أو فذر   إن كـنت أخطـأت فما أخطا القدر

وله أيضا :

أسـلك بنـــيَّ منـــاهج الســـادات   وتخلقـــــن بأشـــرف العادات
لا تلهينـــــــــك عن معـــادك لذة   تفنـــى وتورث دائم الحسرات
إن السعيـــد غـــدا زهيـــداً قانعاً   عبـــــــد الإله بأخلص النيات
أقـــم الصلاة لوقتـــها بشروطها   فمـــــن الضلال تفاوت الميقات
وإذا اتســـعت برزق ربك فاجعلن   منــــه الأجـلّ لأوجه الصدقات
وارع الجوار لأهله متورعـــــــا   بقضـــاء ما طلبوا من الحاجات ([1])

ثالثاً : بغداد

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تقع بغداد ، في وسط جمهورية العراق - حالياً - وهي العاصمة ، بمحاذاة ضفتي نهر دجلة ، في سهل لحقي منبسط ، وأقرب نقطة منها إلى نهر الفرات تبعد ٤٥كيلو متراً ، أقيمت بين النهرين - حديثاً - قناة صالحة للملاحة ، وذلك لربط نواحي البلاد بشبكة ملاحة نهرية ([2]).

وقد رفض العباسيون – بعد إقامة دولتهم – الإبقاء على دمشق حاضرة للخلافة ، ذلك أن بلاد الشام كانت مقر بني أمية ، وبها عصبيتهم من العنصر العربي الذي يناصرهم ، ويرفض انتقال الخلافة إلى غيرهم ، لذا نقل العباسيون حاضرة دولتهم إلى العراق قريبا من أنصارهم الفرس الذين أقاموا ملكهم على أكتافهم ، وبذل الفرس أموالهم ودماءهم في سبيل إقامة هذه الدولة ، يضاف إلى ذلك أن العراق غني بموارده الطبيعية ، وفي مأمن من غارات البيزنطيين لبعده عن حدودها ([3])

ولم تكن كل من الكوفة والبصرة تصلح لأن تكون إحداها حاضرة للدولة الجديدة ، ذلك أن أهل الكوفة كان معظمهم شيعة يعارضون الحكم العباسي بل ويسعون إلى نقل الخلافة للعلويين . أما البصرة فلم تكن تصلح هي كذلك لوقوعها في الجنوب ، وسهولة غزوها من البحر ، فأنشأ أبو العباس السفاح مدينة بالقرب من الأنبارعلى شاطئ الفرات سماها الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف ([1]) .

---

[1] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٤٩٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٥٠/٦ والذهبي ، السير ١٠ /١٩٥وضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٢٣٧ ويعقوب ،د. إميل ، موسوعة الأدب والأدباء العرب ٢٣٨/٥.
[2] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٩٦/٥ .
[3] - الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص ١٢٩ .
[1] - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٤٥٥/٧ .

واستُخلف المنصور ، ولم يشأ أن يقيم في مدينة أخيه لسوء موقعها ، ولكنه أخذ اسمها وبنى مدينة بين الكوفة والحيرة ، لكنه هجرها بعد فترة قصيرة ، لأن المنصور شعر بصعوبة إقامته فيها بعد مؤامرة الراوندية ضده ([1])

ثم إنها قريبة من الكوفة الأمر الذي لايشعره بالأمان فربما يثور أهلها عليه في أي وقت ، وقد بدأوا بإفساد جنده وأنصاره عليه ، واجتهد المنصور ليختار مركزاً جديدا لدولته ، فخرج بنفسه ليرتاد له موضعاً يتخذه مسكناً لنفسه وجنده ، ويبني به مدينة ، وبعد بحث هنا وهناك اختار موضع قرية تسمى بغداد([2]) ، واستشار بعض سكانها فزينوا له موضعها ، ووصفوها – إذا بنيت في الموضع المحدد - أنها تكون بين نخل وقرب ماء . وامتدحوا له موقعها في وسط العراق وقالوا : وهي تتوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وطريقها سالكة إلى البر والبحر والجبل . وأنها تقع على الطرق التجارية : فالتجارة تأتيها من السفن الفراتية ، وتصلها القوافل عبر البادية من مصروالشام ، وتتواصل مع البحر جنوباً عبر دجلة حتى بلاد الصين ، وشمالاً يوصلها دجلة مع الموصل وبلاد الروم.
كما أنه لاحظ خصب البقعة التي تقع فيها بغداد ، الأمر الذي ييسر لسكانها رغد العيش، يضاف إلى ذلك سهولة الدفاع عن موضع بغداد ، فإن هاجمها أحـــد كانت دجلة والفرات وروافدهما خنادق لهمــــا ، فإذا ضربت القناطر، احتاج العدو إلى العبور ، لذلك فإن الهجوم عليها أمر صعب ([3])

وبعد اختيار المكان المناسب ، جنــد المنصور كافــة الخبرات الموجودة فــي مملكته لإنجاز مشروعه الكبير ، فاستدعى إليه من كل بلد من بلدان دولته المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين والبنائين والفعلة ، حتى بلغ عددهم نحو مائة ألف من أرباب المهن والصناعات ، وأسند مهمة الإشراف على البناء إلى رجال ممن يثق بهم من ذوي الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة النعمان ([4])

وفي عام ١٤٩ هـ /٧٤٢م تم بناء بغداد وأصبحت جاهزة للسكن ، ولم يمض طويل وقت حتى غصت المدينة بسكانها وأسواقها ، فاضطر المنصور إلى نقل أسواق المدينة إلى خارجها فبنى ضاحية اسماها الكرخ ([5]) ، وفي عام ١٥١هـ / ٧٤٨ م شرع المنصور ببناء مدينة أخرى على الجانب الشرقي من دجـلة ســماها الرصافة ، وعمل لها سوراً وخندقاً ومسجداً جامعاً وقصراً ، وأجرى لها الماء، ويذكر أن السبب في ذلك أنــــه خشي اجتماع جنده في مكان واحد فرأى في تفريقهم على جانبي دجلة ، أصلح للدولة ، ونباتا لها، فإذا ثار عليه جند الضفة الغربية ضربهم بجند الضفة الشرقية ، وأمر ابنه المهدي بالإقامة في الرصافة مع عسكره ، وتنافس الناس في النزول بالرصافة لمحبتهم بالمهدي ولاتساعه

---

[1] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠/ ٧٨ (أحداث سنة ١٤١هـ) وذكر أن الروانديه أصلهم من خراسان ، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني ، يقولون بالتناسخ ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك _ كان على حرس المنصور- وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبريل قبحهم الله ... والذي حدث أنهم أتوا يوما قصر المنصور وجعلوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين فغضب أنصارهم وعمدوا إلى نعش فحملوه ودخلوا السجن قهرا واستخرجوا من فيه من أصحابهم ، وقصدوا المنصور وهم نحو ستمائة ، فتنادى الناس وخرج المنصور من القصر ماشيا ، ثم جيء له بدابة فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء معن بن زائدة – وكان قبل متخفيا- فأمسك بلجام دابة المنصور وقال: نحن نكفيكهم ياأمير المؤمنين ، ثم جاءت الجيوش فالتفوا على الراوندية من كل مكان فحصدوهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم بقية ....ونقل عن المنصور قوله عن نفسه : أخطأت في ثلاث قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة ، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان في العراق لذهبت الخلافة ، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعا . وهذا من حزمه وصرامته .

[2] - تشير أبحاث معاصرة إلى أن اسم بغداد أصله آرامي ، بدليل وجود عدة أماكن تحمل أسماء آرامية في جوار موضع بغداد كيعقوبة وبتدين وباكيفا ... الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص١٣٤ .

[3] - ابن خلدون ، المقدمة ،ص٣٩٠ والموسوي ، العوامل التاريخية ١٣١.

[4] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٠/١٠ . وتمت ترجمة الحجاج وأبي حنيفة مع فقهاء الكوفة .

[5] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٢/١٠ .

عليهم بالأموال والعطايا . ولم تلبث أن عمرت الرصافة بالأسواق ومنازل التجار والجند وسائر الناس ([1])

واتسع الجانب الشرقي من بغداد في عهد المهدي الذي تولى الخلافة بعد أبيه ١٥٨ هـ / ٧٥٥ م ، واستقرت فيها الأسر الغنية وأتباعها من الموالي والعبيد ، وأقطع المهدي رجاله مواضع بها ، ونشأت بها عدة محلات – أحياء- كان من أهمها محلة باب الطاق وكان فيها قصر لإحدى بنات المنصور، ثم صار في عهد الرشيد مجمعا للشعراء([2])

واتسعت بغداد في عهد الرشيد الذي تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦م توسعا كبيرا وشيدت القصور الفخمة في الرصافة كقصر جعفر بن يحيى البرمكي ، وتوسع الناس في القسم الشرقي من بغداد فبنوا القصور المنيعة والمنازل المزخرفة وكثرت المساجد والحمامات الأسواق وتنوعت، وقصد الناس بغداد من كل صوب، وبدت حينها من أهم مدن الإسلام بل العالم آنئذ ، فلقد احتلت الصدارة في العلم والثقافة والنشاط التجاري والاجتماعي في العالم ([3]) على أنها لم تنعم طويلا بازدهارها ، فالخلاف الذي نشب بين الأمين والمأمون أدى بها إلى التخريب والتدمير، فقد تطور الخلاف بينهما إلى حرب بين الأخوين ، وحاصرت قوات المأمون بغداد أربعة أشهر بقيادة هرثمة بن أعين وطاهر بن الحسين ، وأقدم هرثمة على هدم سور الجانب الشرقي وعزله ، أما طاهر فقد رمى بعض أحيائها بالمنجنيق والنفط والنيران ، ثم أرسل إلى أهل بغداد يطلب منهم التسليم فمن أجابه كف عنه ومن لم يجبه قاتله وأحرق منزله ، كما هدم بعض قناطر بغداد ، وصفت الأمور بعد وقوع الأمين في الأسر ثم قتله ، ولكن بغداد تحولت إلى خرائب ورماد حيث أتت النيران على أحياء بكاملها ، حتى كان الخراب من نصيب قصري الخلافة ، باب الذهب في وسط المدينة ، والخلد على دجلة . ([4])

ولما استوسقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون سنة ١٩٨هـ /٨١٣م ولى بغداد الحسن بن سهل بجملة أماكن متعددة ، وقد وصلها سنة ١٩٩هـ /٨١٤ م ووجه نوابه إلى بقية أعمالها ، ولكن أهل بغداد ثاروا عليه فخرج منها بعد سنتين ، وحين بايع المأمون لعلي الرضا سنة ٢٠١هـ / ٨١٦م وأمر الناس بلبس الخضرة - شعار العلويين -رفض أهل بغداد بيعته وعقدوا البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه بالمبارك ،وقد حكم بغداد مدة عامين ([5]) .

ولكن الأحوال لم تهدأ في العراق فعزم المأمون على الرحيل إلى بغداد ، فنزل بالجانب الشرقي منها ، وجعل مقر حكمه في قصر جعفر بن يحيى البرمكي في محلة الشماسية ، وقام بتوسيعه ، وبنى حوله منازل لخاصته وأصحابه وحاشيته ، فسمي هذا الحي بالمأمونية ، وبتسلم المأمون زمام الحكم في بغداد رجع لهذه المدينة رونقها وشهرتها ، وأصبحت مدينة التجارة والعلم وموئل العلماء وطلبة العلم حيث وفدوا إليها من أقطار الدنيا ، وبعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ /٨٣٣م تسلم المعتصم الخلافة وأكثر من الجند الأتراك ،فضّلهم على غيرهم ،فكانوا يؤذون الناس ببغداد ، ثم إنها ضاقت بهم وتذمر البغداديون منهم ورفعوا إلى المعتصم الشكوى ،فرأى ضرورة الانتقال من بغداد مع عسكره ، ووقع اختياره

---

[1] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /١١٢ والموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص١٣٨ والموسوعة العربية ١٩٦/٥ .

[2] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص١٣٨ .

[3] - المرجع نفسه ص١٣٩ .

[4] - ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٥١/١٠ . وفيه أيضا ٢٤٩/١٠ : ....وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبعث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن ومحال كثيرة فحرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة – فعل ذلك فرارا من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم – وقتل وخربت دياره ...وفعل طاهر مثل مافعل الأمين حتى كادت بغداد تخرب بكمالها .

[5] - المصدر نفسه ٢٥٨/١٠ -٣٥٩ .

على سامراء ، ومن يومها فقدت بغداد أهميتها كحاضرة إسلامية كبرى ، ومع أنها - أي بغداد - ظلت محتفظة بقدر كبير من النشاط الأدبي والازدهار الاقتصادي ، لكن انتقال حاضرة الخلافة عنها ، افقدها السيادة على الدولة الإسلامية الكبرى ([1]) .

ب)دور العلم في بغداد :

إن انتقال الثقل السياسي والثقافي إلى بغداد قد امتص الطاقات الفكرية في المراكز الأخرى ، فتضاءلت مدارس علمية مهمة لحساب مدرسة العراق عموماً وبغداد خصوصاً كمدرسة المدينة ودمشق ، وذلك منذ أواخر القرن الثاني حتى جفت في نهاية القرن الثالث ، والملاحظ أن الجو الثقافي كله كان يتهيأ في العراق لا للسيطرة العراقية فحسب ؛ ولكن لظهور أبرز العلماء المصنفين منها. ولاشك أن ذلك كان بدعم وتشجيع من الخلفاء العباسيين ([2]) .

- **مساجد بغداد** : ذكر ابن كثير في تاريخه([3]) وصفاً لبغداد – في عهد المنصور ومن خلفه ومنه : لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها .....وكثرة مساجدها ، وذكر أنه أحصي في بغداد مئات المساجد ، كلها كانت تزخر بالعلماء الأعلام يجلسون وحولهم طلبة العلم يتحلقون، وقد أتوها من أقطار الدنيا ، وأكابر العلماء في بغداد أو من يفد إليها كان له حلقة للعلم ، وقد اشتهرت حلقة الإمام أحمد رحمه الله التي كان يحضرها الآلاف من طلبة الحديث يملي عليهم فيكتبون .

وإلى جانب العلماء كانت المساجد أيضا عامرة بالعبّاد والنسّاك ، وأهل التقوى والصلاح ، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكّر بالله واليوم الآخر وما ينتظر الصالحين من النعيم المقيم ، والعاصين من العذاب والجحيم ([4])

- **الكتاتيب في بغداد** : كثرت الكتاتيب في بغداد ، كما انتشرت انتشاراً واسعاً في المدن والقرى العراقية في عصر بحثنا العصر العباسي الأول ([5])

و الذي يميز التعليم في بغداد عن أخواتها من مدن العراق بروز معلمين لأبناء الخاصـــــة (وهؤلاء أرفع منزلة من معلمي أولاد العامة) فكان منهم اللغوي والإخباري والفقيه والمحدث والمقرئ ، يعلمــون أبنـــــاء الخلفاء والوزراء والبيت العباسي والقواد والسّراة ، وكانوا أحسن حالاً من معلمي أبناء العامة ، فقد كانت تفرض لهم رواتب كبيرة جعلتهم يعيشون في خفض من العيش وسعة من الرزق، منهم معلم المهدي المفضل الضبي ، وله اختار مجموعته الشعرية الملقبة بالمفضليات ، والكسائي معلم الرشيد وابنيه الأمين والمأمون ، وقطرب مؤدب الأمين وأبنـــاء أبي دلف العجلي قائد المأمون المشهور ، وعلي بن المبارك الأحمر أحد مؤدبي الأمين ، ويقال إنـــــــه أعطاه يوماً ثلاثمائة ألف درهم ، ومنهم اليزيدي يحيى بن المبارك مؤدب أبناء يزيد بن المنصورالحميري خال الخليفة المهدي ، ومن أجل ذلك لقب باليزيدي ، ومنهم الفرّاء معلم المأمون ، وأبو عبيـــد القاسم بن سلام مؤدب أبنـــــاء هرثمة قائد الرشيد والمأمون ([6]) .

- **بيت الحكمة** : سنتكلم عن بيت الحكمة عند الكلام عن الترجمة - إن شاء الله -

- **أحياء من بغداد** : ظهر هذا واضحا زمن الرشيد إذ أكثرالبرامكة من بناء القصور الفخمة والبيوت المزخرفة في محلة **الشماسية** بالجانب الشرقي من بغداد ، فشيد يحيى بن خالد

---

[1] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص١٤١ .
[2] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ٢٠١/١ .
[3] - ابن كثير ،البداية والنهاية ١٠٣/١٠ .
[4] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٨٤ .
[5] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ، ط: بغداد ١٩٨٥م ٢٣/٨ .
[6] - ضيف د. شوقي المدارس النحوية ص١٠٠ ، وقد تمت ترجمة هؤلاء العلماء والشعراء والمؤدبين كل في المدينة التي نشر بها علمه .

قصره المعروف بقصر التين بها ، كما شيد ولده الفضل قصرا هناك ، وامتدت قطائع البرامكة من الشماسية حتى البردان وكانوا – أي البرامكة – يستضيفون العلماء والشعراء والحكماء والمترجمين في هذا الحي ، ويغدقون عليهم الأموال الطائلة ليصنفوا ويعلموا طلبة العلم الذين يفدون إليهم فكان هذا الحي أشبه بمدرسة كبيرة لتناقل العلم والمعرفة . ([1])

- قصور الخلفاء ومجالسهم : عرف عن الخلفاء العباسيين استقبالهم لعدد كبير من العلماء بمختلف اختصاصاتهم ، وتنصيب أنفسهم حكماء بين المتناظرين والمتنافسين ، وأول من جلس لذلك أبو العباس السفاح الذي كان يقعد ، فيستمع إلى تناظر البصريين والكوفيين ([2]) وكان غالباً مايميل إلى رأي أهل الكوفة محبة بهم.

وعرف عن الرشيد أنه حول قصراً كان لإحدى عماته - كان يسمى قصر الطاق – إلى منزل للشعراء حتى غدا مجمعاً لهم ([3])

ولقد هيأ الخلفاء والوزراء والأمراء والسراة مجالس للعلماء أشبه ماتكون بالندوات العلمية ([4]) يتناظر فيها العلماء من كل صنف ، على نحو مايروى من مناظرة الكسائي الكوفي واليزيدي البصري بين يدي المهدي ، ومايروى من مناظرة الكسائي وسيبويه بين يدي الرشيد أو بين يدي يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والمتفلسفين من كل نحلة يتجادلون فيها ويتحاورون في كل ما يعرض لهم من مسائل وفي ذلك يقول المسعودي ([5]) : كان يحيى بن خالد البرمكي ذا بحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل النحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور، والقدم والحدوث ،والإثبات والنفي ،والحركة والسكون ،والمماسّة والمباينة ،والوجود والعدم ، والجوهر والطفرة ، والأجسام والأعراض ،والتعديل والتحوير ،والكمية والكيف والمضاف ،والإمامة أنصّ هي أم اختيار، وسائر ماتوردونه من الكلام في الأصول والفروع ، فقولوا الآن بالعشق على غير منازعة ، وليورد كل منكم ماسنح له وماخطر بباله .

وكان مجلس المأمون ساحة واسعة للجدال والمناظرة – وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، الفقه والطب والشعر والفرائض والكلام والنحو وغريبه،وغريب الحديث وعلم النجوم– فمضى يحول مجالسه في دار الخلافة ببغداد إلى ندوات علمية تتناول كل فروع المعرفة ، وفي ذلك يقول يحيى بن أكثم : أمرني المأمون أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من بغداد ، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً وأحضرتهم . وجلس المأمون فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم ...ثم طلب المأمون أن أنوّع مجالسه بحيث تكون لكل طائفة من العلماء مجلس ([6]).

وقد كفلت الحرية العقلية في هذه المجالس إلى أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأي يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى آراء الزنادقة ، ومما لاشك فيه أن المجتمع كان يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً في جميع شؤونه الروحية والاجتماعية ، ولكن كأنما أصبح

---

[1] - الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ص١٣٧ .

[2] - ضيف د. شوقي ، المدارس النحوية ص١٦٤.

[3] - المرجع نفسه ص١٣٨ .

[4] - المرجع نفسه ص١٠٥ .

[5] - المسعودي ، علي بن الحسين ، أبو الحسن (ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧ م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، ط: دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٢ م ٢٨٦/٣ .

[6] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٢٨٨ .

سلطان العقل فوق سلطان الدين ، وكل ذلك باعثه الحقيقي رقيّ الحياة العقلية في هذا العصر ، فإذا كل شيء يناقش في حرية ، وكل شيء يعرض على بساط البحث والجدل([1])

ووراء هذا المجلس ، كانت ثمة مجالس أصغر يجتمع فيها العلماء يتناظرون ويتجادلون ويلتقي أصحاب الملل والنحل والأهواء المختلفة ، ويثيرون كثيراً من المسائل التي تتصل بأهوائهم ونحلهم ومللهم ويتحاورون فيها حواراً طويلاً ، وكانت هناك مجالس أخرى للمتفلسفة والمتكلمين ، ويقال إن مجلس يوحنا بن ماسويه – ستأتي ترجمته – كان أعمر مجلس بمدينة بغداد لمطبب أو متكلم أو متفلسف ، إذ كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب ، وكان تلاميذه يقرؤون عليه في هذا المجلس كتب المنطق لأرسطوطاليس وكتب جالينوس في الطب وعلى شاكلة مجلسه ، كان مجلس حنين بن إسحاق ، ويقال إن المأمون رسم له على كل كتاب ينقله إلى العربية أن يأخذ وزنه ذهباً ، وكانت لابن أبي دواد المعتزلي ندوة كبيرة يحضرها كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع بن جبريل ([2]) وهاهي أبرز العلوم التي نشطت في بغداد ..

أولا : علوم القرآن الكريم :

أ) علم القراءات :

حين اكتمل بناء بغداد ، أصبحت مطمعاً لكل عالم وطالب علم ، جذبهم إليها وجود الخلفاء الذين لم يألو جهداً في إكرام ودعم هؤلاء جميعاً ، وثمة بعض العلماء الذين تلقوا العلم ممن جاء بغداد من الأئمة ، ثم إنهم برزوا وأصبحوا سادة في ما اختصوا به من علم ، ولم يكن لبغداد نصيب في أن تقدم عالماً بالقراءات تفرد بما لم يتفرد به غيره ، وإنما تركت ذلك لكل من البصرة والكوفة ، ومن برز بالقراءة بها إنما كان من طلبة علماء هذين المركزين ، ومن هؤلاء ..

- خلف بن هشام بن ثعلب (ت : ٢٢٩ هـ / ٨٤٣م)

هوأبو محمد البغدادي البزار ، مقرئ وحافظ ، أحاديثه عند مسلم وأبي داود ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وأقرأه وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وتلا على سليم بن عيسى وغيره وأخذ الحروف عن يحيى بن آدم ، وتصدر للإقراء والرواية ، وكان يطلب العلم من مظانه وينفق في سبيله المال الكثير ، يقول عن نفسه : أَشْكِلَ عليَّ بابٌ من النحو ، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حزقته . وثقه علماء الحديث ، ووصف بأنه كان عابداً فاضلاً ورعاً ، ذكر عن نفسه أنه أعاد صلاة أربعين سنة لأنه تناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين ([3]) . وله اختيار في الحروف صحيح ثابت ليس بشاذ أصلاً ، ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع ، وأخذ عنه خلق لا يحصون ([4])

ب) علم التفسير :

إن الذي يلفت النظر أن المدرسة البغدادية في التفسير هي حصيلة كل اتجاهات التفسير والبحر الزاخر الذي صبت فيه آراء جمهرة من علماء الأمصار، ففيها من **الاتجاه اللغوي والاتجاه الاجتهادي والاتجاه الفقهي**... وفيها نزل كوفيون وبصريون وموصليون في حين غلبت على المدرسة البصرية النزعة الحديثية وعلى المدرسة الكوفية النزعة الفقهية ([1]) ، ولاشك أن هشيم بن بشير - الذي سنذكر ترجمته – يعتبر أول نموذج لمثل هذا النوع من

---

[1] - ينظر : ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٠٦ .

[2] - ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ، أبو العباس (ت : ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠م ص ١٨٦ و ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص١٠٧ .

[3] - الخطيب / تاريخ بغداد ٣١٨/٨ و الذهبي ، السير ١٠ / ٥٧٦

[4] - ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٧٢/١ .

[1] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ، ط: بغداد ١٩٨٥م الجزء ٧ /٦٣ ومابعدها ، بتصرف .

التفاسير. وهذه التفاسير البغدادية غدت قاعدة وأساساً لسلسلة من المؤلفات التفسيرية دامت قرون ، وكان على رأسها تفسير ابن جرير الطبري ، الذي اتخذ المنهج نفسه في تفسيره وحاز شهرة لايدانيه فيها أحد ، حتى قال الخطيب ([1]) : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا .

وهذه ترجمة مؤسس المدرسة البغدادية في التفسير..

- هُشيم بن بشير (ت: ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م)

كان مفسراً ومحدثاً وفقيهاً ، سكن بغداد ، ونشر بها العلم ، ولكن غلب عليه الاهتمام بعلم الحديث حتى لقب بمحدث بغداد ،أحاديثه عند الجماعة . وصفه العلماء بالصدق والأمانة والصلاح ([2])

من آثاره : - "التفسير" ويعتبر أحد مصادر الطبري ، وذكر له ابن النديم : " السنن في الفقه" و" المغازي " و "القراءات " ([3])

- السمين (ت:٢٣٥هـ / ٨٤٩م)

هوأبو عبد الله بن حاتم بن ميمون المروزي ثم البغدادي، مفسر وحافظ ، وأحاديثه عند مسلم وأبي داود ، كان محسوداً من أقرانه ولكن أصحاب الشأن وثقوه([4]).

ذكرابن سعد([5]): أنه جمع كتاباً في "تفسيرالقرآن" كتبه الناس عنه ببغداد .

ثانياً : علم الحديث في بغداد :

من خلال الاطلاع على تراجم علماء الحديث في بغداد يتبين أنه وقع على كاهلهم مهمـــة صعبة جداً ، وهي التثبت من الرجال ، ومن الأحاديث التي يروونها ، إذ أصبحت بغداد موئل رجال العلـــم وطلبته من كل أصقاع العالم الإسلامي ، فوصلها العالم المتثبت والمدعي للعلم ، والمنحرف ، والذي يقصد تشويه الدين الإسلامـــي مـــن خلال بث أحاديث مختلقة ؛ محاولة منه للدس على الإسلام وتشويه هديه الكريم ، فكانت مهمة علماء الحديث في بغداد عرض رواة الحديث على نقد شديد لإحاطة الحديث بسياج متين من الصحة والثقة ، وأعظم من تولى هذه المهمة الصعبة أحمد بن حنبل وصاحبه يحيى بن معين ، وحفلت بغداد فـــي عصـــر بحثنا بعـــدد من كبارالعلماء في الحديث كان علمهم بالحديث لبنات قوية لبناء كتب الحديث التي صنفت في القرن الثالث الهجري ، ومن هؤلاء:

- علي بن عاصم (ت: ٢٠١هـ / ٨١٦ م)

هوأبو الحسن القرشي التيمي ، لقب بشيخ المحدثين ومسند العراق ، أحاديثه عند أبي داود والترمذي وابن ماجة . كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع شديد التوقي ([6])

وذكر الخطيب البغدادي([1]):أن علياً كان من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا ولـــم يـــزل ينفق في طلب العلم ويفضل على أهله . وفي " تاريخ التراث العربي " (٢) : آثاره : كتاب جمع فيه أحاديثه .

---

[1] - تاريخ بغداد ١٦٢/٢ .

[2] - الخطيب ،تاريخ بغداد٨٥/١٤ والذهبي ، السير ٢٨٧/٨ .

[3] - ابن النديم ، الفهرست ٢٢٨وسزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد١ جزء١ ص٨٥ .

[4] - الذهبي ، السير ٤٥٠/١١ .

[5] - في كتابه : الطبقات ٣٥٩/٧

[6] - ابن سعد ، الطبقات ٣١٣/٧ و الذهبي ، السير ٢٤٩/٩ .

[1] - في كتابه : تاريخ بغداد ٤٤٧/١١ .

[2] - سزكين ، د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مجلد ١ جزء ١ ص ١٨١ . وكتاب علي مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق .

- هاشم بن القاسم الليثي (ت :٢٠٧ هـ / ٨٢٢م)

هوأبو النضر الخراساني ثم البغدادي ، لقب بشيخ المحدثين ، أحاديثه عند الجماعة ، كان أهل بغداد يفخرون به . وصف أنه من متثبتي بغداد . وهو أحد شيوخ ابن حنبل الذي يقول عنه : إنه من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ([1]).

- قُرَاد ، عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي (ت: ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م)

هوأبو نوح البغدادي ، نزيل بغداد ، حافظ من أئمة الحديث ، أحاديثه عند البخاري وأبي داود والنسائي والترمذي . وثقه ابن حنبل ووصفه بالتعقل والتأني في رواية الحديث ([2])

- منصور بن سلمة (ت : ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)

هوأبو سلمة الخزاعي البغدادي ، كان من أئمة الحديث بصيراً بالرجال والعلل ، وأحاديثه عند البخاري ومسلم والنسائي . وصف بأنه أحد الحفاظ الرفعاء الذين كانوا يُسألون عن الرجال ويُؤخذ بقولهم أخذ عنه أحمد بن حنبل وابن معين وغيرهما ([3]) .

- هوذة بن خليفة (٢١٦ هـ / ٨٣١م)

هوأبو الأشهب الثقفي ، نزيل بغداد ، لقب بـ مسند بغداد ، أحاديثه عند ابن ماجة القزويني كان صاحب حديث ومعرفة ، وله تصانيف وكتب ولكنها ضاعت ([4]) .

- سليمان بن داود (ت: ٢١٩ هـ ، ٨٣٤ م)

هوأبو أيوب الهاشمي ، من كبار الأئمة ، أحاديثه في السنن الأربع . نعت بالثقة والتعقل والحفظ وهو من أقران ابن حنبل([5]) .

- سعدويه (ت : ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م)

هوسعيد بن سليمان ، أبو عثمان الضبي الواسطي ، سكن بغداد ونشر بها العلم ، أحاديثه عند الجماعة . وثقه علماء الحديث ، ووصف بأنه من أهل السنة ، كثير الحديث ، وقد امتحن – في مسألة خلق القرآن - فأجاب ، ولما سُئل : مافعلتم ؟ قال : كفرنا ورجعنا ([6])

- محمد بن الصباح الدولابي (ت : ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م)

هو أبو جعفر المزني البغدادي ، أحاديثه عند البخاري ومسلم وأبي داود . من آثاره : كتاب " السنن " ([7]) .

- علي بن الجعد (ت : ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)

هو أبو الحسن البغدادي ، حافظ لقب بمسند بغداد ، أحاديثه عند البخاري وأبي داود . كلام علماء الرجال فيه مختلف ، وكان ابن حنبل لايرى الكتابة عنه ([1]) ومن آثاره : مجموعة أحاديث اشتهرت بـ " الجعديات " ([2]).

- يحيى بن معين (ت : ٢٣٣هـ / ٨٤٧م)

هو أبو زكريا ، حافظ جهبذ ، لقب بشيخ المحدثين ، جمع الآلاف من الأحاديث ، له عدة مصنفات بهذا الشأن وروى له البخاري ومسلم وأبو داود . كتب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكان والده على خراج الري ،فمات فخلف ليحيى ابنه ألف ألف درهم فانفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه .

---

[1] - الخطيب، تاريخ بغداد ٦٣/١٤ والذهبي، السير ٥٤٥/٩ .
[2] - الخطيب، تاريخ بغداد ١٠ /٢٥٢والذهبي، السير ٥١٨/٩ .
[3] - الخطيب، تاريخ بغداد ٧٠/١٣ والذهبي ، السير ٥٦٠/٩ .
[4] - الخطيب، تاريخ بغداد٩٤/١٤ والذهبي ، السير ١٠ /١٢١ .
[5] - الخطيب، تاريخ بغداد٩ /٣١والذهبي ، السير ١٠ /٦٢٥ .
[6] - الخطيب، تاريخ بغداد٩ /٨٤والذهبي ، السير ١٠ /٤٨١ .
[7] - الخطيب، تاريخ بغداد ٣٦٥/٥ والذهبي ، السير١٠ /٦٧٠ .
[1] - الخطيب، تاريخ بغداد٣٦٠/١١ والذهبي ، السير ١٠ /٤٥٩ .
[2] - سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١ص١٩٨ .

وهو صديق الجماعة الكبار الذين هم علي بن المديني وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو خيثمة فكانوا يتأدبون معه ويعترفون له ، فقد قال فيه أحمد بن حنبل : ها هنا رجل خلقه الله لهذا الشان يظهر كذب الكذابين .وقال غيره : لولا يحيى بن معين ماكتبت الحديث([1]) .

وحسب ما أورده مترجموه فقد كان المرجع الأساس في علم الرجال وعلل الحديث ، وسُئل مرة ، كم كتبت من الحديث فقال : كتبت بيدي هذة ستمائة ألف حديث - وكانوا يعدونه بالمكرر- وكان لايتورع عن أخذ الحديث عن الكذابين ، ولكنه يمحص ويدقق ، ثم يرمي بالضعيف في النار، فيقول : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور، وأخرجنا به خبزاً نضيجاً. وكان رحمه الله حنفياً في الفروع ، وفيه انحراف يسير عن الشافعي ، ويقول : تحريم النبيذ صحيح ، ولكن أقف ولا أحرمه ، قد شربه قوم صالحون بأحاديث صحاح ، وحرمه قوم صالحون بأحاديث صحاح . وكان له هيبة وجلالة يركب البغلة ويتجمل في لباسه رحمه الله تعالى([2]) .

ومن آثاره : " التاريخ والعلل " وهو يجمع أقوال ابن معين في جرح الرجال وتعديلهم ، والتعريف بالأسماء والكنى والنسبة والطبقة ، ولم يكن الكتاب منظماً بالأصل إنما رتبه رواته ([3])

وله من المصنفات : "معرفة الرجال " وهو مجموعة أقوال ابن معين جواباً لأسئلة تلميذه أبي العباس البغدادي ، ولم يسلم منه سوى جزئين و" مسند " و" كلام يحيى بن معين " ([4]) وغير ذلك .

- أبو خيثمة (ت : ٢٣٤هـ / ٨٤٨ م)

هو زهير بن حرب ، النسائي ثم البغدادي ، أحد أعلام الحديث الكبار ، أحاديثه عند البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة . أكثر من التطواف طلباً للعلم ، ثم نزل بغداد وجمع وصنف ، وبرع في علم الحديث .

وثقه أهل الشأن([5]) ومن آثاره " كتاب العلم " ([6])

ثالثاً - الفقه في بغداد :

ذاع المذهب الحنفي في العراق وصار المذهب الشعبي والرسمي فيه ومنه بغداد ، وكثر العلماء الذين ينزعون إلى المذهب الحنفي ، ومنهم كان يتم اختيار القضاة الذين نشروا المذهب الحنفي في الآفاق ، وساعد على ذلك تقريب الرشيد لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم([7]) وتقليده منصب قاضي القضاة ، وهو الذي كان يختار القضاء للرشيد ، ولم يمنع هذا من انتشار المذهب الشافعي فيها ، فحين قدم محمد بن إدريس الشافعي العراق سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م أخذ عن علمائها وخاصة محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة – وتتلمذ عليه عدد من العلماء أيضاً الذين نشروا مذهبه في العراق ومنهم أبو ثور ، إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي (ت:٢٤٠هـ/٨٥٤ م) وهو معدود من كبار فقهاء الشافعية في العراق ، ثم إنه اختار لنفسه مذهبا خاصا ، لم يبق زمناً طويلاً ، إنما اضمحل لحساب مذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي بدأ بالانتشار منذ بداية خلافة المتوكل ، والمهم في الأمر

[1] - الخطيب، تاريخ بغداد ١٧٧/١٤ والذهبي ، السير ٧١/١١ والعمري ، مسالك الأبصار ٤٠٦/٥ .
[2] - الذهبي ، السير ٧٣/١١ .
[3] - مصطفى ، د. شاكر التاريخ العربي والمؤرخون ج١ص٢٠٨ .
[4] - سزكين ، تاريخ التراث العربي مجلد ١جزء١ ص٢٠١ -٢٠٢ .
[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٨٢/٨والذهبي ، السير ٤٨٩/١١ .
[6] - سزكين - مرجع سابق - مجلد ١جزء١ ص٢٠٣ .
[7] - تمت ترجمته مع فقهاء الكوفة .

أن بغداد لم تعط الفرصة لانتشار مذهب فقهي بمفرده ، فكان فيها من الفقهاء الأحناف والشافعية والمجتهدون ، وكثر فيها علماء السنة إلى جانب المعتزلة ، الذين علا شأنهم منذ عهد المأمون الذي ناصر مذهبهم وقرب علماءهم ([1])

وأبرز الفقهاء في بغداد :

- عافية بن يزيد بن قيس الأودي (ت: ١٦٠ هـ / ٧٥٧ م)

أصله كوفي ، نزع في الفقه بأبي حنيفة ، وكان قاضي بغداد بالجانب الشرقي ، وصف أنه من العلماء العاملين ومن قضاة العدل(٢) .

- الأشيب (ت: ٢٠٩ هـ / ٨٢٤م)

هوالحسن بن موسى البغدادي ، أبو علي ، فقيه حافظ ، أحاديثه في السنن الأربعة . وصف بأنه من أوعية العلم لا يقلد أحداً . ولي قضاء عدة أماكن منها حمص والموصل وطبرستان([3]) .

- بشر بن المعتمر (ت : ٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م)

هوأبو سهل الكوفي ثم البغدادي شيخ المعتزلة ([4]) صاحب التصانيف . كان من الأصول الكبار، أخبارياً شاعراً متكلماً ، وله من الكتب " تأويل المتشابه" و" الرد على الجهال" و" العدل" و له قصيدة طويلة في الانتصار لمذهب المعتزلة ([5]) .

- معلى بن منصور (ت :٢١١هـ / ٨٢٦ م)

هوأبو يعلى الحنفي الرازي ، نزيل بغداد ومفتيها ، حافظ وفقيه ، رحل في طلب العلم ، وأحكم الفقه والحديث ، أحاديثه عند الجماعة ، وكان صاحب سنة واتباع حيث تبع الحنفية في الفروع ، وصف بالصدق والثقة ، ولكن أصحاب الحديث لم يجمعوا على الأخذ عنه ([6]) .

- أبو نصر التمار (ت: ٢٢٨ هـ / ٨٤٣م)

هوعبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك ، أصله من نسا ، فقيه حافظ ، أحاديثه عند مسلم والنسائي ، نزل بغداد وعمل في تجارة التمر وغيره ، وطلب العلم وارتحل . وصف بأنه كان ثقة فاضلاً خيراً ورعاً ، وقد امتحن في فتنة خلق القرآن ، فأجاب تقية وخوفاً من النكال. ولهذا تركه أحمد بن حنبل ، ولم يأخذ عنه ([7]) .

- جعفر بن مبشر الثقفي (ت : ٢٣٤ هـ / ٨٤٨م)

هوأبو محمد البغدادي ، فقيه متكلم بليغ ، وصف بالزهد والتأله والعفة ، وهو من فقهاء المعتزلة . له تصانيف كثيرة منها : " الأشربة " و" السنن" والاجتهاد " و" الرد على أرباب القياس " ([1]) .

- إبراهيم بن خالد الكلبي(ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م)

هوأبو ثور البغدادي الفقيه ، صحب الإمام الشافعي ، ونقل الأقوال عنه ، وكان أحد الفقهاء الأعلام والثقات المأمونين في الدين ، اشتغل أولا بمذهب أهل الرأي ، حتى قدم

---

[1] - نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧/ ١٦٩ - ١٧٣ .

[2] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٠٧/١٢ والذهبي ، السير ٧/ ٣٩٨ .

[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٢٦/٧ والذهبي ، السير ٥٥٩/٩ .

[4] - سيأتي الكلام عن المعتزلة لاحقا .

[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٥/٧ والذهبي ، السير ٢٠٣/١٠ .

[6] - ابن سعد ، الطبقات ٣٤١/٧والخطيب ، تاريخ بغداد ١٨٨/١٣والذهبي ، السير ٣٦٥/١٠ .

[7] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠ /٤٢٠ والذهبي ، السير ٥٧١/١٠ .

[1] - الفهرست لابن النديم ص٢٠٨ والذهبي ، السير ١٠/ ٥٤٩ .

الشافعي العراق، فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول ،ثم إنه اجتهد وخالف الشافعي ، ولم يزل كذلك حتى توفي .من آثاره : " الأحكام " جمع فيه بين الحديث والفقه([1]) .

- أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ / ٨٥٥م)

هوأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ، ولد في بغداد ، وطلب العلم صغيراً يتردد إلى الكتاب ، ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره عمل بالديوان كاتباً ، ثم تفرغ لطلب العلم ، وتنقّل بين الحجاز واليمن ودمشق. سمع من كبار المحدثين ونال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، حتى قال فيه الإمام الشافعي : خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقَهَ من ابن حنبل .

وقد وصف العلماء علمه بقولهم : جمع ابن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر ، وكأنّ الله جمع له علم الأوّلين والآخرين من كل صنف يقول ما يشاء ويمسك عمّا يشاء . وليس هو كذلك يلقي الكلام وحسب ، إنما غزارة علمه ورحلاته إلى مظان العلم جعلته موسوعة قل نظيرها في الحديث والفقه ، وبذلك أصبح رابع أربعة من الفقهاء المجتهدين الذين انتشر مذهبهم في الآفاق ([2]) . ولذلك آثرت عد الإمام أحمد مع الفقهاء مع طول باعه في الحديث ، لأنه أكثر من اعتماده على الحديث في مذهبه الفقهي كما سنرى .

محنة الإمام أحمد بن حنبل :

لقي ابن حنبل من المحن والأهوال مالم يلقه غيره ، وذلك لتمسكه بالعقيدة الخالصة والسنة النبوية وتتبعه علم السلف الصالح . وخبر محنته اختصاراً :

أن الخليفة المأمون اعتقد برأي المعتزلة في مسألة خلق القرآن، وطلب من ولاته في الأمصار عزل القضاة الذين لا يقولون برأيهم .

وقد رأى أحمد بن حنبل أن رأي المعتزلة يحوِّل الله سبحانه وتعالى إلى فكرة مجرّدة لا يمكن تعقُّلها فدافع ابن حنبل عن الذات الإلهية ورفض قبول رأي المعتزلة، فيما أكثر العلماء والأئمة أظهروا قبولهم برأي المعتزلة خوفاً من المأمون وولاته.

وألقي القبض على الإمام ابن حنبل ليؤخذ إلى الخليفة المأمون. وطلب الإمام من الله أن لا يلقاه ، لأنّ المأمون توعّد بقتله .

وفي طريقه إليه ، وصل خبر وفاة المأمون ، فتم ردّ الإمام أحمد إلى بغداد وحُبس ووَلِيَ الخلافة المعتصم، الذي امتحن الإمام، وتمّ تعرضه للضرب بين يديه.

وقد ظل الإمام محبوساً طيلة ثمانية وعشرين شهراً . ولما تولى الواثق الخلافة ، وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم، أمر الإمام أن يختفي ، فاختفى إلى أن توفي الواثق([3]) .

وحين وصل المتوكّل بن الواثق إلى الخلافة ، خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد بخلق القرآن، ونهى عن الجدل في ذلك ، وأكرم المتوكل الإمام أحمد ابن حنبل ، وأرسل إليه العطايا، ولكنّ الإمام رفض قبول عطايا الخليفة ([1])

توفي الإمام يوم الجمعة سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م وله من العمر سبع وسبعون سنة. وقد اجتمع الناس يوم جنازته حتى ملأوا الشوارع . وحضر جنازته من الرجال مائة ألف ومن النساء ستون ألفاً، غير من كان في الطرق وعلى السطوح. وقيل أكثر من ذلك . وقد دفن الإمام

---

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٦٥/٦ والعمري ، مسلك الأبصار في ممالك الأمصار ٦٧٠/٥ .

[2] - ابن سعد ، الطبقات ٣٥٤/٧والخطيب ، تاريخ بغداد ٤١٢/٤والذهبي ،السير ١١/ ١٧٨، وابن الجزري ، غاية النهاية ١١٢/١ .

[3] - خبر محنة الإمام أحمد عند الذهبي في السير ٢٤٨/١١ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٥ .ونخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧/ ١٧٧ .

[1] - الذهبي ، السير ٢٦٥/١١ .

أحمد بن حنبل في بغداد. وقيل انه أسلم يوم مماته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وأنّ جميع الطوائف حزنت عليه، وأنه كانت له كرامات كثيرة وواضحة ([1])

من مؤلفاته : " المسند" ويحوي أكثر من أربعين ألف حديث و"الناسخ والمنسوخ " و "العلل " و"السنن " في الفقه و " الزهد" ([2]) .

وإنما ترجمت لأحمد بن حنبل هنا مع أن وفاته كانت بعد انقضاء العصر العباسي الأول لإنجازاته العلمية العظيمة في الحديث والفقه في فترة البحث ، وتعلق حياته وأفكاره بقضية فكرية تعتبر من أعظم القضايا والمشكلات الفكرية التي واجهت العقيدة والثقافة الإسلامية ، وهي قضية خلق القرآن التي افتراها المتكلمون والمعتزلة ([3])

وهذا تعريف بالمذهب الحنبلي :

فهو أحد المذاهب الإسلامية ، كان ظهوره في أوائل القرن الثالث الهجري بتبني آراء أحمد بن محمد بن حنبل الفقهية والعقائدية والسياسية . وبداية تأسيسه كانت إثر خروج الإمام أحمد من السجن في أيام المعتصم العباسي ، بعد محنة خلق القرآن، ثم تطورت معالم هذا المذهب على أيدي تلاميذه من بعده .

ومذهب ابن حنبل من أكثر المذاهب محافظة على النصوص وابتعاداً عن الرأي. لذا تمسّك بالنص القرآني ثم بالبيّنة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلا في بعض الحالات([4]) .

وإن علم أحمد بالحديث وفــــر له ثروة هائلة في العلم مكّنته من الاستنباط ، وقد وسّع باب القياس مما جعل الأحكام أقرب إلى مرامي الشارع ومقاصده المستوحاة من أعمال الرسول ﷺ وأقواله . وكانت هناك حاجة ماسة إلى أحكامه، لأنّ العرب تفرّقـــــوا بين الأمصار التي فتحوها وفيها أمم وشعوب مختلفة. وقد قدّم الإمام أحمد الحديث على الرأي والقياس ولو كان ضعيفاً . كما أنه أكمل مشوار الشافعي من ناحية تعظيم دور السنة في البناء الفقهي ([5]) .

ـ العوامل التي ساعدت على بروز المذهب الحنبلي :

أ) دعم السلطات العباسية ، واحتضان المتوكل لعلماء المذهب ، وكان دعمه لهم سياسياً وإعلامياً ومادياً ، وبسبب ذلك عاشت فرقة المعتزلة لحظاتها الأخيرة بسبب الضغط والمطاردة لأتباعها ومريديها من قبل السلطة. يضاف إلى ذلك محاولة العباسيين إيجاد ثقل يقف في مواجهة الوجود الشيعي ، الأمر الذي دفع بالعباسيين إلى ترويج مصطلح أهل السنة في مقابل الشيعة ، وجدير بالذكر أن هذا الاسم الجديد لم يظهر إلى حيز الوجود إلا في العصر العباسي الأول.

ومما زاد من اللحمة بين العباسيين وأصحاب المذهب الحنبلي ، فتاوى الإمام أحمد بن حنبل ، والتي تنسجم مع توجهات الحكم القائم ، كقوله بأن العم يرث دون البنت أو ابن العم ، دعماً لدعوى العباسيين في أن العباس بن عبد المطلب هو الذي ورث النبي ﷺ .

ب) من أفكارهم ومعتقداهم وآرائهم الفقهية ، أنهم قالوا بالتجسيم وادعوا أن لله يداً ورجلاً ووجهاً دون تشبيه لأحد من خلقه سبحانه وتعالى ، واعتقدوا بأن القرآن غير مخلوق ،

---

[1] ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٣٥٦ .

[2] ـ سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، مجلد ١جزء١ص١٨٠ .

[3] ـ سيأتي الكلام مفصلا عن علم الكلام والمعتزلة ضمن هذا البحث إن شاء الله .الصفحة ١٨٤ .

[4] ـ نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ /١٧٧ .

[5] ـ المرجع نفسه ١٧٦/٧ .

وعدّوا مَن سبّ الصحابة كافراً ،لإيمانهم بعدالتهم جميعاً ، كما حدد المذهب شروطاً قاسية لمن أراد الاجتهاد ، وعدم تجويز الخروج على الحاكم وإن كان ظالماً جائراً. وجوزوا الوضوء بكل ما سمي ماء مطلقاً ، وقالوا بطهارة مني الآدمي ومني كل ما يؤكل لحمه .

ج) ومن العوامل التي ساعدت على نشر هذا المذهب : رحلات أحمد بن حنبل بين عدد من المدن الإسلامية ، ثم تولي ابنه صالح بن أحمد القضاء في أصبهان أيام المتوكل .

د) وفي العصر الحاضر ينتشر المذهب في بلدان عديدة من العالم الإسلامي وخاصة بلاد الحجاز والخليج العربي ([1]).

رابعاً : علم التاريخ في بغداد .

في بغداد يلحظ المرء تأثر المدرسة التاريخية ، بما ترجم عن الحضارة الفارسية ، وهذا العنصر - ترجمة الكتب التاريخية الفارسية - أدخل على المدرسة التاريخية العراقية – التي أضحت المدرسة التاريخية الأولى والرئيسة منذ أواسط القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي – عنصرا قصصيا أكثر مما هو أسطوري. ذلك أن المادة التاريخية المترجمة عن الفارسية لم تكن تواريخ أو مادة تسلسل زمني تاريخي، وإنما هي سير مطلقة من قيود الزمن ، حيث لم يكن للفرس تقويم زمني تاريخي ثابت ، فدخلت هذه المواد بشكل مادة تاريخية مشوشة إلى التدوين التاريخي العربي. ولئن سدت فراغا في تاريخ ماقبل الإسلام للشعوب الفارسية فإنها لم تستطع أن توحي للمؤرخين وأصحاب الأخبار بخطة أو منهج تاريخي جديد . فظلت نشأة علم التاريخ الإسلامي عربية خالصة لاسيما إذا عرفنا أن ما ترجم عن السريانية والإغريقية لم يكن يحوي أي مادة تاريخية سوى ماكان يتعلق بعرب الحيرة أو عرب الجنوب([2]) .

و نلاحظ أن انتقال الثقل السياسي والثقافي إلى بغداد والعراق قد امتص الطاقات الفكرية في المراكز الأخرى . وبينما تضاءلت مدرسة المدينة منذ أواخرالقرن الثاني حتى جفت في نهاية القرن الثالث ، نجد العكس أن الجو الثقافي التأريخي كله كان يتهيأ في العراق لا للسيطرة العراقية فقط ولكن لظهور أبرز المؤرخين الأوائل منها([3])

- ومن مؤرخي بغداد :

- قحذم بن سليمان بن ذكوان (عاش إلى ما بعد خلافة المنصور **١٥٨هـ / ٧٧٤م)**

كان كاتب الخراج زمن الأمويين ، فاهتم بجمع المعلومات المتعلقة بالإدارة ، مستفيداً من الوثائق الرسمية . كما كان له اهتمام بالفتوح الإسلامية في العراق والمشرق والشام ومصر، ويذكر ولاة العراق زمن الأمويين ومن كان على شرطهم ، وقد أكثر خليفة بن خياط من النقل عنه وكذلك الطبري([1]) .

- أبومعشر السندي (ت: ١٧٠ هـ /٧٨٦ م)

هو نجيح بن عبد الرحمن ، أصله من رقيق السند ، وبيع في المدينة وبها سمي (نجيح) ثم تحول إلى بغداد ، فكان في ولاء زوجة الخليفة المنصور ، واشترى نفسه بالمكاتبة ، وقويت علاقته مع الخليفة المهدي . بدأ حياته العلمية طالباً لعلم الحديث ، لكن شهرته بقيت محدودة وأحاديثه في السنن الأربع ، واشتهر بالتاريخ ، ويعتبر من أقدم المؤلفين في التاريخ الإسلامي - ووصف بأنه كان بصيراً بالمغازي ، واحتج الأئمة بتاريخه .

[1] - أبو زهرة ، محمد ، أحمد بن حنبل – حياته وعصره – ط: دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا تاريخ (نقولات من صفحات مختلفة) ونخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ / ١٧٦ وما بعدها ، ونخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٤٩١/١ وما بعدها .

[2] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ /٢٠٠ – ٢٠١ .

[3] - المرجع نفسه ج١/ ٢٠١ .

[1] - المرجع نفسه ج١ /١٧٦ .

وممارواه : سيرة الرسول ﷺ وتراجم الصحابة ، وذكرأنه صنف "تاريخ الخلفاء " على الحوليات ، تناول فيه تاريخ الخلفاء حتى سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م ، واعتمد في منهجيته على الإسناد ، وممن أخذ من مغازيه : الواقدي وابن سعد والطبري([1]) .

- أبو اليقظان النسابة (ت: ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م)

هوعامر بن حفص ، يلقب بسحيم ، كان عالماً بالأنساب والأخبار والمآثر والمثالب ، ويتميز بأنه كان أول من ألف في الأنساب نقلاً عن الروايات القبلية ، وله من الكتب "النسب الكبير " و" أخبار تميم " و"نسب خندف" وكتبه ضاعت ولم يبق إلا مانقله عنه المدائني والبلاذري وابن خياط ([2]).

- وهب بن وهب (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥م)

هوأبو البختري القرشي ،القاضي ، نشأ في المدينة وفيها كان طلبه للعلم ، ثم انتقل إلى بغداد زمن الخليفة الرشيد فولاه القضاء ، ولئن كان ممن ضُعفوا في الحديث إلا أنه يعتبر من الأخباريين النسابين المعروفين ، وقد نقل عنه مصنفون كبار كابن واضح وابن ثعلب والصاغاني . ومن مصنفاته – وهي ضائعة – "الروايات " و"صفة النبي" و" فضائل الأنصار" و" طسم وجديس" وغيرها ([3]) .

- علان الشعوبي (ت: أوائل القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي**)** كان من أتباع البرامكة ، يعمل ناسخاً في دار الحكمة زمن للرشيد ثم المأمون ، ودليل شعوبيته كثرة رواياته عن قبائل العرب وأحيائهم وكتابته عن مثالبهم ، وجمع مطاعن حول الكثير من القبائل ومنها قريش([4]) وله مصنفات أخرى ذكرها ابن النديم منها كتاب " الميدان " ([5])

- يوسف بن إبراهيم الكاتب (ت:٢٠٠ / ٨١٥ م)

صنف العديد من الكتب التاريخية ، منها " أخبار المتطببين من الملوك في المآكل والمشارب والملابس"([6]).

- الواقدي (ت : ٢٠٧ هـ /٨٢٢ م)

هو محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله ، نشأ في المدينة المنورة ، ودرس بها على مشاهير العلماء ؛ كالإمام مالك بن أنس وغيره . قضى معظم حياته في المدينة ، وبها اشتهرت منزلته العلمية ، فلما حج الخليفة الرشيد سنة ١٧٠هـ /٧٨٦م اصطحبه معه ليدُلَّه على المواضع والمشاهد ، وقد أكرمه الرشيد إثر ذلك وأمر له بِصِلَة ، وبعد هذا الحدث بنحو عقد من الزمان قصد الواقدي العراق بعد أن ألمَّ به الدهر ، وذلك سنة ١٨٠ هـ /٧٩٦م ولقي هارون الرشيد هناك فأجازه ، ثم عاد إلى المدينة ، ولم يمكث بها طويلاً ؛ إذ شخص إلى العراق ثانية ، واصطحب معه عائلته هذه المرة فأقام فيها ، وولي القضاء ببغداد بعسكر المهدي . ولما آلت الخلافة إلى المأمون ، أقره على القضاء وقد توفي وهو على القضاء ببغداد ، وقد أمضى فيها الـ ٣٠ سنة الأخيرة من حياته ([1])

بلغ الواقدي منزلة علمية رفيعة في المدينة ، ووجَّه اهتمامه منذ نشأته الأولى إلى دراسة المغازي ، حتى إذا بلغ بها شأنًا أخذ يُدَرِّسُها في مسجد رسول الله ﷺ ، فقد رؤي جالسًا إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يُدَرِّس ، فقيل له : أي شيء تدرِّس ؟ فقال :

---

[1] - ابن سعد ، الطبقات ٤١٨/٥ والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٥٧/١٣ ومصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٢ .
[2] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ص١٩٣ .
[3] - المرجع نفسه ج١ص١٨١
[4] - المرجع نفسه ج١ ص١٩٥ .
[5] - ابن النديم ، الفهرست ص ١٠٥ .
[6] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٢٠٥
[1] - ابن سعد الطبقات ٣٣٤/٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٣/٣ والذهبي ، السير ٤٥٤/٩ .

حزبي من المغازي .ولم يكتف بدراسة المغازي نظريًا ، بل دَرَسَها عمليًّا وميدانيًا ؛ وذلك بزيارة مواقع المعارك ، وأضرحة الشهداء والآثار ، يقول الواقدي عن ذلك : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا وسألته : هل سمعت أحدًا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع ، فأعاينه ..

- وهذه تعد طريقة جديدة في الدراسة التاريخية ، حيث إنه أول من قام بذلك ممن كتبوا في المغازي - وبذلك يكون قد أدخل إلى المغازي الكثير من المعلومات الجغرافية ، فكان ذلك إسهامًا منه في وضع اللبنات والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده ، مثل : ابن سعد (ت٢٣٠ هـ / ٨٤٥م) ، والبلاذري (ت٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م) ومن تلاهما في التأليف لكتب الفتوح والبلدان ([1]) .

كذلك يُعدُّ الواقدي من روَّاد علم الطبقات فقد صنف " طبقات المحدثين " في الكوفة والبصرة ، وتظهر أهمية هذا الكتاب بما يكشف من علاقة الحديث بالتاريخ ونشوئه ، فهو أقدم كتاب منظم على الطبقات ، وعلى مثاله ألف ابن سعد تلميذ الواقدي طبقاته المعروفة .

وهذا الصنف من التأليف ابتُكر لخدمة علم الحديث ، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه من الرواة ومن لايصح ، كما يساعد على التمييز بينهم من خلال طبقاتهم([2]) .

أما منهج الواقدي في التأليف التاريخي فيتجلى في كتابه " المغازي" ([3]) وهو من أتمِّ كتبه التاريخية الموجودة الآن بين أيدينا ، ومنهجه فيه كالآتي :

- مراعاة ترتيب تفاصيل الحادثة التاريخية ، فيذكر أولاً عنوان الغزوة ، ثم يأتي على ذكر أميرها ، وتاريخها المحدد .

- ذكر السبب الموجب لها ، والتعبئة ، والخروج ، وطبيعة المسير ، والطريق ، وميدان القتال ، وسيره وطريقته والنتيجة ، ورجوع الطرفين كلٍّ إلى بلده .

- ذِكْر السند في كل غزوة ، أي جماعة الرواة الذين حدثوه عن تفاصيل الغزوة ، ومن الجدير بالذكر : أن الواقدي ذكر أسماء الذين أخذ عنهم أخبار جميع الغزوات في مطلع كتاب" المغازي " ، وعددهم (٢٥) راوية كما أنه استخدم أسلوب الإسناد الجمعي عند الحديث عن كثير من السرايا والغزوات ، خاصة المشهور منها .

- ذكر بعض التفاصيل الجغرافية عن موقع الغزوة ، فإن ما أورده من التفاصيل الجغرافية ؛ ليوحي بجهده ومعرفته في الأخبار التي جمعها.

- يذكر في الغزوات المهمة أسماء الذين شاركوا في الغزوة ، وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها ، وذلك بإيراده قوائم بهذه الأسماء- يضمِّن بعض الغزوات آيات من القرآن الكريم رافقت نزول الغزوة ، على سبيل المثال : غزوة أحد ، غزوة الحديبية ، غزوة تبوك

- يستخدم بعض القطع الشعرية في بعض الأحيان.

- يعكس الواقدي في طريقة توثيقه للأخبار وجهة نظر مدرسة المدينة ، فكثيرًا ما يورد عبارات : (والثابت عندنا) و(المجمع عليه عندنا) أو(القول الأول أثبت عندنا) أو (الأمر المعروف عندنا ، الذي اجتمع عليه أهل بلدنا ...) وهذا في الواقع يبرز رأيه الصريح في تقويم الأخبار ، واختيار الأفضل منها.

---

[1] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٣والكبيسي ، محمد مصطفى ، منهج الواقدي في كتابه المغازي – رسالة دكتوراه – جامعة ببغداد ١٩٨٥ م ، ص٧٨ ومابعدها .

[2] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٤ .

[3] - للمغازي نسخ خطية كثيرة ، وأول طبعة كانت له بعناية فون كريمر ، كلكتا ١٨٥٦ م . مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٦٥/١.

ويمكن القول بجدارة ، إن من الخصائص المميزة لمغازي الواقدي هي : النظام المتكامل للتواريخ ؛ إذ إن كثيرًا منها غير مؤرَّخ – ذكرالحدث دون ذكر لتاريخ وقوعه - لدى غيره من المؤرخين وكتاب السيرة([1]).

ومن مصنفاته الأخرى " أخبار مكة " و" وفاة النبي " و" مولد الحسن والحسين " و" مقتل الحسين" و" يوم الجمل" و" القبائل ومراتبها " و" التاريخ الكبير " وتناول فيه الخلفاء حتى سنة ١٧٩ هـ /٧٩٥ م و" الفتوح " تناول فيه فتوح العراق وبلاد الشام و" مراعي قريش والأنصار" و" وضع عمر للدواوين" ([2])

ولئن كان أهل الحديث لايقبلون كل القبول بالواقدي فالمؤرخون يوثقونه ، أما المستشرقون فيرون فيه بسبب تدقيقه الزمني والجغرافي واعتماده الوثائق المؤرخ الأول ([3])

- الهيثم بن عدي (ت: ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م)

سبقت ترجمته مع مؤرخي الكوفة ، وإن عاش سنين حياته الأخيرة في بغداد ، وكان محسوداً من قبل أقرانه مهجواً من قبل الشعراء ، ولكنه كان من المؤرخين الذين تركوا بصمات واضحة في طرق التأريخ ، وتدوين التاريخ الإسلامي والأمم الأخرى .

- مصعب بن عبد الله الزبيري (ت:٢٣٣هـ / ٨٤٧ م)

هومدني قدم بغداد واستوطنها ، مؤرخ نسابة فصيح ، كتب كتابين هما " النسب الكبير" وقد ضاع ، و" نسب قريش " وهو موجود ، وفيه يلقي ضوءاً خاصاً على التحولات في الروابط القبلية ، وعلى التبديلات في خطوط الأنساب ، ويعطي فيه أخباراً بعضها مهم مفصل عن شخصيات هامة من جاهلية وإسلام ([4]) .

- ابن أبي شيبة (ت : ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م)

هوعبد الله ابن إبراهيم العبسي ، كوفي سكن بغداد ، وعمل فيها مؤدباً للصبيان ، محدث ومؤرخ ، من آثاره : "التاريخ" و" الفتن " و" صفين " و" الجمل" و" الفتوح " و" أوائل الإسلام " ([5]) .

- الزيادي (ت:٢٤٣هـ / ٨٥٧ م)

الحسن بن عثمان بن حماد ، أبو حسان ، من المؤرخين والمحدثين الثقات ، ولي القضاء للمتوكل في الجانب الشرقي من بغداد . وصف بأنه كان رئيساً محتشماً جواداً ممدحاً كبير الشأن . لقب بمؤرخ العصر، قال عن نفسه : أنا أعمل في التاريخ من ستين سنة ([6]).

كانت له خزانة حسنة كبيرة ، له من الكتب " الآباء والأمهات " وطبقات الشعراء" وكتاب " التاريخ " عمله على السنين ([1]) .

خامساً – علوم اللغة والأدب في بغداد :

أ) علم النحو واللغة :

لم يأخذ أصحاب المدرسة النحوية البغدادية نهجهم الخاص بهم في دراساتهم ومصنفاتهم ، إلا في بدايات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وقبل هذه الفترة وفد إلى بغداد علماء لغويون ونحويون ، ينتمون إلى المدرستين البصرية و الكوفية ، ونشروا علمهم بها ، وإنما بدأت المدرسة البغدادية بالتبلور منطلقة من أراء ابن كيسان ، محمد بن أحمد (ت:

---

[1] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٣والكبيسي ، منهج الواقدي في كتابه المغازي ، ص ١١٧ ومابعدها .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ص٩٨-٩٩ و مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٣-١٦٤ .
[3] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٦٦.
[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣/ ١١٢والذهبي ، السير ٣٠/١١ و مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص١٩٥ .
[5] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص ٢٠٨ .
[6] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٥٧/٧ والذهبي ، السير ١١/ ٤٩٦ و مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٢٠٨ .
[1] - ابن النديم ، الفهرست ص ١١٠.

٢٩٩هـ / ٩١٣ م) الذي قام نهجه على انتخاب طائفة من الآراء البصرية وأخرى من الآراء الكوفية ، ثم اشتق لنفسه آراء جديدة مبتكرة ([1]) ومن لغويي بغداد :

- القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤هـ / ٨٣٨ م)

هو أبو عبيد ، صاحب الفنون ، من القراء واللغويين ، قرأ على الكسائي ، وسمع الحروف من عدد من العلماء ، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة ، ويعد من علماء بغداد على مذهب الكوفيين ،وصف بأنه كان ثقة ديناً ورعاً كبير الشأن ، كما أنه أعلم أهل زمانه بأيام الناس والنحو واللغة والفقه([2]) .

له مصنفات في عدة فنون منها : " الغريب" أي غريب الحديث ، و" الغريب المصنف في علم اللسان " و " الناسخ والمنسوخ " وله كتاب " الأموال " وهو كنز من المعارف في النظام المالي الإسلامي ([3]) .

ب) الشعر في بغداد :

في بغداد تلون الشعر بألوان جديدة ، فقد نزع الشعراء عامة إلى التزود بجميع ألوان المعرفة ، وكانوا يجدون في ذلك لذة عقلية لاتعادلها لذة ، وقد مضوا يتمثلون كثيراً من هذه الألوان ويحيلونها شعراً بديعاً ، سواء منها الهندي والفارسي واليوناني ، وقد تأثروا بهذا كله بسبب نشاط الترجمة في بغداد ، والمحاورات والمناظرات بين أصحاب الملل والنحل والأهواء ، تلك التي دفعت الشعراء إلى التفكير المتصل ، حيث يناظر المتناظر متناولاً كل شيء ، حتى يصقل عقله ، ويبلغ أقصى مايريد من العلم والمعرفة ، ومالم يعرفه ولم يعلمه سأل عنه العلماء ، ليصوروه له ، وليزيلوا الشبهة فيه عن نفسه ، وفي ذلك يقول بشار بن برد :

شفاء العمى طول السؤال وإنما ... دوام العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلاً عما عناك فإنما ... دُعيت أخا عقل لتبحث بالعقل([4])

ولم يكن الشاعر يتلمس المعرفة عند العلماء ولقائهم فحسب ، بل كان يلتمسها أيضا في الكتب المترجمة من كل صنف ، وكان تأثير الثقافة الفارسية في الشعر والشعراء أشد وأقوى من تأثير الثقافة الهندية ، إذ كان كثير من الشعراء يتقنون اللغة الفهلوية ، وقد رؤي العتّابي ([5]) يعكف على قراءة كتبهم ، ثم ينسخ بعض صحفها ، فسأله أحدهم متعجباً : لم تكتب كتب العجم ؟ فأجابه منكراً سؤاله : وهل المعاني والبلاغة إلا في كتب العجم ؟ اللغة لنا والمعاني لهم . وقد مضى الشعراء منذ ظهور كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع يتأثرون بما نقله فيهما من تجارب الفرس وحكمهم في الصداقة والمشورة وآداب السلوك والسياسة ، كما نقلت أمثال بزرجمهرالوزير الفارسي إلى العربية ، ودارت في كتب الأدب ، وتمثل الشعراء كثيراً من معانيها البديعة ، وكان للثقافة اليونانية تأثيرها أيضاً في الشعر والشعراء – وكان أبعد واعمق غوراً – بما فتحت أمامهم من أبواب الفكر الفلسفي ، وأبواب المنطق ومقاييسه وأدلته ، ومابعثت فيهم من محاولة استكشاف دفائن المعاني واستخراج دقائقها . وقد مضى كثيرمن الشعراء يزيدون محصولهم

[1] - ضيف ، د. شوقي ، المدارس النحوية ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ ص٢٤٥ و٢٥١ .
[2] - ابن سعد ، الطبقات ٣٥٥/٧ والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ والذهبي ٤٩٠/١٠
[3] - مصطفى ،د.شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٩٨/١ .
[4] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٤٨ .
[5] - العتّابي ، كلثوم بن عمرو التغلبي ، أبو عمرو ، من بني عتاب بن سعد (ت: ٢٢٠هـ/٨٣٥م) كاتب حسن الترسل ، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر ، هو من أهل الشام ، وفد إلى بغداد ومدح الرشيد ، ورمي بالزندقة ، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن ، فسعى الفضل بن يحيى بأخذ الأمان له من الرشيد ، فأمنه وعاد إلى بغداد واختص بالبرامكة ، ثم صحب طاهر بن الحسين ، وصنف كتبا منها "فنون الحكم والآداب " و"الخيل والأجواد" و" الألفاظ " الزر كلي ، خير الدين ، الأعلام ١١٠/٥ .

من تلك الثقافة ، بل كان منهم من ألف في المنطق ، حتى يشحذ ذهنه وذهن الشعراء من حوله ، وكان مما ترجم لهم من تلك الثقافة : مراثي فلاسفة اليونان للإسكندر المقدوني عند وفاته ، وقد نقل منها أبو العتاهية أطرافاً إلى مراثيه في صديقه علي بن ثابت ([1]).

ومن شعراء بغداد المشهورين :

- أبو دلامة (ت: ١٦١هـ / ٧٧٧م)

هو زند بن الجون ، كان أسود من موالي الكوفة وأقام في بغداد ، شاعر نديم ماجن ،صاحب نوادر ، ويعتبرمن شعراء الدولة العباسية ، فقد حظي عند المنصور لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه ، ومما مدحه فيه حين قتل أبا مسلم الخراساني قوله :

أبا مجـــرم ماغيّر الله نعمــــةً　　　علــــى عبده حتى يغيرها العبدُ
أفي دولة المهديّ حاولت غدرةً　　　ألا إن أهــل الغدر آباؤك الكُردُ

وهنا يسمي المنصور بالمهدي ، مستعيراً ذلك من الشيعة – إذ كانوا يرددون في آثارهم عن صفاته ، وأنه المنقذ الذي يخلص الناس من بلاياهم ، ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً . و ذكرأنه دخل على المهدي – إذ قدم من الري – يهنئه ، فقال :

إني حلفت لئن رأيتك ســالمـاً　　　بقرى العراق وأنت ذو وفـر
لتصلين علــــى النبي محمدٍ　　　ولتمــلأن دراهمــاً حجـري

وعرف كيف يحيل بعض نوادره شعراً ، إذ كان الشعر يتدفق على لسانه تدفقاً ، فيروى أنه بشّر ببنت له ، فقال توّاً مداعباً ومتفكهاً :

فما ولدتك مريــــم أم عيسى　　　ولــــــم يكفلك لقمان الحكيم
ولــــــكن قد تضمك أم سوءٍ　　　إلــــــى لبــّاتها وأب لئيم

وله أشعار بالوصف والشراب والرياض ..مما حوته كتب الشعر والأدب ([2]) .

- مروان بن أبي حفصة (ت : ١٨٢ هـ /٧٩٨ م)

هومروان بن سليمان بن يحيى ، أبو السمط ، رأس الشعراء ، أصل جده من يهود خراسان ، أما هو فكان من أهل اليمامة ، وانقطع بداية أمره إلى معن بن زائدة الشيباني ، وامتدحه بلامية مشهورة يقول فيها :

بنــــــــو مطر يوم اللقاء كأنهم　　　أســــــود لها في بطن خفّان أشبل
هم يمنعون الجار حتـــــى كأنما　　　لجـــــــارهم بين السماكين منزل
بها ليـــــــل في الإسلام سادوا　　　ولـم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا　　　أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا([3])

ولما ولي المهدي الخلافة ، قدم بغداد، ووفد إليه وبهره بمديحه ، ولم يكن مديحاً بالكرم والشجاعة والخلال الكريمة التي يقدرها العرب دائماً ، إنما كان مديحاً سياسياً بمعنى أنه دافع عن حقوق العباسيين في الخلافة والرد على العلويين وما يدعونه من هذه الحقوق ، فيقول :

هل تطمسون من السماء نجومها　　　بأكفكـــــم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالـــــة عن ربكم　　　جبريـــــل بلّغها النبيَّ فقالها
شهدتْ من " الأنفال" آخرُ آيـــةٍ　　　بتـــــــراثهم فأردتم إبطالها

---

[1] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٥٠ .
[2] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٧٧٦/٢ والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٨٨/٨ وضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٢٩٥ .
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٣ / ١٤٦.

وبلغ من إعجاب المهدي بالقصيدة أن سأل كم عدد أبياتها ؟ فقال مروان : مائة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكانت أول مائة ألف أخذها شاعر في أيام بني العباس ، ثم إنه وفد على الهادي ثم الرشيد واستمر في مديحهم وهم يجزلون له العطاء ، وله مع البرامكة مواقف مذكورة في المديح أيضاً يبتغي بذلك صلاتهم .

وليس لابن أبي حفصة شعر يذكر وراء المدح والرثاء ، كما اشتهر ببخله وشدة حرصه ، ولم يكن مكثه في بغداد طويلاً إنما كان يعود إلى اليمامة ، فلذلك لم يتضح تأثره بالثقافات الأجنبية التي ترجمت ، وكان لها أثرها على الأدب والشعر العربي ، ولكنه وصف بأنه يحكم صنعته إحكاماً بعيداً ، وعرف عنه التروي في حياكة القصيدة ، فكان ينظمها في أربعة أشهر ، وينقحها ويصقلها في أربعة أشهر ، ويعرضها على الرواة والنقاد أربعة أشهر أخرى ، وحين يثق من جودتها ينشدها ممدوحيه ([1]) .

- سلم الخاسر (ت: ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م)

هوسلم بن عمرو بن حماد ، من فحول الشعراء ، لقب بالخاسر لأنه باع مصحفاً ورثه من أبيه واشترى بثمنه ديواناً ، وهو راوية بشار بن برد ، يقول عن نفسه : هل أنا إلا جزء من محاسن بشار، وهل أنطق إلا بفضل منطقه ... إني لأروي له تسعة آلاف بيت مايعرف أحد غيري منها شيئا .

ويقال أيضاً أنه من أعرف الشعراء بأشعار الجاهلية . فتحت له أبواب الخلافة منذ عصر المهدي الذي كان يغدق عليه الأعطيات . وقد بلغ المهدي مرة أنه –أي سلم الخاسر- مدح بعض العلويين فتوعده وهمّ به ، ولكنه استطاع أن يسل منه سخيمته بقصيدة بالغ فيها في تصوير اعتذاره بمثل قوله :

وأنت كالدهر مبثوثاً حبائله   والدهر لاملجأ منه ولاهرب

ولايُشك أنه كان مخلصاً للعباسيين ، وقد بالغ في مديحهم مثل قوله مادحاً الخليفة الهادي :

وجدناك في كتــب الأوليـ   ـن محيي النفوس وقتالها
لقــد جعل الله في راحتيك   حياة النفـــوس وآجالها

كما مدح الرشيد بقصائد كثيرة ، وجذبه البرامكة إليهم ، فمدحهم وأشاد بهم ، وفي كل ذلك كان يحصل على عطايا لاتحصى ، مما أثار الحساد من حوله ، ومنهم صديقه أبو العتاهية الذي وصفه بالحرص والشح حيث يقول فيه :

تعالى الله ياســلم بن عمرو   أذلّ الحرصُ أعناق الرجال

أما سلم فقد اتهمه بالكذب والنفاق في زهده وتقشفه ، فيقول فيه :

ما أقبح التزهيــد من واعظ   يزهــد الناس ولا يزهد
لـــو كان في تزهيده صادقاً   أضحى وأمسى بيته المسجد

وتروي أخباره على أنه كان على عكس ما وصفه أبو العتاهية ، كريماً سمحاً ، ينفق أمواله على أخوانه وغيرهم من أهل الأدب ، وكما أنه كان يتأنق في ملبسه ومظهره ويحيا حياة مترفة ناعمة ، ووصفت أشعاره بالرشاقة والعذوبة والنعومة ، وفيه بعض الحكمة كمثل قوله :

لاتسأل المرء عن خلائقه   في وجهه شاهد عن الخبر([1])

---

[1] - ابن قتيبة ، الشعر الشعراء ٣٩٥/١ والخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٥/١٣ وضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٢٩٨ .

[1] - تاريخ بغداد ١٣٦/٩ وضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٣٠١ .

- علية بنت المهدي (ت: ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)

هي أخت الرشيد - وأمها أم ولد اسمها مكنونة - أديبة شاعرة عارفة بالغناء والموسيقى ، وكانت من ملاح أهل زمانها ، وأظرف بنات الخلفاء . وكانت نادراً ما تغني وتقضي غالب وقتها بالتلاوة والعلم ، إلا أن يدعوها الخليفة ، ولا تقدر تخالفه . وكانت تقول :ما كذبت قط ، ولاغُفر لي في فاحشة ارتكبتها قط ، وما أقول في شعري إلا عبثاً ([1]).

- أبو الينبغي (ت: ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م)

هو شاعرمحسن ، ذو مزاح وهجو ومدح للخلفاء والقواد ، كان يقول : خدمت المنصور ولي ثلاث عشرة سنة ، وعاش إلى دولة المعتصم وهو القائل في عرس بوران زوج المأمون :

بـــارك الـله للحســـــن ولبـــوران في الختـــن
يـــــــــا إمام الهدى ظفر ت ولـــــكن ببنت من

فلوح بالمدح وبالهجاء ([2]).

- أبو تمام (ت : ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م)

هوحبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي شاعر العصر ، أصله من قرية جاسم بحوران كان نصرانياً فاسلم ، مدح الخلفاء والكبراء وشعره في الذروة .

وصف بأنه كان أسمر طوالاً فصيحاً ، عذب العبارة مع تمتمة قليلة . كما كان طيب الأخلاق والظرف والسماحة . ولد في أيام الرشيد ، وكان أولاً بدمشق يعمل عند حائك ،ثم سار إلى مصر فصار يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم ، وكان يتوقد ذكاء ، وسحت قريحته بالنظم البديع فسمع به المعتصم فطلبه وقدمه على الشعراء وله فيه قصائد ، ومن شعره في المعتصم :

فحواك عين علـــــى نجواك يامَذلُ حتَّـــــــــام لا يتقضّى قولك الخطل
فإنَّ أسمح مـــــــن يشكو إليه هوىً مـــــن كان أحسن شيء عنده العذل
ما أقبلت اوجـــــــــه اللذات سافر مــــــــذ أدبرت باللوى أيامنا الأول
إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فانـــــظر على أي حال أصبح الطلل
كأنما جاد مغناه فغيـــــــــــــــــرَّه دموعنا يـــــوم بانوا فهـــــي تنهمل
تغاير الشعر فيـــــــه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيـــــــــــه ستقتتل

وقد كان البحتري ([3])يرفع من أبي تمام ويقدمه على نفسه ويقول ما أكلت الخبز إلا به وإني تابع له . وهو القائل :

ولو كانت الأرزاقُ تُجرى علـــى الحجا هلكن اذاً مـــــــن جهلهن البهائمُ
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصــــــــــدٍ ولا المجدُ في كفِّ امرئٍ والدراهمُ ([1])

وأكثر قصائده شهرة تلك التي مجد فيها انتصار المعتصم في عمورية ، ومطلعها :

السيف أصدق أنباءً مـــــن الكتب في حــــده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جــــــلاء الشك والرِّيب
والعلم في شهب الرماح لامعـــــــة بين الخميسين لافي السبعة الشهب

---

[1] - الذهبي ، السير ١٨٧/١٠ ، والصولي ، محمد بن يحيى ، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ، غني بنشره ج . هيورث.دن.ط: دار المسيرة ،بيروت١٩٧٩ م ص٥٥ .

[2] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٩ والذهبي ، السير ١٠/ ٦١٥ .

[3] - الوليد بن عبيد الطائي (ت : ٢٨٤ هـ/ ٨٩٨م) أشهر شعراء عصره نشأ في منبج وباديتها التقى بأبي تمام في حمص ، رحل إلى العراق ليتكسب بشعره ، الجابي ، بسام عبد الوهاب ، معجم الأعلام (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء..) ، ط: الجفان والجابي ، دمشق ١٩٨٧ م .

[1] - المرزباني ، طبقات الشعراء ص٢٨٣ والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٤٨/٨ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ / ٣١٢ ، وفيه وفاته سنة ٢٢٨ هـ وضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ص ٢٦٨ .

أين الرِّواية ؟ بل أيــن النجوم ؟ وما   صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ([1])

ووصف أبو تمام بأنه شاعر المعاني يقتنصها من مكانها ، ويرسلها بعيدة الغور ، جليلة القدر، كما يرسلها حكماً تهدي الإنسان وتهذب العقل ، كما كان رجل الصناعة اللفظية التي تكثر من البديع ، وهو في كل حال رجل الشعر العالي ، والأدب الرفيع والثقافة والعقل والمعرفة .وفنون أبي تمام البارعة : الرثاء ثم المديح ، وله وصف وهجاء وعتاب ، لكنها لا تداني شعره في الرثاء ولا في المديح، وله حكمة مبثوثة في ثنايا قصائده ([2]).

ولأبي تمام مؤلفات عدة منها : " ديوان شعر" له طبعات كثيرة ، و" فحول الشعراء " و" ديوان الحماسة" و" مختار أشعار القبائل" و" نقائض جرير والأخطل" و " الوحشيات".([3])

سادساً – علم التصوف

قبل البدء بالكلام عن التصوف وأهله ، أذكر السبب الذي دفعني إلى تخصيص الكلام عن هذا العلم في بغداد دون غيرها ، وهو: إن من بين هؤلاء المتصوفة برز عدد من الوعاظ سكنوا بغداد وأقاموا فيها ، ومنهم من قدم إليها لوجود الخلفاء فيها ، فكانوا يقتحمون قصر الخلافة لوعظ الخلفاء دون خوف أو وجل ، ولاشك أن الخلفاء أنفسهم كانوا يفسحون لهم المجال لذلك ، على نحو ماكان من عمرو بن عبيد ([4]) في وعظه للمنصور ، وصالح بن عبد الجليل([5]) في وعظه للمهدي ، وابن السماك([6]) في وعظه للرشيد ([7])

وفي هذا العصر ظهر عدد من النساك ، يحيون حياة زهد خالصة كلها تبتل وعبادة وتقشف وانقباض عن الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، وانصراف عن كل نعيم فيها ،انتظارا لما عند الله عز وجل من النعيم السرمدي الذي لايزول ، كما أخذت تقام الربط ، التي يقيم فيها النساكون ،وأول رباط ذكر ذاك الذي أنشأه عبد الواحد بن زيد (ت: ١٧٧هـ /٧٩٣ م) في عبّادان بالقرب من الكوفة ، ثم إنه يذكر في أخبار الفضل بن يحيى البرمكي أنه شخص إلى خراسان فبنى فيها المساجد والرباطات ([8])

التعريف بعلم التصوف :

التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية ([9]).

وعن كيفية نشأة التصوف ، يقول ابن خلدون([10]) : وهذا العلم ـ يعني علم التصوف ـ من العلوم الشرعية الحادثة في الملة .

وأصله: أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهدُ في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفرادُ عن الخلق والخلوةُ للعبادة. وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف فلما فشا

---

[1] ـ أبو تمام ، ديوانه ص١٧ وعدد أبيات القصيدة ٧١ بيتاً .

[2] ـ يعقوب ، د. إميل بديع ، موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم ٦ / ٣١٢ .

[3] ـ ابن النديم ، الفهرست ٢٣٤ و يعقوب ، د. إميل بديع ، موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم ٦ / ٣٠٩ .

[4] ـ ستأتي ترجمته مع المتكلمين والمعتزلة ، الصفحة ١٨٧ .

[5] ـ صالح بن عبد الجليل ، (ت: ؟) من قدماء مشايخ بغداد ، كان من أقران بشر الحافي .ابن الملقن ، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت :٨٠٤هـ/١٤٠١م) طبقات الأولياء ، ط: مصر ١٩٧٣ م ، ٤١/١ .

[6] ـ ابن السماك ، واعظ – لم اعثر له على ترجمة وافية – ذكره الذهبي في السير أنه وعظ الرشيد حتى أبكاه ٢٨٧/٩ .

[7] ـ الذهبي ، السير ٢٨٧/٩ ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص٨٤ .

[8] ـ ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ٨٥ .

[9] ـ خفاجي ، د. محمد عبد المنعم ، التصوف في الإسلام وأعلامه ،ط: دار الوفا ، الاسكندرية ٢٠٠١م وما أنقله مختصرا .

[10] ـ المقدمة ، علم التصوف ص ٣٢٩ .

الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم التصوف .

وقد أخذ هذا العلم من المسلمين اهتماماً ملحوظاً وجهداً كبيراً، وهو عند أهله - وعامتهم والقائمين به من أرفع العلوم وأدقها - ومن أخص المعارف وأشرفها.

وأهل هذا العلم يدافعون عنه ، ويقولون أن نشأته ترجع إلى عهد النبوة ، ففي الرسالة القشيرية(١) : راداً على الذين أنكروا كون هذا العلم من الدين لعدم وجود اسمه فيه : اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم، سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا أفضلية فوقها. فقيل لهم : الصحابة. ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين . ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً ، فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى،الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة ...أ هـ

ويقول ابن خلدون أيضاً (٢): صار علم الشريعة على صنفين:

صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا ، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات ، وصنف مخصوص بالقوم ـ أي الصوفية ـ في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي فيها من ذوق إلى ذوق .

ولقد كتب علماء الإسلام كتباً كثيرة جداً في هذا العلم ، بل إن مبادئ التصوف وكتبه وأوائل ماسطر فيه يبدأ من منتصف القرن الهجري الثاني .

وفي "تاريخ التراث العربي "(٣) :وصل إلينا من العصر العباسي الأول نصوص كثيرة تتناول أقوال الزهاد وأفعالهم ، وقد اهتم المحدثون بجمع معلومات حول الزهد وأهله .وأقدم كتاب مبوب وفق الموضوعات وصل إلينا هو كتاب " الجامع" لمعمر بن راشد(ت: ١٥٣هـ /٧٧٠ م) يضم فصولا في الزهد هي : زهد الأنبياء وزهد أصحاب النبي ووصية عمر وغيرها .

وفي الفترة نفسها ألف المحدثون كتباً في الزهد ، وأقدم هذه الكتب " كتاب الزهد " لثابت بن دينار الكوفي (ت: ١٥٠ هـ /٧٦٧ م) وهو محدث شيعي ومفسر وفقيه ، ثم من بعده يأتي "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك(ت: ١٨١هـ /٧٩٧ م) و كانت له عناية بعلم التصوف وصنف فيه :

- المعافى بن عمران (ت : ١٨٥هـ /٨٠١م)

هوأبو مسعود الأزدي الموصلي ، قدم بغداد ولكنه كره السكنى فيها ، وصفه العلماء بأنه كان من العلماء والعباد ، ثقة خيراً، صاحب سنة ،ومن مصنفاته ، "كتاب الزهد " مخطوط وغيره(١) .

---

١ - هو عبد الكريم بن هوازن القشيري ، أبو القاسم ، من كبار الصوفية والمصنفين في علم التصوف (ت: ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) و" الرسالة القشيرية " أهم مصنفاته ، وهي رسالة أراد فيها تبيان حقيقة الصوفية ، وأن عقيدتهم هي عقيدة توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة الخلق وكل ما فيه تنقيص في حقه تعالى. ط: مصورة عن طبعة بولاق ١٢٨٤هـ ، ص١٥ .

٢ - ابن خلدون ، المقدمة ص٣٣١

[٣] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي الجزء ٤المجلد ١ ص١٠٥ .

[١] - الذهبي ، السير ٨٠/٩ وابن النديم ، الفهرست ص١٨٤ وسزكين ، تاريخ التراث العربي الجزء٤المجلد١ ص١٠٥ .

- الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧ هـ /٨٠٢م)

تقدمت ترجمته مع علماء مكة المكرمة ، ونذكر أنه عاش حياة زهد قاسية ، وكان عالي المكانة لدى هارون الرشيد ، ومن مصنفاته : " حجاب الأقطار " بالإضافة إلى أن مصنفي الصوفية نقلوا الكثير من أقواله وآرائه في الزهد والتصوف([١]) .

- بهلول المجنون (ت : ١٩٠هـ / ٨٠٦م)

هوأبو وهيب الصيرفي ، نشأ في الكوفة ، ثم دعاه الرشيد إلى بغداد فأقام بها ، كان شاعراً زاهداً وقصاصاً ، وكان يتشيع ، تنسب إليه قصيدة تسمى " البهلولية " وقد صنف بعض علماء الصوفية لها شروحاً في مابعد([٢]) .

- معروف بن فيروز الكرخي (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

هوأبو محفوظ ، كان ناسكا ومتصوفا ، كان يسكن كرخ بغداد ، ويقال إن أبويه كانا صابئين من تصانيفه : " أحاديث " في الزهد وله أقوال كثيرة في الزهد والتصوف جمعها علماء الصوفية ممن جاء بعده ([٣]).

- الأنطاكي (ت: ٢٢٠ هـ / ٨٣٥م)

أحمد بن عاصم ، أبو علي ، كان قد مهد للمحاسبي ([٤]) وضعه لأسس منهج مراقبة الذات([٥]).

- بشر الحافي (ت: ٢٢٧ هـ / ٨٤١م)

هو بشر بن الحارث ، أبو نصر المروزي ، أصله من مرو، وعاش في بغداد ، كان في بداية طلبه للعلم مهتماً بالحديث حتى صنف في ذلك كتباً ، ولكنـــــــه رغب عن ذلك بالزهد والتصوف والاشتغال بالعبادة ، ودفن كتب الحديث التي عنده ، وكان لايلبس نعلاً بل يمشي حافياً ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه ، من آثاره كتاب " الزهد " وله أقوال كثيرة جمعها أئمة التصوف ([٦])

ويمكن القول أن هؤلاء العلماء من الزهاد والمتصوفة الذين ترجمت لهم ، قد رسخوا علم التصوف ووضعوا أسسه ، إما بما جمعوه أو صنفوه – وهو قليل - من علم أو مافعلوه من نسك أو ماصبغوا به حياتهم من التقشف والورع ، فحسب ما أراه أنه لايستغني عنهم كل من جاء بعدهم من أهل التصوف .

سابعاً - الترجمة والعلوم الكونية في بغداد :

أ) الترجمة : يعتبر العصر العباسي الأول عصر الترجمة الذهبي بلا منازع ([١]) ، و بدايتها كانت زمن الأمويين ، حيث انصبت على نقل الكتب العلمية إلى اللغة العربية ، كالكيمياء والطب والنجوم ، بينما ظلت بعيدة عن الإنسانيات والإلهيات اليونانية حتى العصر العباسي ، ومن الشواهد على ذلك اشتغال خالد بن يزيد بن معاوية (ت : ٨٥ هـ / ٧٠٤ م) بعلم الصنعة (الكيمياء) وقد قيل إنه درس الكيمياء على راهب اسكندراني اسمه مريانوس الرومي استقدمه من الإسكندرية لهذا الغرض ، ومن ذلك أن ماسرجويه الطبيب اليهودي الفارسي الأصل ، السرياني اللغة ، نقل للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ /

---

[١] - تقدم ذكر مصادر ترجمته مع علماء مكة المكرمة .

[٢] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي الجزء٤ المجلد ١ ص١٠٧ .

[٣] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٩٩/١٣ وابن النديم ، الفهرست ص٢٦٠ وسزكين ، تاريخ التراث العربي الجزء ٤ المجلد ١ ص١٠٨ .

[٤] - عالم متصوف زاهد ، يعد علما من أعلام التصوف (ت: ٢٤٥ هـ /٨٥٩م) ابن النديم ، الفهرست ص٢٦١ .

[٥] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٢١٨ وسزكين ، تاريخ التراث العربي الجزء ٤ المجلد ١ ص١١٠ .

[٦] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٦٩/٧ وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٣١٠ و ابن النديم ، الفهرست ص٢٦١ وسزكين ، تاريخ التراث العربي الجزء ٤ المجلد ١ ص١١٠-١١١ .

[١] - مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط: بحر المتوسط ، بيروت ١٩٨٨ م ص٢١٤ .

٧١٧م) كناشاً (مجموعاً) في الطب كان قد وضعه في اليونانية القس أهرون بن أعين الاسكندري ، كما أن عمر بن عبد العزيز عمل على توسعة المجمع الطبي في أنطاكية بأن استقدم إليه نُطُس الأطباء من مدينة الإسكندرية وأمرهم - بعد أن استخار الله تعالى – بنقل بعض المؤلفات الطبية إلى اللغة العربية ([1])

وفي العصر العباسي الأول كان المترجمون ينقلون من اليونانية إلى السريانية ومنها إلى اللغة العربية ، ولم يكن هؤلاء المترجمون من المتمكنين من العربية ، ولكنهم أسهموا إسهاماً كبيراً في تكوين المصطلحات العلمية والفلسفية وبعضها لايزال مستعملاً إلى اليوم ، وكانوا إذا أعوزتهم الألفاظ العربية عرَّبوا بعض الكلمات الأجنبية حرصا على سلامة المعنى ، وذلك إلى أن يتاح لهم إيجاد اللفظ العربي السليم .([2])

ويعتبر المنصور هو من أقام الترجمة من كبوتها ، فقد استقدم من نيسابور جورجيوس بن بختيشوع ([3]) ليطببه ، فأتى الرجل ومعه رهط ممن تتلمذوا عليه في علم الطب وهؤلاء كانوا من أوائل من بدأ الترجمة .

وقد أنشأ المنصور ديواناً للترجمة وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة ، فأرسل له الملك شيئاً منها ، كما حصل على مخطوطات إغريقية أثناء غزواته تخوم الروم ([4]) ، ويذكر المسعودي ([5]) أنه أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي الذي أسلم على يديه .

ثم إن وفداً من الهند وفد على المنصورسنة ١٥٤هـ /٧٧٠م ومعهم رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته وخصوصاً على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه (السند هانت) – وهذا اختصار لاسم الكتاب بالعربية – فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب ، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية وباستخراج كتاب منه تتخذه العرب أصلاً في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من أعمال ، وتولى ذلك الفزاري وعمل منه زيجا ([6])اشتهر بين علماء العرب ، حتى إنهم لم يعملوا إلا به إلى أيام المأمون حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية ([7]) .

وبرزعبد الله بن المقفع في عهد المنصور كأحد أعمدة الترجمة من الفارسية إلى العربية فترجم الكثير من الكتب كما سنذكر ذلك مفصلاً .

وحصل ركود بعض الشيء في خلافة المهدي (ت : ١٦٩ هـ /٧٨٥ م) وولده الهادي (ت : ١٧٠ هـ /٧٨٦م) لحركة الترجمة ويعزى هذا الأمر لانشغالهما في التخلص من حركة الزندقة ([1]) والتي يمكن أن تعد أثراً من آثار النقل والترجمة – إذ كان للأفكار التي تبنتها الزندقة وغيرها من الأفكار الدخيلة نصيب في النقل والترجمة مما كان له أثر على المجتمع المسلم في عقيدته – ([2])

[1] - عاشور ، د. عبد الفتاح ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط: الكويت ١٩٨٦م ٣١٢/١ و مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٢١٣ .
[2] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١١٠ ومرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٢١٤.
[3] - سيتم ترجمة من عمل بالترجمة كل حسب العلم الذي اشتهر به .
[4] - النملة د. علي بن إبراهيم الحمد ، النقل والترجمة في الحضارة العربية الإسلامية ط: مكتبة فهد الوطنية ، الرياض ٢٠٠٦م ص١١٧ .
[5] - في كتابه : مروج الذهب ٢١٠/٣ .
[6] - الزيج : علم الجداول الفلكية . وستأتي ترجمة الفزاري وغيره ممن عملوا بالترجمة والنقل إلى العربية .
[7] - شوقي ، د. ضيف تاريخ الأدب العربي ص١١١ .
[1] - تقدم التعريف بالزندقة في البصرة ، ترجمة ابن المقفع ص ١١٣ .
[2] - النملة ، النقل والترجمة ص١٢٥ وأمين ، أحمد بيك ، هارون الرشيد ، ط: دار الهلال ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ص١١٣ .

ويعتبر الخليفة الرشيد المنشط لحركة الترجمة ، شاركه ذلك وزرائه من البرامكة الذين أبلوا بلاءً حسناً فيها ، وكان مما أذكى جذوة الترجمة إنشاء دار الحكمة ([1])و خزانة الحكمة – المكتبة - وتوظيف طائفة من المترجمين بهذه الدار، وجلب الكتب من بلاد الروم ، وكان يقوم على هذا العمل الضخم طبيب نسطوري ، هو يوحنا بن ماسويه الذي وضعه الرشيد أميناً على الترجمة ، وأسهم جبريل بن بختيشوع كبير أطباء الرشيد في ترجمة كتب في الطب والمنطق ([2])

وكانت اهتمامات الرشيد منصبة على نقل كتب الطب على العربية ، إلا أن هذا لايُعد اقتصاراً من الخليفة على هذا النوع ، فلم يخل عهده من نقول وترجمات ، في التنجيم والمنطق والطبيعة وماوراء الطبيعة ، واستقدم العلماء إلى بغداد ، وجلب إليها الكتب من بلاد الروم ، وهو في طريق عودته من الغزو ، لاسيما من الشمال والشمال الغربي لعاصمة الخلافة بغداد ([3])

أما البرامكة فقد شجعوا بكل ما استطاعوا نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية ، وطلب يحيى بن خالد البرمكي ([4])إلى بطريرك الإسكندرية أن يترجم في الزراعة كتاباً عن الرومية وقد ترجمه بأجره ، وعنوا بإعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية التي ترجمت قبل عصرهم ، بحيث تكون أكثر دقة وإتقاناً ، على نحو ماصنع يحيى بن خالد بكتاب المجسطي لبطليموس ، فقد ندب له أبا حسان وسلماً صاحب بيت الحكمة ، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجودين ، فاختبرا نقلهم وأخذا بأفصحه وأصحه ، كما أنهم أكثروا من ترجمة كتب في التراث الفارسي ، سعياً إلى إشاعة الثقافة الفارسية في البلاد الإسلامية ..([5])

ومن الأسر الموسرة التي عنيت بالترجمة في عهد الرشيد أسرة بني موسى بن شاكر ، محمود وأحمد والحسن ، الذين خصصوا دارا (مركزاً) للنقل والترجمة ببغداد ، ومن أشهر من عمل في هذه الدار حنين بن إسحاق ، وحبيش بن الحسن الأعسم وثابت بن قرة ، وغيرهم وورد أنهم كانوا " يرزقونهم بخمس مائة دينار في الشهر للنقل والترجمة والملازمة " ([6]) .

واشتهرت أيضاً بالعلم والمعرفة أسرة المنجّم : يحيى بن أبي منصور بداية منه - وكان منجماً للفضل بن سهل ، وزير المأمون – وكذلك أسهم ابنه علي ثم ابن ابنه يحيى بن علي ، فقد قاموا بنقل كتب الطب وترجمتها ، وتبوَّأوا مكانة عالية لدى الخلفاء العباسيين([1]) .

وممن كان له اهتمام بالنقل والترجمة من الوزراء، محمد بن موسى بن عبد الملك ، المعروف بابن الزيات ، كان وزيراً للمعتصم والواثق،عالماً بالأدب واللغة ، ومن بلغاء

---

[1] - هذا هو الأرجح أن الرشيد هو الذي أسس بيت الحكمة وهو معهد علمي يحتوي مكتبة زاخرة بكتب متنوعة ، وأمكنة لعمل المترجمين وطلبتهم ومعاونيهم ، ويذكر أن ابن ماسويه هو الذي أشار على الرشيد إقامة دار كبيرة للكتب ، ومن ثم اتسعت ، وسميت بدار الحكمة . النملة . النقل والترجمة ص١٣٠والأطرقجي ، رمزية ، بيت الحكمة وأثره في الحركة العلمية ، مقالة في : مجلة المؤرخ العربي . بغداد العدد١٤ سنة ١٩٨٠ م

[2] - مرحبا ، د.محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم ص٢١٥ .

[3] - النملة ، النقل والترجمة ..ص١٢٥ .

[4] - يحيى بن خالد بن برمك ، سيد بني برمك وأفضلهم ، ومؤدب الرشيد عنى بترجمة كثير من الكتب الفارسية وأعاد ترجمة الكثير أيضا ومنها كتاب " المجسطي " حيث أعاد الترجمة السابقة فغدت أكثر إتقانا ووضوحا ، فقام بالأمر أصحاب بيت الحكمة بتشجيعه ووفرة عطاءه ، كان مقربا من الرشيد إلى أن نكب البرامكة ، فمات مسجونا بالرقة سنة ١٩٠ هـ / ، ٨٠٥ م الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢٨/١٤ .

[5] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٤٣/٢ في ترجمة يحيى بن خالد البر مكي والنملة ، النقل والترجمة ص١٢٩ .

[6] - النملة ، النقل والترجمة ..ص١٢٦ .

[1] - زيدان ، يسري أحمد ، آل المنجم وجهودهم الحضارية – مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية ودورها في بناء الحضارة العالمية – صدر عن اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠٠٢ م ص٢٣٥ .

الكتاب والشعراء ، ومن قبيل اهتمامه بالترجمة أن عطاءه كان يقارب ألفي دينار في الشهر للنقلة والنسَّاخ ، وكانت وفاته سنة ٢٣٣هـ / ٨٤٧ م .([١])

وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب ، كان حريصاً على نقل كتب اليونان ، وترجمتها إلى اللغة العربية ، وكان مشتملاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة بخاصة ([٢])

ولم يشتهر عهد الأمين (ت: ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) في مجال الترجمة سوى بعض اهتمام له في الطب استكمالاً وامتداداً لاهتمام والده الرشيد به ، وربما لم يسعفه الوقت لإبراز ماليه من إسهام ، ومما يذكرفي عهده عمل جبريل بن بختيشوع حفيد جورجيوس بن بختيشوع ، وكان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة ،قرّبه الأمين ووصلت مكافأته على علاج حالة مستعصية واحدة خمسمائة ألف درهم ([٣])

أما عهد المأمون فهو الذروة في الترجمة ، ففي عهده كثر المترجمون ، وتضخم النتاج العلمي المترجم كماً وكيفاً ، أما دار الحكمة فقد توسعت ، ولم تعد مجرد مكتبة بل أصبحت معهداً علمياً يعج بالعلماء والباحثين وضم إليه المأمون مرصداً فلكياً لمراقبة النجوم والأفلاك ، وجذب علماء الفلك وطلبة العلم ([٤]).

وجعل المأمون من شروط صلحه مع أعدائه أن يزودوه بما لديهم من كتب ، فقد حصل هذا مع حاكم صقلية وتردد الحاكم في تلبية الطلب إلى أن أشار عليه المطران الأكبر بقوله: أرسلها إليه ، فو الله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها . فأرسلها إليه . ([٥])

وكان من شروط الصلح مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن ينزل للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية ([٦])

ويذكر ابن النديم ([٧]) أنه كان بين المأمون وملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم – صاحب بيت الحكمة – وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله – أي ترجمته إلى العربية –

ويذكر أن المأمون أمر بنبش قبر كسرى - لعله كسرى أنو شروان فإنه كان محباً للعلم وأهله - حيث تناهى إلى سمعه أن في قبره تابوتاً فيه كتب القدماء ([٨]) .

ولما انتشرت النصرانية في اليونان وغيرها من بلاد الروم ،عمد الملوك إلى جمع الكتب من أيدي الناس وجعلوها في هيكل قديم وأغلقوا بابه ، ولما عرف المأمون بذلك وجد طُلبته ، وطَلبها بثمنها من ملك الروم . كما أن ملك الروم تيوفيولس وجد في إرسالها للمأمون كسباً كبيراً له بدل ما يدفع للخليفة من غرامات مادية ([١]) وقد أرسل له خمسة أحمال من كتب الحكمة .

---

[١] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٩/٥ والنملة ، النقل والترجمة ص١٢٩ .

[٢] - - ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ، أبو العباس ، ت: ٦٦٨هـ /١٢٨٩م ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠م ص٢٨٤ .

[٣] - النملة ، النقل والترجمة ص١٣١ و زيتون د.عادل ، آل بختيشوع في البلاط العباسي ، ط: عالم الفكر ، بيروت ١٩٨٣ م ص ٧٦ .

[٤] - مرحبا ، د.محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم ص٢١٦.

[٥] - النملة ، النقل والترجمة ص١٣٦ .

[٦] - الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس ،ط: دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م ٢٣٧/٢ وفيه : أن ملك الروم أهدى للمأمون تحفا سنية ، منها مائة رطل مسك ، ومائة حلة سمور ، فقال المأمون : أضعفوها له ليعلم عز الإسلام وذل الفقر .والنملة ، النقل والترجمة ص١٣٦ .

[٧] - ابن النديم ، الفهرست ٥٣٧.

[٨] - نفس المصدر ص٣٠٠ والنملة ، النقل والترجمة ..ص ١٣٧ .

[١] - فروخ .عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ص١١٤ .

وفي هذه المرحلة من أطوار الترجمة (عهد المأمون) تم وضع أساليب لها لتخرج النصوص متسمة بالدقة والأمانة العلمية ، فقد وجد مراجعون لمراجعة النصوص ، فكانوا يعمدون إلى المقابلة مع الأصل ، ولعل هذا جاء بعد التنبه إلى أن الترجمات التي وصلت عن طريق السريان كان يعتورها شيء من الوهن والضعف ، وهذا دفع العلماء المسلمين إلى محاولة الترجمة عن اليونانية مباشرة ، وقد تم ذلك على أيدي علماء مسلمين عرب بعد أن كانت الترجمات تنقل على أيدي السريان ، وقد أضحت بذلك خالية من العيوب ، بل يمكن عدّها آثاراً شامخة تدل على عناية وإخلاص وصدق في عملية الترجمة ([1])

ووصفت النهضة في عهد الخليفة المأمون بالأصالة والإبداع ، وذلك مما شهدته حركة التأليف التي قامت على النظر فيما قيل والوقوف عنده والزيادة عليه والحذف منه ، مما لايتناسب مع التوجه العام للخلافة وخاصة من الناحية العقدية ، ولايُفهم من هذا الحذف هنا الإتلاف ، وإنما كان الحذف بالإيضاح والمقارنة ، فظهر عدد من المؤلفين الأصلاء ، وقد بدأت هذه المرحلة في منتصف القرن الثالث الهجري ([2])

وبالمأمون اقتدى الكثيرون من أهل دولته ، وجماعة من أهل الوجاهة والثروة في بغداد ، فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس ، وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة ، يترجمون عن اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية والنبطية واللاتينية وغيرها ، وكثر في بغداد الورّاقون وباعة الكتب ، وتعددت مجالس الأدب والمناظرة ، وأصبح همُّ الناس البحث والمطالعة ، وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدة من خلفائه ، حتى نقلت أهم كتب القدماء إلى العربية([3])

ولايختلف اثنان في أن عهد الخليفة المأمون (١٩٨ هـ ، ٢١٨هـ /٨١٣م ،٨٣٣م) يعد أرقى مراحل النقل والترجمة ، من حيث الكم ، ومن حيث الكيف ، ففي عهده كثر النقلة والمترجمون ، وكانوا قسمين : قسم ينقل من اللغات الأخرى إلى العربية ، وقسم ينقل من لغة أجنبية إلى لغة أجنبية أخرى ، كأن يترجم من اللغة اليونانية إلى السريانية ، أو من السريانية إلى الفارسية حتى إذا انتهى هؤلاء من ترجماتهم تولّى مترجمون غيرهم – من الفريق الأول- نقل تلك الترجمات إلى اللغة العربية ([4])

وعودة إلى الكلام عن بيت الحكمة فقد غدا في عهد المأمون ، مركزاً عالمياً للترجمة والنقل ، وزاد المأمون أن جعل فيه مرصداً فلكياً ، يدل هذا على توسعه واحتوائه أعداداً كثيرة من العلماء والنقلة والمترجمين ومعاونيهم ، إلى جانب وجود المجلدين الذين يقومون على تجليد الكتب المترجمة ، ثم توزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك ،ولم يقتصر التجليد على الكتب التي تقتنى لبيت الحكمة وحسب إنما يجلد فيها من أراد من المصنفين والوراقين لحفظ الكتب وخوفا من تلفها ، وهنا نجد إسهاماً للمرأة بقسط وافر في العمل ببيت الحكمة ([1]) ويستطيع المرء القول : إن بيت الحكمة كانت مسرحا لأكبر حركة ترجمة شهدها التاريخ الإسلامي .

---

[1] - السبع ، محمد مروان ، حركة الترجمة العلمية وتوسعها في العصر العباسي (في أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب) ط: جامعة حلب ١٩٨٩ م ، ص١٨٩ .

[2] - سزكين ، د. فؤاد ، نقل الفكر العربي إلى أوربا اللاتينية ، ط : مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨م ص٢٨٩ .

[3] - النملة ، النقل والترجمة ص١٣٣ .

[4] - عاشور ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ١/١٨٢ .

[1] - النملة - مرجع سابق - ص١٣٦ و التكريتي ، سليم طه ، بيت الحكمة وأثره في النهضة الفكرية (مقالة في مجلة المؤرخ العربي) العدد ١٤بغداد ١٩٨٠م ص١٢٨ .

وكان بيت الحكمة يتألف من غرف متعددة تمتد بينها أروقة طويلة كان العمل فيها منسقاً تنسيقاً بديعاً منتظماً ، وتنقسم هذه الغرف أقساماً عدة تبعاً للعاملين فيها ، فهناك غرف للمترجمين ، وأخرى للناسخين ، وأخرى للمجلدين والوراقين ، وأخرى للخازنين والمناولين ..وذلك فضلاً عن الغرف التي تخزن فيها الكتب على رفوف بعضها فوق بعض ، أو التي تضم خرائط ومصورات بلدانية ، وتقاويم فلكية وأزياجاً وغيرها . وصف المسعودي بعضها في كتابه " التنبيه والإشراف " ([1]) .

وهناك غرف خاصة للتدريس يقصدها الطلاب من جميع أنحاء العالم ، وإلى جانبها غرف خاصة لسكناهم ، بالإضافة إلى قاعات للمحاضرات والمناظرات ، وأخرى يدلف إليها الدارسون والمطالعون بعد الفراغ من العمل المرهق للاستراحة والترفيه وسماع الموسيقى ، وكانت كل هذه الغرف فاخرة الأثاث والرياش، وقد فرشت الأرض بالأبسط وأرخيت على النوافذ والأبواب الستائر الجميلة ،منها ستارة جميلة تغطي المدخل لتحول دون دخول تيارات الهواء البارد في الشتاء ([2])

وسأذكر هنا العلوم التي كان للترجمة تأثير واضح فيها :

ب) علم الطب في العصر العباسي الأول ، وأوائل النقلة :

كل ماعرفه العرب في علم الطب قبل الإسلام هو بعض الطب الشعبي ، ووصف الدواء من الأعشاب والخلطات وغيرها ،ولما جاء الإسلام حث الرسول الكريم ﷺ على التداوي ، فقالﷺ :" تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء ،غير داء واحد :الهرم "([3]) وفي العصر الأموي تميز علماء الطب بأنهم أول من عرف التخصص؛ فكان منهم: أطباء العيون، ويسمَّون (الكحالين)، ومنهم الجراحون، والفاصدون (الحجامون) ([4])

و من سمات هذا العصر إنشاء المستشفيات النظامية (كانت تسمى بيمارستان . والكلمة فارسية) وبروز الشخصيات الإسلامية في ميدان علم الطب، و عائلة أبي الحكم الدمشقي هي التي سيطرت على هذه المهنة في العصر الأموي ، وكان الأطباء جلهم من السريان ومن اليهود والنصارى والصابئة ([5])

وكان علم الطب من أوائل العلوم التي حازت على اهتمام الخليفة المنصور ، فذكر أن مرضاً ألمّ به وعجز الأطباء عن معالجته ، فاستدعى الأطباء من جنديسابور([6]) ، كما سنذكر هذا في موضعه ، والجلي في الأمر أن استقدامه له لم يقتصر فقط على تطبيبه ، بل كان هذا الاستقدام منطلقاً لحركة نقل كتب الطب ، وإنشاء المكتبات في البيمارستانات ، ووقف المترجمين لنقل كتب التراث ، فبدأت المسيرة به وبأمثاله ([7]).

وأول من عمل بترجمة كتب الطب في عصر البحث :

- آل بختيشوع:

وهي أسرة سريانية نسطورية، اشتهرت بعلم الطب، فتوارثه فيها الأبناء عن الآباء. وقد نبغ بعض أفراد هذه الأسرة حتى كانوا الأطباء الخاصين للخلفاء العباسيين خلال فترة امتدت حوالي ثلاثة قرون (١)وأصل هذه الأسرة يعود إلى الطبيب :

---

[1] - المسعودي ، علي بن الحسين ، ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧ م ، التنبيه والإشراف ، ط: دار التراث ، بيروت ١٩٦٨م ص ١٧٢ .

[2] - مرحبا د. محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص٢١٧ .

[3] - أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث ، السنن ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٠ م ، رقم الحديث ٣٨٥٥ عن أسامة بن شريك .

[4] - مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٢٤٧ .

[5] - المرجع نفسه ص٢٤٧ .

[6] - المرجع نفسه ص٢٤٧ .

[7] - النملة ، النقل والترجمة ص١٢١ .

[1] - مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم ص٢٢٣ .

- **جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع** (ت : ١٥٢هـ /٧٦٩ م)
استقدمه المنصور من مدرسة جنديسابور، حيث كان رئيساً لبيمارستانها كانت له خبرة بصناعة الطب ، فذاع صيته هناك، فاستدعاه الخليفة المنصور لمرض ألمَّ به، فلما شفي على يده جعله طبيبه ، نقل كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية ، وله : **"كناش في الطب"** نقل إلى العربية عن السريانية على يد حنين بن إسحاق ([1]) ، وكان له ولأسرته إسهامات كبيرة في مجال الترجمة وعلم الطب سنذكر بعضها . ثم خلفه ابنه :

- **بختيشوع (ت:١٨٤هـ / ٨٠٠ م)**
خدم الخليفة هارون الرشيد ([2]) وجاء بعده ولده :

- **جبرائيل بن بختيشوع** (ت:٢١٣هـ / ٨٢٨ م)
كان طبيباً للرشيد، ومقدِّماً عنده، حتى كان جليسه وخليله ، وقد استمر في خدمة الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة ، وخدم كذلك وزيره جعفر البرمكي ، ثم خدم الأمين والمأمون ، وكان شديد الرعاية لأعمال الترجمة عن اليونانية ، إذ كان كثير الإعجاب بالعلوم الطبية اليونانية ، وهو الذي اقترح على الرشيد إيفاد بعثة للتفتيش عن المخطوطات اليونانية من أجل ترجمتها ، ولم يقتصر فضله وفضل معاصريه بما ترجمه عن اليونانية ونقله إلى العربية ، بل شجعوا أيضاً على إعداد ترجمات سريانية منقحة(٣) .
وله تصانيف في الطب وغيرها منها : "كناش في الطب" جمع فيه خصلات ومجريات في الطب ، نقل فيه عن جالينوس وبولس الإيجي و "رسالة في المطعم والمشرب " و "صنعة البخور" و "المدخل إلى صناعة المنطق " ([4]) .

- **عيسى بن شهلا** (ت: ١٥٨ هـ /٧٧٤م)
تلميذ جورجيوس ، وكان ممن استقدمهم معه إلى المنصور ، وقد خلف أستاذه في خدمة المنصور ، ولكنه أساء النفوذ الذي حصل عليه ([5]).

- **منكة الهندي (ت : ؟)**
كان عالماً بصناعة الطب ، حسن المعالجة ، متقناً للغة الهند والفرس ، وهو الذي نقل كتاب "شاناق" الهندي في السموم ، وعاصر الخليفة الرشيد ([6]) .

- **أبو زكريا يحيى بن ماسون** (ت : ؟)
كان طبيباً مقدماً عند الرشيد ، وخدم الخلفاء المأمون والمعتصم والمتوكل ، له مجموعة من الكتب والرسائل الطبية ، وهو أول عربي تولى النقل والترجمة والتأليف والعلاج ، وإن لم يبلغ في أي منها مبلغاً كبيراً ، وغالباً يذكر اسمه : يوحنا بن ماسويه ([7]) .

- **علي بن سهل الطبري (ت: ٢٣٦هـ /٨٥٠م)**
من الأطباء العرب ، له كتاب " فردوس الحكمة " وهذا الكتاب يعتبر نموذجاً للكتب الموسوعية ، مقسم إلى سبعة أنواع ، وكل نوع منها يحتوي على ثلاثين باباً، مسجل فيه الأفكار الطبية السائدة حتى ذلك الوقت([1]) .

---

[1] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص١٨٣ والنملة ، النقل والترجمة ص١١٧ .
[2] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص١٨٤ . والنملة ، النقل والترجمة ص١١٧
[3] - النملة ، النقل والترجمة ص١٣١ .
[4] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص١٨٥ ومرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم ص٢٢٣ .
[5] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص١٨٤ . والنملة ، النقل والترجمة ص١١٧ .
[6] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص٤٧٥ وابن النديم ، الفهرست ص٣٠٥.
[7] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٥٤ .
[1] - عبد الله د. عيسى ، قراءة جديدة للعلوم عند العرب ،ط: جمعية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ٢٠٠٧م ص١٧١ .

- يوحنا بن ماسويه (ت : ٢٤٣هـ /٨٥٧م)

هوأبو زكريا ، من علماء الأطباء. سرياني الأصل. عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانياً في جنديسابور (بخوزستان) ثم من أطباء العين ، في بغداد. وكان في خدمة الرشيد.

ونشأ ابنه يوحنا ببغداد ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة ، في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أميناً على الترجمة، ورتب له كتّاباً حاذقين بين يديه. ولم يقتصر عمله على خدمة العلم بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، حتى كانوا لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته.وكان يقدم لهم الأدوية المهضمة والمقوية. وأصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس، يجمع الطبيب والمتفلسف والأديب والظريف ، توفي بسامراء ([1]).

له نحو أربعين كتابا معظمها منها " البرهان " و " النوادر الطبية - ط و " خواص الاغذية والبقول " وذاع صيته في الغرب لإنجازاته الطبية ويسمونه: (Mesue)([2]) .

- الحجاج بن يوسف بن مطر (ت : ؟)

فسَّر للخليفة المأمون كثيراً من كتب الحكمة والطب وغيرها ، وهو الذي نقل"المبسطي " و كتب إقليدس ، وترجم للمأمون كتاب المرآة ([3]) .

- حبيش بن الحسن بن الأعسم الدمشقي (- : ؟)

هو أحد تلامذة حنين بن إسحاق ، وابن أخته ، كان من النقلة والمترجمين من اللغة السريانية إلى العربية ، له مجموعة من الكتب ([4]) .

- الفضل بن نوبخت (ت: ؟)

أمين بيت الحكمة في عهد الرشيد –وكلمة نوبخت بالفارسية تعني الحظ السعيد – وكان له إسهام بنقل وترجمة العديد من الكتب عن الفارسية ([5]) .

- محمد بن الجهم البرمكي (ت: ؟)

من نقلة الفرس ، ومن المفضلين في العلم ([6]) .

- عمر بن الفرّخان الطبري (ت : ؟)

ممن أكثر النقل والترجمة عن الفارسية إلى العربية ، ويعتبر – حسب سزكين – مرجعاً في علم أحكام النجوم العربي ([7]).

- بهرام بن مرادف شاه (ت : ؟)

من النقلة والمترجمين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ([8])

ويذكر ابن النديم قائمة بأسماء النقلة من الفارسية إلى العربية دون ذكر أسماء الكتب التي ترجموها ، ومن هؤلاء :

- سلم ، صاحب بيت الحكمة (ت : ؟)

أمين المكتبة ، ويساعده سهل بن هارون ، له نقول من الفارسية إلى العربية ، وكان ممن خرج إلى الروم لإحضار بعض المخطوطات ، معه الحجاج بن مطر([1]) .

---

[1] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص ١٥٩وابن النديم ، الفهرست ٢٩٥والزركلي ، الأعلام ٨ /٢١١ .

[2] - ينظر : الأعلام ٨ /٢١١ .

[3] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص٣٨٠ وابن النديم ، الفهرست ص٣١٢ .

[4] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٥٥ و ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص٢٧٦ .

[5] - النملة ، النقل والترجمة ص١٢٨ .

[6] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٠٥ والنملة ، النقل والترجمة ص١٢٨ .

[7] - - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٠٥ و سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ٧ ص١٧ والنملة ، النقل والترجمة ص١٢٨ .

[8] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٠٥ .

[1] - المصدر نفسه ص١٣٤و٣٠٤ .

- سهل بن هارون (ت : ؟)

يعرف بابن راهبون الكاتب ، من أمناء بيت الحكمة ببغداد ، وله كتاب" ديوان رسائل" على غرار كتاب " كليلة ودمنة " ([1])

- تادري ، أو تذاري (ت : ؟)

كان أسقفاً يسكن كرخ بغداد (٢) ومن جملة النقلة من اللغات إلى اللسان العربي (٣) .

- حنين بن اسحاق (ت : ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م)

هو أبو زَيْد العِبَادي ، عالم ومترجم وطبيب مسيحي نسطوري .أصله من الحيرة ولد عام (١٩٤هـ/٨١٠م)، لأب مسيحي يشتغل بالصيدلة، وهو مؤرخ ومترجم ، ويعـد أهم مترجم إلـى العربيـة علـى مـر العصـور، وكـان يجيد - بالإضـافة للعربيـة - السـريانية والفارسـية واليونانيـة غريبهـا ومستعملها ، وكـان يجـول الأقطـارفي طلـب الآثـار اليونانيـة والحصـول عليها ، وسافر إلى بلاد الروم وتعلـم الطب ، كمـا أخـذ الطب أيضـاً عن يوحنا بن ماسويه ، ثم عاد إلى البصرة ودرس العربية على الخليل بن أحمد ([4]) .

قام حنين بترجمة أعمال جالينوس وأبقراط وأرسطو والعهد القديم من اليونانية، وقـد حفظـت بعـض ترجماتـه أعمـال جالينـوس وغيـره مـن الضـياع ،عينـه الخليفة العباسي المأمون مسؤولا عن بيت الحكمة وديوان الترجمة، وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب ، ورحل كثيرًا إلى فارس وبلاد الروم وعاصر تسعة من الخلفاء، وله العديد من الكتب والمترجمات التي تزيد عن المائة، وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين جميعًا ورئيسًا لطب العيون، حتى أصبحت مقالاته العشرة في العين، أقدم مؤلف علـى الطريقـة العلميـة في طب العيون ، وأقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه تاريخ البحث العلمي في أمراض العين .([5])

ولم تنحصر عناية حنين بالطب وحده ، بل لقد عني أيضاً بالفلسفة والرياضة والعلوم ، وقد اعتمد عليه المأمون في ترجمة كتب أرسطو فأجادها نقلها ، كما ترجم لإفلاطون وأرخميدس وأرسطرخوس وإقليدس واوطوليقوس وغيرهم ، وأصلح نقل من تقدمه من المترجمين في زمن المنصور والرشيد ، وربما أعاد النظرفي نقل معاصريه أيضاً فقد أصلح ترجمة الحجاج لكتاب المجسطي ، كما أصلح ترجمة البطريق لكتاب (الأربع مقالات في صناعة أحكام النجوم) وكلاهما لبطليموس ، وقام بترجمة كاملة للتوراة إلى اللغة العربية نقلا عن الترجمة السبعينية – وهي ترجمة إغريقية عتيقة للعهد القديم – قام بها سبعون أو اثنان وسبعون مترجماً بين عامي ٢٨٠ -١٣٠ ق.م ، وأكثر مترجمي الجيل التالي تلقوا تدريبهم عليه أو على تلاميذه ، حتى ليمكن القول إنه رائد الترجمة العلمية الدقيقة . فإن تراجمه – الموجودة في مكتبات القسطنطينية – تدل على تملكه لناصية اللغة العربية ، مع سهولة التعبير بها عن الأفكار اليونانية ، وملكة عجيبة في الإيجاز المفيد(١)

[1] - ابن النديم ، الفهرست ص١٣٩ و٣٦٤ .
[2] - محلة وسط بغداد ، ثم صارت محلة منفردة ، وهناك أكثر من كرخ ..الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان (كرخ) ٤٤٨/٤ .
[3] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٠٤ وابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص٢٨٣.
[4] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣٩ وابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ص١٨٦ .
[5] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٣٩ ومرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم ٢٢٤ .
[1] - الديبان ، محمد بن عبد الله ، حنين بن إسحاق – دراسة تاريخية ولغوية – ط: الرياض م١٩٩٣ صفحة ٦٦ ومابعدها .

أهم مصنفاته : كتاب" العشر مقالات في العين " و " المسائل في العين" و " القول في حفظ الأسنان واستصلاحها " و " التشريع الكبير" و غيرها (١).

وقد ترجمت لابن اسحاق هنا رغم تأخر وفاته لأهمية إنجازاته في مجال الترجمة .

ج) علم الفلك ، ويقسم إلى قسمين :

أولا : **علم الهيئة**

علم الهيئة هوعلم يبحث فيه عن أحوال الأجرام السماوية من حيث حركتها ومناظرها مفردةً ومجملة، وما يعرض لها كذلك من المقارنة والمقابلة، والتثليث والتسديس، وكيفية سيرها ومقدار حركاتها وارتفاعها وانخفاضها، وما مضى من الليل والنهار، والأطوال والعروض، ونحو ذلك مما حواه علم الزيج والاصطرلاب والربع المجيّب والمقنطر ، وما يتعلق بالشهور والسنين وفصولها، والكسوف والخسوف، وكل ما يحدث لتلك الأجرام مفردة ومجملة، وعن علل تلك الحوادث وقواعدها، وعما يوصل إلى معرفة تلك الحوادث وعللها وقواعدها بالآلات والأرصاد والحساب ([٢]).

ولعل الدليل على تسمية هذا العلم بعلم الهيئة ، أنه يبحث فيه هيئة الأجرام العلوية والسفلية وكيفيتها ([٣]).

الإسلام وعلم الهيئة :

ولئن كان الأقدمون قد فتحوا باب البحث في هذا العلم، وخطوا فيه خطوات شتى، وألفوا بعض الكتب التي وضعت قواعده الأولى وأظهرت معالمه المبدئية، فإن للمسلمين في هذا العلم وقفة مهمة ، ذلك أن كتاب الله العزيز كما نبه الناس إلى قدرة الله في خلق الأرض وما فيها وما عليها من نبات وحيوان وإنسان وبحار وأنهار وجبال ووديان ، قد لفت أنظار المسلمين إلى السماء وبروجها، والأفلاك ومساراتها، والأهلّة وتقلباتها، والنجوم والكواكب ولمعانها، والفضاء واتساعه ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجا وقمراً منيرا ﴾ ([٤]) إلى غير ذلك من الآيات التي دفعت المسلمين إلى الاستجابة لها استجابة من ينطلق من الدين إلى العلم، ليسخّر الكون للإنسان بما سخره الله له ومنحه إياه . وقد ذكر الله سبحانه الاستدلال بالنجوم في قوله سبحانه ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ ([٥])

كما ذكر سبحانه من الأهلّة القمر حيث قال:﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ ([٦]) وقد نبه العلماء - وهم يبحثون في الأجرام السماوية - أن الأرض أيضاً موضوع بحثهم من حيث إنها أحد الأجرام السماوية التي تحكمها قوانين ثابتة وسنن صارمة([١]) .

ولاشك أن لهذا العلم أهمية كبرى فالصلة بين الأحكام الشرعية من جهة والمسائل الفلكية من جهة أخرى ، قد شجعت المسلمين على الاهتمام الفائق بمعرفة الأمور المتعلقة بالسماء والكواكب، بل إننا إذا كنا نجد في أسباب مدح الاشتغال بالطب، حاجة الناس إلى علم

---

[١] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٣٩ والدبيان ، حنين بن اسحاق ص٨٧ .

[٢] - القنوجي ، صديق بن حسن ، أبجد العلوم ط: المكتبة القدوسية ، لاهور باكستان ١٩٨٣م ٢/ ٢٠٢ وموسى ، د. على حسن ، علم الفلك في التراث العربي ، ط: دار الفكر ، دمشق ٢٠٠١ م ص١٤٨

[٣] - إبلاغ ، د. عناية الله ، علم الهيئة وصلته بالعلوم الإنسانية ، سلسلة رسائل جغرافية ، إصدار الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ،١٩٩٣ م ص٧ .

[٤] - سورة الفرقان ، الآية ٦١ .

[٥] - سورة الأنعام ،الآية ٩٧ .

[٦] - سورة البقرة الآية ١٨٩.

[١] - شامي ، يحيى علم الفلك "صفحات من التراث العلمي العربي الإسلامي " ط: دارالفكر ، بيروت ١٩٩٧ م ص٤٧

الطب، فإننا نجد أيضاً أن أصحاب العلوم الدينية قد ذهبوا إلى مدح علم النجوم والاشتغال به لحاجة الناس إليه ([1]).

ب) **أقسام علم الهيئة : ([2])**

قسّم العلماءعلم الهيئة إلى ثلاثة أقسام :

قسم وصفي: وهو ما يبحث فيه عما يحدث في الأجرام الكونية .

وقسم طبعي: وهو ما يبحث فيه عن علل تلك الحوادث والقواعد التي تضبطها .

والثالثُ عملي : وهو ما يبحث فيه عن معرفة ما يوصل إلى القسمين الأَوَّلين بالآلات والحساب.

فالقسم الوصفي من علم الهيئة ـ أي معرفة ما يحدث في الأجرام السماوية من خسوف وكسوف، واقتران ومقارنة وغير ذلك ـ لازم وضروري لفهم آيات القرآن والأحاديث النبوية المتعلقة بما ذكر، وأما البحث فيما يتعلق بالقسم الطبعي والقسم العملي فذلك كمال إنساني، كالبحث في سائر العلوم التي لا يتوقف عليها فهم آيات القرآن والأحاديث.([3])

ـ فروع علم الهيئة :

أ) علم الأزياج أو علم الزيج (الجداول الفلكية)([4])

وهوعلم يوصل إلى معرفة مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فُرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة ـ كما يقول في أبجد العلوم ([5]) ـ قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية ، وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض ، يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين، وتسمى الأزياج .

وقد جمع إنجازات العلماء ، في هذا الفرع من علم الهيئة مع إضافات كثيرة وابتكارات أخرى : البتاني ([6])في كتابه "الزيج الصابئ "

ب) علم الاسطرلاب:وهو آلة معنى اسمها باليونانية: ميزان الشمس يستفاد بها كثير من الأمور المتعلقة بالنجوم، كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسمت القبلة وعرض البلاد .

ويقال إن أول من صنعها بطليموس، وأول من عملها في الإسلام إبراهيم بن حبيب الفزاري([1])

---

[1] ـ المطيعي ، محمد بخيت ، توفيق الرحمن بين ماقاله علماء الهيئة وبين ماجاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن ط: مكتبة مدبولي ، القاهرة ،بلا تاريخ ص١٣ ، و موسى ، د. على حسن ، علم الفلك في التراث العربي ص١٥٠ .

[2] ـ موسى ، د. على حسن ، علم الفلك في التراث العربي ١٥٢ ومابعدها ، ونجيب الرحمن ، حكمت ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ط: جامعة الموصل ١٩٧٧ م ص١٨١ .

[3] ـ المطيعي ، توفيق الرحمن ص١٥.

[4] ـ الزيج كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . الزيات ، أحمد حسن وجماعة ، المعجم الوسيط ، ط: دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ١٩٨٩ م (الزيج) .

[5] ـ القنوجي ، أبجد العلوم ٢/ ٢٠٤ .

[6] ـ أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني(ت : ٣١٧ هـ/٩٢٩ م) فلكي ورياضي ومهندس ، وعرف بلقب (بطليموس العرب). ولد في بتان من نواحي حران على نهر البلخ، أحد روافد نهر الفرات ، درس البتاني ، سر عظمة الله والعلاقة القائمة بين السموات و الأرض، وأنشأ مرصدًا عُرِفَ باسمه. وكان يلقب بالرقي، نسبة إلى الرقة التي أقام فيها وعمل عدة أرصاد هناك. وقد استخدم آلات كبيرة جدا لم يسبق استخدامها من قبل، وذلك لتقليل الخطأ المحتمل . **وكتابه المذكور** ، أحد أشهر المؤلفات في مجال علم الأزياج من فروع علم الفلك، وتأتي شهرته من أنه وضع فيه معلومات صحيحة ودقيقة كان لها أثرها في تطور علم الفلك طوال العصور الوسطى عند المسلمين وأوائل عصر النهضة في أوروبا ، قالوا عنه : إنه أصح من زيج بطليموس ، طبعت ترجمته إلى اللاتينية في نورمبردج ١٥٣٧م . الزركلي ، الأعلام ٦/٦ .

١ ـ شامي ، يحيى ، علم الفلك ص٥٦ .

ج) علم الآلات الرصدية:وبه تعرف الآلات المستخدمة في رصد الكواكب والنجوم، كاللبنة والحلقة الاعتدالية وذات الأوتار وذات الحلق وذات السمت والارتفاع وذات الشعبتين وذات الحبيب وغيرها.

ويذكر ابن خلدون أن المأمون في زمانه كان له اهتمام بالفلك أكثر من غيره فيقول عن المراصد الفلكية: وكان في أيام المأمون شيء منه، وصنع هذه الآلة المعروفة للرصد المسماة ذاتُ الحَلَق، وشرع في ذلك فلم يتم، ولما مات ذهب رسمه وأغفل، واعتمد من بعده على الأرصاد القديمة. وليست بمغنية([1])

وقد كان للعرب بعض المعارف تناقلوها عن أسماء النجوم وتحركاتها ، وماهو ثابت منها وماهو متحرك ، تفيدهم في سفرهم وترحالهم ، ثم جاء عهد الترجمة فأضاف إليهم معارف غزيرة في هذا العلم – وكما قدمنا فإن أولى الكتب التي ترجمت للخليفة المنصور كانت تحتوي على معارف ومعلومات في علم الهيئة ككتاب "السندهند " وقد اتخذ العرب المسلمون من هذا الكتاب أصلاً لعلم الفلك عندهم وأقبلوا على دراسته والإفادة منه ([2])

أما عهد المأمون فكان القمة في علم الهيئة ، فقد أمر بترجمة كتب أخرى في هذا العلم وزاد على ذلك أن أقام المراصد لمراقبة النجوم وتحركاتها ، ومنها :

- مرصد الشماسية في بغداد:

وهو مرصد أو مكان للرصد ، يقع في حي الشماسية ببغداد، ويعد هذا المرصد الفلكي من أوائل المراصد الفلكية في الحضارة الإسلامية .

- مرصد جبل قاسيون في دمشق ، وقد أقيم على إحدى قمم جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق([3])

وسيرد ذكر من عمل بالرصد في هذين المرصدين وغيرهما ممن سنترجمهم من علماء الهيئة .

- وممن اشتهر في علم الهيئة في العصر العباسي الأول : ([4])

- **الفزاريان** ، إبراهيم ومحمد ([5])، وهما عالمان بالفلك مشهوران من أوائل من رصدوا الكواكب وعملوا بالأزياج ، وشاركوا بترجمة كتب الفلك من الهندية والفارسية إلى العربية ، وفي طليعتها " السندهند "

- إبراهيم بن حبيب الفزاري (ت: ١٥٩ هـ /٧٧٧م)

- محمد بن حبيب الفزاري (ت : ١٨١ هـ / ٧٩٧م)

وإبراهيم هو أول من عمل اسطرلاباً في الإسلام ، وله كتاب " العمل بالاسطرلاب"بنوعيه المسطح وذي الحلق ، وهو أول من عمل زيجاً (تقويماً) في الإسلام بعد أن كان على سني الفرس، وأسماه (الزيج على سني العرب) ظل يعمل به زمن المنصور إلى أوائل زمن المأمون حين غلب مذهب بطليموس في الحساب وفي الجداول الفلكية ([6]) .

---

١ - شامي ، يحيى ، علم الفلك ص٥٦ .

٢ - شوقي ، د. ضيف ، تاريخ الأدب العربي ص١١١ .

[3] - شامي ، يحيى ، علم الفلك ص٥٦ .

[4] - **لابد من الإشارة هنا أن معظم العلماء الذين اشتهروا في علم الهيئة ، كانت لهم مشاركات في علم أحكام النجوم أيضا ، ويصعب التفريق بين من كان اهتمامه بأحد العلمين أكثر، فلذلك اجتهدت ، وفصلت بين المهتمين بأحد العلمين ،وربما حصل تكرار لشهرة العالم بكليهما .**

[5] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣٠ وشامي ، يحيى ، علم الفلك ١٣٣ .

[6] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣٠ .

- يعقوب بن طارق (ت : ١٧٨ هـ /٧٩٦ م)

من نجومي المنصور ، وأحد المترجمين الفلكيين ، له كتاب "تقطيع الكردجات" و " تعيين الوقت في أي ساعة من النهار أو الليل" ([1]).

- الفضل بن سهل بن نوبخت (ت:٢٠٢ هـ / ٨١٨ م)

كان وزيراً للمأمون ، ثم ساءت العلاقة بينهما ، فاغتيل بإيعاز من المأمون ، له في الهيئة والنجامة كتاب " المدخل إلى النجوم " وكتاب " الفأل النجومي" ([2]).

- سند بن علي (ت: ؟)

من نجومي المأمون ، كان يهودياً فأسلم ، جعله المأمون من خاصته في الرصد والنجامة ، شارك في رصد الشماسية في بغداد ، وقام بإصلاح آلات الرصد ، وكان المأمون مفتوناً به فعينه رئيساً للرصاد والفلكيين والحاسبين ، له كتاب " المدخل في صناعة النجوم " ([3]).

- أبو سعيد الفربر (ت: ؟)

من نجومي المأمون ، ومن أوائل من اشتغلوا بعلم الميقات – أحد فروع علم الهيئة ، له كتاب يتحدث فيه عن الطرق التي يتحدد بها خط الزوال ، ويشار بواسطتها إلى معرفة الشمال والجنوب([4])

- العباس بن سعيد الجوهري (ت : ؟)

أحد فلكيي المأمون ، قيل إنه من أبرع الرصاد المسلمين ، له كتاب في "الأزياج" ([5]).

- المروذيان ، خالد ومحمد

من نجومي المأمون ، شاركا في رصد الشماسية ببغداد ورصد قاسيون في دمشق ، ولمحمد المروذي كتاب" الاسطرلاب المسطح" ([6]).

- يحيى بن أبي منصور (ت: ٢٣٠ هـ /٨٤٥م)

من أصل فارسي ، خدم المأمون ، ورصد له ببغداد ودمشق ، من مبتكراته الرصدية ، قسمته الدرجة إلى ستة أجزاء ، مما سمح بإعطاء القيمة المطلوبة دقة في الحساب ([7]) .

- الحسين الكرماني (ت: ؟)

عمل للمأمون زيجاً ، أسماه الزيج المأموني ، يتضمن جداول وحسابات فلكية مشهورة([8]).

- محمد بن موسى الخوارزمي (ت: ٢٣٥هـ /٨٤٩م)

من علماء الهيئة والرصد والأزياج ، شارك في الرصد زمن المأمون ، وعين قيماً على خزانة الحكمة ، ترجم العديد من الكتب الرياضية ([1]).

والخوارزمي من أكبر العلماء الرياضيين والفلكيين الذين قاموا على أبحاث مرصد المأمون ، وهو يعد بحق منشئ عصر جديد في التاريخ العالمي للرياضيات ، إذ كشف علم الجبر وقواعده وأعطاه اسمه الذي شاع من بعده في العالم كله ، وقد أضاف إليه أبحاثاً مبتكرة في أرقام الحساب الهندية وفي حساب المثلثات وفي الجغرافية وفي الأزياج أوالجداول الفلكية ([2])

---

[1] - شامي ، علم الفلك ص١٣٣ .
[2] - المرجع نفسه ص١٣٦ .
[3] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٣٤ وشامي ، علم الفلك ص١٣٦ .
[4] - شامي ، علم الفلك ص١٣٦ .
[5] - المرجع نفسه ص١٣٦
[6] - المرجع نفسه ص١٣٦
[7] - المرجع نفسه ص١٣٧ .
[8] - المرجع نفسه ص١٣٧ .
[1] - المرجع نفسه ص١٣٧ .
[2] - شوقي ، د. ضيف ، تاريخ الأدب العربي ص١١٥ .

- علي بن عيسى الاسطرلابي (ت : ؟)

برع في استخدام الاسطرلاب ، وفي شرح تفاصيل العمل به ، وإتقانه وصنعته ، عمل اسطرلابات شتى وضعها في تصرف الذين رصدوا للمأمون في بغداد وتدمر ([١]).

- أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني (ت : ٢٤٧ هـ/٨٦١م)

أبو العباس ، أصله من فرغانة ، انتقل إلى بغداد ، ويعد من أعظم الفلكيين الذين عملوا مع المأمون وخلفائه ،له مؤلفات عديدة في علم الهيئة ، مثل " جوامع علم النجوم " وكتاب في " الاسطرلاب " وكتاب "الجمع والتفريق " ويعرف عند الأوربيين باسم : الفراقانوس Alfraganus([٢]) كلفه المتوكل بالإشراف على بناء مقياس لمنسوب لنهر النيل في الفسطاط ،فأشرف عليه وأنجز بناءه وكتب اسمه عليه ([٣]).

ثانيا : علم أحكام النجوم في العصر العباسي الأول :

توطئة : يقصد بعلم أحكام النجوم هو العلم الذي يدرس الأجرام السماوية، و الظواهر المرتبطة بها.و يختص بدراسة الأجرام في الفضاء خارج الأرض كـ النجوم، و الكواكب، و النيازك، والشهب([٤])

وقبل الكلام عن هذا العلم وتطوره عند العرب المسلمين نذكر حكم الاشتغال بهذا العلم في الدين الإسلامي ، فيذكر أن رسول الله ﷺ حذر من هذا العلم بقوله : " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا " ([٥])

ومع هذا نجد أن علياً ﷺ كان له علم بالنجوم ، فتنسب إليه معارف في الاختيارات ، يتضح هذا من موقفه الإيجابي من أحكام النجوم ، فكان مثلا يكره أن يسافر إذا كان القمر في محاق الشهراو العقرب ([٦])

أما ابن عباس ﷺ فكان يقدر هذا العلم أيما تقدير ولكنه يأسف أن ليس عنده معرفة بعلم النجوم ([٧])

وحظي هذا العلم عند بعض التابعين ، فنجد أن ميمون بن مهران الرقي (ت: ١١٧هـ /٧٣٥م) كان له معارف من جوانب متعددة ومنها علم أحكام النجوم ، ويحذر من استنكاره ، ويقول لطلبته : إياكم والتكذيب في علم النجوم ، فإنه علم من علوم النبوة . ([٨])

وقد حظي هذا العلم لدى الشيعة بمكانة كبيرة ، ويأتون بأدلة عديدة حول الموقف الإيجابي لجعفر الصادق وأتباعه تجاه أحكام النجوم . والذي يعزونه إلى علي ﷺ لايرجع إلى قوة الكواكب الفاعلة ، إنما إلى إمكانية أن دلالات سماوية معينة يمكن أن يكون لها صلة بالحوادث الأرضية . ([١])

أما الخلفاء العباسيون فقد أولوا هذا العلم اهتماماً بالغاً ، وكان المنجمون وعلماء أحكام النجوم ممن يرافق الخلفاء أويضمهم بلاط الخليفة ، فهاهو ابن كثير([٢]) يذكر أن الخليفة المنصور حين كان يحارب إبراهيم بن الحسن الذي وثب عليه بالبصرة ، دخل عليه نوبخت

---

[١] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣٠ وشامي ، علم الفلك ص١٣٨ .وتدمر مدينة تقع وسط بادية الشام على طريق القوافل التجارية بين الشام والعراق ، سكنها الرومان ، وعمروها ولازالت آثارهم باقية .

[٢] - شامي ، علم الفلك ص١٣٨ .

[٣] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣٠ ، وشامي ، علم الفلك ص١٣٨ .

[٤] - المعجم الوسيط ، (نجم) .

[٥] - الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠ هـ/٩٧١م) المعجم الكبير ، ط : دار الراية ، جدة ١٩٩٣م ٧٨/٢ .

[٦] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢٩٧/٧ وسزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد ٧/ص ١٢

[٧] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد ٧ص١٢ .

[٨] - المرجع نفسه ٧ص١٢

[١] - المرجع نفسه ٧ /ص ١٣ .

[٢] - البداية والنهاية ٩٧/١٠ ، أحداث سنة ١٤٥هـ .

المنجم فوجد علامات التأثر بادية على وجهه فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه المنصور ، فقال ياأمير المؤمنين ، إن لم تصدقني فاحبسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت فاقتلني ، فبينما هو عنده أتاه البشير بهزيمة جيش إبراهيم وبرأسه.فأقطع المنصور نوبخت ألفي جريب .

ويعلق ابن كثير بقوله مستنكرا : فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياء كثيرة ، فهم كذبة كفرة ، وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لايجوز .

- المصنفات الأولى في علم أحكام النجوم :

أولى المصنفات تنسب إلى علي رضي الله عنه وهما رسالتان بعنوان " الطالع " و" الأرجوزة " في منازل القمر ، ثم إن الموضوعات النجومية قد وجدت طريقها في التراث العربي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، فممن اهتم بهذا العلم خبيب بن عبد الله بن الزبير (ت: ٩٣هـ /٧١١م) الذي كان له اهتمامات بعلوم شتى منها علم النجوم ([1])

وأقدم رسالة معروفة بهذا العلم تعود إلى وهب بن منبه (ت: ١١٤ هـ /٧٣٢ م) تسمى " أحكام النجوم " وهو من الجيل الثاني من العلماء الذين دخلوا في الإسلام ، وأصله من أبناء الفرس ،سكن اليمن ، وقد طالع الكثير من كتب الأولين والقدماء ، ويكثر النقل من الإسرائيليات ([2]).

ويعزى إلى خالد بن يزيد الأموي ترجمة العديد من الكتب ، ومنها كتاب في "علم النجوم "لبطليموس ، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب ترجمه أيضا عمر بن الفرُّخان عن الفارسية ثم ترجم في عهد الخليفة المأمون بيد حنين بن إسحاق عن اليونانية ([3]).

ومنذ بداية الترجمة في عصر الخلافة العباسية ، تم البدء بترجمة كتب أحكام النجوم ، والغالبية العظمى من علماء أحكام النجوم اعتمدوا أولا على تراث الساسانيين ، وتمثلوا علم أحكام النجوم اليوناني من خلال الوساطة الفارسية ، فقد كانت كتب بطليموس اليوناني وذوينوس الصيداوي وتنكلوشا وأنطيوخوس الأسوة والقدوة لهذا العلم ، ثم زاد على ذلك ما أخذه العرب عن مؤلفات هندية وفارسية وتلقفوا الكثير من الروايات الشفوية من بلاد مابين النهرين ومن الشام ومصر([4]) .

وأما مايميز علم أحكام النجوم العربي فهواستخدامهم لجداول رياضية عديدة جداً ومفصلة كثيراً وهي مسائل وضعت من قبل الحسّاب ، ويكمن في هذا المقام تباين واضح بين علم أحكام النجوم عند العرب المسلمين وعلم أحكام النجوم عند اليونان والهنود ، حيث يظهر في حساباتهم عدم الدقة ، والهروب المستمر من المسائل الرياضية المعقدة ([1])

إن مايعطي أهمية كبرى لنتاج العرب في علم النجوم ، هو ترجمة الكتب والأبحاث العربية إلى اللغات الأوربية ، **ومن الواجب أن نشير إلى عدم الأمانة عند البعض منهم حيث نسبوا كثيراً من المؤلفات العربية إلى كتاب يونانيين** ، ومن المؤلفين العرب الذين ترجمت كتبهم ماشاء الله وعمر بن الفرُّخان الطبري وسهل بن بشر الإسرائيلي وأبي علي الخياط وأبي بكر بن الخصيب والكندي وأبي معشر وعلي بن أبي الرجال ([2])

ولابد من ذكر مصادرعلم أحكام النجوم العربي

[1] - سزكين .فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص٩ .
[2] - الزركلي ، الأعلام ٨/ ١٢٥ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ٧ / ص٩ .
[3] - سزكين .فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص٩.
[4] - سزكين .فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص١٤ .
[1] - ينظر سزكين ، د . فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ ص١٥ .
[2] - ستأتي ترجمة هؤلاء بين المصنفين في علم أحكام النجوم . وينظر سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص١٧ .

أولا : فهرس **ماشاء الله بن أثري (ت : ٢٠٠ هـ /٨١٥ م)** (وصل هذا الفهرس إلى الغرب مترجماً إلى اليونانية من العصور الوسطى) ويعد ذا أهمية بالغة لمسألة المصادر ونشأة علم أحكام النجوم العربي ، ويحتوي أيضا ٢٤ كتاباً يونانياً لـ هرمس وإفلاطون وذورينوس وأرسطوطاليس وديمقريطس .

ثانيا : كتاب اليهبطان **لأبي سهل بن نوبخت** (ت : ؟) ويعد هذا الكتاب أقدم كتاب معروف من ذلك العهد في علم أحكام النجوم وفي علم الهيئة أيضا عند الشعوب الأخرى ، وقد ذكر مؤلفه كتب يونانية وبابلية وهندية وفارسية ([١]) .

ثالثا : كتاب " أسرارعلم النجوم " **لأبي معشر** (ت : ٢٧٢ هـ / ٨٨٦ م)([٢]) ويسمى أيضاً المذكرات ، وقد دونه أحد تلامذته وفيه معلومات مهمة عن تراث أحكام النجوم من العهود الأولى، فالكلدانيون بالنسبة إليه يعدون أول من عالج علم النجوم وأجروا قياسات وقاموا بملاحظات في الأرصاد ، يليهم الهنود فاليونان والفرس فالبيزنطيون فالسريان فالعرب ، وتضم هذه الرسالة قائمة كتب في علم أحكام النجوم تحظى بشهرة كبيرة ، وهي من الكتب التي مهدت لتوسع علم أحكام النجوم عند العرب المسلمين([٣]) .

- وممن صنف أو ترجم في علم أحكام النجوم في عصر البحث :

- سعيد بن خراسان خُرّه (ت : غير معروف)

أقدم مترجم عن اللغة الفارسية إلى العربية ، واسمه مقترن بـ عبد الله بن المقفع وهو معاصر له ولايعرف على وجه التحديد سنة وفاته ، وقد نقل كتاب زرادشت النجومي المكون من خمسة أجزاء إلى العربية بطلب من أبي مسلم الخراساني ، وكان ذلك قبيل عام ١٣٧ هـ /٧٥٣م ، وقد أطلق على نفسه اسم الترجمان ، وكان في بعض الأحيان يأتي بتفسيراته للنص الفارسي ([٤]) .

- نوبخت الحكيم (ت: في خلافة المنصور ؟)

كان منجماً فارسياً ، عاش في العراق في مطلع الخلافة العباسية ، تولى مع ماشاء الله وعلماء آخرين الإشراف على أعمال القياسات المساحية إبان إنشاء مدينة بغداد عام ١٤٥هـ /٧٦٢ م ، كما كان منجم دار الخلافة ويرافق المنصور في رحلاته ، ثم لما اعتلت صحته حل ولده أبو سهل محله . ومن آثاره : " رسالة في سرائر النجوم " مخطوط ([١]) .

- إبراهيم بن حبيب الفزاري (ت: ١٥٩ هـ /٧٧٧م)

أحد الفلكيين العرب الأوائل الذين عملوا في خلافة المنصور ، ويظهر أنه اشتغل إلى جانب ذلك بعلم أحكام النجوم ، وكان له آراء خاصة بالنجوم . وله أرجوزة مطلعها :

ياأيها الناظر في النجوم ... وعلمهـــــا من أشرف العلوم
إذا أردت قسمة الحدود ... تقضي بها في النحس والسُّعود ([٢])

---

[١] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٣١ وينظر سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص١٧ .

[٢] - أبو معشر ، جعفر بن محمد البلخي ، وكان اولاً من أصحاب الحديث ومنزله في الجانب الغربي من بغداد، وكان يضاغن الكندي (يعقوب بن اسحاق) ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة ، فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علوم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له ، فعدل الى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم لأنه من جنس علوم الكندي . ابن النديم ، الفهرست ص٣٨٦ .

[٣] - ينظر سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ٧/ص١٧ .

[٤] - المرجع نفسه ٧/ص١٣٧ .

[١] - المرجع نفسه ١٣٨/٧ .

[٢] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٣٠و٣٨١ . وينظر : سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ١٣٩/٧ .

- يعقوب بن طارق (ت: ؟)

أحد الفلكيين العرب الأوائل في خلافة المنصور، اشتغل أيضا بعلم النجوم ، وله كتاب " المثالات" يتناول مواليد الخلفاء ، عده أبو معشر في " اسرار النجوم" من المؤلفات الشهيرة لأسلافه ([1]) .

- ماشاء الله بن أثري (ت : ٢٠٠ هـ /٨١٥ م)

أحد المنجمين المرموقين الذين كتبوا بالعربية ، ووصلت مؤلفاتهم إلى عصرنا ، كان يهودياً ، وقد بدأ نشاطه منجماً في مطلع الخلافة العباسية ، واشترك عام ١٤٥هـ /٧٦٢م في قياسات المساحة بغرض تأسيس بغداد ، شهد بداية خلافة المأمون ([2]) .

ومن مؤلفاته يظهر أنه ينتمي إلى المدرسة الفارسية التي رفدتها المعارف البابلية واليونانية والهندية قبيل وبعيد ظهور الإسلام .

ومن مؤلفاته يُستنتج أنه قد عرف العديد من المؤلفات اليونانية النجومية . وقد صنف بعض الكتب يظهر فيها واضحاً اللحمة بين علم النجوم وعلم الرياضيات ، وله مساهمات في حساب مقدار العمر . من آثاره : كتاب في " قيام الخلفاء ومعرفة قيام ذلك " وله كتاب في "القرانات والأديان والملل" ذكره ابن النديم([3]) وأفاد منه اليعقوبي في تاريخه ([4]) .

وله أيضاً كتاب " استخراج الخفي والضمير" يعتبر مصدرا مهما لنصير الدين الطوسي ([5])في كتابه "سفينة الأحكام" .

- جابر بن حيان (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

قد أدخل جابر علم النجوم والهيئة ضمن دائرة دراساته ، وكان علما أحكام النجوم والهيئة تحت صناعة النجوم ، إذ لم تكن الحدود واضحة بينهما ، ويرى جابر أن المنجم يجب أن يكون رياضيا وعليه أن يتقن علم الهيئة التي تشكل جزءاً من علم النجوم .

ويصف جابر علم الهيئة أنه صورة وضع الفلك ومافيه ، أما علم النجوم فيطلق عليه عطاء الكواكب . ومن آثار جابر في علم النجوم – كتاب "شرح صور البروج وأفعالها " و" النظام في استخدام العلويات" و" البحث" ويتضمن الكثير من علم النجوم و" الأجساد السبعة" وهو من مصادر نصير الدين الطوسي في "سفينة الأحكام" ([1]) .

- عبد الله بن علي الدنداني (كان حياً في أواخر القرن الثاني)

ذكره ابن النديم وأنه رأى له كتابا اسمه كتاب " صنعة النجوم" ([2]) .

- عبد الله بن عبيد الله الأسني (ت : غير معروف)

كان منجماً في بغداد زمن الخليفة الرشيد ، وقد كلف الرشيد وزراءه أن يبحثوا عمن يجمع كتاباً يوجز فيه المطالع التي تتمشى مع ظروف الحياة جميعها ، فاستدعي المنجمون من الدول البيزنطية والهندية والفارسية ، وذكر عبد الله نفسه – وهو العارف بالكتب اليونانية

---

[1] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ١٣٩/٧ .
[2] - المرجع نفسه ٧/ ١٤٠ - ١٤١ .
[3] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٧٣ .
[4] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ١٤١/٧ .
[5] - نصير الدين الطوسي (ت : ٦٧٢هـ /١٢٧٤م) فيلسوف وفلكي فارسي، ومن علماء المذهب الشيعي الاثنى عشري. ولد بمدينة طوس الإيرانية، ثم انضم لفرقة الحشاشين الإسماعيلية المتمركزة في قلعة ألموت في شمال إيران، وهناك أتم معظم إنجازاته في الفلك والعلوم. وبعد تسليم القلعة إلى الجيش المنغولي، انضم إليهم وعمل مستشاراً لدى هولاكو عند اجتياح بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م وصار ذا منزلة عنده. وبعد الاجتياح استولى على عدد كبير من الكتب ،اتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد. وبنى له هولاكو مرصداً فلكياً متميزاً في "مٌراغة" مكنه من وضع زيج في غاية الدقة بالاشتراك مع عدد من علماء الفلك في ذلك العصر، علت منزلته عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير به عليه .
له مؤلفات عديدة في الفلك والفقه والتفسير وغيرها . الزركلي ، الأعلام ٣٠/٧ ..
[1] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٥٤ . وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٥١/٧ .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٨٠ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٥٣/٧ .

والهندية التي تتناول علم النجوم - أنه أقام مع هؤلاء العلماء الآنفي الذكر وشارك بتأليف الكتاب ، وقد قسمه على عدد من البروج فكان اثنا عشر باباً وكل باب يقسم إلى اثنا عشر فصلاً ، وقرنوها بـ ١٤٤سؤالاً أسماء القرعة و١٤٤جواباً بحيث روعيت جميع المطالع (التي عرفت) شغل علم الأنواء والأجواء في هذا كله مكاناً مرموقاً . ومن آثاره : كتاب " الفأل المعتبر" وضعه بالتعاون مع الحكماء والعلماء لأجل الخليفة الرشيد وفيه جميع حوائج الناس وأغراضهم ومطلوبهم [1].

- عمر بن الفرخان الطبري (ت : ؟؟)

أحد أوائل النجمين والفلكيين العرب الذين وصلت إلينا بعض مؤلفاتهم ، كان أحد المهندسين والمنجمين والفلكيين العرب الذين اشتركوا عام ١٤٥هـ /٧٦٢م في تأسيس بغداد ، وقد حظي بمنزلة رفيعة في بلاط المنصور ثم الرشيد – ويرجح أنه كان رئيس المنجمين- واتصل بالوزير يحيى بن خالد البرمكي ثم بالفضل بن سهل ، وشهد خلافة المأمون ، وقد تكلم عنه أبو معشر أنه ترجم كتب اليونان والسريان وكتب الفرس ومعارف البابليين إلى العربية ، وقد صنف كتباً في موضوعات مختلفة أخرى إلى جانب تصنيفه كتباً في علم النجوم وعلم الهيئة ، ومن آثاره : كتاب " القرانات وتحويل السنين " يتكون من ٥ أجزاء ، عولجت فيه كافة مسائل علم النجوم تقريباً ، وكانت المعالجة على طريقة علم النجوم الشعبي أكثر منها على طريقة علم النجوم الرياضي ، وكان المؤلف لايحيل إلى مصادره التي اعتمد عليها . ومن كتبه " المسائل في علم أحكام النجوم " وهو مقسم إلى ١٣٨ باباً قصيراً ويذكر هو أنه جمعه من كتب القدماء .وكتاب " المواليد " يذكر أنه اعتمد فيه على مؤلفات هرمس وذوريوس وبطليموس وغيرهم [2] .

- إسحاق بن سليمان الأشجعي (ت : ؟)

أبو يعقوب،رجل مرموق المكانة ، كان عاملا للرشيد على المدينة والبصرة ومصر وأرمينية وجنوب شرق فارس ، ويعد من أولئك الذين يكلفون ويدعمون نقل الكتب الهندية والسريانية إلى العربية ، ويظهر أنه كان منجما ينتمي إلى دائرة ماشاء الله وابن الفرُّخان (سبقت ترجمتهما) آثاره : "كتاب أبي قماش" في تحويل سني العالم . [3]

- أبو سهل بن نوبخت (ت: ؟)

كان منجماً في بلاط المنصور ، امتدت حياته إلى عهد الرشيد ، وقد ترجم كتباً عن الفارسية إلى العربية ، وله إسهامات في علم النجوم ، ومن آثاره : كتاب " اليهبطان في المواليد " وفي الفهرست " النهمطان" وكتاب " المنتخبات" وهو من مصادر نصير الدين الطوسي في كتابه " سفينة الأحكام" وكتاب " الفأل النجومي" ذكره ابن النديم ، وغيرها[1]

- الفضل بن سهل (ت : ٢٠٢هـ /٨١٨م)

أبو العباس السرخسي ، كان في الأصل فارسياً زرادشتياً ، وهو من منجمي الرشيد ، عينه المأمون وزيراً فيما بعد .ومن آثاره كتاب " الدَّوازدَه هُمرُج " [2] يتناول اثني عشر برجاً بأسماء الحيوان [3] .

---

[1] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ١٥٤/٧ .

[2] - ابن النديم ، الفهرست ٢٧٣و٢٦٨ وسزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ١٥٤/٧ .

[3] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣٢٩/٦ وابن النديم ، الفهرست ص٢٤٤ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٥٩/٧ .

[1] - ابن النديم ، الفهرست ٢٧٤ وسزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي ١٥٩/٧

[2] - لم أجد لاسم الكتاب ترجمة عربية – في المصنفات - فسألت أحد العارفين باللغة الفارسية ، فأجابني مشكوراً : الاثنا عشر برجاً .

[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٣٩/١٢ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٦٢/٧ .

- يحيى بن أبي منصور (ت : ؟؟)
كان منجماً يعمل في خدمة المأمون، من آثاره : كتاب "الرجوع والهبوط"ويظهر فيه أن مراجعه يونانية ([1])
- الأبح ، الحسن بن إبراهيم التميمي (عاش في عهد المأمون)
ألف كتاباً في " الاختيارات" للمأمون ، وكتاباً في "المواليد" للمأمون ، وكتاباً في "المطر" ويُظن أن كتاب "القرعة المأمونية " -وهو كتاب مجهول المؤلف – له ، وقد ألف هذا الكتاب للمأمون أيضاً ، ويقدم عشرين دائرة مع ١٩٢سهماً ، ثم يتبع ذلك النصوص المتعلقة بها ، مضافاً لكل نص أربعة أبيات من الشعر تفيد الشرح النهائي لحالات القرع المختلفة ([2]) .
- سند بن علي (ت : غير معروف)
كان له اهتمام بعلم النجوم وعلم الهيئة ، ومن أولئك المنجمين الذين وضعوا طالعاً مغالطاً عن وقت وفاة الخليفة الواثق (ت :٢٣٢هـ /٨٤٧م) ويتضح من تصانيفه أنه انصرف في كتبه النجومية إلى مسألة اللحظات الحرجة التي تمر على المصير البشري بناء على أوضاع معينة للكواكب تجاه بعضها البعض (قاطع الطالع) وكان له موقف من المنجمين الشعبيين ، وما أدت إليه نبوءاتهم الخاطئة من ضرر على سمعة صناعة علم النجوم . ومن آثاره " رسالة في القطوع " و" كتاب القواطع " و" كتاب المناحس والسعادات " ([3]) .
- **أبو علي الخياط ، يحيى بن غالب** (ت : في الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي)
أحد تلاميذ ماشاء الله ، له كتاب "المواليد" ، وقد استشهد بكتابه بـ بطليموس وذورينوس وما شاء الله ([4]) .
- ابن الخصيب، الحسن بن أبي الخصيب (ت : ٢٣٠ هـ /٨٤٤م)
كان رجلاً خبيراً في علم النجوم ، وهو من أقدم العلماء العرب الذين وردت عندهم عبارة /علم الهيئة/ عنواناً لكتاب في موضوعات فلكية ، من آثاره " الكارمهتر" – المؤلف الكبير- ويذهب ابن النديم إلى أن هذا الكتاب يتكون من أربعة كتب – المدخل إلى علم الهيئة – كتاب تحويل سني العالم – كتاب المواليد – كتاب التسييرات .
وهذه الكتب من مصادر نصير الدين الطوسي في كتابه " سفينة النجوم " ([1]) .
- **الكندي ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي** (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠ م)
اشتغل بعلم النجوم ، وتعرف على قواعدها ولوازمها ، وقد عالج الكندي هذا العلم بالمنهج الرياضي وفقاً لقوانين فيزيائية على مايبدو ، وطعن باستمرار في الخرافات الشعبية والسنسكريتية .
من آثاره :" رسالة في القضاء على الكسوف" و"رسالة في ملك العرب وكميته" وفيه يتنبأ للعرب ٦٩٣ سنة قمرية ، و" اختيارات الأيام" و "الرسالة الحكمية في أسرار الروحانية " وهي ذات محتوى نجومي ، و" رسالة في بيان وقت الإجابة للدعاء من جهة التنجيم " ([2])
ويعتبر الكندي أول من نفى أثر الأجرام السماوية وحركاتها على حياة الإنسان ومعرفة مستقبله ، وقد وضع نظريته هذه في رسالته " العلة القريبة الفاعلة للكون والفساد " ([1]) .

[1] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ١٦٣/٧ .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ٢٧٥ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٦٤/٧ .
[3] - الطبري ، تاريخه ٣٦٤/٣ وسزكين، تاريخ التراث العربي ١٦٧/٧ .
[4] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٧٦ وسزكين، تاريخ التراث العربي ١٦٩/٧ .
[1] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٧٦ وسزكين، تاريخ التراث العربي ١٧٤/٧ .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٨١ والزركلي ، الأعلام ٨ / ١٩٥وسزكين ، تاريخ التراث العربي ١٨٦/٧ .

وأرى أن هذا الرأي الذي تبناه الكندي ، كان بعد اطلاعه الواسع في مجال المنطق والفلسفة ، إذ كان يطالب بابتعاد العلم عن الشعوذة والاعتماد على العقل المتحرر من الأوهام .

وإنما ترجمت له هنا لأنه عاش معظم حياته في فترة البحث ، وله إسهامات مهمة في علم أحكام النجوم ، وشهرته واسعة أيام المأمون .

د) علم الكيمياء :

الكيمياء قديماً أو (علم الصنعة كما يسميه العرب) كانت تهدف إلى صنع الأحجار الكريمة والمعادن أو تقليد أو تزييف الذهب والفضة ، أو كشف التزييف والغش في هذه المعادن الثمينة . ومن أشهر التعاريف لهذا العلم ، تعريف ابن سينا حيث يقول : إنه سلب الجواهر المعدنية خواصها ، وإفادتها خواص غيرها ، وإفادة بعضها خواص بعض ليتوصل إلى اتحاد الذهب والفضة من غيرهما من الأجسام – ويعتبر هذا العلم في فترة دراستنا نوعاً من الخداع فلذلك سموه علم الحيل – ([٢])وكانت بغداد مستقراً لهذا العلم نظراً لاهتمام الخلفاء به وخاصة المأمون ، وكذلك الأسر المتنفذة ومنهم البرامكة .

وممن عرف في هذا العلم وكان له اهتمام به :

- حربي الحميري (ت : ؟)

أحد معلمي جابر بن حيان ، وكان جابر يسميه الشيخ الكبير حين ينقل عنه من كتبه ، وقد تعلم منه جابر الكثير من العلوم ، واللغة الحميرية ([٣]) .

- جعفر الصادق (ت : ١٤٨ هـ/٧٦٥ م)

هو الإمام السادس عند الشيعة،ذكره جابر أنه أحد أساتذته في علم الصنعة ، من آثاره : رسالة في الكيمياء([٤])

- جابر بن حيان (ت : ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م)

هو أعظم صنعوي (كيميائي) عربي ، وأحد فلاسفة الطبيعة المسلمين ، له مخلفات أدبية كبيرة الحجم ،وهو متنوع المعارف . ويذكر جابرأساتذته في علم الصنعة ومنهم الأزدي الذي تتلمذ على الأمير الأموي خالد بن يزيد أول صنعوي عربي ، وحربي الحميري والراهب وجعفر الصادق وغيرهم ([١]) .

قال ابن النديم في الفهرست ([٢]) : واختلف الناس في أمر جابر، فقالت الشيعة إنه من كبارهم ، وزعموا أنه من أهل الكوفة ، وقيل : إنه في جملة البرامكة ، ومنقطع إليهم وملتحق بجعفر بن يحيى البرمكي .

وله تصانيف كثيرة ، بلغ عددها٢٣٢كتاباً ورسالةً ، وقيل خمسمائة - ضاع معظمها – وترجم منها إلى اللاتينية . وما بين أيدينا – أو الكتب المنسوبة إليه – "مجموعة رسائل" مطبوعة بنحو ألف صفحة ، و " أسرار الكيمياء " مطبوع ، و " علم الهيئة " مطبوع و " أصول الكيمياء " مطبوع ، و " المكتسب " مطبوع مع شرح بالفارسية للجلدكي ، و "كتاب في السموم " ، وإن اهتماماته امتدت إلى الطب والطبيعة والرياضيات والفلسفة ، وإلى كل فروع العلم المعروفة في زمنه تقريبا . ([١]) .

---

[١] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٤٣٣/١٦ .
[٢] - مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٣١٠ .
[٣] - سزكين د. فؤاد ، تاريخ التراث العربي المجلد /٤ص١٨٩ .
[٤] - المرجع نفسه المجلد٤/ ص١٩٠ .
[١] - المرجع نفسه ٤ص ٢٠٢ .
[٢] - ابن النديم ، الفهرست ص ٣٥٤ .

ونخلص إلى أن لجابر إنجازات علمية مهمة في علم الكيمياء ، بل هو مدرسة متكاملة بهذا العلم .ونجد صدى ذلك عند الغرب حتى وقتنا الحاضر .فقد امتدحه وأبرز أهمية انجازاته غير واحد من المشتشرقين ([٢]) .

- يحيى بن خالد البرمكي (ت: ١٩٠ هـ /٨٠٥ م)

اهتم بعلم الصنعة ، وحكى عن جابر الكثير من المعلومات ، وكان يحث على الترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية ([٣]).

- الفضل بن يحيى البرمكي (ت:١٩٣هـ / ٨٠٨ م)

كان صنعوياً وتلميذاً لجابر ، وروى عنه جابر وصفاً في عمل الصبغ الذي يشرّب (يشمع) به الحرير ، وقد سبق للفضل أن وجد هذا الوصف في كتب قديمة ([٤]) .

- يحيى بن أبي بكر الغساني (ت : ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

كان صديقاً لجابر ومعاصراً له ، وبقي مدة طويلة في بغداد ، نقل كتاب أسطانس في علم الصنعة عن العامية الخراسانية إلى العربية ، ومن آثاره " شرح الظلمة والرحمة " مخطوط في المتحف البريطاني ، لندن ([٥]) .

- سلم الحراني (ت : ؟)

كان صاحب بيت الحكمة ببغداد ، وهو أحد من ترجموا وفسروا كتاب المجسطي ليحيى البرمكي ، كان له اهتمام بعلم الصنعة ، من آثاره : رسالة سلم الحراني ، في علم الصنعة([٦]) .

- المأمون ، الخليفة (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٣م)

عثر على رسالة بعنوان " رسالة علم الياقوت والأحجار" تحمل اسم الخليفة المأمون في بغداد ([١]).

- أبو سالم البصري (ت : ؟)

حياته غير معروفة ، ولكن من الأرجح أن يكون من أوائل المصنفين العرب في علم الصنعة ، من آثاره :" كشف الوصية في علم الصنعة " ([٢]) .

وأجد هنا أنه من الضروري أن أذكر موقف الفيلسوف العربي يعقوب بن إسحاق الكندي من هذا العلم – علم الحيل – فإنه كان يعارض استخدامه لقصد الحصول على المعادن النفيسة معارضة شديدة ، فقد نادى بأن الاشتغال بالكيمياء بقصد الحصول على الذهب والفضة مضيعة للوقت والجهد ، ووضع رسالته في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم ، أي أنه يطالب بابتعاد العلم عن الأوهام ([٣]).

ثامناً) علم الزراعة :

وهو من بين العلوم التي ازدهرت ، وتم الاهتمام بها نتيجة لنمو حركة الترجمة ، فكان من بين مؤلفات أرسطو التي ترجمت إلى اللغة العربية كتب لها تأثير كبير من الناحية

---

[١] - الزركلي ، الأعلام ٢ / ١٠٨ . ويذكر ابن النديم أنه رأى المئات من كتب جابر . الفهرست ص ٣٥٤ ، بينما يعد سزكين لجابر الآلاف من الكتب والرسائل المنسوبة إليه ، ويناقش صحة نسبتها ، ويخرج بالنتيجة نفسها التي عرضاها ، وهي أن إنجازات جابر تعتبر مدرسة كيميائية (صنعوية) بلا شك . وينظر سزكين المجلد ٤ / ص٢٠٢ .

[٢] - الزركلي ، الأعلام ٢ / ١٠٨ .

[٣] - ابن النديم ، الفهرست ص٣٥٣ وسزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤ ص٣٩٦ .

[٤] - سزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤ ص٣٩٦ .

[٥] - المرجع نفسه ، المجلد ٤ص٣٩٧ .

[٦] - ابن النديم ، الفهرست ص١٢٠ ، وسزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤ ص٣٩٨ .

[١] - سزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤ ص٣٩٨ .

[٢] - المرجع نفسه ص٤٠٠ .

[٣] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٤٣٣/١٦ .

النظرية والعلمية في علم الزراعة ، ومن أشهر تلك المؤلفات كتاب الآثار العلوية وكتاب الطبيعة وكتاب الحيوان . ولهذا العلم ارتباط بعلم أحكام النجوم ، ومع أن الدين الإسلامي قد بيَّن فساد الاعتقاد بالتنجيم ، إلا أنه سبق وذكرنا أن ذلك لم يمنع الخلفاء العباسيين، بداية من المنصور، من أن يستشيروا المنجمين في كثير من الأحوال السياسية والإدارية. كما أن كثيراً من أطباء ذلك العهد كانوا يعالجون الأمراض على مقتضى حال الفلك ، وكذلك كان يفعل المزارعون لمعرفة الأوقات المناسبة للقيام بزرع البذور أو غرس الأشجار أو تركيبها أو معالجة أمراضها وآفاتها. ولهذا السبب نجد أن أكثر كتب الزراعة التي ظهرت في العصر العباسي وما بعده، قد خصصت أحد أبوابها للكلام على تأثير الكواكب في حياة النباتات ونموها وموتها(١) .

والذي **استنتجته** أيضاً مما ألف في هذا الفن ، أن المؤلفين إنما اهتموا به لأغراض لغوية ، وذلك لجمع المصطلحات العربية التي تتعلق بعلم ، إلى جانب أنه علم قائم بذاته له أهميته الحياتية والاقتصادية للدولة العربية الإسلامية .

ويؤكد الباحثون أن دور العرب المسلمين لم يقتصر على نقل العلوم الزراعية اليونانية البيزنطية بأمانة إلى الغرب، بل لابد من الإشارة إلى ذلك الجهد الكبير الذي شاركت فيه كل النخب المثقفة في العصر العباسي من عرب وسُريان وأراميين. فكانت في الوقت نفسه عملية ترجمة وتعديل وإضافة متواصلة . ثم تأصيل لهذا العلم ونقله إلى حضارات أخرى (٢) . **وممن صنف في علم الزراعة من العلماء العرب المسلمين :**

- **جابر بن حيان**- تمت ترجمته في علم الكيمياء - صنف كتاباً في "علم النبات "وكتابا في"علم الفلاحة "([3])

- **أبو عمرو الشيباني (ت : ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م)**

إسحاق بن مرار ، لغوي أديب من الكوفة ، له كتاب " النواء" فيه الكثير من الموضوعات النباتية ، وقد أكثر النقل عنه أبو حنيفة الدينوري ([1])في كتاب " النبات " ([2]).

- **يزيد بن عبد الله الحرُّ الكلابي** (عاش في القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي)

أبو زياد ، أعرابي بدوي ، عالم بالأدب ، ذكره ابن النديم وذكر له أربع كتب في الفلاحة والزراعة . واستشهد به أبو حنيفة الدينوري كثيرا([3]) .

- **النضر بن شميل (ت : ٢٠٣هـ / ٨١٨ م)**

من البصرة ، عالم باللغة والأدب ، له كتاب " الصفات " ذكره ابن النديم ، ويحتوي على موضوعات تتعلق بالنبات كـ : الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار .

أخذ عنه أبو عبيد، القاسم بن سلام في كتابه " الغريب المصنف" ([4]) وله كتاب في " الأشجار " كان مصدراً مهماً لكتاب الأزهري " التهذيب " ([5])

---

[1] - البابا ، د. محمد زهير،علم الفلاحة والزراعة العربي (مقالة) في مجلة التراث العربي العددان ٣٧و٣٨ تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٠ م

[2] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ، المجلد ٤ /ص ٤٩٤ .

[3] المرجع نفسه المجلد ٤ ص٤٩٣ .

[1] - هو أحمد بن داود الدينوري ، البغدادي (ت: ٢٨٢هـ /٨٩٥م) أديب لغوي موسوعي ومهندس نباتي ، من نوابغ الدهر ، صنفه العلماء بمنزلة الجاحظ وأبي يزيد البلخي ، جمع بين حكمة الفلسفة وبيان العرب ، له مصنفات بعلوم شتى ، ولكن كتابه في " النبات " كانت له شهرة أوسع من غيره . طبع عدة مرات . الزركلي ، الأعلام ١٢٣/١ ولم نترجمه هنا لأنه خارج الفترة الزمنية .

[2] - سزكين ٤٩٤/٤ .

[3] - ابن النديم ، الفهرست ص٤٤ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ٤٩٥/٤ .

[4] - تمت ترجمته مع علماء اللغة في بغداد ص١٦٣ .

[5] - ابن النديم ، الفهرست ص٥٢ وسزكين ، تاريخ التراث العربي ٤٩٥/٤ . **والأزهري** ، محمد بن أحمد الهروي (ت : ٣٧٠ هـ /٩٨١م) من أئمة اللغة والأدب ، مولده ووفاته في هراة بخراسان ، عني بالفقه أولا ثم تبحر في العربية ورحل في طلبها ، وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم ، ووقع في إسار القرامطة ، فكان مع فريق من هوازن يتكلمون بطباعهم البدوية ، ولايكاد يوجد في منطقهم لحن ، له "تهذيب اللغة " مطبوع . الزركلي ، الأعلام ٥ /٢١١ .

- أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٤ هـ /٨٢٩ م)
سعيد بن أوس بن ثابت البصري ، من أئمة اللغة والأدب ، له كتاب " النبات والشجر" أخذ عنه واضعوا المعاجم وعلماء النبات العرب ، له كتاب " اللبأ واللبن " ([١]) .
- الأصمعي (ت : ٢١٦ هـ / ٨٣٠ م)
عبد الملك بن قريب ، لغوي ، أديب معروف ([٢])له كتاب " النبات والشجر" ويعد كتابه هذا من خير ماألف في علم النبات ، يضم حوالي ٢٨٠ نوعا من النبات ، وقد أكثر علماء النبات وواضعوا المعاجم من الأخذ عنه ، وخاصة أبو عبيدة بن سلام ، و أبو حنيفة الدينوري ([٣]) .
- ابن الأعرابي (ت : ٢٣٠ هـ /٨٤٣ م) ([٤])
محمد بن زياد الكوفي ، أبو عبد الله ، أديب لغوي ، ترجمناه مع لغويي الكوفة ، له إسهامات في علم الفلاحة منها : كتاب " صفة النخل " و" صفة الزرع " و" النبت والبقل "
- أحمد بن حاتم الباهلي (ت : ٢٣١هـ / ٨٤٥ م) ([٥])
أبو نصر البصري ، أديب لغوي ، له كتاب " الشجر والنبات " و" الزرع والنخل " ، أخذ عنه أبو حنيفة الدينوري .
ويعتبر ابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ /٨٥٨ م) مرحلة مهمة من الإسهامات العربية في علم الزراعة ، ذكره ابن النديم ([٦]) وذكر له كتاب" النبات والشجر" الذي يعتبر كتاباً جامعاً شاملاً ، وقد حفظ له ابن سيده في كتابه " المخصص "([١])أكثر من مائتي شاهد نقلها منه . كما أشاد المستشرقون بروعة وجمال وصف ابن السكيت للنبات .وقال زلبرغ : إن ابن السكيت كان المعلم الرئيسي في مجال النبات لأبي حنيفة الدينوري ([٢]).
تاسعاً : علم الكلام والمعتزلة :
في العصر العباسي الأول ترعرع علم الكلام وازدهر ، فلذلك لم نجد بداً من إفراد الكلام عن هذا العلم وتأثيراته الدينية والسياسية والاجتماعية .
ويراد بالكلام : الجدل الديني في الأصول العقيدية ، لاعند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، ونرى أن الوصف بالمتكلم يضاف إلى بعض الرافضة ، كهشام بن الحكم وشيطان الطاق ([٣]) ، بل نراهم يضيفونه إلى أهل الحجاج من المسيحيين ، بل لقد أضافوه إلى أهل الجدل من المنانية الثنوية القائلين بإلهي النور والظلمة الذين يحامون ويناضلون عن عقيدتهم الفاسدة (٤)

[١] - سزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤٩٦/٤ .
[٢] - سبقت ترجمته مع اللغويين في البصرة ص١١٤ .
[٣] - سزكين ، تاريخ التراث العربي ٤٩٧/٤ ، والبابا ، علم الفلاحة العربي (مقالة) سبق التعريف بها .
[٤] - ابن النديم ، الفهرست ص٦٩ .
[٥] - سزكين ، تاريخ التراث العربي المجلد ٤ / ٤٩٩ .
[٦] - ابن النديم ، الفهرست ص ٧٣ .
[١] - ابن سيدة ، هو علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الاندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع= للأمير أبي الجيش مجاهد العامري ، نبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف " المخصص - ط " سبعة عشر جزءاً، وهو من أثمن كنوز العربية، وله كتب أخرى . الزركلي ، الأعلام ٤ / ٢٦٣ .
[٢] - زلبرغ ، نقلاً عن سزكين، تاريخ التراث العربي المجلد ٤٩٩/٤ .
[٣] - شيطان الطاق الشيعي (ت: ١٦٠ هـ /٧٧٦م) متكلم مناظر ، اشتهر بمناظراته مع أبي حنيفة النعمان ، وكان شديد التعصب لعلي رضي الله عنه . الزركلي ، الأعلام ١٨٤/٣ . وتلميذه :
هشام بن الحكم الشيباني الكوفي (ت: ١٩٠ هـ /٨٠٥ م)متكلم مناظر ، كان شيخ الإمامية في وقته ، سكن بغداد .الزركلي، الأعلام ٨٥/٨ .
[٤] - ضيف د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص١٣٢ .

١ - **أسباب نشأة علم الكلام:-** طبيعة العقل البشري ، حيث إنه يجد نفسه أمام أسئلة ملحة لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ، ولا يملك إلا أن يفكر فيها ، فيسعي إلى تقديم حل لها .... ومن جملة هذه الأسئلة : ما أصل العالم – ما علته – ما هي الحركة والسكون – وما هي علة الكون والفساد – وهل الإنسان مجبر أم مختار – ثم ما هي النفس وما هي الروح وما علاقتهما بالبدن – وما هي حقيقة البعث هل بالجسم أم بالنفس ؟ كل هذه الأسئلة تدفع بالعقل البشري إلى النظر والبحث والتأمل سواء في الكون أو في النص الديني الذي تحدث عن هذا الكون وعن غيره .... ولقد هيأ ت الأوضاع السياسية في العصر العباسي الأول المناخ الفكري الملائم للعقل الإنساني أن ينال حظه من البحث عن هذه الأسئلة وإيجاد الأجوبة المناسبة لها دون تضييق ([١]).

٢- اختلاط العرب المسلمين مع سكان البلاد المفتوحة والعناصر الأعجمية ، فوجدوا أنفسهم أمام تيارات دينية وعقيدية متباينة ، ومذاهب مختلفة عن الإسلام ، بعضها ديني وبعضها غير ديني ، وهذه التيارات أثارت مناقشات وادعت أنها تقدم حلولاً لبعض المشاكل التي يواجهها الإنسان العاقل ، ولقد ساعدت سماحة الإسلام على خلق جو من حرية الفكر والرأي والاعتقاد ([٢]).

٣- ترجمة كتب الحكمة اليونانية ، والتي جاءت بأفكار جديدة ماعرفها العرب المسلمون من قبل ، فكان عليهم قراءتها واستيعابها وفهمها ، ثم الرد عليها حتى لايكون لها تأثير على عقيدة الإسلام ، ومما استخلصته من خلال البحث في الترجمة ، أن الفرس وخاصة المتنفذين منهم نهضوا بها ، وقدموا الكثير من المال لترجمة كتب الفرس وكتب اليونان

(كأسرة البرامكة)، والذي ظهر لي أنه لم تكن لهم نية صافية في ذلك ، إنما كان عملهم للوقوف في وجه الدين الجديد ، وإفحامه بأفكار دخيلة احتوتها تلك الكتب ([١]).

أضيف إلى ذلك سعي أصحاب الديانات السماوية السابقة اليهودية والمسيحية ، والذين كان لهم نفس هدف الفرس ، فلذلك ماتركوا مناسبة إلا وحاولوا بث أفكارهم ، وطرح أرائهم مستغلين تقريب الخلفاء لهم ([٢]) .

---

[١] - عون د. فيصل بدير ، علم الكلام ومدارسه ،ط: مكتبة الأنجلة المصرية ، القاهرة ٢٠٠٨ م ، ص٣٦.

[٢] - المرجع نفسه ص٣٨ .

١ - وقد مر في بحث الترجمة حرص هؤلاء الفرس لترجمة كتب الحكمة الفارسية والهندية واليونانية . ص١٧٢ و١٧٣ .

٢ - يشير إلى هذا الرأي أسد رستم في كتابه : كنيسة الله أنطاكية العظمى ط: مطبعة دار الفنون ، بيروت ٦٩/٢ فيذكر أن أحد الرهبان في الشام واسمه يوحنا أو يحيى الدمشقي كان له تأثير في العقيدة الإسلامية ، أما عن ثقافته فيقال : إن راهبا أسر في إيطاليا من قبل المسلمين واسمه قوزما واحضر لدمشق فأخذ عنه يوحنا اللغة اليونانية وآدابها والعلوم والفلسفة والموسيقى ، ثم إن يوحنا ألف عدة كتب في اللاهوت والفلسفة منها " ينبوع المعرفة " و " المقدمة في العقائد والإيمان الحق" وكان أبوه قبله نصرانياً وصاحباً لعبد الملك بن مروان ، وقد صنف كتاباً في فضائل النصرانية ، على نهج محادثة بين نصراني ومسلم .**وانظر** : الزرو ، خليل داود ، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة – رسالة ماجستر – ط: دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١ م ص١٢٣ و نخبة من الباحثين ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص٦٤ وما بعدها .

ولقد تنبه المسلمون إلى المؤامرة التي تحاك ضد دينهم الذي هو عصمة أمرهم ، ومن أجل الرد على خصومهم رؤوا :

- أنه يتوجب عليهم الوقوف على الديانتين المسيحية واليهودية ، ويستوعبوهما جيداً لكي يتعرفوا نقاط القوة والضعف في الحجج التي يسوقها هذا الفريق أو ذاك لبيان وجهة نظره .

- وعليهم أيضاً تسخير العقل الإنساني في خدمة هذا الدين الجديد لكي يستخلص منه العقلية التي يستطيع بواسطتها أن يقنع هؤلاء الخصوم ، وأن يدحض في نفس الوقت حججهم ويبين تهافتهم ([1]) .

وحيث وجد أصحاب علم الكلام المسلمين أن علم الحكمة (الفلسفة) تعتمد كلياً على العقل والأدلة العقلية ؛ شمروا عن سواعدهم لمناهضتهم ووجدوا أنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم ولن يتهيأ لهم الغلبة عليهم مالم يعمدوا إلى دراسة الفلسفة ويستعينوا بها في دعم حججهم وتقوية أقوالهم ، فالأدلة النقلية وحدها غير كافية لإفحام الغير وإلزامهم الحجة ، وإنما هي تفتقر إلى البراهين العقلية التي تسندها وتظهر حجتها ([2]) .

ومن المنطق أن لايقنع الكافر بالدين الإسلامي ، بأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ، لأنه لايؤمن بالله ولا برسوله ، فالواجب استعمال سلاحه نفسه وهو العقل ، ثم إذا تسرب الإيمان إلى قلبه وجد القرآن فيه وقعاً عجيباً .

وأول ظهورالأفكار الكلامية والجدلية كان بالشام ، وقد تبناها كل من غيلان الدمشقي ([1]) والجعد بن درهم ([2])

والذي تبنوا علم الكلام هم **المعتزلة** .

المعتزلة من فرق الإسلام ، يرون أن أفعال الخير من الله، وأفعال الشر من الإنسان، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم ، وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة ، وأن المؤمن إذا

---

١ - عون د. فيصل بدير ، علم الكلام ومدارسه ، ص ٣٨ .

[2] - المرجع نفسه ص٢٣٤- ٢٣٨ .

[1] - هو غيلان بن يونس القدري الدمشقي (قتل ١٠٥ هـ / ٧٢٣م) كان أبوه مولى لعثمان بن عفان ، ظهر في عهد عمر بن عبد العزيز ، وقد ناظره عمر وأظهر الحجة عليه ولكنه تركه ، وقد أكثر غيلان من انتقاد خلفاء بني أمية فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك ، أحضره وسأله عن أفكاره فطلب عالما يجادله فجاء هشام بالأوزاعي الذي سأله عدة أسئلة عجز عن جوابها فأشار إلى الخليفة بقتله فقتله – وخبر مقتله عند ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٦٧/٩ . وكان غيلان أول من تكلم بالقدر ، وهو أن الإنسان يفعل مايشاء باختياره ، لاعتقاده أن الله لايأمر بالظلم ولايأمر بالفاحشة أ والعصيان بل إن كل ذلك من عمل الإنسان ..وهذا ماسمي عند المعتزلة فيما بعد بالعدل . وكان غيلان أول من قال بخلق القرآن ، وتنسب إليه الفرقة الغيلانية . الشهرستاني ، الملل والنحل ١ /٢٢٧ وابن النديم،الفهرست (لم أجده وأشارإلى وجود ترجمته فيه الزركلي في الأعلام ٥ / ١٢٤) وذكر ابن نباته في كتابه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ط: القاهرة ١٩٦٤م ص٢٨٩ أن غيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام . وينظر : الحياة العلمية في الشام ص ١٢٨-١٣٨ .

[2] - من التابعين قتل سنة ١٢٥هـ ، كان مؤدب مروان بن محمد ، وأصله من حران . له تأثير على العقيدة الإسلامية حيث نادى بالجبر ونفي الصفات وخلق القرآن ، وقدهرب من الشام إلى العراق ، فحبسه واليها خالد القسري ، ثم قتله في عيد الأضحى – ترجمته وقصة مقتله في البداية والنهاية ٣٦٤/٩ – وتتلخص آرائه بأنه مثبت للقدر ومعنى ذلك أن مايصيب الإنسان هومن من الله سبحانه ، بينما القدرية تنفي القدر ، وقد أخذت المعتزلة القول بالقدر عن القدرية وغيلان ، وأخذت القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الجعد والجبرية ، فكان غيلان والجعد هما الرافدان لحركة المعتزلة . الحياة العلمية في الشام ص١٤٦ – ١٥٠ .

ارتكب الذنب، كشرب الخمر وغيره، يكون في منزلة بين منزلتين، لا مؤمناً ولا كافراً، ويرون أن إعجاز القرآن في " الصرفة " لا أنه في نفسه معجز، أي أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه ، وأن من دخل النار لم يخرج منها. وسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء ([1]) كان ممن يحضر درس الحسن البصري ، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر . وقالت الجماعة : بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقاً، خرج واصل عن الفرقتين، وقال : إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر. واعتزل مجلس الحسن، وتبعته جماعة، فعرفوا بالمعتزلة. وما زال مذهبهم ينمو إلى أيام الرشيد، فوضعه موضع البحث بين العلماء. ولما ولي المأمون ناصر المعتزلة وعاقب مخالفيهم . وتابعه المعتصم ثم الواثق. ولما كانت أيام المتوكل كتب إلى الآفاق بمخالفة القائلين بالاعتزال. وضعف شأن المعتزلة حتى ذهبت بمذهبهم الأيام (٢).

ويسمون أيضا([3]): أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ([4])والعدلية([5])، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازا من وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبي ﷺ : " القدرية مجوس هذه الأمة "([1])

ومؤسس فرقة المعتزلة : واصل بن عطاء الغزال (ت :١٣١هـ / ٧٤٨م)

هوأبو حذيفة المخزومي ، البليغ الأفوه ، كان من أجلاد المعتزلة، ولد سنة ثمانين بالمدينة. كان يلثغ بالراء ، ولحذاقته وبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه.ومما قيل فيه:

ويجعل البر قمحًـا في تصرفـه   وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطـق مطرًا في القول يعجله   فعاذ بالغيث إشفاقًا من المطـر

وله من التصانيف: كتاب" أصناف المرجئة" وكتاب "التوبة" وكتاب "معاني القرآن" وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل([2]) ويقول: إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهد عندي عليٌّ وعائشة وطلحة على باقة بقلٍ لم أحكم بشهادته . وفرقته تسمى الواصلية([3]).

ومن أهم رجال الاعتزال في العصر العباسي الأول :

- عمرو بن عبيد (ت : ١٤٣ هـ /٧٦٠ م):

---

[1] - كان تلميذاً للحسن البصري (ت :١٣١هـ / ٧٤٨ م)، حصل بينه وبين الحسن البصري خلاف فطرده من مجلسه ، انضم إليه عمرو بن عبيد وزوجه أخته ، واعتزلا حلقة الحسن فسميا بالمعتزلة ، وأغلب الباحثين يعتبرونه مؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية . ينظر : الشهرستاني ٥٩/١ .

[2] - - الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت : ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م) الملل والنحل تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ط:دار المعرفة بيروت ١٩٩٣ م ٥٦/١. والزركلي ، هامش الأعلام ٨ / ١٠٨ – ١٠٩ و عون ، علم الكلام ومدارسه ، ص٢٢٣ .

[3] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٥٦/١.

[4] - لقولهم بقول جهم في إنكار القدر .

[5] - لقولهم بعدل الله تعالى وحكمته ، ويسمون الموحدة لقولهم : لاقديم مع الله ، ويسمون أيضا الجهمية لقولهم برأيه في الصفات ، والمعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء ...هامش الملل والنحلل ٥٦/١ .

[1] - الحديث رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر برقم (٤٦٩١)

[2]- قال أهل السنة والجماعة في هذا الأمر بتصويب علي وأتباعه يوم الجمل ، وقالوا: إن الزبير رجع عن القتال يومئذ تائبًا ، فلما بلغ وادي السباع قتله بها عمرو بن جرموز غِرَّة ، وبشَّر عليٌّ قاتله بالنار، وهمّ طلحة بالرجوع فرماه مروان بن الحكم - وكان مع أصحاب الجمل- بسهم فقتله ، وعائشة رضي الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين ، فغلبها بنو أزد وبنو ضبة على أمرها حتى كان من الأمر ما كان، ومن قال بتكفيرالفريقين أو أحدهما فهو الكافر دونهم البغدادي،عبد القاهر بن طاهر(ت:٤٢٨هـ/١٠٣٧م) الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠م ص١١٠.

[3] - كان تلميذاً للحسن البصري، حصل بينه وبين الحسن البصري خلاف فطرده من مجلسه ، انضم إليه عمرو بن عبيد وزوجه أخته ، واعتزلا حلقة الحسن فسميا بالمعتزلة ، وأغلب الباحثين يعتبرونه مؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية تاريخ بغداد ١١١/١٤ والسير ٣٠٥/٦ والشهرستاني ٥٩/١ .

وصف بأنه كان زاهداً عابداً قدرياً ، كبير المعتزلة ، كان المنصور يعظمه ويقول:

كلكم يمشي رويد   كلكم يطلب صيد   غير عمرو بن عبيد

والراجح أنه اغتر بزهده وإخلاصه ، وأغفل بدعته ، له كتاب "العدل والتوحيد" وكتاب " الرد على القدرية "(١) .

- ثمامة بن أشرس النميري (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)

هو أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، كان نديماً ظريفاً صاحب ملح اتصل بالرشيد ثم بالمأمون ، وهو أستاذ أبي عمرو الجاحظ.

ذكر عنه أنه كان يقول : العالم هو بطباعه فعل الله . وقال : المقلدون من أهل الكتاب وعبدة الأوثان لا يدخلون النار بل يصيرون تراباً . وإن من مات مسلماً وهو مصر على كبيرة خلد في النار، وإن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً ولا يدخلون جنة .

وجملة القول فيه أنه كان جامعًا بين قلة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة ، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين. وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق، وقيل إنه هو الذي أغرى المأمون ودعاه إلى الاعتزال ، وتُسمَّى فرقته الثماميّة ([٢]).

- بشر بن المعتمر المريسي (ت : ٢١٨ هـ /٨٣٣ م)

كان والده يهوديا ، أخذ عن القاضي أبي يوسف حتى صار من كبار الفقهاء ، ثم إنه نظر في الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه ، وصار من كبار الجهميين ، وعالمهم ، فمقته أهل العلم وكفره عدة ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه .و قد أُخذ في دولة الرشيد وأهين من أجل أفكاره ، ثم علت مكانته زمن المأمون ، وفرقته تسمى البشرية ([١]).

ويقول الشهرستاني : كان من أفضل علماء المعتزلة ، وهو الذي أحدث القول بالتولد ([٢]) وأفرط فيه ، وانفرد عن أصحابه بعدة مسائل .

من مصنفاته : " التوحيد " و" الإرجاء " و" الرد على الخوارج " و" المعرفة " وغيرها كثير ([٣]). وقد صنف عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ مجلدا في الرد عليه ([٤]) .

- معمر بن عباد السلمي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)

من أعظم القدريّة فِرْيةً في تدقيق القول بنفي الصفات، ونفي القدر خيره وشره عن الله تعالى، والتكفير والتضليل على ذلك ، وتُنسب إليه فرقة المعمرية ([5]).

- حمدان بن الهذيل العلاف (ت : ٢٢٦هـ / ٨٤١م)

أبو الهذيل شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظر عليها، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء وتُنسب إليه فرقة الهذيلية(6) .

- عيسى بن صبيح (ت : ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م)

---

[١] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٥٦/٨ والذهبي ، السير ٤١٦/٦و الشهرستاني ، الملل والنحل ١/ ٦٥ .

[٢] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٥/٧ والخطيب ،عبد القاهر ، الفرق بين الفرق ١٥٧ والذهبي ، السير ١٠ /٢٠٣ وابن النديم الفهرست ٢٠٧ ،والشهرستاني ، الملل والنحل ٨٤/١ والزركلي ، الأعلام ٢ / ١٠٠ -١٠١ وعون ، علم الكلام ومدارسه ص٢٩١ .

[١] - ينظر : الذهبي ، السير ١٠ / ٢٠٠ .

[٢] - قوله هذا مخالف لإجماع المسلمين ، فأهل السنة لايقولون بالتولد أصلا فالحوادث كلها لابد لها من محدث صانع ، والمعتزلة يقولون به ولا يفرطون .محققا الملل والنحل ، الهامش ٧٨/١ .

[٣] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٥٦/٧ والخطيب ، عبد القاهر ، الفرق بين الفرق ١٩٢، والذهبي ، السير ١٩٩/١٠ والشهرستاني ، الملل والنحل ٧٨/١

[٤] - سماه : الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية .مطبوع . هامش السير ١٠ /٢٠٠ .

[٥] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٧٩/١ -٨٠ .

[٦] - المصدرنفسه ٦٤/١ .

أبوموسى الملقب بالمردار، وكان يقال له: راهب المعتزلة ، وقد عُرف عنه التوسُّع في التكفير حتى كفّر الأمة بأسرها بما فيها المعتزلة، وتُنسب إليه فرقة المردارية ([1]).

- إبراهيم بن يسار بن هانئ النظَّام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م)

وقد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وتُنسب إليه فرقة النظاميّة ([2]).

- أحمد بن أبي دواد (ت: ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

هوأبو عبد الله ، الداعية إلى خلق القرآن ، عدو أحمد بن حنبل .

وصف بأنه كان قاضياً كبيراً ، ولي قضاء القضاة للخليفة المعتصم ثم الواثق ، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم ، وأنه كان شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً ، ما رؤي رئيس أفصح منه ، غير أنه كما يقول الخطيب البغدادي : أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله تعالى لايُرى في الآخرة ([3]).

ومكانته عالية عند الخلفاء فقد وقع حريق في الكرخ من بغداد ، فكلم المعتصم في الناس ، ورققه إلى أن أطلق له خمسة آلاف ألف درهم، فقسمها على الناس، وغرم من ماله الخاص.

وقيل : إنه لم يكن بعد البرامكة أكرم منه .

وأيام المحنة كان إلباً على الإمام أحمد يقول للخليفة : يا أمير المؤمنين ، اقتله ، هو ضالٌ مضل . حتى انتهى الأمر بضربه وسجنه .

وظلت مكانته عالية إلى آخر عهد الواثق ، ثم إنه شاخ ورمي بالفالج بعد أن غضب عليه المتوكل وصادره ، وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم . ولما مات رثته الشعراء ، فمن ذلك :

وليس نسيم المسك ريح حنوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنه أصلاب قوم تقصف(١)

- عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)

هوأبو عثمان ، من أبرز منظري المعتزلة ،من كبار كُتَّابهم ، ومن فضلائهم ، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة ، وحسن براعته اللطيفة ،وكان في أيام الخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل ، وله مسائل انفرد بها ، وتُسمى فرقته الجاحظية (٢)

العقائد والأفكار:

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطور خلافها فيما بعد، ولم تقف عند حدود تلك المسألة، بل تجاوزتها ليشكل منظومة من العقائد والأفكار، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة التي لا يعد معتزلياً من لم يقل بها، وسوف نعرض لتلك الأصول ولبعض العقائد غيرها، ونبتدئ بذكر الأصول الخمسة:

١- **التوحيد**: ويعنون به إثبات وحدانية الله سبحانه ونفي المثل عنه، وأدرجوا تحته نفي صفات الله سبحانه ، فيقولون عن الله : لا جوهر ولا عرض ولا طويل ولا عريض ولا

---

[1] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٨٢/١ .
[2] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٦٧/١ .
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٨/٤ .
[1] - المصدر نفسه ١٤١/٤والذهبي ، السير ١٦٩/١١ ، وابن النديم ، الفهرست ٢١٢ .
[2] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٨٨/١ وعون ، علم الكلام ومدارسه ص٢٩٠ .

بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا بذي حرارة ولا برودة .. إلخ ، أما الصفات الثبوتية كالعلم والقدرة فينفونها عن الله سبحانه تحت حجة أن في إثباتها إثبات لقدمها، وإثبات قدمها إثبات لقديم غير الله، قالوا : ولو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية، فكان التوحيد عندهم مقتضياً نفي الصفات ([1]) .

٢- **العدل**: ويعنون به قياس أحكام الله سبحانه على ما يقتضيه العقل والحكمة، وبناء على ذلك نفوا أموراً وأوجبوا أخرى، فنفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال عباده، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيراً وإن شراً، وأوجبوا على الخالق سبحانه فعل الأصلح لعباده، قال الشهرستاني(٢) : اتفقوا - أي المعتزلة - على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا هذا النمط عدلاً . وقالوا أيضاً بأن العقل مستقل بالتحسين والتقبيح، فما حسنه العقل كان حسناً، وما قبحه كان قبيحاً، وأوجبوا الثواب على فعل ما استحسنه العقل، والعقاب على فعل ما استقبحه (٣) .

٣- **المنزلة بين المنزلتين**: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري ، إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافراً بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصراً على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم (١) .

٤- **الوعد والوعيد**: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر وأن الله لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يُخرج أحداً منهم من النار، فهم كفار خارجون عن الملة مخلدون في نار جهنم، قال الشهرستاني (٢): واتفقوا - أي المعتزلة - على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً .

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وهذا الأصل يوضح موقف المعتزلة من أصحاب الكبائر سواء أكانوا حكاما أم محكومين، وأجمعوا المعتزلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك - فهم يرون قتال أئمة الجور لمجرد فسقهم، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر ([3]) .

[1] - عون ، علم الكلام ومدارسه ص ٢٤٦ .
[2] - الشهرستاني ، الملل والنحل ٦١/١.
[3] - عون ، علم الكلام ومدارسه ص٢٤٦ .
[1] - المرجع نفسه ص ٢٤٧-٢٤٨ .
[2] - الشهرستاني ، الملل والنحل ١ / ٦٢ .
[3] - المصدر نفسه ٦٠/١-٦٣ - وقد جعلها الشهرستاني أربع قواعد ونسبها للواصلية. والبغدادي ، عبد القاهر ،الفرق بين الفرق ص١١٤وعون ، علم الكلام ومدارسه ص٢٤٥- ٢٦٥ مختصراً .

هذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه(١)، فمن تلك العقائد

١- نفيهم رؤية الله عز وجل: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله سبحانه وهو منزه عن الجهة والمكان، وتأولوا قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ([٢]) أي منتظرة .

٢- قولهم بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة.

٣- نفيهم علو الله سبحانه، وتأولوا الاستواء في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ([٣])بالاستيلاء .

٤- نفيهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وقالوا بإبطاله .

٥- نفيهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي (١) .

فرق المعتزلة

وقد افترقت المعتزلة فيما بينها عشرين فرقة، تتفق في الأصول الخمسة وتختلف في غيرها، وكل فرقة منها تكفِّر سائرها، ومن هذه الفرق: الواصلية، والهذيلية، والنظامية، والمعمرية، والبشرية، والمردارية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية ، وغيرهم ([٢])

وعادةً ما تبدأ الفرق في عددها وأفكارها صغيرة ثم ما تلبث أن تتشعب وتتفرق، فتصبح الفرقة فرقاً والشيعة شيعاً، وهكذا كان الحال مع المعتزلة فقد بدأت فرقة واحدة ذات مسائل محدودة، ثم ما لبثت أن زادت فرقها، وتكاثرت أقوالها وتشعبت، حتى غدت فرقاً وأحزاباً متعددة، ولم أجد ضرورة لذكر هذه الفرق وقد ذكرت بعضها ممن تنسب إلى من تمت ترجمتهم من رؤوس المعتزلة .

المعتزلة بعد الخليفة الواثق :

كانت محنة خلق القرآن من البدع التي كادت أن تزعزع جسد الأمة ، ولقد تطاول معتقدوها على حد لايقبله عقل ولادين ، فمما ذكره ابن كثير رحمه الله ([٣]) أنه في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م تم الصلح ومفاداة الأسرى بين المسلمين والروم ، فأمر الواثق بامتحان الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن وأن الله لايُرى في الآخرة ، فمن

---

[١] - امتازت المعتزلة من بين فرق المتكلمين بحرية الرأي ، والاعتماد على العقل ، وعدم التقيد بنصوص القرآن والحديث ، مما كان له الأثر العظيم في كثرة اختلافاتهم ، ولهذا يعاني من يكتب عنهم مشاقّ عظيمة في أن يجعل لهم مذهبا موحدا مجمعا عليه بينــــــهم ، وكان الجدل والخلاف في الرأي ، هو الأصل الذي قام عليه مذهب هذه الفرقة ،وإنك لتدهش حين تريد أن تعرف عندهم مسألة من المسائل الكلامية من كثرة الاختلافات التي تراها عندهم . ينظر: ماكتبه محققا الملل هامش ص٥٩ .

[٢] - سورة القيامة آية ٢٢ -٢٣ .

[٣] - سورة طه ، آية ٥ .

[١] - الشهرستاني ، الملل والنحل ١/ ٥٧ -٥٩ وعون ، علم الكلام ومدارسه ص٢٧١ ومابعدها .

[٢] - قد ذكرها الشهرستاني رحمه الله وذكر اختلافاتهم وانفراد البعض بمسائل واعتقادات دون الآخرين ....الملل والنحل ١/٦٤-٩٦ .

[٣] - ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٢٠/١٠ . أحداث سنة ٢٣١ هـ .

أجاب فودي ومن لم يجب ترك في أيدي الكفار ....يقول ابن كثير رحمه الله معلقا : وهذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء لامستند لها من كتاب ولاسنة ولاعقل صحيح ، بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه . وبالله المستعان .

ولم تجد أفكار المعتزلة أذناً صاغية من الخليفة المتوكل ، ففي سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م ([1]) كتب إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن مـــن تعلم علـــم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق - سجن - مأواه إلى أن يموت ، وأمر الناس أن لايشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لاغير ، ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به وأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيراً فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ثم نزعها نزعا عنيفاً وهو يبكي رحمه الله ([2]).

يقول الدكتور شوقي ضيف ([3]) ولعلنا لانغلوا إذا سمينا هذا العصر- العصر العباسي الأول - عصر الاعتزال ، فقد بلغ من ازدهاره أن استولى على صولجان الحكم وأن وجهه حسب مشيئته ، وهذا خطأ ارتكبه أصحابه ، فإنهم وضعوه ووضعوا معه محنة خلق القرآن على رقاب الناس ، وقد أخفق في ذلك ، ولكنه نجح في صبغ العقول بصبغة فلسفية ، وتمرينها على التعليل والمهارة في الاستنباط لخفيات المعاني ودقائقها ، فسرت في جميع جوانب الفكر ، وأكب الناس على مناظراتهم وأكب معهم الشعراء ، بل قلما نجد شاعراً نابهاً في هذا العصر إلا وتلمذ لهم على نحو ما هو معروف عن بشار وأبي نواس وأبان اللاحقي والعتابي ومنصور النمري وأبي تمام .

وفي هذا الإطار أجد من المناسب أن اذكر آخر مناظرة قصمت ظهر المعتزلة، والتي جرت بين شيخ من شيوخ السنة وشيخ المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد، فقد جيء بشيخ سني كبير موثقا بحديده ، حتى أوقفوه في حضرة الخليفة الواثق، فطلب منه الخليفة مناظرةَ أحمد بن أبي دؤاد فوافق، بعد أن طعن في قدرة أحمد بن أبي دؤاد على المناظرة، وابتدأ السؤال قائلا : مقالتك هذه التي دعوت الناس إليها، من القول بخلق القرآن أداخلة في الدين، فلا يكون الدين تامًّا إّلا بالقول بها ؟ قال أحمد بن أبي دؤاد : نعم .

فقال الشيخ : فرسول الله ﷺ دعا الناس إليها أم تركهم ؟ قال أحمد : لا . قال له: يعلمها أم لم يعلمها ؟قال : عَلِمَهَا .قال: فلم دعوت إلى ما لم يدعهم رسول الله ﷺ إليه ، وتركهم منه ؟ فأمسك.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه واحدة. ثم قال له: أخبرني يا أحمد، قال الله في كتابه العزيز:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ([1]) فقلت أنت : الدين لا يكون تاماً إلا بمقالتك بخلق القرآن، فالله تعالى – عز وجل – صدق في تمامه وكماله ، أم أنت في نقصانك ؟! فأمسك

فقال الشيخ يا أمير المؤمنين ، هذه ثانية .ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد ، قال الله عز وجل:﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ([1]) فمقالتك هـــذه التـــي دعوت الناس إليها، فيما بلَّغه رسول الله ﷺ إلى الأمة أم لا ؟ فأمسك.

[1] - ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ /٣٣٠ .
[2] - الذهبي ، السير ١١ / ٢٦٥ .
[3] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ص١٣٣ .
[1] - سورة المائدة ، آية ٣

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، هذه الثالثة. ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، لمّا عَلِم رسول الله ﷺ مقالتك التي دعوت الناس إليها، أَتَّسع له أن أمسك عنها أم لا ؟ قال أحمد : بل اتَّسع له ذلك .فقال الشيخ : وكذلك لأبي بكر ، وكذلك لعمر ، وكذلك لعثمان ، وكذلك لعلي رحمة الله عليهم ؟ قال : نعم .فصرف وجهه إلى الواثق، وقال: يا أمير المؤمنين، إذا لم يسع لنا ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواثق: نعم، لا وسع الله علينا، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأصحابه، فلا وسع الله علينا.([2]) وبهذه المناظرة كسر الله شوكة المعتزلة فتحول وجه الخليفة عنهم .

تاسعاً : علم الفلسفة الإسلامية

توصف الفلسفة بأنها الخطاب المعرفي ، وهي تمثل رأس الهرم في بداية التفكير النظري ، وقد فطن العرب إلى حاجتهم الملحّة إلى هذه المعرفة منذ نهايات القرن الأول الهجري، في الوقت نفسه الذي تنبهوا فيه إلى حاجتهم إلى المنهج بوصفه الآلة التي يستعملونها في الوصول إلى حقائق الأشياء، بعد أن تيقنوا أنّ لهم رسالة ذات بعد عالمي وإنساني يريدون أن يوصلوها إلى أبعد بقعة في العالم ([1])

ولأن العرب لم يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه – أي الخطاب المعرفي (الفلسفة) – ولاهيأ طباعهم للعناية به ، بل أخذوه عن اليونان فيما وجدوه في كتبهم التي نقلوها للعربية ، وليس في العرب أحد اشتهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ([2])

وأول بادرة لنقل هذا العلم إلى العرب المسلمين كانت في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة حيث أقدم عبد الله بن المقفَّع (١٤٣هـ / ٧٦٠ م)على ترجمة أجزاء من منطق أرسطو إلى العربية ، وكانت منطقيات أرسطو من أوائل الكتب التي ترجمت للخليفة المنصور وبأمر منه ([3]).

يقول د. شوقي ضيف ([4]):وكانت الفلسفة اليونانية والمعارف أعظم ماحملت هذه السيول – يقصد كثرة ماترجم من الكتب إلى العربية – وقد مضى العقل العربي يسيغهما ويتمثلهما ويضيف إليهما إضافات باهرة ، والمتكلمون – وعلى رأسهم المعتزلة – هم من تعمقوا الفلسفة بجميع شعبها ودقائقها ، وقد عرضوها على بساط البحث ، واستطاعوا أن ينفذوا إلى كثير من النظريات والأفكار والآراء التي لم يسبقهم إليها سابق .

وقد مضى كل متكلم مدافع عن عقيدة في هذا العصر يتسلّح في دفاعه بالفلسفة اليونانية ، ومايتصل بها من منطق وغير منطق ، حتى ليقول الجاحظ : ولايكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة ([5]).

---

[1] - سورة المائدة ، آية ٦٧ .

[2] - القصة أوردها الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/١٤ والذهبي في السير ١٠ / ٣٠٩ وذكر لها أسانيد مختلفة ، وذكر خبرا مفاده : إن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن .

[1] - فيناس د. غسان ، تاريخ الفلسفة العربية ط: دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٩م ، ص١٤.

[2] - المرجع نفسه ص١٦ نقلا عن ابن صاعد الأندلسي ت : ٤٦٢هـ/١٠٧٠ م . ولم أعثر على الخبر في كتابه طبقات الأمم .

[3] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ١١١.

[4] - المرجع نفسه ص١١٧ .

[5] - المرجع نفسه ١٣٢-١٣٣ .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربي في العصر العباسي الأول عقلاً متفلسفاً كما أصبح عقلاً علمياً ، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الأوائل بل أيضاً من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية أهـ .

وكانت في بغداد مجالس للعلم متنوعة ومنها مجالس الفلسفة فقد كان مجلس يوحنا بن ماسويه ([1]) كان أعمر مجلس بمدينة بغداد لمطبب أو متكلم أو متفلسف إذ كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب ، وكان تلاميذه يقرؤون عليه في هذا المجلس كتب المنطق لأرسطاطاليس وكتب جالينوس في الطب . وعلى شاكلة مجلسه ، كان مجلس حنين بن إسحاق ، ويقال إن المأمون رسم له على كل كتاب ينقله إلى العربية أن يأخذ وزنه ذهباً ([2])

وقد نضج هذا كله عند **يعقوب بن إسحاق الكندي (ت:٢٥٢هـ/٨٦٦م)** وهاهي نبذة عن حياته وفلسفته(٣) : فهو يوصف بأنه فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، كان أبوه أميراً على الكوفة للمهدي ثم للرشيد .

ويقال أنه أتم حفظ القرآن والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وهو في الخامسة عشر من عمره عندما كان يعيش في الكوفة مع أسرته الغنية بعد وفاة والده والي الكوفة الذي ترك له ولإخوته الكثير من الأموال .

ثم أراد يعقوب أن يتعلم المزيد من العلوم التي كانت موجودة في عصره ، فقرر السفر بصحبة والدته إلى البصرة ليتعلم علم الكلام - وكان هذا العلم عند العرب يضاهي علم الفلسفة عند اليونان - وقد أمضى ثلاث سنوات في البصرة عرف من خلالها كل ما يجب أن يعرف عن علم الكلام .

ثم انتقل مع أمه إلي بغداد ، ليزيد من ثقافته وعلمه – وكانت بغداد يومها بحراً من العلوم المتنوعة المختلفة - وأول ذهاب له كان إلى مكتبة بيت الحكمة ، وصار يمضي أياماً كاملة فيها وهو يقرأ الكتب المترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية ، لكن فضوله للمعرفة لم يتوقف عند حد قراءة الكتب المترجمة فقط بل كان يتمني أن يتمكن من قراءة الكتب التي لم تترجم بلغاتها الأصلية لذلك بدأ بدراسة اللغتين السريانية واليونانية علي يد أستاذين كانا يأتيان إلي منزله ليعلماه ، وتمكن يعقوب من إتقان هاتين اللغتين بعد سنتين وبدأ بتحقيق حلمة فكون فريقاً خاصاً به، وصار صاحب مدرسة في الترجمة تعتمد على الأسلوب الجميل الذي لا يغير الفكرة المترجمة لكنه يجعلها سهلة الفهم وخالية من الركاكة والضعف وأنشأ في بيته مكتبة تضاهي في ضخامتها مكتبة الحكمة ، فصار الناس يقصدون بيته للتعلم ومكتبته للمطالعه ، وصارت شهرته في البلاد عندما كان عمره خمسة وعشرين سنة فقط . فدعاه الخليفة المأمون إليه وصارا صديقين منذ ذلك الحين . وفيما بعد وضع الكندي منهجاً جديداً للعلوم وفق فيه بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية (١).

وغدا الكندي كمعظم علماء عصره موسوعياً فهو رياضي و فيزيائي و فلكي و فيلسوف إضافة إلى أنه موسيقي ، فهو يعتبر واضع أول سلم للموسيقى العربية(٢) ولكنه انفرد عن غيره بالفلسفة ،فقد اشتغل في جوانبها الوضعية والعقلانية الصرفه ، وكان اشتغاله مهم لتأسيس العلوم المستقلة في الثقافة العربية، ومن بينها علم: النقد الأدبي (٣) .

[1] - تقدمت ترجمته مع الأطباء والمترجمين في بغداد ص١٧٧ .
[2] - - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ص١٠٧ .
[3] - ابن النديم ، الفهرست ص٢٨١ وسزكين ، تاريخ التراث العربي١٨٦/٧ و فيناس ، تاريخ الفلسفة العربية ص٥٧ ومابعدها .
[1] - ينظر: ابن النديم ، الفهرست ص٢٨١ وسزكين ١٨٦/٧ و فيناس ، تاريخ الفلسفة العربية ص٥٧ ومابعدها .
[2] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ١٣٢ .
[3] - ضيف د. شوقي تاريخ الأدب العربي ١٣٢ .

وفي رسالة بعث بها إلى المعتصم بالله يقول: إن أعلى الصناعات منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق (١) .

ثم يجعلها في مرتبة الدين فيقول : وقول الصادق محمد ﷺ وما أدى عن الله لموجود جميعاً بالمقاييس العقلية التي لايدفعها إلا من حرم صورة العقل واتحد بصورة الجهل .

وقد اطلع الكندي على العلوم الفلسفية عند اليونان ، وأعاد ترجمة كتب أرسطو فغدت أكثر إتقاناً في ترجمتها من ذي قبل ، وأوضح منها المشكل ولخص المستصعب ، وبسط العويص ، واحتذى في تواليفه حذو أرسطو طاليس ، وله تآليف كثيرة في شتى فروع الفلسفة ، و قد أحصى له منها ابن النديم 241 مؤلفاً (٢) ومنها :

١ -كتاب " الفلسفة الأولى " فيما دون الطبيعيات والتوحيد.

٢ - كتاب " الفلسفة الداخلة " والمسائل المنطقية والمعتاصة وما وافق الطبيعيات .

٣ - " رسالة في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات ".

٤ - كتاب " الحث على تعلم الفلسفة ".

٥ - " رسالة في كمية كتب أرسطوطاليس " وما يحتاج إليه في تحصيل علم الفلسفة مما لا غنى في ذلك عنه منها وترتيبها وأغراضه فيها.

٦ - " رسالة في الاحتراس من خدع السوفسطائية " .

٧ - " رسالة بإيجاز واختصار في البرهان المنطقي " .

وأرى أنه من الضروري هنا أن أذكر شيئا عن أفكار الكندي الفلسفية وغير الفلسفية ، والتي كانت سببا في ذيوع صيته وشهرته الواسعة ، فمنها :

- يعد الأول في وضع منهج للبحث العلمي ، يعتمد على المقدمات والاستدلال ، إذ يعتقد أن العلم كلٌ واحد ، ولذلك تتطور العلوم كلها جنباً إلى جنب .

- يعد أول فيلسوف عربي مسلم ، ومن قوله : إن من يريد العبور إلى عالم الفلسفة لابد له من التوسل بالرياضيات ومنطقها القويم ، ويقول: إن الرياضيات لاتكون بالإقناع بل بالبراهين ، فإذا أخذناها بالإقناع كانت ظناً من الظنون ، وكان يحاول التوصل إلى صيغة يتوسل بها إلى الدمج أو التوفيق بين الفكر الديني والفكر الفلسفي ، لذلك كانت مصطلحاته الفلسفية صالحة لتكون مصطلحات دينية .

- أبدع نظرية في كيفية نشوء الحياة وظهورها على الكرة الأرضية .

- ابتدع تعليلاً علمياً لزرقة السماء بقوله : إن اللون الأزرق لايختص في السماء بل هو مزيج من سواد السماء والأضواء الأخرى الناتجة عن ذرات الغبار وبخار الماء الموجود في الجو ، وذلك في رسالته " زرقة السماء" وكان لهذه الرسالة ورسالة " اختلاف المناظر" أكبر الأثر في علماء أوربا في القرون الوسطى ، إذ ترجمتا إلى اللاتينية ، كما أنه نقد إقليدس ، وصحح بعض أخطائه في نظرية الإبصار .

- أول من نادى أن الموسيقى إيقاع ، والإيقاع أهم سمة من سمات الرياضيات . وقد سبق علماء أوربا المحدثين بذلك ، كما يقول بتأثير الموسيقى على النفس الإنسانية([١]) .

يقول المستشرق دي بور([٢]): ويظهر أن الكندي عوّل على الحواس ، لاسيما حاسة الذوق في الحكم على هذا الأمر حتى نستطيع أن نرى في فلسفته شيئا من فكرة التناسب بين

---

[١] - - فيناس د. غسان ، تاريخ الفلسفة العربية ص ٤٧ .

[٢] - ينظر :الفهرست ص ٢٨٤ وماخترناه من فيناس ، تاريخ الفلسفة العربية ص٥٧ .

[١] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ١٦ /٤٣٣ .

[٢] - نقلاً عن : فيناس د. غسان ، تاريخ الفلسفة العربية ص٢٤٣ .

الإحساسات ، وهذه من أروع ما أبدعه الكندي في نظرياته العلمية الغير مسبوقة ، كما حاول إيجاد قاعدة (رياضية / هندسية) لمعرفة قوى الأدوية المركبة ، وذلك بوضع العلاقة بين القوة والتأثير- أي كيفية الدواء وتأثيره الكيفي - وكأنه عالم يؤمن بالتجربة والتجربة فقط .

رابعاً :
العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في العراق

١- عناية الخلفاء العباسيين بهذه المراكز من نواحي مختلفة أهمها :

أ) استتباب الأمن فيها ، والمسارعة للتصدي لكل من حاول زعزعة الأمن والتأثير على الاستقرار، ولوحظ من خلال البحث ، قسوة الخلفاء العباسيين مع كل الذين قاموا ضدهم ومن أمثلة ذلك مما مر في البحث:

- مسارعة الخليفة المنصور للقضاء على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أخي النفس الزكية ، سنة ١٤٤هـ / ٧٦١ م ، وقد ترك الاهتمام ببناء بغداد حتى تم القضاء على إبراهيم وجيشه ومعاقبة من التف حوله من أهل البصرة ([١]) .
- الوقوف بحزم في وجه ابن طباطبا سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م الذي خرج بالكوفة والتف حوله كثير من أهلها ، وقد دانت له بعض المدائن ووصلت جيوشه إلى مكة ، فأرسل الخليفة المأمون جيشاً كثيفاً قضى علي حركته ([٢]).

ب) اهتمام الخلفاء بأهل العلم ، من العلماء والشعراء واللغويين والأدباء والمترجمين وإغداقهم العطايا لهم بلاحساب ، واستقدامهم لكل عالم سمعوا به من بلاد الخلافة ، وتيسير السبل للجميع لبث علومهم ونشرها دون حواجز تذكر ([٣]).

ج) إقامة المراكز العلمية التي اعتبرت مراكز فكرية عالمية (بيت الحكمة) ([٤]).

د) العناية بطلبة العلم والوقوف على حاجاتهم ، ومن أمثلة ذلك ماقام به الخليفة المأمون حيث أمر بإحصاء العلماء وطلبة العلم في البصرة للوقوف على حاجتهم ([٥]) .

هـ) ضمان الخلفاء للحرية الفكرية في عصرهم ، وعدم التفريق بين جنسيات العلماء العاملين تحت رعايتهم وفي خدمتهم ، كاستقدامهم لأطباء جنديسابور ومترجمين من حران ورعايتهم لهم وإفساح المجال لهم للعمل والترجمة وإغداق العطايا لهم ([٦]) .

و) تصدي الخلفاء العباسيين لظواهرفكرية من شأنها التأثير على الدين الإسلامي وزعزعة الأمن والاستقرار – كحركة الزندقة – وأول من تصدى لهذه الظاهرة الخليفة المهدي ([٧]) .

٢ – الشعور بالمسؤولية : وقد لوحظ هذا الأمر لدى العلماء العرب المسلمين ، فلقد سبب التمازج الجنسي والفكري في حواضر العراق تهديدا للغة العربية وللدين الإسلامي ([١]) ،

---

[١] - ينظر: صفحة ٧٨ من البحث .
[٢] - ينظر : صفحة ١١٦ من البحث .
[٣] - ينظر الفصل الأول ، تحلي الخلفاء بالعلم صفحة ٢٢ .
[٤] - ينظر الكلام عن بيت الحكمة صفحة ١٦٤ .
[٥] - ينظر صفحة ٢٤ من البحث .
[٦] - ينظر صفحة ١٦٧ ومابعدها من البحث .
[٧] - ينظر صفحة ١٢ من البحث .

فوجدنا من خلال البحث تصدي العلماء المسلمين ، لمحاولات تخريبية مقصودة وغير مقصودة للتأثير على اللغة العربية والدين الإسلامي فوضعوا مايلزم من قواعد للغة وأصولاً للدين كان من شأنها حفظهما أتم حفظ ، وهذا لعمري فضل من الله عزوجل على هذه الأمة أن قيض لها علماء أجلاء كانوا وسائل لحفظ هذا الدين العظيم .

٣- الاستفادة من علوم الشعوب الأخرى : وكان ذلك من خلال ترجمة كتب العلوم المختلفة عن اللغات الأخرى ، فحدث تلاقح بين الحضارات أحدث تغيراً في بنية الثقافة العربية الإسلامية ، فلقد رأينا تأثر علماء الكلام بالفلسفة المستوردة ، ومع أنهم حاولوا[1] بثاً بث أفكار جديدة في العقيدة الإسلامية فلم يستطيعوا إلا أنهم بهروا المثقفين العرب بمنطقهم وحججهم ، فسارع الكثيرون للسير على نمطهم ، وأقصد الأدباء كالجاحظ والشعراء كأبي نواس وغيرهما .

وعلى صعيد الحضارة العالمية فلا أحد يخفي فضل العرب المسلمين بحفظ تراث أمم وحضارات سابقة كانت ستؤول إلى الاندثار .

٤- ثمة عامل هام كان له أثر عظيم في ازدهار ونمو الحضارة العربية الإسلامية في مراكز العراق ، ألا وهوالتصنيف ، **والتصنيف في كل العلوم** مع توفر وسائله ، الأمر الذي زاد في رقي هذه الحضارة العظيمة وسموها ، إذ تقدم للأجيال اللاحقة تراث من قبلهم بأبهى صوره.

٤- كان للجهد المحموم **الذي قام به الفرس لإظهار تراثهم ونشره** أثركبيرفي اشتغال العرب المسلمين بعلوم جديدة ماعرفوها من قبل ، فاشتغلوا بها وبرعوا ووصلوا إلى حد الابتكار.

---

[1] - ينظر مقدمة علم النحو في البصرة صفحة ١٠١ ومقدمة علم النحو في الكوفة صفحة ١٣٤ من البحث .

الفصل الرابع

المراكز العلمية في بلاد الشام والجزيرة وبلاد فارس وما وراء النهر(1)

أولاً : دمشق .
ثانياً : حران .
ثالثاً : جنديسابور .
رابعاً : بخارى .
خامساً : سمرقند .
سادساً : العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في هذه المراكز .

(1) - ماوراء النهر يراد به ماوراء نهر جيحون بخراسان ، وماكان في شرقيه يقال له : بلاد الهياطلة ، وفي الإسلام سموه : ماوراء النهر . وماكان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم . ينظر معجم البلدان ٥ / ٤٥ .

أولاً: دمشق

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

دمشق قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف ، لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رفعة وكثرة مياه ، وتسقى دمشق من مياه عذبة تجر إليها في أنابيب تصل دورها ومساجدهامن نبع يسمى عين الفيجة ([١]) .

قيل : سميت دمشق بذلك لأنهم دمشَقوا في بنائها أي أسرعوا . وقال أهل السير: سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام فهذا قول ابن الكلبي (٢).

وقد سكن دمشق أو استولى عليها أقوام كثيرون.. ومما عرفه الناس وتناقلوه أن الأشوريين والبابليين واليونان والرومان استولوا عليها وحكموها ([٣])... وإنما فتحها المسلمون إذ كان يحكمها الروم البيزنطيون . وكان فتحها في سنة ١٣ هـ / ٦٣٥ م بعد حصار ومنازلة وكان قد نزل على كل باب من أبوابها أمير من المسلمين فصدمهم خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة فأسرعَ أهل البلد إلى أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشُرَحبيل بن حَسنَة وكان كل واحد منهم على ربع من الجيش فسألوهم الأمان فأمنوهم وفتحوا لهم الباب فدخل هؤلاء من ثلاثة أبواب بالأمان ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم وكتبوا إلى عمر بن الخطاب ﷺ بالخبر وكيف جرى الفتح فأجراها كلها صلحاً ([١]).

ولم يكن الفاتحون غرباء عن دمشق ، لصلاتهم التجارية بأهلها في الجاهلية وامتزاجهم بساداتها من الروم ، فعرفوا لذلك مداخلها ومخارجها ، وصادفوا من أهلها بعد الفتح موادعة ، فعاملوهم معاملة حسنة ، وأول من تولاها من المسلمين يزيد بن أبي سفيان ، ولما توفي وسّدت الإمارة إلى شقيقه معاوية ، فتولاها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة – بعد مقتل علي ﷺ – وهو الذي وضع أساس ملك بني أمية ، وكان على غاية من التسامح ، وكانت دمشق في أيام الأمويين كروما – عاصمة الامبراطورية الرومانية - في نظر أهل النصرانية ، وما كانت قبلهم تعد في العواصم الكبرى ، إنما بلدة مثل باقي البلاد ، وهذا يدل على ارتفاع مكانة دمشق زمن الأمويين ([٢]).

ودخل عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي مدينة دمشق سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩ م ووضع السيف في أهلها واستصفى أموالها ، وقُتل كثير من العلماء والأمراء ، وانتقم العباسيون من الأمويين أحيائهم وأمواتهم انتقاما فظيعا ، وصفت لهم دمشق ، ولكنهم لم يجعلوا فيها دار خلافتهم ، وصيروها قصبة ولاية ، فذهب ماكان لها من عظمة على العهد الأموي .وممن تسلم ولاية دمشق زمن العباسيين :([٣])

- عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وليها حتى سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م ، ثم إنه دعا لنفسه وبايعه أهل الشام فجهز إليه المنصور أبا مسلم فكان الظفر له بنصيبين ، ففر عبد الله ، وأخفاه أخاه في البصرة إلى أن علم به المنصور فسجنه وقتله سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م .

---

[١] - قرية إلى الشمال الغربي من دمشق ، فيها نبع غزير مياهه عذبة ، غالب مياه دمشق منها .ابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبد الله القيسي (ت: ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة ، تحقيق : محمد نعيم عرقسوسي ، ط: مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣م ٧/ ٤١

[٢] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ط: دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٢/ ٤٦٢ – ٤٧١ .

[٣] - كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ، ص ١٩ .

[١] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤٢٧/٢ ـ٤٢٩ .

[٢] - كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ، ص ١٩ .

[٣] - عن : الصفدي ، صلاح الدين ، خليل بن أيبك ، ت: ٧٦٤ هـ /١٣٦٣م تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩١م ، اختصارا من القسم الأول ص١٩٠ إلى ٢٩١.

- عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عم المنصور تولى دمشق من قبل أخيه عبد الله ، ثم عزله المنصور بصالح .
- صالح بن علي العباسي ، تولاها من قبل عمه المنصور ولكنه لم يقم بها إنما أناب عليها رياح بن عثمان المري الذي قتل في المدينة سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م .
- الفضل بن صالح ، وبقي فيها بضع سنين ، وهو الذي عمل أبواب دمشق ، والقبة التي في الصحن – صحن مسجد دمشق- ثم أضيفت إليه ولاية مصر إلى وفاته سنة ١٧٢هـ /٧٨٨م
- عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام وليها من قبل المنصور حتى سنة ١٧٥ هـ /٧٩١ م ، ولم تحمد ولايته ، وكان له من العبيد والإماء والخيل وغير ذلك مما لايحصى كثرة .
- العباس بن محمد بن علي ، أبو الفضل الهاشمي ، ولي أمرة دمشق للمنصور ثم للرشيد وتوفي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠١م .
- موسى بن جعفر البرمكي ولاه الرشيد دمشق والشام بأسره أيام عصبية أبي الهيذام ([1]) فقدم دمشق في سنة ١٧٦ هـ / ٧٩٢م وأصلح بين القيسية والمضرية .
- جعفر بن يحيى بن خالد وليها سنة ١٨٠ هـ /٧٩٥ م . ولاه الرشيد الشام وبعثه إلى دمشق لما صارت الفتنة بين القيسية واليمنية بحوران ، فلما قدم جعفر خمدت الشرور وظهر السرور([1])
- شعيب بن حازم بن خزيمة ، تولاها سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢م سنة واحدة حيث هاجت العصبية بين المضرية والقيسية ([2]) وقتل من المضرية خمسمائة ، فوجه الرشيد محمد منصور بن زياد ، وأمره بالصلح بينهم والاجتهاد في إطفاء الفتنة ،ثم إنه عزل شعيبا وولى:
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، ولم يمكث طويلا ثم عزل وتولاها :
- سليمان ابن الخليفة المنصور ، واستمر بها إلى سنة ١٩٩هـ /٨١٤م وفي عهده كانت فتنة أبي العميطر([3]) علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو الحسن السفياني ، ادعى أنه المهدي المنتظر، وبويع له بالخلافة ، وتعصب لليمانية ، وقد تأذي القيسية به وبأصحابه .
- محمد بن صالح بن بيهس الكلابي ، تغلب على دمشق أيام أبي العميطر، كان من وجوه قيس وشجعانهم وشعرائهم . وظل في دمشق إلى أن قدم إليها عبد الله بن طاهر سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م .
- عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ولاه المأمون الشام حرباً وخراجاً ، ثم وهبه ما وصل إليه من الشام ففرقه على القواد هناك ، وكان كريماً جواداً ، ماجناً ظريفاً جيد الغناء ، وله يد في النظم والنثر ([4]) .
- صدقة بن عثمان المري ، من أهل دمشق وليها نيابة عن ابن طاهر حين خرج إلى مصر والياً عليها من قبل المأمون جامعاً له بينها وبين دمشق .
- نصر بن حمزة بن مالك الخراساني ، وليها أيضاً نائبا لابن طاهر .

[1] - أبو الهيذام رأس المضرية واسمه : عامر بن عمارة بن حزيم الناعم ، أحد فرسان العرب المشهورين وخبر فتنته في الطبري، تاريخه ٢٥١/٨ أحداث سنة ١٧٦ هـ .
[1] - خبر الفتنة في الطبري ، تاريخه ٢٦٢/٨ أحداث سنة ١٨٠ هـ .
[2] - المضرية : القبائل المنتسبة إلى مضر بن نزار ، من العدنانية ، سكنوا في مختلف البلاد العربية ، في الشام والعراق ، وأكثرهم في الحجاز، وكانت لهم رئاسة مكة ، يجمعهم فخذان :خندف وقيس (معجم قبائل العرب ١١٠٧/٣) واليمانية : قبائل منتسبة إلى اليمن وهي كثيرة ومتعددة ، منتشرة من الجنوب إلى الشمال من الجزيرة العربية ، تناصب المضرية العداء لتنافس بينهما ، وكان يطلق عليهم اسم العشران ، وكثيرا ماكانت تقع حروب أهلية تسيل فيها الدماء وينادى فيها ياللثارات . كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، نشر مكتبة النوري ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ٢٩/١
[3] - خبر فتنة أبي العميطر عند ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٤٩/٦ .وكرد علي ، خطط الشام ١/ ١٥٤- ١٥٥ .
[4] - الذهبي ، السير ١٠ /٦٨٥ .

- إسحاق بن يحيى الجيلي ([1]) ، ولي دمشق من قبل المعتصم ثم وليها مرة أخرى زمن الواثق .
- دينار بن عبد الله ، ولي إمرة دمشق في خلافة المعتصم سنة خمس وعشرين ومائتين ، فأقام بها أياماً ثم عزل.
- أبي دلف العجلي ، القاسم بن عيسى ،كان فارساً شجاعاً شاعراً محسناً ، له أخبار كثيرة في شعره وأدبه وللشعراء فيه أماديح ، وله مصنفات كثيرة منها " سياسة الملوك" و"كتاب السلاح " وغيرها ، وهو من العلماء بصناعة الغناء ، يقول الشعر ويلحنه توفي ببغداد عام ٢٢٦ هـ ، ٨٤٠ م ([2])
ولي إمرة دمشق للمعتصم بعد أن كان والياً على الجبل ([3]) وحارب الخرّمية([4]) وهزمهم .
- مسلم بن محمد ، أبو صالح أحد قواد المعتصم ، ولي دمشق للمعتصم ، وكان من أكرم الناس وأظرفهم وأحسنهم مروءة ، وكان يضرب بالعود ضرباً حسناً ..
- موسى بن إبراهيم الرافقي ، أبو المغيث حتى٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م وفي عهده ثارت القيسية عليه وأخذوا خيل السلطان وعسكروا بالمرج ، والتقى الجمعان وقتل خلق من الجند ..ثم استفحل أمرهم ونازلوا دمشق وبها أبو الغيث ، واشتد الحصار ومات المعتصم والأمر على ذلك .
- عبد الرحمن بن حبيب القرشي ، ولي أمرة دمشق في زمن الواثق سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١م فأظهر العصبية وحرك الفتنة بين القبائل ومات مسخوطاً عليه .
- مالك بن طوق ، أحد أجواد العرب ، ولي أمرة دمشق والأردن في أيام الواثق ، ثم في أيام المتوكل ، وكان كريماً جواداً سخياً ، امتدحه الشعراء لسخائه .

ب) مكانة دمشق العلمية ، ودور العلم فيها :

وفد على دمشق أيام الفتوحات الإسلامية عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ ونشروا علم رسول اللهﷺ فيها ، فنقل عن الوليد بن مسلم ([1]): دخلت دمشق عشرة آلاف عينٍ رأت رسول الله ﷺ([2]) .

فهولاء كان لهم فضل نشر العلوم الدينية في دمشق ومايليها من البلاد ، ولقد شهدت دمشق نهضة علمية في أيام ولاية معاوية ﷺ وخلافته وكذلك في عهود من جاء بعده من خلفاء بني أمية ، وبرز عدد كبير من العلماء والشعراء والكتاب والنقلة والمترجمين أيام الأمويين ، ولكن مالبثت هذه النهضة أن تراجعت شيئاً فشيئاً ، ففي أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كلّت الهمم ، وقلّ رجال العلم ، بل كانت النهضة كالتتمة لبعض ماسمت له الهمم في العقود السابقة ، وعلى صورة ربما كانت أضعف ، وأخذت بغداد حظها من العلماء الذين قصدوها من القاصية ، وبقيت دمشق بمعزل ([3]) . وسبب ذلك كثرة الفتن والحروب الأهلية وحالة عدم الاستقرار التي عاشتها دمشق في عهد العباسيين . فلم يخل عهد السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون من خلفاء بني العباس من فتن هذه الديار ، وبقيت نار العصبيات تتأجج ،

---

[1] - نسبة إلى جيلان ، وهي بلاد كثيرة من وراء طبرستان ....معجم البلدان ٢٠١/٢ .
[2] - أخبار أبي دلف في تاريخ بغداد ٤١٦/٢ ووفيات الأعيان ٧٣/٤.
[3] - هي البلاد مابين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور......معجم البلدان ٩٩/٢ .
[4] - طائفة تنسب إلى بابك الخرمي الذي أراد أن يقيم الملة المجوسية ، نشر دعوته التي تدعوا إلى الإباحة زمن المأمون في أذربيجان ، وكان له أتباع من المجوس عاثوا في الأرض فسادا ، ونهبوا وقتلوا وعصي على المأمون أمرهم ، ولكن في زمن المعتصم وجه لهم قائده الأفشين فأمسك ببابك ،وقتله مصلوبا بسامراء سنة ٢٢٤هـ /٨٣٨ م . الذهبي ، السير ١٠ /٢٩٤-٢٩٦ .
[1] - ستترد ترجمته مع قراء دمشق .
[2] - البخاري ، التاريخ الكبير ٨/ ١٥٤ والخطيب ، د . محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ص١٦٨ .
[3] - كرد علي ، محمد ، خطط الشام ٢٢/٤-٢٥ .

واليمانيون مع الأمويين ، والقيسيون مع العباسيين ، والدعوة للسفياني الذي وعد بإرجاع ملك بني أمية تهب وتنام ([1]) .

وسبب آخر لايخفى على أحد ألا وهو عناية الخلفاء بالنهضة العلمية بالأمصار التي سكنوها أو القريبة منها – مدن العراق - وقد ذكرنا هذا مفصلا في الفصول السابقة .

أما دور العلم في دمشق ، فقد انتشرت الكتاتيب في دمشق وكثرت ، وتطورت مع الزمن وتحولت إلى مدارس تخصصت بتعليم القرآن الكريم أو الحديث وعلومه ، وأخذت تسميات من أوقفها أو بناها وبعضها لايزال قائما إلى وقتنا هذا ([2]) .

ومسجد دمشق - بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م - كان مضرب المثل ببهائه وحسنه ، وقد نقل ياقوت وصفه بقوله : يفخر أهل دمشق لما يرَونه من حسن مسجدهم وهو مبني على الأعمدة الرخام طبقتين ، الطبقة التحتانية أعمدة كبار والتي فوقها صغار ، وفي خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفُسَيفساءِ المذهب والملون بالأخضر والأصفر . وفي قبليه القُبة المعروفة بقبة النسر ليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها . وللمسجد ثلاث منائر، إحداها - وهي الكبرى - كانت ديدباناً للروم([1]) وصيرت منارة ، يصعد المؤذنون إليها للأذان ، ويقال في الأخبار إن عيسى ينزل من السماءِ عليها . ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن والتنميق إلى أن وقع فيه حريق في سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٣م فأذهب بعض بهجته ([2]).

وكانت للمسجد الريادة في التعليم ، فهو المكان الذي يلتقي فيه أهل العلم لتدارس العلوم ، وكانت تنتشر حلقات العلم فيه بكل ركن من أركانه وعلى كل سارية من سواريه ([3]) وحذا حذو مسجد دمشق مساجد أخرى في دمشق وضواحيها ، وهي كثيرة لايتسع المجال لذكرها هنا ([4]) .

ج) من العلوم التي اشتهرت بدمشق :

أولاً : علوم القرآن الكريم .

أ – علم القراءات :

كثر الإقبال على الدين الجديد ، بعد الفتوحات الإسلامية ، ودعت الحاجة إلى علماء من الصحابة يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم بالدين ، فقد كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملأوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم . فأرسل عمر عددا من صحابة رسول الله ﷺ كان منهم أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم المقرئ (ت : ٣٢هـ / ٦٥٢م) الذي استقر في دمشق ، فأقرأ الناس وعلمهم ، وتولى قضاء دمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه .

وأبو الدرداء من أوائل من عقد الحلقات لتعليم القرآن بدمشق وظلت متبعة بعده إلى وقتنا الحاضر ، وقد بلغ عدد تلاميذه ألفاً وستمائة ونيف ، فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة وعشرة لكل عشرة منهم مقرئ ، وأبو الدرداء قائم يستفتونه في حروف القرآن – يعني المقرئين – فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء ، وكان هو يبتدئ

---

[1] - المرجع نفسه ١٥٨/١ .
[2] - المرجع نفسه ٦/ ٦٩ – ٧٤ .
[1] - الديدبان : بناء مرتفع ، يستخدم لضرب الطبول وقرع الأجراس . ابن منظور ، لسان العرب (دبب) .
[2] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٢/ ٤٦٧ م .
[3] - الزرو ، خليل داود ، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ص ١٨ .
[4] - ينظر: كرد علي ، خطط الشام ٦٢/٦- ٦٥ .

في كل غداة إذا انفتل من الصلاة ، فيقرأ جزءاً من القرآن وأصحابه محدقون به يستمعون ألفاظه ، فإذا فرغ من قراءته جلس كل رجل منهم في موضعه وأخذ على العشرة الذين أضيفوا إليه ، وكان ابن عامر مقدماً فيهم ([1]) وابن عامر هذا الذي قرأ على أبي الدرداء وغيره هو:عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي(ت :١١٨ هـ / ٧٣٦ م)أحد القراء السبعة . وقرأ أيضا على المغيرة بن شهاب المخزومي ، وقرأ المغيرة على عثمان ليس بينه وبينه أحد . والذين سترد ترجمتهم من القراء هم تلامذة ابن عامر ، وقد نشروا قراءته ،واستمرت قراءته هي المعمول بها في دمشق والشام إلى حدود الخمسمائة بحسب قول ابن الجزري الذي قال ([2]) : ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمس مائة فتركوا ذلك ، لأن شخصاً قدم من أهل العراق فجعل يلقن الناس بالجامع الأموي على قراءة أبي عمرو، فاجتمع عليه خلق ، واشتهرت هذه القراءة عنه ، وأقام سنين كذا بلغني وإلا فما أعلم السبب في إعراض أهل الشام عن قراءة ابن عامر وأخذهم بقراءة أبي عمرو .
ومن أشهر قراء دمشق في عصر البحث :

- يحيى بن الحارث الذماري (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢ م)

هوأبو عمرو الغساني الذمّاري ثم الدمشقي ، إمام جامع دمشق وشيخ المقرئين - وذمار قرية باليمن - ولد في دولة معاوية وقرأ على ابن عامر ، ويقال أيضا أنه قرأ على واثلة بن الأسقع الصحابي ﷺ. وصف بأنه عالم القراءة في دهره ، قليل الحديث وأحاديثه في السنن الأربع ، وتلا عليه خلق كثير . ولما كبركان يقف خلف الأئمة يرد عليهم لا يستطيع أن يؤم من الكبر . وسئل عن عدد أي القران ، فعقد بيده سبعة آلاف ومائتان وستة وعشرون (١)

- هشام بن الغاز (ت: ١٥٣هـ / ٧٦٩ م)

هوأبو العباس الدمشقي ، أحد قراء دمشق ، وصف بأنه شامي ثقة ، مستقيم الحديث ، وأحاديثه في السنن الأربع . أخذ القراءة عن عبد الله بن عامر الشامي ، كما تلا على يحيى الذماري وكان على بيت مال المنصور ([2]) .

- يحيى بن حمزة (ت: ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م)

هوأبو عبد الرحمن الحضرمي الدمشقي ، قرأ القرآن على يحيى الذماري ، وكان كثير الحديث صالحاً ، أحاديثه عند الجماعة ، استعمله المنصور على قضاء دمشق لما قدمها سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وقال له : (ياشاب ، أرى أهل بلدك قد أجمعوا عليك ، فإياك والهديَّة) . ودام على القضاء ثلاثين سنة ([3]).

- الوليد بن مسلم (ت : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)

هوأبو العباس الدمشقي ، عالم أهل الشام ، قرأ القرآن على يحيى الذماري وسعيد بن عبد العزيز، رحل في طلب العلم ، وصنف التصانيف ، وثقه علماء الحديث وأحاديثه كثيرة وهي عند الجماعة .
وصف بأنه كان قوي الحفظ ،عاقلاً ، قد صنف أكثر من سبعين كتابا ، ولكنها أجزاء صغيرة وهي مبثوثة في كتب من صنف بعده ([4]).

ب - التفسير :

---

[1] ـ ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت : ٥٧١هـ / ١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، ط: المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١ م ج١/ ٣١٥ .
[2] ـ ينظر : ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٩١/١ .
[1] ـ ابن سعد ، الطبقات ١٦٧/٧ والذهبي ، السير ١٩٠/٦ .
[2] ـ ابن سعد ، الطبقات ٤٦٨/٧ والذهبي ، السير ٦٠/٧ وابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ٣٥٦/٢ .
[3] ـ الذهبي ، السير ٣٥٤/٨ .
[4] ـ ابن سعد ، الطبقات ٤٧٠/٧ والذهبي ، السير ٢١١/٩ وابن الجزري ، غاية النهاية ٢/ ٣٦٠ .

ذكر علماء السير تفسيراً للقرآن منسوباً إلى الأوزاعي ، وهو أول من دون العلم بالشام ، ولكن معظم كتبه فقدت – كما سنذكر في ترجمته مع الفقهاء – ولكن بعد انتقال الخلافة إلى بغداد لم يظهر عالم بالتفسير ذو شأن من أتباع التابعين ، إذا استثنينا الأوزاعي ، وقد كان التفسير في هذه المرحلة إجمالياً لايتطرق إلى دقائق المعنى وتفصيلاته ، كما نلمح أن العالم منهم كان يوزع جهده على كافة مجالات العلم من تفسير وحديث وقراءة ولغة ، فلم نر من يتخصص مثلا لتفسيرالقرآن الكريم آية آية كما حدث بعد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ([1]).

ثانيا : علم الحديث في دمشق :

لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ والتراجم والببلوغرافيا ، مصنفات في الحديث تنسب إلى فترة البحث في دمشق ، وهؤلاء العلماء من أئمة الحديث في دمشق ماعرفت لهم مصنفات ، وما من شك أن الأحاديث التي جمعوها ، قد كتبوها أو كتبت عنهم حين أملوها لطلابهم في دفاتر وكراريس ، وربما اندثرت بعد النقل عنها ، وغالباً مايقل الاهتمام بها بعد حفظ محتوياتها ، وتعتبر هذه الأحاديث مع غيرها أصول كتب الحديث المعتمدة لدى المسلمين في العالم الإسلامي والتي تم تأليفها بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

ومن الملاحظ أن الحديث في الشام عموماً وفي دمشق خصوصاً كان ممتزجاً مع غيره من العلوم ، فكان عالم الحديث له اهتمامات بعلوم أخرى ، كالفقه أو السير والمغازي ([1]).

ويُرجِعُ أحد الباحثين ([2]) سبب عدم وجود كتاب في الحديث في الشام إلى النواحي السياسية وانتقال الخلافة إلى العراق ، وأن العباسيين كانوا ينظرون بالسخط إلى أهل الشام . ولكني لا أوافقه الرأي ، فإن التصنيف في عموم العالم الإسلامي كان في بدايته ، فمن العلماء من صنف ومنهم من لم يصنف ، وماكانوا وقتها يعيبون على بعضهم التصنيف أو عدمه ، إنما كان النقد ممن جاء بعد هؤلاء من علماء الجرح والتعديل ، والذين وجدوا في التصنيف أكثر دقة وأعلى ضبطاً . وهاهم علماء الحديث في دمشق :

- عبد الرحمن بن يزيد (ت : ١٥٤هـ / ٧٧٠ م)

هوأبو عتبة الأزدي الدمشقي الداراني ، رأى بعض الصحابة وكبار التابعين وروى عنهم ، كان فقيه الشام مع الأوزاعي ، وروى أحاديث كثيرة مبثوثة في كتب الجماعة ، وثقه علماء الحديث ، وكان يمدح طلبة الحديث ويفضلهم على غيرهم من العلماء ، ويقول : لا تكتبوا العلم إلا ممن يُعرف بطلب الحديث([3]).

- ابن ثوبان (ت: ١٦٥ هـ / ٧٨١م)

هوعبد الرحمن بن ثابت ، أبو عبد الله العنسي الدمشقي ، لم يجمع علماء الحديث على توثيقه ولكنه كان كثير الحديث ، أحاديثه عند أبي داود والترمذي وابن ماجة ، وقد خالف الأوزاعي في عدم جواز الجمعة خلف أئمة الجور، كمذهب الخوارج . وقد تتبع الطبراني أحاديثه ، فجاءت في كراس كبير ، ضمها إلى معجمه الكبير([4]) .

- السمين ، صدقة بن عبد الله (ت : ١٦٦هـ / ٧٨٢ م)

[1] - الزرو ، خليل داود ، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ص ٥٨ .
[1] - المرجع نفسه ص٧٨ .
[2] - المرجع نفسه ص٧٨ .
[3] - ابن سعد ، الطبقات ٧ /٤٦٦ والذهبي ، السير ١٧٦/٧ .
[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٢٢/١٠والذهبي، السير ٣١٣/٧ .

هوأبو معاوية الدمشقي ، من كبار محدثي دمشق ، أحاديثه في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجة . وصف بأن محله الصدق ، غير أنه يشوبه القدر . وكان معاصراً للأوزاعي الذي كتب له رسالة القدر يعظه فيها . وذكر أنه تحدث بألف وخمس مائة حديث ([1]) .

- أبو إسحاق الفزاري (ت: ١٨٦هـ / ٨٠٢م)

هوإبراهيم بن محمد بن الحارث الشامي ،أحد أئمة الحديث في دمشق أحاديثه عند الجماعة. كان صديقا للأوزاعي ، ووصف أنه كان ثقة مأمونا عظيم الغَناء في الإسلام ، صنف في السير كتاباً لقي استحساناً كبيراً من العلماء ، حيث قال الشافعي : لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق .

وبلغ من شهرته في علم الحديث أن الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها ، فيخرجانها حرفاً حرفاً ([2]).

- محمد بن شعيب (ت: ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)

هوأبو عبد الله الدمشقي ، محدث دمشق في زمانه ، أحاديثه في السنن الأربعة ، قرأ على يحيى الذماري ولكنه اشتهر بالتحديث والفتيا فقد كان يفتي في مجلس الأوزاعي ([1]).

- مروان بن محمد (ت :٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)

هوأبو بكر الأسدي الدمشقي ، وصف بأنه كان سيداً إماماً في الحديث ، روى له مسلم وأصحاب السنن الأربعة ([2]).

- عبد الله بن يوسف الكلاعي (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

هوأبو محمد الدمشقي ، راوي الموطأ وله أحاديث مروية عند البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي . وصف بأنه أثبت الناس في الموطأ . وأنه أثبت الشاميين ، صدوق خير فاضل .عنده عن مالك مسائل انفرد بها ([3]) .

- أبو المهاجر(ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٨ م)

هومحمد بن عثمان الدمشقي ، عالم بالحديث ، أحاديثه عند أبي داود وابن ماجة . وصف بأنه من أوثق أهل دمشق، ومن خيار الناس ([4]).

- سليمان بن عبد الرحمن (ت : ٢٣٣هـ /٨٤٧ م)

هوأبو أيوب التميمي الدمشقي ، محدث دمشق ، أحاديثه عند البخاري والسنن الأربعة . وثقه أئمة الجرح والتعديل ، وإلى جانب روايته للحديث وصف بأنه من أهل الفتيا بدمشق . وكان مكباً على العلم حريصاً في طلبه ، يقول عن نفسه درست ثلاث مائة حديث لألتقي بالغلام الرازي وأعرض عليـــــه - يقصد أبا زرعة الرازي - ([5]).

ثالثاً :الفقه في دمشق

مدار الفقه في دمشق بل والشام في فترة بحثنا على الأوزاعي ، فلقد كان أبرز الفقهاء بلامنازع، ومع أنه وجد في عصره من يفتي ، إلا أنه لم يخرج من دائرة فقه الأوزاعي ، وكان يرى اتباع السلف ويقول : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء

---

[1] - الذهبي ، السير ٧/ ٣١٤ وكرد علي ، محمد ، خطط الشام ٤ / ٢٣ .
[2] - الذهبي ، السير ٥٣٩/٨ .
[1] - الذهبي ، السير ٣٧٦/٩ ابن الجزري ، غاية النهاية ١٥٤/٢ .
[2] - الذهبي، السير٥١٠/٩ .
[3] - المصدر نفسه ٣٥٧/١٠ .
[4] - المصدر نفسه ٤٤٨/١٠ .
[5] - الذهبي ، السير ١٣٦/١١وابن كثير ، البداية والنهاية ٣٢٥/١٠ .

الرجال وإن زخرفوا لك القول ([1]) وكان إذا سئل عن مسألة أجاب بآية أو حديث أو قول صحابي أو تابعي جاء به . ويرى الرأي ، وله آراء كثيرة ، ولكنه يقف حين يجد نصاً ، وينتقد من يرى الرأي بوجود النص ، فقد نقم على أبي حنيفة بقوله : إنا لاننقم على أبي حنيفة أنه رأى ، كلنا يرى ، ولكننا ننقم عليه أنه يجيئه الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلى غيره ([2])وقد أفتى الأوزاعي بآلاف المسائل ، قيل إنها بلغت سبعين ألف مسألة ([3]).

وللأوزاعي لقاءات مع أصحاب المذاهب الأخرى ، وهذا يدل على وجود اتصال بين فقهاء الأقطار الإسلامية ، ولاشك أن لهذه اللقاءات فوائد لاتحصى سواء أفادت التوافق أو النقد فقد التقى بأصحاب أبي حنيفة الحسن بن محمد وشعيب بن إسحاق وسمع منهم آراء أبي حنيفة وتأثر بها هو والشاميون عموماً سلباً أو إيجاباً ، كما التقى بمالك في أثناء حجه في مكة ، ثم في المدينة – وسنذكر هذا في ترجمته – وكان مالك أكثر تشدداً من الأوزاعي في الأخذ بحرفيات الحديث النبوي ، بينما يأخذ الأوزاعي الحديث ويطبقه بالصورة التي يراها مناسبة ، فهو يتبع الحديث والرأي في آن معا ([1]) كما رحل إليه الشافعي وأورد له خمساً وثلاثين مسالة في كتابه " الأم " تتعلق بشؤون الحرب - وقد اطلع المستشرق يوسف شاخت على هذه المسائل ، وبنى قوله في الأوزاعي عليها ومفاد رأيه : أن جميع مواقف الأوزاعي من العقيدة متعلقة بقانون الحرب ، ويعلل ذلك بقلة الأحاديث المسندة المتعلقة بهذا الأمر عند غيره ([2]) - وتتفق فتاويه مع أصحاب المذاهب الأربعة في كثير من المسائل ، مثل مسألة عدم جواز نكاح المجوسيات ، فمنع ذلك مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي ، وقال ابن حنبل : لايعجبني ([3]).

ومع بلوغ الأوزاعي درجة عالية في الاجتهاد إلا أنه كان يرى التقليد بالإضافة إلى الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فكان من قوله : إن الاختلاف إذا تدافع فهو خطأ وصواب ، والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على الأصول منها ، وذلك لا يعدم ، فإذا استوت الأدلة وجب الميل مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة ، فإذا لم يبن ذلك وجب التوقف ، ولم يجز القطع إلا بيقين ، فإذا اضطر أحد إلى استعمال شيءٍ من ذلك في خاصة نفسه جاز له مايجوز للعامة من التقليد ، واستعمل عند إفراط التشابه والتشاكل وقيام الأدلة على كل قول ([4]). وهذه تراجم أشهر فقهاء دمشق في عصر البحث :

---

[1] - الذهبي ، السير ١١٤/٧ و ابن كثير الدمشقي ، إسماعيل بن كثير ، أبو الفداء (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، ،تحقيق عدد من الباحثين ، ط : دار ابن كثير ، دمشق ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م ، ١٠ / ٣٦٢ .

[2] - الذهبي ، تاريخ الإسلام ٣٣١/٦ .

[3] - الزرو ، خليل داود ، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ص ١٠٣ .

[1] - المرجع نفسه ص١٠٥ ، وهنا يبني الباحث حكمه هذا على أمثلة اطلع عليها في كتاب اختلاف الفقهاء .

[2] - . SHacht,the Origins of muammadan Jurisprudence , P 34 (Oxford University press) 1958

[3] - القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت : ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) الجامع لأحكام القرآن ، ط: دار الشام للتراث ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م ٢ / ٧٠ .

[4] - ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ /١٠٧١ م) جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي ، ط: مؤسسة الريان - دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م ،٢/ ٨٠ -٨١ .

- الأوزاعي (ت : ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م)

هوعبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو الأوزاعي – نسبة إلى محلة الأوزاع ([1]) بدمشق - عالم أهل الشام وفقيهم - ارتحل في طلب العلم وجاب الآفاق حتى فاق علماء الشام .

وساد أهل الشام في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام ([2])

روى الكثير من الأحاديث عن التابعين وأحاديثه عند الجماعة ، وكانت منزلته بالشام كمنزلة مالك بالمدينة ، وقد عُد رابع أربعة من العلماء في عصرهم وهم الثوري ومالك وأبو حنيفة ..وذلك لفضله واجتهاده وسيادته على أهل بلده في العلم والإفتاء .

وقد حج سنة مائة وخمسين للهجرة ولقي مالكا والثوري فاستقبلاه ، وأمسك الثوري بزمام جمله ومالك يسوق به، والثوري يقول : أفسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه

وقد تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب ، فغمره الأوزاعي بالمغازي ، وغمره مالك بالفقه ([1]).

وله في الفقه اجتهادات في مسائل كثيرة حسنة ينفرد بها ، وهي موجودة في الكتب الكبار ، وكان له مذهب مستقل مشهور ، عمل به فقهاء الشام مدة ، وفقهاء الأندلس ([2]) ثم فني العارفون به وبقي مايوجد في كتب الخلاف ([3]) وإنما كانت الغلبة للفقهاء الأربعة حيث انتشرت مذاهبهم في الآفاق وأجمعت الأمة عليها .

ولما دخل عبد الله بن علي العباسي دمشق ، طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بيت يديه ، وكان يجلس وحوله المسودة معهم السيوف مصلتة ، والعمد الحديد ، فسلم عليه فلم يرد السلام ، ثم قال : يا أوزاعي ماترى ماصنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجهاداً ورباطاً هو ؟ فروى له الأوزاعي حديث :إنما الأعمال بالنيات ... ثم سأله عن دماء بني أمية ؟ فذكر له حديث : لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث .....ثم سأله عن أموال بني أمية ؟ فقال:إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي . ثم سأله أن يوليه القضاء فقال : إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليّ في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدأوني به من الإحسان .. فصرفه ([4]).

واجتمع به المنصور حين دخل الشام ووعظه وأحبه المنصور، واستأذنه أن يعفيه من لبس السواد فأعفاه .وكان معظماً مكرماً في الشام أمره أعز عندهم من أمر السلطان ، وقد همَّ به بعض الولاة مرة ، فقال له أصحابه : دعه عنك ، والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك ([5]).

ثم كانت له مراسلات مع المنصور تلقى العجب منه لحسنها ، ويعجز كتّاب المنصور عنها ، فكانت تُنسخ في دفاتر ، وتوضع بين يدي المنصور ، فيُكثر النظر فيها استحساناً

---

[1] - وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس (باب العمارة حاليا) . الذهبي ، السير ١٠٧/٧ .
[2] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٣٦٠ . طبعة دار ابن كثير .
[1] - المصدر نفسه ١٠ / ٣٦٠ .
[2] - كانت الفتيا تدور على رأيه في الأندلس ، إلى زمن الحكم بن هشام . الزركلي ، الأعلام ٣/ ٣٢٠ .
[3] - الذهبي ، السير ٧ / ١١٧ .
[4] - ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ /٣٦٢ . طبعة دار ابن كثير .
[5] - المصدر نفسه ١٠ / ٣٦٥ .

لألفاظها ، فقال لسليمان بن مجالد - وكان أحظى كتَّابه عنده – ينبغي أن تجيب الأوزاعي عن كتبه جواباً تاماً . فقال : ياأمير المؤمنين، ما أحسن ذلك ، وإنما أرد عليه ما أُحسن ، وإن له نظماً في الكتب لا أظن أحداً من جميع الناس يقدر على إجابته عنه ، وأنا أستعين بألفاظه على من لايعرفها ممن نكاتبه في الآفاق ([١]).

وذكر أنه كانت له مصنفات كثيرة ولكنها احترقت زمن الرجفة ([٢])، وأتاه رجل بنسخها ليطلع عليها ويصلحها ولكنه لم يفعل وتركها ، وإنما كان يشجع طلبة العلم على التلقي عن العلماء ولا يعتمدون على الكتب ، ومما قال في هذا الصدد : كان العلم كريماً ، يتلقاه الرجال بينهم ، فلما دخل في الكتب ، دخل فيه غير أهله ([١]).

وعرفت له مصنفات كـ : كتاب " السنن " في الفقه ، و " المسائل " ويقدر ماسئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ([٢]).

- سعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت : ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م)

هوأبو محمد التنوخي الدمشقي ، مفتي دمشق ، قرأ القرآن على ابن عامرولم يشتهر بالقراءة ، إنما اشتهر بالفقه ، وليس هو بالمكثر من الحديث ولكنه متقن له ،وأحاديثه عند مسلم والسنن الأربعة ، وقد جمع الطبراني مرويات سعيد في جزء واحد . انتهت إليه مشيخة العلم بعد الأوزاعي بالشام فعاش بعده عشرة أعوام ، ورفع العلماء من رتبته لصلاحه وعلمه فقالوا : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام كمالك لأهل المدينة في التقدم والفقه والأمانة . وعرف بدقة الحفظ ولا يعتمد على كتاب ، و يقول : لا يؤخذ العلم من صحفي (حرصا على الأخذ من العلماء دون واسطة) ([٣]).

- شعيب بن إسحاق (ت : ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م)

هوأبو شعيب الدمشقي الحنفي ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة ، وكان من ثقات أهل الرأي ، متقنا مجودا للحديث ، أحاديثه عند الجماعة سوى الترمذي ، وقد عُدَّ من كبار الفقهاء([٤]) .

- أبو مسهر الدمشقي (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

هوعبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي ، فقيه دمشق ومفتيها ، حرص على أخذ علم الأوزاعي عن طلبته فكتب ثلاثة عشر كتابا ، وقرأ القرآن ، ولكنه اشتهر بالفقه ، وكان محدثاً صدوقاً بشهادة العلماء وأحاديثه عند الجماعة ، وكان بينه وبين أحمد بن حنبل مراسلات حديثية . وكان له قدر ومكانة عند أهل بلده ، إذا خرج إلى المسجد اصطف الناس حوله يسلمون عليه ، ويقبّلون يده ، وعرف أنه كان متكبراً في نفسه ، ولكن له مكانة في الإسلام عظيمة . وقد حمله الخليفة المأمون على القول بخلق القرآن فأبى ، وحُمل على السيف فمد رأسه ، وجرد السيف ، فأبى ، فلما رأى ذلك منه أمر بحمله إلى السجن ببغداد ، فمات هناك ([٥]).

ووصف أنه أعرف الناس بالمغازي والأنساب ([٦])

---

[١] - الذهبي ، السير ٧ / ١١٥ .

[٢] - الرجفة زلزلة عظيمة أصابت الشام سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م ، وكان أكثرها ببيت المقدس ، فهلك كثير ممن كان فيها من الأنصار وغيرهم . الذهبي ، السير ١١٥/٧ ، والخبر ثمة .

[١] - ابن سعد ، الطبقات ٤٨٨/٧ والذهبي ، السير ١٠٧/٧ وابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/ ١١٨ و١٠ /٣٦٠ -٣٦٦ طبعة دار ابن كثيروالعمري ، مسالك الأبصار ٦٥٤/٥ .

[٢] - ابن النديم ، الفهرست ص ١١٢ والزركلي ، الأعلام ٣/ ٣٢٠ .

[٣] - الذهبي ، السير ٣٢/٨ .

[٤] - ابن سعد ، الطبقات ٤٧٢/٧ والذهبي ، السير ١٠٣/٩ .

[٥] - ابن سعد ، الطبقات ٤٧٣/٧الذهبي ، السير ٢٢٨/١٠ ابن الجزري ، النهاية ٣٥٥/١ .

[٦] - مصطفى ، د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون العرب ١٣٠/١ .

وفي "تاريخ التراث العربي" ([1]): أبو مسهر محدث دمشق وفقيهها ، من آثاره : جزء فيه أحاديث أبي مسهر .

رابعاً :علم التاريخ في دمشق :

أول نشأة المدرسة التاريخية في دمشق والشام عموماً كانت زمن معاوية بن أبي سفيان (ت :٦٠ هـ / ٦٠٣م)حين استقدم عبيد بن شرية (ت : ٦٧ هـ / ٦٨٦ م) إليه وسأله عن أخبارالأمم ، وأمر الكتبة أن يدونوا أقواله وأن تنسب إليه ، وتنسب إليه كتب مثل "كتاب الملوك وأخبار الماضين" و " الأمثال "([2])

وتتابع التدوين التاريخي في الشام حتى أصبح يقال : أعرف الناس بالمغازي بعد أهل المدينة أهل الشام ([1]) ويعللون ذلك بأن أهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ماليس لغيرهم ، وقد مر معنا في ترجمة الأوزاعي أنه عالم بالسير والمغازي ، وحين اجتمع بمالك غمره بالمغازي ، وكان يقال : الأوزاعي أعلم أهل الأمصار بالمغازي([2]) وحين وقع في يد الأوزاعي كتاب صغير في السير لمحمد بن الحسن الشيباني – صاحب أبي حنيفة - أثار استغرابه ، وقال : ما لأهل العراق والتصنيف بهذا الباب ، فإنه لاعلم لهم بالسير ([3])فهذا يدل على اشتهار الشام بالمغازي والسير . ثم إن التدوين التاريخي أصابه الفتور إثر انتقال الثقل السياسي إلى العراق ، سوى بعض المؤلفات التي ظهرت أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث وهي تروي أخبار الأمويين ومناقبهم ، ويبرز هذا رفضهم لحكم العباسيين أو الرد عليهم إذ شنعوا على الأمويين كثيراً ، يضاف إلى هذا روايتهم للمغازي كرفض للعباسيين بإثبات أعمال الرسول ﷺ تجاه أعمالهم ([4]) .

وأشهر كتاب التاريخ والسير والمغازي في دمشق :

- محمد بن السائب الكلبي (ت : ١٤٦هـ / ٧٦٣م)

يعتبر أول النسابين الكبار ، مع أنه روى ولم يؤلف في النسب ، ورواياته مبثوثة في كتب النسب والتاريخ وخاصة كتب ولده هشام بن محمد الكلبي (ت : ٢٠٤هـ / ٨١٩ م) .

وقد جمع مادته – حسب قوله - من أفضل النسابة في كل قبيلة ، وساعده على ذلك نسب قبيلته ومنافستها للقبائل الأخرى وخاصة في الشام ، ومع علم النسب جمع أيضا الأدب والأخبار والشعر وخاصة شعر النقائض ([5]) .

- حماد الراوية (ت : ١٦٠ هـ / ٧٧٦م)

علامة أخباري ، كان في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، روى الكثير من أيام الناس والشعر والنسب ، وهو الذي جمع السبع المعلقات ، وإنما سمي بالراوية لكثرة روايته لشعر العرب .

اختبره الوليد بن يزيد فأنشد له تسعاً وعشرين قصيدة على حروف المعجم ، كل قصيدة نحوا من مائة بيت . وزعم أنه لايسمي شاعراً من شعراء العرب إلا أنشد له ما لايحفظه غيره ، فأطلق له مائة ألف درهم ([1]).

---

[1] - سزكين د. فؤاد ،تاريخ التراث العربي ، المجلد ١الجزء١ ص١٨٧ .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ص٨٧ .
[1] - ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الدمشقي (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧ م) مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق جميل الشطي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٣٦ م ص١٥ .
[2] - مصطفى ، د. شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ١٢٠ -١٢١ .
[3] - المرجع نفسه ١ / ١٢٠ .
[4] - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ١٣٤ .
[5] - المرجع نفسه١ /١٩٠

- عامر بن حفص (ت : ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م)

هوأبو اليقظان ، ويلقب (بسحيم) ، عالم بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه – حسب قول مترجميه – وله من الكتب : كتاب " حلق تميم بعضها بعضاً " وكتاب " أخبار تميم " وكتاب : "النسب الكبير " ويحتوي على نسب عدة قبائل منها :إياد ، كنانة ، هذيل ، مدركة ، قريش ، وغيرها . وقد نقل عنه البلاذري ([1]) بعض أخبار عمر بن عبد العزيز ([2]).

- محمد بن عائذ الدمشقي(ت: ٢٣٣هـ / ٨٤٧ م)

هوأبو عبد الله القرشي الدمشقي ، متولي ديوان الخراج في غوطة دمشق زمن المأمون ، صنف كتاب "المغازي" وكتاب " الفتوح والصوائف " أخذ عنه معظم المؤرخين بعده كبقي بن مخلد وخليفة بن خياط ، وفيما بعد أخذ عنه ابن سيد الناس في سيرته ([3]) كما أخذ عنه الذهبي في " تاريخ الإسلام " وابن حجر في " الإصابة" ([4]).

- أبو دلف العجلي (ت : ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م)

هوالقاسم بن عيسى بن معقل ، أحد الأبطال المشهورين والأجواد الممدوحين ، ولي إمرة دمشق للمعتصم، وله صنعة في الغناء، كما كانت له مشاركة في التأليف التاريخي ، ويمكن تصنيف كتبه بالتاريخ الحضاري ، والتي منها : "كتاب السلاح " و" كتاب النزه" و" كتاب البزاة والصيد" و" كتاب سياسة الملوك " ([5])

هذا ما وجدته من العلوم وممن اشتهر من العلماء في دمشق في العصر العباسي الأول

ثانياً : حران

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تقع حران في أعالي الجزيرة السورية (جنوبي تركيا اليوم) قرب منابع نهر البليخ بين الرها ورأس العين، وصفها الحموي ([6]) بأنها مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم ، وأنها قصبة ديار مضر . وجاء ذكرها في التوراة مقترنا باسم إبراهيم الخليل الذي مر بها قادما من أور في جنوبي العراق ([7]) .

بقي أهلها على وثنيتهم بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية ، وانتشر فيما بينهم مذهب الصابئة ، وهو مذهب ديني كان مزيجاً من المعتقدات البابلية والعبادات الإغريقية وبعض ملامح الأفلاطونية الحديثة والمسيحية ، فتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺعام ١٨ هـ / ٦٣٩ م على يد القائد عياض بن غنم ، وصالحه أهلها على مثل أهل الرها ، وكان

---

[1] - الذهبي ، السير ١٥٧/٧وابن كثير ، البداية والنهاية ١١٧/١٠ .
[1] - في كتابه أنساب الأشراف ٢ /٦٩ .
[2] - ابن النديم ، الفهرست ص١٣٨ وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١ / ٤٩٧ و الزرو ، خليل داود ، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة ص ٢٠٧ .
[3] - المسمى : عيون الأثر في فنون المغازي والسير .
[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٠/٣ والذهبي ، السير ١٠٤/١١ ومصطفى . شاكر ، التاريخ العربي ١٣٠/١ .
[5] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٤١٦/١٢و مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ٢٠٦/١ .
[6] - معجم البلدان ٢ /٢٣٥ .
[7] - عدد من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٨ / ١٣٧ .

يسكنها آنذاك المسيحيون والصابئة ...وقد اتخذها مروان بن محمد – آخر خلفاء الأمويين – مقرا له عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م ([١]).

اشتهرت حران في العهود الإسلامية أنها مركز للصابئة ، كما اشتهرت بفصاحة اللسان السرياني الذي يتكلمه أهلها ، ولكن شهرتها الكبيرة في العصر العباسي ارتبطت بذلك العدد الكبير من الفلاسفة والعلماء الذين نبغوا فيها ، ومن أشهرهم ثابت بن قرة الحرّاني([٢]) وأولاده وأحفاده ، وكذلك البتاني([١]) وسواه ،وقد نقل هؤلاء العلماء كثيراً من المؤلفات الإغريقية العلمية إلى اللغة العربية ، وجعلوا من حران أحد أهم مراكز الترجمة والفكر في ذلك العصر ([٢]).

ب) أهمية حران العلمية :

حملت حران على عاتقها حماية تراث بيزنطة وتنميته ونقله إلى بغداد .و لقد كانت حران مع المدن السورية المهمّة الأخرى مراكز علمية ومنارات ثقافية ،تقوم فيها الدراسات العلمية والفلسفية والدينية الكنسية . ولمّا جاء المسلمون حافظت تلك المراكز على مكانتها وأهمّيتها العلمية لجهل الفاتحين باللغة الإغريقية واللاتينية التي يتقنها الكثير من أبناء السريان المسيحيين منهم والوثنيين ، وقد أشار فيليب حتي إلى ذلك : و العرب لم يعرفوا اليونانية فاعتمدوا في أوّل أمرهم على ترجمات أخرجها لهم اليهود والوثنيون والنصارى ، وخاصّة النساطرة من النصارى ، وكانت طريقة هؤلاء الأخيرين ، وهم سريان ، أن ينقلوا الكتاب اليوناني إلى لغتهم السريانية ثمّ يترجموه بعدئذٍ من السريانية إلى العربية ، وهكذا أصبحوا أعظم حلقة للاتصال بين الثقافة الهيلينية وبين الإسلام . فالثقافة الهيلينية لم تصل إلى العقل العربي إلاّ عن طريق اللغة السريانية . وممّا لا شكّ فيه أنّ اهتمامات الحرانيين الصابئيين والوثنيين بالفلك والرياضيات وتميّزهم فيهما يعود في الأغلب إلى عبادة النجوم والكواكب السيّارة والعناية بمواقيتها ومراقبة مواقعها ومدارات أفلاكها وتدقيق حسابات أزمنتها وضبط مواعيدها مقرونة بالأبراج والمواسم ([٣]) .

وممن اشتهر بالترجمة في بغداد وأصله من حران ، **سلم الحراني** (لم يذكرمترجموه تاريخ وفاته) الذي كان أمين بيت الحكمة ، وله مشاركات مهمة في الترجمة مر ذكرها في بغداد ، ولاشك أن هناك من شارك في النقل والترجمة غيره ببغداد قبل ثابت بن قرة المذكور آنفاً ، وذلك أن الترجمة كانت على مراحل ؛ فقسم ينقل من لغة أجنبية إلى لغة أجنبية أخرى ، كالنقل من اليونانية إلى السريانية ، وقسم ينقل من السريانية إلى الفارسية ، ثم من الفارسية إلى العربية ([٤]) والمشهور أن النقلة الحاذقين باللغتين اليونانية والسريانية هم أهل حران ، ولأن نقلهم كان المرحلة الأولى فلم يلمع منهم أحد قبل ثابت ، يضاف إلى ذلك أن ثابتاً كان فيلسوفاً وطبيباً ومترجماً ([٥]) .

---

[١] - المرجع نفسه .

[٢] - أبو الحسن الصابئ (ت : ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م) طبيب حاسب فيلسوف ، ولد ونشأ بحران ، اختلف مع أهل بلده ، فخرج منه وقصد بغداد ، فاشتغل بالفلسفة والطب فبرع ، واتصل بالخليفة المعتضد ، فكانت له عنده منزلة رفيعة . الأعلام للزركلي ٢ / ٩٨ .

[١] - أبو عبد الله ، محمد بن جابر بن سنان البتاني(ت : ٣١٧ هـ /٩٢٩ م) فلكي ورياضي ومهندس ، وعرف بلقب (بطليموس العرب).وقد ذكرته على هامش علم الآلات الرصدية في بغداد ، وأنه جمع علوم من قبله في كتبه . الأعلام للزركلي ٦ / ٦ .

[٢] - عدد من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٨ / ١٣٧ .

[٣] - مجموعة من الباحثين ، دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٠٨ و عدد من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٨ / ١٣٨ .

[٤] - النملة ، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية ص١٣٥ .

[٥] - الشطشاط ، علي حسين ، الطبيب والمترجم والناقل ثابت بن قرة الحراني ، ط :بنغازي ، جامعة قاريونس ، ١٩٩٠م ص٧٦ -٧٧ .

ج) - أخرجت حران عدداً من علماء الحديث والتاريخ ، وهم :

- النضر بن عربي (ت : ١٦٨هـ / ٧٨٤م)

هوأبو روح الجزري الحرّاني ، وقيل أبو عمر ، محدث حرّان ، أحاديثه في سنن أبي داود والترمذي

وثقه علماء الحديث ووصفوه بالصدق (١) .

- مسكين بن بكير (ت : ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)

هوأبو عبد الرحمن الحرّاني ، محدث مشهور أحاديثه عند الجماعة ، روى عن الأواعي وأخذ عنه فأكثر ، ونشر العلم في بلده حرّان . وصفه علماء الرجال بأنه صالح الحديث ، صدوق (٢).

- عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل الحرّاني (٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م)

هوأبو جعفر القضاعي ، من كبارعلماء الحديث في عصره ، أحاديثه عند البخاري والسنن الأربع ولشهرته فقد قال فيه العلماء: النفيلي بحران ، وأحمد بن حنبل ببغداد ، وابن نمير بالكوفة ، وأحمد بن صالح بمصر : هؤلاء أركان الدين (٣).

ولم تذكر له المصادر مؤلفاً ، ولكن وجد له كتاب بالمغازي (٤)

ثالثاً : جنديسابور

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

مدينة إيرانية بخوزستان (الأهواز) - تقوم مقامها الآن مدينة شاه آباد في الجنوب الغربي من إيران - أسسها الملك سابور الأول بن أردشير بن بابك في القرن الثالث الميلادي ، فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده ، وكانت مدينة خصبة وافرة الخيرات(٥)

وكان سابور في صراع دائم مع الروم ، وفي عام ٢٦٠ م تغلب على الإمبراطور الروماني فاليريان ، فاحتل أنطاكية وطرسوس وقيسارية ، وأسر الكثير من أهالي هذه المناطق مستخدماً الكثير منهم لبناء الجسور والسدود ، كما أسكن الكثيرأيضاً في جنديسابور(٦) .

---

١ - ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٨٦ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٠٣ .
٢ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٩ .
٣ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠ /٦٣٤ .
٤ - مصطفى د. شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ١٣٤/١ . وهذا الكتاب : محفوظ بدار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٤٢) وفيه قطعة حسنة من السيرة .
٥- البغدادي ، صفي الدين ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١م/ ٣٥١ و مجموعة من الباحثين ، دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ١٢١ .
٦ - عدد من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٧ / ٧١١ .

وفي بداية القرن الخامس للميلاد كان أغلب السكان في شمالي بلاد الرافدين من السريان النساطرة الذين يؤمنون بأن المسيح يتمتع بطبيعتين : اللاهوتية والناسوتية ، وكان زعيمهم الراهب نسطوريوس بطريرك القسطنطينية فنسبوا إليه ، ولما كانت عقيدتهم مخالفة لمذهب الدولة الرسمي ، فقد حوكم نسطوريوس من قبل المجمع المسكوني الذي انعقد في مدينة أفسس عام ٤٣١ م وحكم عليه بالنفي إلى صعيد مصر ، وعلى إثر ذلك شددت السلطات البيزنطية على النساطرة فهاجروا إلى الرها ، ثم أصدر الإمبراطور زينون قراراً بطردهم فهاجروا إلى إيران وحلّوا في جنديسابور .

وحين أغلق الامبراطور جستنيان جامعة أثينة عام ٥٢٩ م بحجة أنها جامعة وثنية ، لجأ عدد من علمائها وفلاسفتها إلى بلاد فارس ، واستقر بعضهم في جنديسابور أيضاً ، وفي عهد كسرى أنو شروان (٥٣١ – ٥٧٩ م) أصبحت جنديسابور أكبر مركز علمي في تلك المنطقة ، وفيها امتزجت الثقافات الإغريقية والسريانية والفارسية والمسيحية ([١]).

وقد فتح المسلمون جنديسابور سنة ١٩هـ / ٦٤٠ م في الخليفة عمر بن الخطاب ﵁([٢]).

ب) أهمية جنديسابور العلمية :

استفاد الساسانيون من صنّاع روما المأسورين ، في إنشاء الحصون وتنظيم أعمال الريّ . وساعد وجود الأجانب من أسرى ومهاجرين - الذين أغلبيّتهم من السوريين السريان في إيران- على توافر مستلزمات الدراسة العلمية ، فمن ناحية أعان هؤلاء امتلاكهم ناصية اللغة السريانية الأكثر شيوعاً في الأوساط العلمية في تلك الأزمان على نقل التراث الإغريقي العلمي والفكري بمختلف فروعه ، وإن كان نصيب الطبّية منها أوفر . ومن ناحية أخرى كان عليهم تعلّم اللغة الفهلوية ، التي مكّنتهم من الاطّلاع والتزوّد بعلوم وفلسفة إيران والهند حيث سبق وأن نقلت عن السنسكريتية إلى الفهلوية معارف الهند الطبّية والعلمية وفلسفتها ، فامتزجت بذلك معارف الشرق والغرب ، مما ساعد على توافر أساس القاعدة العلمية التي نهضت بها مدرسة الطبّ اليونانية السورية والتي أنشأت في جنديسابور في عهد كسرى أنو شروان (٥٣١–٥٧٩م) وكان لهذه المدرسة تأثير فيما بعد ، حيث أمدّت الخلفاء العباسيين بالأطباء والمترجمين ([٣]).

ويذكرابن النديم([٤]) أخباراً تدلّ على عناية ملوك الفرس: بصيانة العلوم، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجوّ وآفات الأرض ؛ فاختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث ، وأبقاها على الدهر، وأبعدها من التعفّن والدروس، لحاء شجر الخدنك، ولحاؤه يسمى التوز. وقد كانت أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة تحفظ بتلك المكاتب.

ويستطيع المرء أن يستنتج أهمية فتح العرب لبلاد فارس، فكأنه فتح لخزائن العلوم. وهو ما ترك آثاراً واضحة على تأسيس العلوم العربية بعد الإسلام، إذ وُضِعَت هذه العلوم والثقافات في خدمة الفاتحين الجدد ، وخدمة الدين الجديد، الذي وجد فيه الفرس مخلِّصاً لهم من عذاباتهم الروحية السابقة. وكان عدد العلماء كبيراً من الذين اتخذوا العربية لغة لتدوين أفكارهم وعلومهم الجديدة. وما أفادته الثقافة العربية من ذلك، هو التزاوج الفكري بين العقل

[١] - الخبر والذي قبله في دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ١٢٢ .
[٢]- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ /١٩٨ .
[٣] - عدد من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٧ /٧١٢ .
[٤] - ابن النديم ، الفهرست ٣٣١ .

الأجنبي المنخرط في الإسلام، المؤمن بالخطاب الفكري الإسلامي أشدّ الإيمان، والعقل العربي الذي أعاد فهم الإسلام على نحو مندمج بتراث العرب ونظرتهم الأخلاقية إلى العالم([1]) .

ج) البيمارستان والمدرسة الطبية في جنديسابور .

نتيجة للازدهار العلمي والثقافي الذي تحقق في عهد كسرى أنو شروان في القرن السادس الميلادي .تم إنشاء البيمارستان والمدرسة الطبية الملحقة به في جنديسابور. واعتبر هذا البيمارستان مؤسسة صحية دينية ، اشتق اسمه من اللغة الفارسية وهو يعني مكان المرضى ، أي مستشفى ، وكان يشرف عليه أكبر شخصية دينية في تلك المنطقة .([1])

وفي عهد الخليفة المنصور(١٣٦ -١٥٨هـ /٧٥٤ -٧٧٥ م) كان رئيس أطباء هذا البيمارستان : - جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع (ت : ١٥٢هـ /٧٦٩ م) استقدمه المنصور من مدرسة جنديسابور، وكانت له خبرة بصناعة الطب ، فذاع صيته هناك ، فاستدعاه الخليفة المنصور لمرض ألمَّ به ، فلما شفي على يده جعله طبيبه ، نقل كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية ، وله : "كناش في الطب" نقل إلى العربية عن السريانية على يد حنين بن إسحاق ([2]) ، وحين قدم جورجيوس ، أتى معه رهط ممن تتلمذوا عليه في علم الطب وهؤلاء كانوا من أوائل من بدأ الترجمة .

وكان لهذه الأسرة – أسرة آل بختيشوع – إسهامات كبيرة في مجال الترجمة وعلم الطب – مر ذكرها في علم الطب في بغداد([3]) –

ومن الجدير بالذكر أن انتقال الأطباء والعلماء والفلاسفة من جنديسابور ، وإقامتهم في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، كان بداية لفقد هذه المدينة لدورها العلمي البارز ، فبدأت تتراجع أهميتها ، حتى اندثرت شيئاً فشيئاً ولم يبق منها إلا آثار تدل على موقعها . فقد ذكر ياقوت الحموي (ت : ٦٢٧هـ /١٢٢٩م) أنه اجتاز هذه البلدة مراراً ، فلم يجد سوى خرائب وأطلال بائدة لاتعرف حقائقها إلا بتواتر الأخبار([4]) .

رابعاً: بخارى

أ)) لمحة تعريفية تاريخية :

تعتبربخارى من أعظم مدن ماوراء النهر ، بينها بين نهر جيحون يومان([5]) وهي مدينة قديمة نزهة البساتين ، وبينها بين سمرقند سبعة أيام ، وهي على أرض مستوية وبناؤها خشب مشبك ([6]) .

وبخارى حديثاً ، هي مركز أحد الأقاليم الاقتصادية الكبرى في جمهورية أوزبكستان ، وتقع وسط واحة كبيرة على المجرى الأدنى لنهر زرفشان ([7]).

وقد فتحها المسلمون ووطدوا أقدامهم بها سنة ٩١ هـ /٧١٠ م على يد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وأبقى عليها أميرها طغشاده ، وكان سكان بخارى يسلمون ثم يرتدون حين يخرج

---

[1] - ينظر : مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٣٤و بيطار ، د. أمينة ، تاريخ العصر العباسي ص ٥٤ و٣٨٩ .

[1] - مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٣٤.

[2] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص١٨٣ والنملة ، النقل والترجمة ص١١٧ .

[3] - صفحة ١٧٦ ومابعدها من البحث .

[4] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٢ /١٩٨ .

[5] - تقدم تقدير مسيرة اليوم الواحد صفحة ٨٦ من البحث .

[6] - البغدادي ، صفي الدين ، مراصد الاطلاع ١٦٩/١ .

[7] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٧٥٠/٧ .

المسلمون من بينهم ، فرأى قتيبة أن أفضل حل لهذا أن يسكن العرب بينهم ، فأمر أهل بخارى أن يعطوا العرب نصف بيوتهم ، وبنى قتيبة المسجد الجامع سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م ، ولما ضاق المسجد بأهله بني مسجد في عهد الخليفة الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨ م) (١)

وشهدت بخارى ، حالة من الأمن زمن الأمويين ، وحين قامت دولة بني العباس ، أشعل والي بخارى شريك بن شيخ سنة ١٣٣ هـ / ٧٥١م الفتنة في بخارى ، وقد نقم على أبي مسلم الخراساني كثرة قتله ، وقال : ما على هذا تبعنا آل محمد ، وتبعه ثلاثون ألفاً ، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني زياد بن صالح على رأس جيش كثيف ؛ فقضى على ثورته (١) .

وحكم بخارى بعد شريك "بنيات" ، الذي مالبث أن شارك في خروج المقنع الخراساني الزنديق (٢) فأرسل إليه الخليفة المهدي جيشا قضى عليه سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧م .

عاشت بخارى حالة من الانحطاط السياسي في العصر العباسي الأول ، لكن هذا لم يمنع كونها من ناحية أخرى معقلاً للإسلام في تلك المنطقة ومركزاً للعلوم الدينية ، وقد خرج من بخارى في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي طائفة من العلماء المشهورين مثل صاحب " الجامع الصحيح "(٣) .

ب) ظهر في بخارى عدد من علماء الحديث ؛ فممن اشتهر منهم :

- غنجار (ت : ١٨٦هـ / ٨٠٢م)

هوعيسى بن موسى ، أبو أحمد البخاري ، محدث بخارى له رحلة ومعرفة بالحديث ، أحاديثه عند البخاري وسنن الترمذي وسنن ابن ماجة .

وصفه أئمة الحديث بأنه إمام عصره في بخارى ، ورواياته مستقيمة (٤) .

- المسندي (ت : ٢٠٩ هـ / ٨٢٤م)

هوعبد الله بن محمد الجعفي ، أبو جعفر البخاري ، إمام الحديث في عصره بماوراء النهر بلا مدافعة ، وهو أستاذ البخاري – صاحب الصحيح – وحديثه عنده في الصحيح .رحل وطوف في طلب الحديث ، وسمع من الكبار، ثم نشر الحديث ببلده بخارى وتلك البلاد وكانوا يطلقون عليه اسم الكنز، لغزارة ماعنده من علم الحديث . وصفه علماء الحديث أنه من أهل العدالة والصدق ، صاحب سنة وجماعة وإتقان (٥) .

- محمد بن سلام بن الفرج البيكندي (ت : ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م)

هوأبو عبد الله السلمي ، إمام حافظ ناقد ، حديثه في صحيح البخاري ، رحل وكتب العلم عن الكبار ،وسمع يقول : كتبت عن أربعمائة شيخ ،وأحفظ نحواً من خمسة آلاف حديث . وهو ممن روى عنه البخاري – صاحب الصحيح - ببخارى ، وعرف عنه إنفاقه الكثير من المال لطلب العلم ، يقول في ذلك : أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً ، وأنفقت في نشره أربعين ألفاً (٦).

---

١ - النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت : ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م) تحقيق : الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر بن محمد الطرازي ، ط: دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ م ص٧٢ و الموسوعة العربية ٧/ ٧٥٠ – ٧٥١ .

١ - الذهبي ، السير ٦ / ٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٤٤٦/٦ .

٢ - المقنع الخراساني ، لقب لرجل من مرو ، واسمه هاشم بن حكيم . دعا لنفسه سنة١٥٩ هـ / ٧٧٥م وأرسل كتبه إلى الناس ووعدهم بالجنة ، وكان يضع على وجهه قناعاً أخضر ليخفي قبحه ، وأباح لأنصاره دماء المسلمين وأموالهم ، وكان عنده علم بالشعوذة والسحر ، ثم ادعى الألوهية وتبعه عدد كبير من الناس ، فأرسل إليه الخليفة المهدي جيشاً كثير العدد ، تناوب على قيادته خيرة القواد ، فقضى عليه ، وكانت نهايته سنة ١٦١هـ / ٧٧٧م . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٦/ ٣٨ - ٣٩ والنرشخي ، تاريخ بخارى ص ٩٤ وفامبري ، أرمنوس ، تاريخ بخارى ، ترجمة الدكتور احمد محمود الساداتي ، مطبعة مصر ١٩٧١ م ص ٨٠ -٨٢ .

٣ - مجموعة من الباحثين ، دائرة المعارف الإسلامية ٤٥٦/٦ .

٤ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء٨/ ٤٨٧ .

٥ - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠ /٦٤ والذهبي ، السير ١٠ / ٦٥٨ .

٦ - الذهبي ، السير ١٠ / ٦٢٨ .

- **أبو عبد الله البخاري** (ت : ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)

هومحمد بن إسماعيل " صاحب الصحيح " فقد بلغت شهرته الآفاق ، وأطلق عليه العلماء أمير المؤمنين بالحديث ، فهو خارج فترة البحث الزمنية ولكن نشاطه العلمي والتدويني كان في فترة البحث ، ولد عام ١٩٤هـ / ٨١٠م ، قال عن نفسه : أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ، وكان عمري يومئذ عشر سنين ([1])

ولما بلغ عمره ست عشرة سنة ، كان قد حفظ الكتب الكبار في الحديث ، ككتب عبد الله بن المبارك عالم خراسان وكتب وكيع بن الجراح عالم الكوفة في الحديث ، وحينها خرج حاجاً برفقة أمه وأخيه ، فلما حجّ رجع أخوه بأمه وتخلف هو لطلب الحديث ، فأقام بمكة والحجاز ودخل الشام ومصر والجزيرة وبلاد العراق ، وسمع من جملة واسعة من الأئمة ، وظهر علمه وفضله في وقت مبكر في سن الشباب ، فبدأ الناس يأخذون عنه ، وشرع يصنف في علومه ([2]) .

وزاد من شهرته امتحان الناس له ، في كل من سمرقند وبغداد ، ففي سمرقند اجتمع أربعمائة ممن يطلبون الحديث سبعة أيام ، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإسناد اليمن في إسناد الحرمين ، فما تعلقوا له بسقطة لا في إسناد ولا في المتن ([3]) .

ولما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا ، وإسناد هذا المتن هذا ، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس ؛ فاجتمع الناس ، وانتدب أحدهم ، فسأل البخاري عن حديث من عشرته ، فقال : لا أعرفه . وسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه . وكذلك حتى فرغ من عشرته . فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ، ويقولون : الرجل فهم . ومن كان لايدري قضى على البخاري بالعجز ، ثم انتدب آخر ، ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول : لا أعرفه . ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس . فلما علم أنهم فرغوا ، التفت إلى الأول منهم ، فقال : أما حديثك الأول فكذا ، والثاني كذا ، والثالث كذا إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده ، وفعل بالآخرين مثل ذلك . فأقر له الناس بالحفظ . فكان العلماء إذا ذكروه يقولون : الكبش النطاح ([4]) .

واشتهر البخاري بكثرة حفظه وسعة علمه وذكائه ، وذكر عنه أنه قال يوماً : ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت مصنفاتي من الحديث . فإذا نحو مائتي ألف حديث مسندة([5])

أما مصنفاته ، فهي : " الجامع الصحيح " و " التاريخ " و " الأدب المفرد " و " خلق أفعال العباد " وغيرها . وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها ، وهي : صحيح البخاري ،(صاحب الترجمة) وصحيح مسلم (٢٦١هـ / ٨٧٤م) وسنن أبي داود (ت : ٢٧٥ هـ / ٨٨٨م) وسنن الترمذي (ت : ٢٧٩هـ /٨٩٢م) وسنن ابن ماجة (ت : ٢٧٣ هـ /٨٨٦م) وسنن النسائي (٣٠٣ هـ / ٩١٦م) ([6]).

د) الفقه في بخارى :

---

[1] - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩٣ .
[2] - نخبة من الباحثين السوريين ، الموسوعة العربية ٧ / ٧٥٣
[3] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢ /٢٣ والذهبي ، السير ١٢ / ٤١١ .
[4] - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢ /٢١ - ٢٢والذهبي ، السير ١٢ / ٤٠٩ .
[5] - الذهبي ، السير ١٢ / ٤١٢ .
[6] - الزركلي ، الأعلام ٦/ ٣٤ .

انتشر فيها المذهب الحنفي بداية عهد الخليفة الرشيد ، وذلك لأن أبا يوسف يعقوب قاضي القضاة كان يعين قضاة أحناف في تلك المناطق ([1]) ، كما اشتهر بالفقه :

- أحمد بن حفص (ت : ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م)

هوأبو حفص البخاري الحنفي ، شيخ ماوراء النهر ، ارتحل وصحب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، وبرع في الرأي ([1]) .

ويبدو أن وجود أبي حفص هذا قد ساعد على انتشار وترسيخ المذهب الحنفي في تلك المناطق من العالم الإسلامي ، ولايزال أهل تلك البلاد يتمذهبون بمذهب أبي حنيفة النعمان حتى الآن .

وقد تابع عمله ولده محمد بن أحمد ، أبو عبد الله البخاري ، مفتي بخارى ، وقد تفقه بوالده وبه تفقه أهل بخارى ، وقد توفي سنة ٢٧٠ هـ /٨٨٤م ([2]).

خامساً : سمرقند

أ) لمحة تعريفية تاريخية :

تقع مدينة سمرقند في بلاد ما وراء النهر ، وأصل الاسم شمرأبوكرب ، ثم حُرِّف الاسم إلى شمركنت ، ثم عُربت إلى سمرقند ، ومعناها وجه الأرض . وهي من أكبرمدن بلاد الصغد وأحسنها وأتمها جمالاً، مبنية على شاطيء وادٍ يعرف بوادى القصَّارين، وكانت تضم قصورًاعظيمة، وعمارة تُنْبِئ عن هِمَم أهلها ([3])

وسمرقند حديثاً : المدينة الثانية بعد طشقند أهمية وعدداً في جمهورية أوزبكستان ، وهي حاضرة مقاطعة سمرقند ، تقبع المدينة في وادي زيرافشان الخصيب ، وذلك بين قناتي دارغوم وسياب ، وتبعد عن العاصمة طشقند ٢٧٥ كيلو متراً . تشتهر بتخريج علماء الدين (٤) .

وقد فتحت سمرقند سنة ٨٧هـ / ٧٠٥ م على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى ، ثم أعاد فتحها مرة أخرى سنة ٩٢هـ / ٧١٠م ، وبعد الفتح الإسلامى قام المسلمون بتحويل عدد من المعابد إلى مساجد لتأدية الصلاة ، وتعليم الدين الإسلامى لأهل البلاد([5])

ولم تشهد سمرقند حوادث مهمة ، طوال عهد الأمويين ، وكذلك في عهد الدولة العباسية ، حتى سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م حيث أقدم رافع بن الليث بن نصر بن سيار على خلع الطاعة للعباسيين ومخالفة الخليفة الرشيد ، ودعا لنفسه ، وتابعه أهل بلده سمرقند وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستفحل أمره ، فسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى ، فهزمه رافع ، وتفاقم الأمر به ، ثم إن الرشيد توجه إليه بنفسه وأرسل إليه هرثمة نائب العراق ، فكسره هرثمة ، وأسر أخاه بشير بن الليث ؛ فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس ، فقتله بين يديه ، ثم إن الرشيد مات ، فأبقى المأمون هرثمة على حصار سمرقند ، حتى ظفر برافع وقتله([6]) .

---

[1] - مجموعة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ / ١٧٢ .

[1] - مجموعة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ١٠ / ١٥٧ .

[2] - المرجع نفسه ١٠ / ١٥٩و ١٢ / ٦١٧ .

[3] - البغدادي ، صفي الدين ، مراصد الاطلاع ٢/ ٧٣٦ .

[4] - دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد – مترجمة عن الفرنسية والإنجليزية – ط : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٢ / ١٩٩ .

[5] - غزا المغول سمرقند ، وحكموها من سنة (٦١٧هـ /١٢٢٠م) إلى سنة (٧٧٢هـ /١٦٧٠ م) وقاموا بتدمير معظم العمائر الإسلامية . دائرة المعارف الإسلامية ١٢ / ١٩٩ .

[6] - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٦ / ١٩٥ و٢٠٩ وابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ١٠ / ٤٨٢ و٤٩٧والزركلي ، الأعلام ٣ / ١٢ -١٣ ،

وفي سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م أعطى الخليفة المأمون ولاية ما وراء النهر وخاصة سمرقند لأبناء أسد بن سامان ، وظلت سمرقند منذ ذلك الحين آمنة لاتتأثر بالفتن([1]).

ب) مكانة سمرقند العلمية :

كثر طلبة العلم في سمرقند ، وخاصة طلبة الحديث ، وقد مرفي ترجمة البخاري- صاحب الصحيح – أن عدد طلبة الحديث بسمرقند كان في زمنه أربع مائة ،أولئك الذين أرادوا مغالطته ؛ فلم يفلحوا . وممن نبغ من علماء الحديث بسمرقند :

- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت : ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

هوأبومحمد السمرقندي التميمي، حافظ إمام ، طوف الأقاليم طلباً للحديث ، وصنف التصانيف ، وأحاديثه في صحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي .

وصف بأنه على غاية من العقل والديانة ، يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهادة ، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند ، وذب عنها الكذب ، وكان مفسراً كاملاً ، وفقيها عالماً . من آثاره : " المسند " و " التفسير " و " الجامع " ([1]) .

- **أما الفقه** ؛ فقد انتشر فيها المذهب الحنفي بداية عهد الخليفة الرشيد ، وذلك لأن أبا يوسف يعقوب قاضي القضاة كان يعين قضاة أحناف في تلك المناطق ([2]) .

- واشتهرت سمرقند بصناعة الورق الجيد ، وقد نقلت إليها هذه الصناعة من الصين ، وكان لهذا الورق شهرة خاصة ، وهو من المنتجات الوطنية لهذا البلد ([3]) ولايخفى على أحد دور صناعة الورق في ازدهار العلم وتقدمه ، فلقد سهل عملية التصنيف ، وانتشرت الكتب ، واقتناها طلبة العلم في الآفاق .

سادساً :

العوامل التي ساعدت على نمو وازدهار الحركة العلمية في هذه المراكز .

- لم تحظ دمشق والشام عموماً بما حظيت به بغداد ومدن العراق الأخرى ، وقد ذكرت في الفصل الأول من هذا البحث قول ياقوت الحموي : إنما تعمر البلدان بسكنى السلطان ([4]) فلقد زارها المنصور ، والتقى بعلمائها وأعيانها ولكن زيارته كانت خاطفة ، وقد ندم على تأخره عن العراق في زيارته خشية على الخلافة ، كما زارها الخليفة المأمون عدة مرات وأمر بعمل مرصد على جبل قاسيون وذلك سنة خمس عشرة وست عشرة وسبع عشرة بعد المائتين ([5]) ، وأنفق الكثير من المال لأهلها([6]) . ولكن ليست الزيارة كالاستقرار.

- تراجعت النهضة العلمية والأدبية في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث/ التاسع الميلادي في دمشق والشام ، ولاشك أن السبب في ذلك كثرة الفتن والحروب الأهلية ، وحالة عدم

---

[1] - نخبة من الباحثين ، دائرة المعارف الإسلامية ١٢ /٢٠٠ .

[1] - الخطيب ، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٩ – ٣٢ والنسفي ، نجم الدين عمر بن محمد (ت : ٥٣٧هـ /) القند في ذكر علماء سمرقند ، تحقيق : يوسف الهادي ، ط: مرآت التراث ، طهران إيران ١٩٩٩م ص٥٨ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٢٤ .

[2] - مجموعة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ٧ / ١٧٢ .

[3] - نخبة من الباحثين ، دائرة المعارف الإسلامية ١٢ / ٢٠١ .

[4] - الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ٤/ ٤٥٤ .

[5] - سبق ذكر هذا المرصد في علم الآلات الرصدية ، وأن الذي عمله يحيى بن أبي منصور ص١٨٢ .

[6] - كرد علي ، محمد ، خطط الشام ٤/ ٢٣ .

الاستقرار التي عاشتها دمشق في عهد العباسيين ، وقد قل الشعراء والأدباء([1]) ولم ينبغ إلا رجال في الحديث والمغازي والفقه ([2]).

- أما **حران** فلايخفى على باحث دورها في النقل والترجمة عن اليونانية كما ذكرنا ، ويبدوا أنه لم يقيض لها - من المؤرخين الأوائل - من يرصد النابغين منهم في عصر البحث .

والظاهر أن عمل أهل حران في الترجمة كان مرحلياً ، أي أنهم كانوا ينقلون من اليونانية إلى السريانية – وهي أولى المراحل - ثم يأتي بعدهم من ينقل من السريانية إلى الفارسية ، ثم يأتي بعدهم من ينقل من الفارسية إلى العربية ، وحين يظهر الكتاب بالعربية يشتهر به آخرشخص عمل به ، فالحرانيون كانوا مغمورين في عملهم لايظهرون ولايسعون إلى ذلك ، وربما كانوا مهتمين بأخذ أجورهم مكتفين بذلك عن الظهور والشهرة . وقد مر في بحث الترجمة أن كثيراً من المتنفذين كانوا يدفعون المال للمترجمين بقصد ترجمة كتب معينة يختارونها ، وهذا يدل على أنه كان يوجد مترجمين مأجورين يترجمون لمن يدفع لهم. فيسارعون إلى الترجمة كعمل يزاولونه ولا مقصد لهم بشهرة أو علو شأن .

- **وجنديسابور** قدمت أشهر الأطباء والعلماء ورواد حركة الترجمة ، وهؤلاء رحلوا إلى حاضرة الخلافة ؛ فوجدوا طيب العيش في بغداد ورغد الحياة فيها ، وكان ذلك من أهم أسباب استيطانهم وعزوفهم عن الرجوع إلى موطنهم الأول ، وهؤلاء قدّموا معارفهم العلمية ، التي تنتمي إلى حضارات متنوعة ، وأسهموا بقوة في مجال الترجمة وعلم الطب وغيره ،لازالت حتى الآن موضع احترام وتقدير. يضاف إلى ذلك تشجيع الخلفاء وإكرامهم لهم ، حتى استمروا عشرات السنين في خدمتهم ، ولم يحدثوا شغباً أو اضطراباً كما فعل غيرهم كالبرامكة مثلاً ، ولم يسع هؤلاء إلى تسلم المناصب ، ولم يطمعوا بسلطة ، ولم تغرهم مظاهر الملك ، حيث كان همهم العلم والتصنيف وحسب .

- وفي **بخارى وسمرقند** يعكس ازدهار العلم فيهما وتطوره ونبوغ العلماء فيهما أموراً مهمة تتعلق بحالة الدولة الاجتماعية والأمنية ؛ منها :

- حالة الأمان والاستقرار فيهما خاصة وفي عموم البلاد الخاضعة لسلطان العباسيين ، وهذا يعكس سهر الخلفاء العباسيين ، وعيونهم اليقظة للحفاظ على الأمن والاستقرار، مما أتاح المجال للعلماء وطلبة العلم للترحال عبر أقطار العالم الإسلامي ، طلباً للعلم ولقيا أهله ، دون اعتراض من قطاع الطرق أو ممن امتهن السلب خوفاً من السلطان . وترحال البخاري لطلب الحديث عبر البلاد الواسعة ، وتطواف الدارمي عبر الأقطار يعكس حالة الأمن هذه ، ولاشك أن مما يساعد على ذلك امتلاء الدروب والطرق بالقوافل التجارية والرحالين والحجاج والمعتمرين ، فاستمرار الحركة دليل على النشاط الاقتصادي أيضاً.

- ولتلك البلاد إرث ثقافي مهم ، فهم أهل علم وثقافة سابقة ، ولكن الله سبحانه أبدلهم بالإسلام خيراً فبرزوا علماء فيه كما كانوا علماء بثقافاتهم السابقة .

- حرص سكان تلك البلاد على تعليم أبنائهم في المراحل العمرية الأولى ، وانتشار الكتاتيب ساعد على بروز الرواد منهم ، فقد رأينا أن البخاري قد ألهم حفظ الحديث وهو في الكتاب.

- كما أن بساطة الحياة وسهولة العيش ساعدت طلبة العلم للتفرغ لطلبه ، دون تحمل مشاق طلب الرزق والتسفل .

- وعلى الباحث ألا يغفل قوة إيمان أهل تلك البلاد – بلاد ماوراء النهر – وحالة اليقين التي

---

[1] - ومن لمع من الشعراء فقد رحل إلى حاضرة الخلافة العباسية بغداد ، كأبي تمام الشاعر (ت : ٢٣١هـ/ ٩٥٩ م) وهو من قرية جاسم بحوران .

[2] - كرد علي ، محمد ، خطط الشام ٤/ ٢٧ .

وصلوا إليها ، حتى حذا بالكثيرين منهم إلى إنفاق المال الكثير أو الترحال أو ترك البلاد والأوطان في سبيل طلب العلم والارتقاء به .

الخاتمة

أخيراً لابد للمتأمل في نتاج علماء الأمة الإسلامية أن يقف لهم وقفة إعجاب وتقدير، ويتوجه بالدعاء الخالص لله سبحانه أن يتغمدهم بواسع رحمته ، ويجزيهم عن الأمة خير الجزاء ؛ لما بذلوه من جهد لايضاهى للحفاظ على علوم الدين واللغة العربية .

- وأستطيع استخلاص بعض النتائج التي توصلت إليها أقتضبها فيما يأتي :

فلقد أينع الثمر في هذه المراكز العلمية التي كانت مثار البحث ، فأخرجت للأمة الإسلامية أئمة القراءات ، فنبغ أشهر القراء الذين رووا القراءات المتواترة عن رسول الله ﷺ وصنفوا ووثقوا قراءاتهم ، وانتشرت في العالم الإسلامي على أنها أصح القراءات ومادونها فهو الشاذ ، ولقد سبق هؤلاء القراء ابن عامر الدمشقي فهو أول القراء السبعة موتاً ، وكانت قراءة أهل الشام على طريقته حيناً من الزمن ، إلى أن جاء دمشق قارئ يقرأ بقراءة أبي عمرو البصري ، فتبع الناس قراءته وتركوا قراءة أبي عمرو – كما قدمنا نقلاًعن ابن الجزري – والسبب في ذلك أن علماء العراق قد اكتسبوا في ذلك العهد من الزمن ثقة الشعوب الإسلامية على أنهم القمة في مايأتون به من علم ، كما أننا نجد نشاطاً دعوياً ينطلق من العراق يحمله علماؤه وطلبة العلم فيه ، ويجوبون أقطار الإسلام ينشرون ماعندهم من علم .

أما في التفسير ، فقد استمر الاعتماد على التفسير بالمأثور في كلٍ من الشام والحجاز واليمن ، أما في العراق وبسبب نشاط اللغويين والنحويين ، ظهر مفسرون تنوعت تفاسيرهم فتعددوا التفسير بالمأثور، وألفوا تفاسير متنوعة كالتفسيراللغوي و التفاسيرالتي تهتم بمعاني القرآن ومتشابهه ومشكله ومجازه ، واكتسبت البصرة والكوفة الريادة في تصنيف هذه التفاسير ، وذلك لوجود المتضلعين المشتهرين بعلمي النحو واللغة ، وقد أفاد التنافس بين علماء البصرة والكوفة هذين العلمين وازدادا سعة ونمواً ، وكانت تلك مقدمات وأصول لتفاسير أكثر موسوعية ظهرت في العصور التالية .

أما في الحديث فلقد قدمت المراكز التي درسناها خدمة عظيمة لعلم الحديث ، وأهم عامل بشأن ذلك نذكره هو : التصنيف ،فلولا التصنيف لضاع كثير من حديث رسول اللهﷺ وإن التنافس بين طلبة علم الحديث أدى بهم إلى تتبع الحديث أينما وجد ، متحملين المشاق ومسترخصين كل شيءٍ في دنياهم دون حديث رسول اللهﷺ ، ثم جمعه وتصنيفه . وهذه ميزة اشتركت بها كل المراكز التي مر ذكرها – وإن كانت المدينة المنورة الأسبق من غيرها في خدمة هذا العلم ؛ لوجود الإمام مالك فيها الذي لم يكن له همٌّ سوى رواية حديث الرسول ﷺ - فوضعت أسس انتقاء الحديث الصحيح ، والتفريق بينه وبين الضعيف والموضوع ، ولقد ذكرنا أن هؤلاء الذين ترجمنا لهم من علماء الحديث هم الذين جمعوه وصنفوا فيه حتى كان عملهم – بلاشك - أصول كتب الحديث الصحيحة المعتمدة لدى المسلمين ولاتزال .

أما في الفقه فكان نتاج المراكز التي شملتها الدراسة ثلاثة من المذاهب الفقهية التي انتشرت في العالم الإسلامي، وهي : الحنفي والمالكي والحنبلي ونالت القبول ولاتزال . وثمة مذهب فقهي نما وترعرع في دمشق ، وانتشر ببلاد الشام ووصل إلى الأندلس ، وعمل فيه الناس فترة طويلة من الزمن – وهو مذهب الإمام الأوزاعي – ولكن لم يكتب له البقاء ! وأرى أن سبب ذلك يعود إلى أن الأوزاعي لم يرزق بطلبة مجدين كطلبة أبي حنيفة مثلاً الذين تولوا التصنيف بمذهب إمامهم ، ثم نشره في أقطار العالم الإسلامي ، وساعد على ذلك ثقة الخلفاء بالأحناف وتقريب علمائهم وتوليتهم المناصب القضائية ، بينما قلَّ اهتمام الخلفاء بعلماء دمشق ، وصار همهم استباب الأمن فيها لكثرة ماكان يحصل فيها من فتن كما سبق وذكرنا . و يضاف إلى هذه المذاهب : المذهب الشافعي الذي خرج من مصر ، ولكن رحلاته إلى مراكز العلم التي شملتها دراستنا كان فيها تأثر بمذهبه وتأثير على مذهبه ، وكان مذهبه قد تبلور قبل خروجه من مصر ، ولكنه عدّله بعد رجوعه فصار لمذهبه قسمين : قديم وجديد .

ولقد كان أكثر اعتماد المذهب المالكي بعد القرآن الكريم على الحديث النبوي ، وعمل أهل المدينة ، وذلك لشدة اهتمام صاحبه بعلم الحديث وولعه بمدينة رسول الله ﷺ بينما أكثر الأحناف من الاعتماد على القياس والرأي وشددوا من شروط الحديث الذي يعتمد عليه في الأحكام ، وكانت بين الطرفين مناظرات وانتقادات لطريقة كل منهما ، ولكن كلٌ تمسك بطريقته ؛ فكان ذلك خيراً للمسلمين ،لأنه نتج عن ذلك كثرة الأحكام وشموليتها لكل مايعترض المسلم في شؤونه الدينية والحياتية . ثم جاء المذهب الحنبلي ليحدّ من كثرة الاعتماد على القياس والرأي عند الأحناف ، وخفف من شروط الاعتماد على الحديث النبوي ، وطاف ابن حنبل الأقطار جامعاً لحديث رسول الله ﷺ وقد احتواها مسنده ، ولم يمنع من الاستدلال بالحديث ولو قلت درجة صحته .

ولسائل أن يسال : لماذا لم تشتهر مذاهب فقهية لغير هؤلاء الفقهاء ، وقد لمع نجم كثير من العلماء أمثال ابن جريج في مكة المكرمة ؟ مع أن ابن جريج كان أول من دوّن العلم بمكة – كما سبق وذكرنا – وأجيب : أن السبب في ذلك يعود إلى نشر أراء هذا العالم أو ذاك في بلاد الإسلام ، فلم يُهيأ لابن جريج ماتهيأ لغيره من الفقهاء أن قام أناس بالعناية بعلمه والتصنيف به وحمله إلى الآفاق . وماينطبق على ابن جريج ينطبق على غيره .

ولقد تعرض الدين الإسلامي لكثير من الدسائس والمؤامرات ، كان القصد منها زعزعته في قلوب متبعيه ، والاستهانة به ، ومحاولة الدس والخلط في علومه ، فكان عمل علماء الأمة بتلك القواعد والأسس التي وضعوها (في علم الحديث والفقه) من الدقة والتنظيم بحيث لاتنفع معه مؤامرة ولايؤثّر به كيد .

ولا نقول إن عمل هؤلاء العلماء الأجلاء حفظ لتراث الأمة ؛ إنما هو حفظ للدين الإسلامي العظيم الذي ارتضاه الله عز وجل لهذه الأمة .

وإن اجتهاد العلماء والتوسع في الأحكام ، وإيجاد الحلول للحوادث العارضة ، وتبسيط المسائل الصعبة ، ثم تصنيف العلوم المختلفة ، ساعد على سرعة انتشار الدين الإسلامي ، يضاف إلى ذلك اليسر الذي تمتع به هذا الدين الكريم ، فتسرب إلى قلوب أقوام لاينتمون إلى دعاته الأوائل ولايتكلمون لغتهم ، ولكنهم سرعان ما انضموا إلى إخوانهم العرب ، وساهموا في دفع الحركة العلمية قدماً ، متصفين بالجدية والمثابرة والإخلاص ، وغدوا من أقطاب هذه الأمة وأعلامها .

أما حذاق النحو، وبلغاء اللغويين الذين اشتهروا في عصر البحث فأعمالهم وإنجازاتهم تنبئ عن عظمتهم ، ولايستطيع أحدٌ أن يقلل من أهمية إنجازاتهم التي ساندت اللغة العربية وحفظتها من الاندثار حيث كانت تهددها مخاطر جمة – ذكرناها في موضعها من البحث – ولقد سبقت كل من البصرة والكوفة غيرها من مراكز العلم في تحمل مسؤولية حماية اللغة العربية ، ولئن كانت البداية قبل عصر البحث ، ولكن كَثُر علماء النحو واللغة في عصر بحثنا ، وتسابقوا في جمع المادة والتصنيف ، وأصبح العلم بالعربية السمة التي يجب أن يتصف بها كل عالم من العلماء مهما كان اهتمامه وتنوع اختصاصه .ولقد ساهمت الترجمة في تطور اللغة العربية والشعر العربي – وسنذكر ذلك فيما سيأتي – ونتاج علماء العربية لايزال منهلاً لأصحاب الاختصاص لايستطيعون تجاوزه أو غض الطرف عنه حتى وقتنا الحاضر .

والشعراء الذين حظي البحث بإعطاء نبذة جد مختصرة عنهم لايزالون يمثلون القمة في الشعر العربي . وينظر إليهم على أنهم مدارس شعرية حوت أرقى أمثلة الشعر العربي .

وفي علم التاريخ و المغازي والسيررعت مراكز العلم التي درسناها أهم الرواة وكتاب التاريخ ، هؤلاء الذين نقلوا وصنفوا أحداث الماضي بالتفاصيل الدقيقة ، وكانت دمشق صاحبة الشهرة في رواية المغازي أولاًثم سحبت منها الشهرة لصالح العراق ، وسبب ذلك وجود الخلفاء فيها وتشجيعهم لكبارالمؤرخين بالكتابة والتصنيف ، وينطبق الكلام هنا على الواقدي محمد بن عمر ، الذي أمضى الثلاثين سنة الأخيرة من عمره في بغداد ويعود أصله إلى المدينة المنورة . ولكن هذا لم يمنع وجود الرواة والمؤرخين في معظم مراكز بحثنا . وبالجملة فإن المرء يلمس تطوراً كبيراً في الكتابة التاريخية في هذه الفترة من الزمن ، فلقد تعدى التصنيف التاريخي الكتابة عن الحكام والمشهورين ، إلى التصنيف في كل شيء فتمت الكتابة في بيوتات العرب والقبائل ، والنواحي الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والحضارية للأمم السابقة عربية كانت أو غير عربية – وهنا تبرز الاستفادة من الترجمة

فـي هـذه الناحيـة – وغـدا نتـاج هـؤلاء المـؤرخين والـرواة معينـاً لاينضـب للمـؤرخين الموسوعيين الذين ظهروا بعد فترة البحث .

أما العلوم الكونية التي نتجت عن الترجمة ونقل علوم الأوائل ؛ فكانت عملاً حضـارياً ، أفاد الإنسانية جمعاء ، ولقد عكف الغربيون علـى ترجمـة النتـاج العلمـي العربـي ، واتخذوا منه مناهج لجامعاتهم ، ومبادئ لنهضتهم العلميـة التـي أوصلتهم إلـى قمـة الحضـارة الحديثـة والمعاصـرة ، ولمـع علمـاء عـرب تخطـوا الشـهرة العربيـة إلـى العالميـة وذلـك لابتكـاراتهم المهمة في العلوم المختلفة (في الكيمياء والرياضيات وعلم النجوم وغيرها) ولايزال نتـاجهم العلمي موضع تقدير ، وله مكانة لايستغنى عنها فـي تـواريخ العلوم وسلسـة تطورهـا . ولقد احتكـرت بغداد احتضـان هذه العلوم دون غيرهـا ، لأن معظمهـا نـاتج عـن الترجمـة مـع أن بداية الترجمة في العصر العباسي كانت في البصرة على يد ابن المقفع ، ولكنها انتقلت إلـى بغداد لأن العمل بالترجمة – كما رأينا - كان يخضع خضوعاً مباشراً لإشراف الخليفة فـي بغداد ، ومن حوله من كبار رجال الدولة ، ولايجوز إغفال مراكز أخرى كـان لهـا مسـاهمة في الترجمة والعلوم الكونية ، فماقدمته عن الترجمة كان ومضة سريعة أضيفت على دراسة العلوم الأخرى ، ويحتـاج الأمـر إلـى إفراد البحث فـي الترجمـة والعلـوم الكونيـة لاستقصـاء روادها ومعرفة مراكزها .

وثمة من يقول : إن الترجمة جاءت بعلوم مختلفة منهـا المفيد ومنهـا مـا أضـر بـالأمـة . ويقصدون بالمفيد علم الطب الرياضيات والكيمياء والزراعة وما يماثلها .

وصنفوا الفلسفة وعلم الكلام وما يماثلهما بالعلوم الضـارّة ؛ لمـا أحدثتـه من فتن كـادت أن تفت من عضد الأمة ، وتفرق جمعها .

وأجدني متحفظاّ على هذا القول ، فلقد أثبت التاريخ فائدة كل علم نُقل وتـرجم ، ولا ضـير على دين الإسلام ، فلقد حفظ الله سبحانه هذا الدين بالعلماء المخلصين الذين وقفوا بصـرامة أمام الفتن المدبَّرة ، ودفعوا كيد الكائدين ، متحلين بالصبر والحكمـة والحذاقـة ، كلفهم ذلـك حـريتهم وسـعادتهم وصـحة أجسـادهم وأرواحهـم ، وفـي سـبيل الله عزوجـل ، ثـم فـي سـبيل نصرة الدين الحنيف مضى هؤلاء ، ولكنهم تركوا للأجيـال التاليـة رسـائل لاتنسـى ، وقواعـد حكميـة تكفل لهم الوقـوف علـى المنبـر ذاتـه للدفاع عن الـدين القـويم . فمـابـرح أعـداء الـدين يكيـدون لـه ، ولازالـوا – ونحـن فـي القـرن الخـامس عشـر الهجـري / الحـادي والعشـرين الميلادي – يحيكون المؤامرات ضده ، مستخدمين في بعض الأحيـان رجـالاً ينتسبون إليـه ، فمن لهؤلاء إلا العلماء ؟

ثـم إن المتتبـع لحـوارات ومناقشـات أربـاب الفـتن ممـن اتصـفوا بأصـحاب علـم الكـلام ، وحـاولوا- عبثـاً - إحداث شـرخ فـي عقيدة الأمـة ، وعلمـاء الأمـة الـذين تصدوا لهـم ، لايجد حرية في الحوار ولامنطقاً فـي المناقشـة ، إنمـا يلمس هيمنـة للسلطة تجلت فـي فريـة هؤلاء المقربين من الحـاكم ، ودفعهم شـغفهم بالسلطة ، وتمسكهم بالسيادة ، إلـى افتـراء مـا لا يقبلـه عقل ولا يرتضيه منطق . يضـاف إلى ذلك محاولـة البعض منـهم إبـراز ثقافـة قومـه السـابقين وإعادة نشرها .

وحين توصف الترجمة بالعمل الحضاري ؛ فلأن انتقال العلوم والفلسفة انتقالاً مستمراً من مصر والهند وفارس واليونان إلى بلاد الإسلام ؛ من الأحداث الكبرى في تاريخ العصور الوسطى كلها ، لكثرة ما أنجبت من العلماء والأدباء والفلاسفة ، وللنتائج الضخمة التي ترتبت عليها سواء في ديار الإسلام أو حركة النهضة الأوربية ، فإذا بانقلاب عظيم يحدث في الفكر الإسلامي . وفي اللغة العربية . وفي المنهج .

- فمن الناحية الفكرية ، نتج عن الترجمة انتقال العرب من طور النقل إلى طور الخلق ، وهذا كان بسرعة مذهلة ، بعد أن تدارسوا الكتب المنقولة إلى لغتهم حتى سعوا إلى تحقيق المسائل وشرحها وتلخيصها ومناقشتها والزيادة عليها ، فألفوا وابتكروا واكتشفوا ، حتى فاقوا أساتذتهم اليونان ، وصححوا لهم كثيراً من الأخطاء ، وأكملوا لهم الكثير من الأبحاث المبتورة([١]) .

- أما تأثير الترجمة في اللغة العربية ، فقد كان لها أثر في يقظة الوعي ، وجودة الفهم ، وجموح العقل ، والإسراف في التفكير ، وتفتح الأذهان ، وتفتق القرائح ، وأدى هذا إلى نشوء المذاهب الدينية ، والمدارس النحوية ، حتى كاد أن يكون لكل بيت مذهب ، وفي كل يد كتاب ([٢]).

واللغة العربية ذات طواعية وشفافية هائلة ، تمكنها من التعبير الدقيق عن الأفكار العلمية والفلسفية ، والقدرة على استيعاب المصطلحات ، والوقوف مع المستجدات ، وهضم العلوم والمعارف والآداب ، فضلاً عن المشاعر الوجدانية . وهذا لم يكن مصادفة ، إنما احتاج إلى جهود علماء اللغة الذين كان حراس لغتهم من جهة ، ورصد كل لفظ جديد والبحث عما يعادله أو يفسره من جهة أخرى . فصنفوا المعاجم المختلفة التي لاغنى عنها لكل ناطق بالضاد .

- وفي المنهج ؛ استفاد العرب من المعايير والمدارك الأجنبية ، في معالجة علومهم الشرعية ، والعقلية ، والتقسيم والمقارنة ، أوالتسلسل في عرض الأفكار والآراء والمذاهب والمعتقدات ، وبالتالي في صقل التفكير وكبح العشوائية والارتجال فيه ، بعد أن لم يكن للعرب سوى خطرات الفكر وفلتات الطبع على حد تعبير الشهرستاني ، فقد غدوا فحولاً في التمحيص والتحليل والتدقيق والربط والتوحيد والتوفيق وطول النّفس والأناة ، ومثلاً يحتذى به في سبر الأغوار والغوص على المعاني ، لاعفو الخاطر ولا بالبديهة الجامحة والتعسف الشارد ، بل بالخطو الوئيد والنّقلة المتأنية المدروسة....أي بالمنهج الواضح السليم ([٣]) .

- التوصيات :

- إن هذا النتاج العلمي الذي أعطينا ومضات سريعةعنه – بتوفيق من الله سبحانه – يضعنا أمام مسؤولية كبيرة ، وهي :

أ) الاهتمام بطلب العلم ومدارسته بكل صنوفه وألوانه ، والتصنيف به ، فالعلم عنوان الحضارة وسبب قوة الأمة وبقائها . ولاشك أن كل أفراد الأمة معنية بهذه المسؤولية .

---

[١] - مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٣٤ .

[٢] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ١١١ . و مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٢٤٤ .

[٣] - مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

ب) الاهتمام بأهل العلم من العلماء والطلبة ، وتوفير مستلزماتهم الحياتية ، وإغنائهم عن التسفل وطلب الرزق ، ليتفرغوا لخدمة العلم ويصلوا إلى الابتكار والإبداع فيه . وهنا يحضرني قول الشافعي : (لوكلفت ببصلة ماتعلمت مسألة) وهذا دليل تفرغه للعلم وترفعه عن البحث في أمر الرزق وطلب الدنيا .

ج) ضرورة الاستزادة في البحث في ظاهرة النقل والترجمة التي قام بها العرب المسلمون فثمة أبحاث مغمورة لم تظهر إلى الضوء حتى عصرنا الحاضر ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى إن كثيراً من الأبحاث العربية قد سُلبت وتمت نسبتها إلى آخرين بعد إعادة ترجمتها إلى اليونانية ، وقد نقحها العرب وأوضحوها وزادوا عليها .

د) ضرورة الاستمرار في نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنشاء مراكز للنقل والترجمة ، ثم نشرذاك النتاج ووضعه بين أيدي الطلاب والدارسين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

أ) الفهارس : ١ – فهرس الآيات الكريمة .
٢ – فهرس الحاديث الشريفة .
٣- فهرس الأعلام المترجمين .
ب) مصور الدولة العباسية والمراكز العلمية .

وصلوا إليها ، حتى حذا بالكثيرين منهم إلى إنفاق المال الكثير أو الترحال أو ترك البلاد والأوطان في سبيل طلب العلم والارتقاء به .

الخاتمة

أخيراً لابد للمتأمل في نتاج علماء الأمة الإسلامية أن يقف لهم وقفة إعجاب وتقدير، ويتوجه بالدعاء الخالص لله سبحانه أن يتغمدهم بواسع رحمته ، ويجزيهم عن الأمة خير الجزاء ؛ لما بذلوه من جهد لايضاهى للحفاظ على علوم الدين واللغة العربية .

- وأستطيع استخلاص بعض النتائج التي توصلت إليها أقتضبها فيما يأتي :

فلقد أينع الثمر في هذه المراكز العلمية التي كانت مثار البحث ، فأخرجت للأمة الإسلامية أئمة القراءات ، فنبغ أشهر القراء الذين رووا القراءات المتواترة عن رسول الله ﷺ وصنفوا ووثقوا قراءاتهم ، وانتشرت في العالم الإسلامي على أنها أصح القراءات ومادونها فهو الشاذ ، ولقد سبق هؤلاء القراء ابن عامر الدمشقي فهو أول القراء السبعة موتاً ، وكانت قراءة أهل الشام على طريقته حيناً من الزمن ، إلى أن جاء دمشق قارئ يقرأ بقراءة أبي عمرو البصري ، فتبع الناس قراءته وتركوا قراءة أبي عمرو – كما قدمنا نقلاًعن ابن الجزري – والسبب في ذلك أن علماء العراق قد اكتسبوا في ذلك العهد من الزمن ثقة الشعوب الإسلامية على أنهم القمة في مايأتون به من علم ، كما أننا نجد نشاطاً دعوياً ينطلق من العراق يحمله علماؤه وطلبة العلم فيه ، ويجوبون أقطار الإسلام ينشرون ماعندهم من علم .

أما في التفسير ، فقد استمر الاعتماد على التفسير بالمأثور في كلٍ من الشام والحجاز واليمن ، أما في العراق وبسبب نشاط اللغويين والنحويين ، ظهر مفسرون تنوعت تفاسيرهم فتعدوا التفسير بالمأثور، وألفوا تفاسير متنوعة كالتفسيراللغوي و التفاسيرالتي تهتم بمعاني القرآن ومتشابهه ومشكله ومجازه ، واكتسبت البصرة والكوفة الريادة في تصنيف هذه التفاسير ، وذلك لوجود المتضلعين المشتهرين بعلمي النحو واللغة ، وقد أفاد التنافس بين علماء البصرة والكوفة هذين العلمين وازدادا سعة ونمواً ، وكانت تلك مقدمات وأصول لتفاسير أكثر موسوعية ظهرت في العصور التالية .

أما في الحديث فلقد قدمت المراكز التي درسناها خدمة عظيمة لعلم الحديث ، وأهم عامل بشأن ذلك نذكره هو : التصنيف ،فلولا التصنيف لضاع كثير من حديث رسول الله ﷺ وإن التنافس بين طلبة علم الحديث أدى بهم إلى تتبع الحديث أينما وجد ، متحملين المشاق ومسترخصين كل شيءٍ في دنياهم دون حديث رسول الله ﷺ ، ثم جمعه وتصنيفه . وهذه ميزة اشتركت بها كل المراكز التي مر ذكرها – وإن كانت المدينة المنورة الأسبق من غيرها في خدمة هذا العلم ؛ لوجود الإمام مالك فيها الذي لم يكن له همٌّ سوى رواية حديث الرسول ﷺ - فوضعت أسس انتقاء الحديث الصحيح ، والتفريق بينه وبين الضعيف والموضوع ، ولقد ذكرنا أن هؤلاء الذين ترجمنا لهم من علماء الحديث هم الذين جمعوه وصنفوا فيه حتى كان عملهم – بلاشك - أصول كتب الحديث الصحيحة المعتمدة لدى المسلمين ولاتزال .

أما في الفقه فكان نتاج المراكز التي شملتها الدراسة ثلاثة من المذاهب الفقهية التي انتشرت في العالم الإسلامي، وهي : الحنفي والمالكي والحنبلي ونالت القبول ولاتزال . وثمة مذهب فقهي نما وترعرع في دمشق ، وانتشر ببلاد الشام ووصل إلى الأندلس ، وعمل فيه الناس فترة طويلة من الزمن – وهو مذهب الإمام الأوزاعي – ولكن لم يكتب له البقاء ! وأرى أن سبب ذلك يعود إلى أن الأوزاعي لم يرزق بطلبة مجدين كطلبة أبي حنيفة مثلاً الذين تولوا التصنيف بمذهب إمامهم ، ثم نشره في أقطار العالم الإسلامي ، وساعد على ذلك ثقة الخلفاء بالأحناف وتقريب علمائهم وتوليتهم المناصب القضائية ، بينما قلَّ اهتمام الخلفاء بعلماء دمشق ، وصار همهم استباب الأمن فيها لكثرة ماكان يحصل فيها من فتن كما سبق وذكرنا . و يضاف إلى هذه المذاهب : المذهب الشافعي الذي خرج من مصر ، ولكن رحلاته إلى مراكز العلم التي شملتها دراستنا كان فيها تأثر بمذهبه وتأثير على مذهبه ، وكان مذهبه قد تبلور قبل خروجه من مصر ، ولكنه عدّله بعد رجوعه فصار لمذهبه قسمين : قديم وجديد .

ولقد كان أكثر اعتماد المذهب المالكي بعد القرآن الكريم على الحديث النبوي ، وعمل أهل المدينة ، وذلك لشدة اهتمام صاحبه بعلم الحديث وولعه بمدينة رسول الله ﷺ بينما أكثر الأحناف من الاعتماد على القياس والرأي وشددوا من شروط الحديث الذي يعتمد عليه في الأحكام ، وكانت بين الطرفين مناظرات وانتقادات لطريقة كل منهما ، ولكن كلٌ تمسك بطريقته ؛ فكان ذلك خيراً للمسلمين ،لأنه نتج عن ذلك كثرة الأحكام وشموليتها لكل مايعترض المسلم في شؤونه الدينية والحياتية . ثم جاء المذهب الحنبلي ليحدّ من كثرة الاعتماد على القياس والرأي عند الأحناف ، وخفف من شروط الاعتماد على الحديث النبوي ، وطاف ابن حنبل الأقطار جامعاً لحديث رسول الله ﷺ وقد احتواها مسنده ، ولم يمنع من الاستدلال بالحديث ولو قلت درجة صحته .

ولسائل أن يسال : لماذا لم تشتهر مذاهب فقهية لغير هؤلاء الفقهاء ، وقد لمع نجم كثير من العلماء أمثال ابن جريج في مكة المكرمة ؟ مع أن ابن جريج كان أول من دوّن العلم بمكة – كما سبق وذكرنا – وأجيب : أن السبب في ذلك يعود إلى نشر أراء هذا العالم أو ذاك في بلاد الإسلام ، فلم يُهيأ لابن جريج ماتهيأ لغيره من الفقهاء أن قام أناس بالعناية بعلمه والتصنيف به وحمله إلى الآفاق . وماينطبق على ابن جريج ينطبق على غيره .

ولقد تعرض الدين الإسلامي لكثير من الدسائس والمؤامرات ، كان القصد منها زعزعته في قلوب متبعيه ، والاستهانة به ، ومحاولة الدس والخلط في علومه ، فكان عمل علماء الأمة بتلك القواعد والأسس التي وضعوها (في علم الحديث والفقه) من الدقة والتنظيم بحيث لاتنفع معه مؤامرة ولايؤثّر به كيد .

ولا نقول إن عمل هؤلاء العلماء الأجلاء حفظ لتراث الأمة ؛ إنما هو حفظ للدين الإسلامي العظيم الذي ارتضاه الله عز وجل لهذه الأمة .

وإن اجتهاد العلماء والتوسع في الأحكام ، وإيجاد الحلول للحوادث العارضة ، وتبسيط المسائل الصعبة ، ثم تصنيف العلوم المختلفة ، ساعد على سرعة انتشار الدين الإسلامي ، يضاف إلى ذلك اليسر الذي تمتع به هذا الدين الكريم ، فتسرب إلى قلوب أقوام لاينتمون إلى دعاته الأوائل ولايتكلمون لغتهم ، ولكنهم سرعان ما انضموا إلى إخوانهم العرب ، وساهموا في دفع الحركة العلمية قدماً ، متصفين بالجدية والمثابرة والإخلاص ، وغدوا من أقطاب هذه الأمة وأعلامها .

أما حذاق النحو، وبلغاء اللغويين الذين اشتهروا في عصر البحث فأعمالهم وإنجازاتهم تنبئ عن عظمتهم ، ولايستطيع أحدٌ أن يقلل من أهمية إنجازاتهم التي ساندت اللغة العربية وحفظتها من الاندثار حيث كانت تهددها مخاطر جمة – ذكرناها في موضعها من البحث – ولقد سبقت كل من البصرة والكوفة غيرها من مراكز العلم في تحمل مسؤولية حماية اللغة العربية ، ولئن كانت البداية قبل عصر البحث ، ولكن كَثُر علماء النحو واللغة في عصر بحثنا ، وتسابقوا في جمع المادة والتصنيف ، وأصبح العلم بالعربية السمة التي يجب أن يتصف بها كل عالم من العلماء مهما كان اهتمامه وتنوع اختصاصه .ولقد ساهمت الترجمة في تطور اللغة العربية والشعر العربي – وسنذكر ذلك فيما سيأتي – ونتاج علماء العربية لايزال منهلاً لأصحاب الاختصاص لايستطيعون تجاوزه أو غض الطرف عنه حتى وقتنا الحاضر .

والشعراء الذين حظي البحث بإعطاء نبذة جد مختصرة عنهم لايزالون يمثلون القمة في الشعر العربي . وينظر إليهم على أنهم مدارس شعرية حوت أرقى أمثلة الشعر العربي .

وفي علم التاريخ و المغازي والسيررعت مراكز العلم التي درسناها أهم الرواة وكتاب التاريخ ، هؤلاء الذين نقلوا وصنفوا أحداث الماضي بالتفاصيل الدقيقة ، وكانت دمشق صاحبة الشهرة في رواية المغازي أولأثم سحبت منها الشهرة لصالح العراق ، وسبب ذلك وجود الخلفاء فيها وتشجيعهم لكبارالمؤرخين بالكتابة والتصنيف ، وينطبق الكلام هنا على الواقدي محمد بن عمر ، الذي أمضى الثلاثين سنة الأخيرة من عمره في بغداد ويعود أصله إلى المدينة المنورة . ولكن هذا لم يمنع وجود الرواة والمؤرخين في معظم مراكز بحثنا . وبالجملة فإن المرء يلمس تطوراً كبيراً في الكتابة التاريخية في هذه الفترة من الزمن ، فلقد تعدى التصنيف التاريخي الكتابة عن الحكام والمشهورين ، إلى التصنيف في كل شيء فتمت الكتابة في بيوتات العرب والقبائل ، والنواحي الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والحضارية للأمم السابقة عربية كانت أو غير عربية – وهنا تبرز الاستفادة من الترجمة

فـي هـذه الناحيـة – وغـدا نتـاج هـؤلاء المـؤرخين والـرواة معينـاً لاينضـب للمـؤرخين الموسوعيين الذين ظهروا بعد فترة البحث .

أما العلوم الكونية التي نتجت عن الترجمة ونقل علوم الأوائل ؛ فكانت عملاً حضـارياً ، أفاد الإنسانية جمعاء ، ولقد عكف الغربيون على ترجمة النتاج العلمي العربي ، واتخذوا منه مناهج لجامعاتهم ، ومبادئ لنهضتهم العلمية التي أوصلتهم إلى قمة الحضارة الحديثة والمعاصرة ، ولمع علماء عرب تخطوا الشهرة العربية إلى العالمية وذلك لابتكاراتهم المهمة في العلوم المختلفة (في الكيمياء والرياضيات وعلم النجوم وغيرها) ولايزال نتاجهم العلمي موضع تقدير ، وله مكانة لايستغنى عنها في تواريخ العلوم وسلسة تطورها . ولقد احتكرت بغداد احتضان هذه العلوم دون غيرها ، لأن معظمها ناتج عن الترجمة مع أن بداية الترجمة في العصر العباسي كانت في البصرة على يد ابن المقفع ، ولكنها انتقلت إلى بغداد لأن العمل بالترجمة – كما رأينا - كان يخضع خضوعاً مباشراً لإشراف الخليفة في بغداد ، ومن حوله من كبار رجال الدولة ، ولايجوز إغفال مراكز أخرى كان لها مساهمة في الترجمة والعلوم الكونية ، فماقدمته عن الترجمة كان ومضة سريعة أضيفت على دراسة العلوم الأخرى ، ويحتاج الأمر إلى إفراد البحث في الترجمة والعلوم الكونية لاستقصاء روادها ومعرفة مراكزها .

وثمة من يقول : إن الترجمة جاءت بعلوم مختلفة منها المفيد ومنها ما أضر بالأمة . ويقصدون بالمفيد علم الطب الرياضيات والكيمياء والزراعة وما يماثلها .

وصنفوا الفلسفة وعلم الكلام وما يماثلهما بالعلوم الضارّة ؛ لما أحدثته من فتن كادت أن تفت من عضد الأمة ، وتفرق جمعها .

وأجدني متحفظاً على هذا القول ، فلقد أثبت التاريخ فائدة كل علم نُقل وترجم ، ولا ضير على دين الإسلام ، فلقد حفظ الله سبحانه هذا الدين بالعلماء المخلصين الذين وقفوا بصرامة أمام الفتن المدبَّرة ، ودفعوا كيد الكائدين ، متحلين بالصبر والحكمة والحذاقة ، كلفهم ذلك حريتهم وسعادتهم وصحة أجسادهم وأرواحهم ، وفي سبيل الله عزوجل ، ثم في سبيل نصرة الدين الحنيف مضى هؤلاء ، ولكنهم تركوا للأجيال التالية رسائل لاتنسى ، وقواعد حكمية تكفل لهم الوقوف على المنبر ذاته للدفاع عن الدين القويم . فمابرح أعداء الدين يكيدون لـه ، ولازالوا – ونحن في القرن الخامس عشر الهجري / الحادي والعشرين الميلادي – يحيكون المؤامرات ضده ، مستخدمين في بعض الأحيان رجالاً ينتسبون إليه ، فمن لهؤلاء إلا العلماء ؟

ثم إن المتتبع لحوارات ومناقشات أرباب الفتن ممن اتصفوا بأصحاب علم الكلام ، وحاولوا- عبثاً - إحداث شرخ في عقيدة الأمة ، وعلماء الأمة الذين تصدوا لهم ، لايجد حرية في الحوار ولامنطقاً في المناقشة ، إنما يلمس هيمنة للسلطة تجلت في فرية هؤلاء المقربين من الحاكم ، ودفعهم شغفهم بالسلطة ، وتمسكهم بالسيادة ، إلى افتراء ما لا يقبله عقل ولا يرتضيه منطق . يضاف إلى ذلك محاولة البعض منهم إبراز ثقافة قومه السابقين وإعادة نشرها .

وحين توصف الترجمة بالعمل الحضاري ؛ فلأن انتقال العلوم والفلسفة انتقالاً مستمراً من مصر والهند وفارس واليونان إلى بلاد الإسلام ؛ من الأحداث الكبرى في تاريخ العصور الوسطى كلها ، لكثرة ما أنجبت من العلماء والأدباء والفلاسفة ، وللنتائج الضخمة التي ترتبت عليها سواء في ديار الإسلام أو حركة النهضة الأوربية ، فإذا بانقلاب عظيم يحدث في الفكر الإسلامي . وفي اللغة العربية . وفي المنهج .

- فمن الناحية الفكرية ، نتج عن الترجمة انتقال العرب من طور النقل إلى طور الخلق ، وهذا كان بسرعة مذهلة ، بعد أن تدارسوا الكتب المنقولة إلى لغتهم حتى سعوا إلى تحقيق المسائل وشرحها وتلخيصها ومناقشتها والزيادة عليها ، فألفوا وابتكروا واكتشفوا ، حتى فاقوا أساتذتهم اليونان ، وصححوا لهم كثيراً من الأخطاء ، وأكملوا لهم الكثير من الأبحاث المبتورة([1]) .

- أما تأثير الترجمة في اللغة العربية ، فقد كان لها أثر في يقظة الوعي ، وجودة الفهم ، وجموح العقل ، والإسراف في التفكير ، وتفتح الأذهان ، وتفتق القرائح ، وأدى هذا إلى نشوء المذاهب الدينية ، والمدارس النحوية ، حتى كاد أن يكون لكل بيت مذهب ، وفي كل يد كتاب ([2]).

واللغة العربية ذات طواعية وشفافية هائلة ، تمكنها من التعبير الدقيق عن الأفكار العلمية والفلسفية ، والقدرة على استيعاب المصطلحات ، والوقوف مع المستجدات ، وهضم العلوم والمعارف والآداب ، فضلاً عن المشاعر الوجدانية . وهذا لم يكن مصادفة ، إنما احتاج إلى جهود علماء اللغة الذين كان حراس لغتهم من جهة ، ورصد كل لفظ جديد والبحث عما يعادله أو يفسره من جهة أخرى . فصنفوا المعاجم المختلفة التي لاغنى عنها لكل ناطق بالضاد .

- وفي المنهج ؛ استفاد العرب من المعايير والمدارك الأجنبية ، في معالجة علومهم الشرعية ، والعقلية ، والتقسيم والمقارنة ، أوالتسلسل في عرض الأفكار والآراء والمذاهب والمعتقدات ، وبالتالي في صقل التفكير وكبح العشوائية والارتجال فيه ، بعد أن لم يكن للعرب سوى خطرات الفكر وفلتات الطبع على حد تعبير الشهرستاني ، فقد غدوا فحولاً في التمحيص والتحليل والتدقيق والربط والتوحيد والتوفيق وطول النّفس والأناة ، ومثلاً يحتذى به في سبر الأغوار والغوص على المعاني ، لاعفو الخاطر ولا بالبديهة الجامحة والتعسف الشارد ، بل بالخطو الوئيد والنّقلة المتأنية المدروسة....أي بالمنهج الواضح السليم ([3]) .

- التوصيات :

- إن هذا النتاج العلمي الذي أعطينا ومضات سريعةعنه – بتوفيق من الله سبحانه – يضعنا أمام مسؤولية كبيرة ، وهي :
أ) الاهتمام بطلب العلم ومدارسته بكل صنوفه وألوانه ، والتصنيف به ، فالعلم عنوان الحضارة وسبب قوة الأمة وبقائها . ولاشك أن كل أفراد الأمة معنية بهذه المسؤولية .

---

[1] - مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٣٤ .
[2] - ضيف ، د. شوقي ، تاريخ الأدب العربي ص ١١١ . و مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص٢٤٤ .
[3] - مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

ب) الاهتمام بأهل العلم من العلماء والطلبة ، وتوفير مستلزماتهم الحياتية ، وإغنائهم عن التسفل وطلب الرزق ، ليتفرغوا لخدمة العلم ويصلوا إلى الابتكار والإبداع فيه . وهنا يحضرني قول الشافعي : (لوكلفت ببصلة ماتعلمت مسألة) وهذا دليل تفرغه للعلم وترفعه عن البحث في أمر الرزق وطلب الدنيا .

ج) ضرورة الاستزادة في البحث في ظاهرة النقل والترجمة التي قام بها العرب المسلمون فثمة أبحاث مغمورة لم تظهر إلى الضوء حتى عصرنا الحاضر ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى إن كثيراً من الأبحاث العربية قد سُلبت وتمت نسبتها إلى آخرين بعد إعادة ترجمتها إلى اليونانية ، وقد نقحها العرب وأوضحوها وزادوا عليها .

د) ضرورة الاستمرار في نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنشاء مراكز للنقل والترجمة ، ثم نشرذاك النتاج ووضعه بين أيدي الطلاب والدارسين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

أ) الفهارس : ١ – فهرس الآيات الكريمة .
٢ – فهرس الحاديث الشريفة .
٣- فهرس الأعلام المترجمين .
ب) مصور الدولة العباسية والمراكز العلمية .

أ) المصادر والمراجع .
ب) المجلات والدوريات وأبحاث المؤتمرات العلمية .
ج) المراجع الأجنبية .

أ) المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

١- القرآن الكريم .
* **ابن أبي أصيبعة** ، أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ، أبو العباس (ت : ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)
٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠م .
* **البخاري** ، أبو عبد الله ، محمد بن اسماعيل (ت :٢٥٦ هـ ، ٨٦٩ م)
٣- الصحيح الجامع ، ط: دار الشعب ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٧ م .
* **البغدادي**،عبد القاهر بن طاهر(ت:٤٢٨هـ/١٠٣٧م)
٤- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠م
* **ابن بكار** ، الزبير (ت : ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م)
٥- جمهرة نسب قريش وأخبارها، ط : القاهرة ١٣٨١ هـ
* **البلاذري** ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ /٨٩٢ م)
٦- فتوح البلدان ، تحقيق : د. عبد الله أنيس الطباع ، ط: مؤسسة المعرف للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
* **البيهقي** ، أحمد بن الحسين ، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ / ١٠٦٠ م)
٧- السنن والآثار ، ت : أحمد صقر ، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ١٩٦٩م .
٨- **شعب الإيمان** ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، ط : دار الفكر ، بيروت ١٤٢٤هـ .
* **الترمذي** ، محمد بن عيسى (ت: ٢٩٧هـ /٩٠٩م)
٩- **الجامع الصحيح أو السنن** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: البابي الحلبي ، مصر ١٩٧٦ م .
* **ابن تيمية** ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الدمشقي (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧ م)
١٠- مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق جميل الشطي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٣٦ م .
* **الجاحظ** ، عمرو بن بحر ، أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م)
١١- البيان والتبيين ٤ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
* **ابن الجزري** ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد (ت : ٨٣٣هـ / ١٤٣٠ م)
١٢- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره : ج . برجستراسر ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م .
* **الجويني** ، عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي (ت : ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م)
١٣- **البرهان في أصول الفقه** ، تحقيق د. عبد العظيم محمود الديب ، ط : دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ١٤١٨ هـ
*- **الحموي** ، شهاب الدين ، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)
١٤- معجم البلدان ، ط : دار صادر ١٩٨٠م .

* **ابن حبان** ، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي (ت : ٣٥٤هـ /)
١٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط : مؤسسة الرسالة ، دمشق ١٩٨٨م .
***- ابن حنبل** ، أحمد بن محمد ، أبو عبد الله الشيباني (ت :٢٤١هـ / ٨٥٥ م)
١٦- المسند ، ط : دار صادر بيروت ، بلا تاريخ .
* **الخطيب البغدادي** ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت (ت :٤٦٣ هـ / ١٠٧٣ م)
١٧- **تاريخ بغداد** ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٨- اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ ،تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي - الطبعة: الرابعة ، بيروت١٣٩٧هـ .
* **ابن خلكان** ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١ هـ /١٢٨٤ م **)**
١٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق د . إحسان عباس ط: دار صادر بيروت بلا تاريخ
* **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
٢٠- **المقدمة** ، تحقيق : حجر عاصي ط : دار الهلال ، بيروت ١٩٨٣ م .
* **ابن خياط** ، خليفة (ت :٢٤٠ هـ /٨٥٤م)
٢١- التاريخ ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧ م .
٢٢ – **الطبقات** ، تحقيق سهيل زكار ،ط: دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٧ م .
* **الدارمي** ،عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو محمد (ت :٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)
٢٣- **السنن** ،بعناية : أحمد محمد دهمان ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠ م .
* **أبو داود** ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م)
٢٤- **السنن** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت بلاتاريخ .
* **ابن الديبع** ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٩٤٤ هـ /١٥٣٧ م)
٢٥ - قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد علي الأكوع ، ط : الدار السلفية ، القاهرة ، بلا تاريخ .
* **الذهبي** ، محمد بن أحمد ، شمس الدين (ت : ٧٤٨ هـ /١٣٧٤ م)
٢٦- سير أعلام النبلاء ، تحقيق :شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط : مؤسسة الرسالة ،الطبعة العاشرة ، بيروت ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .
٢٧ - معرفة القراء الكبار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط : دار الكتب الحديثة .القاهرة ١٩٦٩ م .
*** الرازي ، محمد بن زكريا ، أبو بكر (ت : ٤٦١هـ / ١٠٦٨ م)**
٢٨- تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبد الله العمري ، ط : دار الفكر العربي المعاصر ١٩٨٩ م .
* **الزبيدي** ، محمد بن الحسن ، أبو بكر الأندلسي(ت : ٣٧٩ هـ /٩٩٠ م)
٢٩- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، بلا تاريخ .
* **السبكي** ، تاج الدين بن علي ،
٣٠- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود على الطناحي ، ط: هجر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٣ هـ .
* **ابن سعد** ، محمد بن سعد بن منيع (ت : ٢٣٠ هـ /٨٤٤م)
٣١- الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) تحقيق : زياد محمد منصور ، ط : المدينة المنورة ١٤٠٨هـ /١٩٨٣ م .
* **السمعاني** ، عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد (ت : ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م)
٣٢ - **الأنساب** ، ط : مركز الخدمات والأبحاث ، نشر دار الجنان ، بلا تاريخ .
* **السيوطي**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
٣٣- **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط : المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م
* **الشهرستاني** ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت٥٤٨ هـ /١١٥٣ م)
٣٤- الملل والنحل تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ط:دار المعرفة بيروت ١٩٩٣ م .
* **صاعد بن أحمد** بن عبد الرحمن الأندلسي (ت : ٤٦٢ هـ /١٠٧٠ م)
٣٥- **طبقات الأمم** ، عني بنشره الراهب لويس شيخو اليسوعي ، ط: مطبعة اليسوعيين ، بيروت ١٩١٢ م .

* **الصفدي** ، صلاح الدين ، خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤ هـ /١٣٦٣م)
٣٦ - تحفة **ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب** ، تحقيق : إحسان بنت سعيد خلوصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٩١م .
٣٧- الوافي بالوفيات ، تحقيق : هلموت ريتر ، ط : دار نشر : فرانز شتايز ١٩٩١م .

* **ابن الصلاح** ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ / ١٢٤٥ م)
٣٨- علوم الحديث ، تحقيق : د. نور الدين عتر ، ط: المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ /١٩٦٦م .
* **الصولي** ، محمد بن يحيى
٣٩- **أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم** ، عني بنشره ج . هيورث.د ن.ط: دار المسيرة ،بيروت١٩٧٩ م .
* **الطبراني** ، سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠ هـ /٩٧١م)
٤٠- المعجم الكبير ، ط : دار الراية ، جدة ١٩٩٣م .
- المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، ط : دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ .
* **الطبري** ، محمد بن جرير (ت :٣١٠هـ /٩٢٣ م)
٤١- **تاريخ الأمم والملوك** ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر ١٩٧٠م .
٤٢- جامع البيان في تأويل القرآن ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ هـ .
* **ابن الطقطقي** ، محمد بن علي بن طباطبا (ت : ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م)
٤٣- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، بلاتاريخ.
* **ابن عبد البر** ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ /١٠٧١ م)
٤٤- جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي ، ط: مؤسسة الريان - دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣ م .
* **ابن عبد الحق** ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت : ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م)
٤٥- مراصد الاطلاع ، ط: دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٥٤م .
* **ابن عبد المجيد** ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت : ٧٤٣ هـ ، ١٣٤٢ م)
٤٦- بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، ط: دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م
* **ابن عساكر** ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت : ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
٤٧- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، ط: المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١ م .
* **العمري** ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت : ٧٤٩ هـ / ١٣٥٠م)
٤٨- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب وآخرون ط: المجمع الثقافي ، الإمارات – أبوظبي ١٤٢٥ هـ .
* **عياض** ، القاضي ،عياض بن موسى بن عياض البستي (ت : ٥٤٤هـ /١١٤٩ م)
٤٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ت : محمد بن تاويت الطنجي ، ط : الرباط ، المملكة المغربية ١٩٦٥ م .
* **الفاسي المكي** ، محمد بن أحمد (ت : ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م)
٥٠- شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام ، تحقيق : د. عبد السلام تدمري ط : دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٥ م .
* **ابن فرحون** ، إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت: ٧٩٩ هـ /١٣٩٦م)
٥١- **الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب** ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .
* **القابسي** ، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القيرواني (ت : ٤٠٣ هـ / ١٠٠٧ م)
٥٢- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام لمتعلمين والمعلمين (ملحق مع كتاب التربية في الإسلام للأهواني) ط : القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ م .
* **ابن قتيبة** ، عبد الله بن مسلم أبو محمد الدينوري (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م)
٥٣- الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ط: دار المعارف ، مصر بلاتاريخ .
* **القرطبي** ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت : ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م)
٥٤- الجامع لأحكام القرآن ، ط: دار الشام للتراث ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م .
* **القشيري** ، عبد الكريم بن هوازن ، أبو القاسم (ت: ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)

٥٥- الرسالة القشيرية ، ط: مصورة عن طبعة بولاق ١٢٨٤هـ .
* **الكتبي** ، محمد بن شاكر **(ت :)**
٥٦- فوات الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس ،ط: دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م
* **ابن كثير الدمشقي** ، إسماعيل بن كثير ، أبو الفداء (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
٥٧- **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨١ م .

- **ابن كثير الدمشقي** ، إسماعيل بن كثير ، أبو الفداء (ت: ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
٥٨- البداية والنهاية ، ،تحقيق : عدد من الباحثين ، ط : دار ابن كثير ، دمشق ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م .
* **ابن ماجة** ، محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)
٥٩- السنن ، كتب حواشيه : محمود خليل ،ط : مكتبة أبي المعاطي ، القاهرة ١٩٨٢م .
* **مالك بن** أنس (ت: ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)
٦٠- **الموطأ** ، رواية الليثي ،ط : دار النفائس ١٩٧١ م .
* **المتقي الهندي**، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت : ٩٧٥ هـ /١٥٦٧ م)
٦١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٩ م .
* **المسعودي** ، علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)
٦٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط :مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٤م .
* **المسعودي** ، علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن (ت : ٣٤٦هـ /٩٥٧م)
٦٣ - التنبيه والإشراف ، ط: دار التراث ، بيروت ١٩٦٨م .
* **المعتز** ، عبد الله بن المعتز العباسي (ت : ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م)
٦٤- **طبقات الشعراء** ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، ط : دار الهلال ، بيروت ٢٠٠٢ م .
* **ابن الملقن** ، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد (ت :٨٠٤هـ /١٤٠١م)
٦٥- **طبقات الأولياء** ، ط : الخانجي ، مصر ١٩٧٣م
* **ابن منظور** ، محمد بن مكرم ، أبو الفضل الأنصاري الرويفعي (ت : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)
٦٦- **لسان العرب** ، ط: دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
* **ابن ناصر الدين الدمشقي**، محمد بن عبد الله القيسي (ت: ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م)
٦٧- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة ، تحقيق : محمد نعيم عرقسوسي ، ط: مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣م .
* **ابن النديم** ، محمد بن إسحاق ، أبو الفرج (ت : ٣٨٥هـ /٩٩٥ م)
٦٨- الفهرست ، ط : دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨م .
* **النرشخي** ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت : ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م)
٦٩- تاريخ بخارى ، تحقيق : الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر بن محمد الطرازي ، ط: دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ م
* **النسفي** ، نجم الدين عمر بن محمد (ت : ٥٣٧هـ / ١١٤٢ م)
٧٠- القند في ذكر علماء سمرقند ، تحقيق : يوسف الهادي ، ط: مرآت التراث ، طهران إيران ١٩٩٩م .
* **أبو نعيم** ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ /١٠٣٨ م)
٧١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ ج) ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ هـ /١٩٨٨ م .
٧٢- معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، **ط : دار الوطن للنشر – الرياض ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .**
* **ابن هشام** ، عبد الملك بن هشام الحميري ، أبو محمد (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣م)
٧٣- السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط : البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثانية١٣٧٥ هـ /١٩٥٥ م .
* **الهمداني** ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، (ابن الحائك) (ت: ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)
٧٤- **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق : محمد علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
* **الهيثمي** ، علي بن أبي بكر بن سليمان (ت : ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
٧٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق حسين سليم الداراني ، ط: دار المأمون ، دمشق ١٩٩١م .

ثانيا : المراجع :

١- **إبلاغ** ، د. عناية الله ، **علم الهيئة وصلته بالعلوم الإنسانية** ، سلسلة رسائل جغرافية ، إصدار الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ،١٩٩٣ م
٢- الأطرقجي ، رمزية ، **بيت الحكمة وأثره في الحركة العلمية**(مقالة مجلة المؤرخ العربي ، بغداد العدد١٤ سنة ١٩٨٠م)
٣- **الألوسي** ، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ / ١٨٣٥م) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، ط : إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، بلا تاريخ .
٤- **أمين** ، أحمد ، **ضحى الإسلام** ، ط : مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٣٦م
٥- **أمين** ، أحمد بيك ، **هارون الرشيد** ، ط: دار الهلال ، القاهرة ، بلا تاريخ .
٦- **البابا** ، د. محمد زهير،**علم الفلاحة والزراعة العربي** (مقالة) في مجلة التراث العربي العددان ٣٧و٣٨ تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٠ م
٧- **البراقي** ، النجفي ، حسين بن السيد أحمد (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م) **تاريخ الكوفة** ، ط : دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م .
٨- **بيطار** د. أمينة ، **تاريخ العصر العباسي** ط: مؤسسة الوحدة ، دمشق ١٩٨١ م .
٩- **التكريتي** ، سليم طه ، **بيت الحكمة وأثره في النهضة الفكرية** – مقالة في مجلة المؤرخ العربي – العدد ١٤بغداد ١٩٨٠م
١٠- **تيمور** ، أحمد ، **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة** الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين - تقديم محمد أبو زهرة –ط : دار القادري ، بيروت ١٩٩٠م.
١١- **الجابي** ، بسام عبد الوهاب ، **معجم الأعلام** (معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء..) ، ط: الجفان والجابي ، دمشق ١٩٨٧ م
١٢- **حامد** ، عبد الستار ، الإمام **زفر بن الهذيل أصوله وفقهه** ، ط : وزارة الأوقاف ، بغداد ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.
١٣- **الحجري اليمني** ، محمد بن أحمد ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، تحقيق : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط : دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٩٩٦ م .
١٤- **الحسيني** ، خلف محمد ، **القرآن يقوم العقل والنفس واللسان** ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، بلاتاريخ .
١٥- **الخطيب** ، محمد عجاج ، **السنة قبل التدوين** ، ط : مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٨٣ هـ
١٦- **خليفة** ، حاجي ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني(كاتب جلبي) **كشف الظنون عن أسامي الكتب**

ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م .
١٧- **خليل مناع** ، **تاريخ التشريع الإسلامي** ، ط : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م
١٨- **دحلان** ، أحمد بن زيني (١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام** ، ط: مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م ، ص ٦ .
١٩- **الدوري** ، د . عبد العزيز ، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب** ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠م
٢٠- الديوه جي ، سعيد ، **التربية والتعليم في الإسلام** ، ط: الموصل ١٤٠٢ هـ .
٢١- **الديبان** ، محمد بن عبد الله ، **حنين بن إسحاق** – دراسة تاريخية ولغوية – ط: الرياض ١٩٩٣ م .
٢٢- **الديوه جي** ، سعيد ، **التربية والتعليم في الإسلام** ، ط: الموصل ١٤٠٢ هـ .
٢٣ - **رستم** ،**أسد** ، **كنيسة الله أنطاكية العظمى** ط: مطبعة دار الفنون ، بيروت ، بلاتاريخ .
٢٤- الزحيلي ، د . وهبة بن مصطفى - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط : دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة الثانية١٤١٨ هـ
٢٥- **الزركلي** ، خير الدين ، **الأعلام (قاموس تراجم)** ط: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٠ م .
٢٦- **الزرو** ، خليل داود ، **الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة** – رسالة ماجستر – ط: دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١ م .
٢٧- **أبو زهرة** ، محمد ، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بلاتاريخ
٢٨- **الزيات** ، أحمد حسن وجماعة ، **المعجم الوسيط** ، ط: دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ١٩٨٩ م
٢٩- **زيتون** د.عادل ، **آل بختيشوع في البلاط العباسي** ، ط: عالم الفكر ، بيروت ١٩٨٣ م .
٣٠- **زيدان** ، يسري أحمد ، **آل المنجم وجهودهم الحضارية** (مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية ودورها في بناء الحضارة العالمية) صدر عن اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠٠٢ م .
٣١- **السبع** ، محمد مروان ، **حركة الترجمة العلمية وتوسعها في العصر العباسي** (في أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب) ط: جامعة حلب ١٩٨٩ م
٣٢- **سزكين** ، د. فؤاد ، **تاريخ التراث العربي** ، نقله إلى العربية : د. محمود فهمي حجازي ، ط: إدارة الثقافة في جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٣٣- **سزكين** ، د. فؤاد ، **نقل الفكر العربي إلى أوربا اللاتينية** ، ط : مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨م
٣٤- **شامي** ، يحيى ، **علم الفلك** "صفحات من التراث العلمي العربي الإسلامي " ص٤٧ ط: دار لفكر ، بيروت ١٩٩٧ م .
٣٥- **شاهين** ، حمدي ، **الدولة الأموية المفترى عليها** ، ط: دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١ م .
٣٦- **الشجاع** ، عبد الرحمن عبد الواحد ، **تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى** ، صنعاء ٢٠٠٢ م .
٣٧- **الشريقي** ، د. إبراهيم ، **التاريخ الإسلامي** ، ط: القاهرة ١٩٧١ م .
٣٨- **الشطشاط** ، علي حسين ، **الطبيب والمترجم والناقل ثابت بن قرة الحراني** ، ط :بنغازي ، جامعة قاريونس ، ١٩٩٠م .
٣٩- **الشنتاوي** ، أحمد وإبراهيم زكي خورشيد ، **دائرة المعارف الإسلامية** ، الإصدار باللغة العربية : مترجمة عن الفرنسية والإنجليزية – ط : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٤٠- **الشيمري** ، عبد الولي عبد الوارث فرحان ، **موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه** ، ط : دار الحكمة ، صنعاء ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
٤١- **الصالح** ، صبحي ، **مباحث في علوم القرآن** ، الطبعة ٢٤ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٠م .
٤٢- **الصلابي** ، د . علي محمد ، **الدولة الأموية** : ط : دار المعرفة ، بيروت – لبنان ٢٠٠٥ م
٤٣- **الضاري** ، حارث سليمان ، **الإمام الزهري وأثره في السنة** ،ط: مكتبة بسام ، الموصل ، العراق ١٩٨٥م .

٤٤- **ضيف** ، د. شوقي ، **المدارس النحوية** ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، بلاتاريخ (الطبعة السابعة)
٤٥- **الكبيسي** ، محمد مصطفى ، **منهج الواقدي في كتابه المغازي** - رسالة دكتوراه - جامعة ببغداد ١٩٨٥ م
٤٦- **الكتاني** ، عبد الحي بن عبد الكبير الحسني ، **نظام الحكومة النبوية** المسمى (التراتيب الإدارية) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ
٤٧- **كحالة** ، عمر رضا كحالة ، **مختصر تاريخ الدول الإسلامية** ، ط : المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨ م.
٤٨ - **كرد علي** ، محمد ، **دمشق مدينة السحر والشعر** ، ط: دار الفكر٢٠٠٨ م
٤٩- **كرد علي** ، محمد ، **خطط الشام** ، نشر مكتبة النوري ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ،
٥٠- **الكردي المكي** ، محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط ، **تاريخ القرآن وغرائب رسمه** ، ط : البا بي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٣ م

٥١- **العابد** ، د. مفيد رائف محمود ، **معالم تاريخ الدولة الساسانية** (عصر الأكاسرة) ط : دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٢ م .
٥٢- **عاشور** ، د. عبد الفتاح ، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية** ، ط: الكويت ١٩٨٦م
٥٣- **ابن عاشور** ، محمد الطاهر ، **تفسير التحرير والتنوير** ط: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م
٥٤- **عبد الجبار** ، **من مشاهير أعلام البصرة** ط: جامعة البصرة ١٩٨٣ م
٥٥- **عبد الدائم** ، عبد الله ، **التربية عبر التاريخ** ط: دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م
٥٦- **عبد الله د. عيسى** ، **قراءة جديدة للعلوم عند العرب** ،ط: جمعية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ٢٠٠٧م
٥٧- **عبد الوهاب** ، عبد اللطيف ، **مقدمة الموطأ** - نسخة الشيباني - ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ١٩٦٧ م
٥٨- **عموش** ، أحمد راتب ، **مقدمة الموطأ** - نسخة الليثي -ط : دار النفائس ، بيروت ١٩٧١ م
٥٩- **عون** د. فيصل بدير ، **علم الكلام ومدارسه** ،ط: مكتبة الأنجلة المصرية ، القاهرة ٢٠٠٨ م
٦٠- **ابن الغملاس** ، **البصرة ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى الحكم العثماني** ، ط: الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٨ م
٦١- **فامبري** ، أرمنوس ، تاريخ بخارى ، ترجمة الدكتور احمد محمود الساداتي ، مطبعة مصر ١٩٧١ م
٦٢- **الفراجي** ، عدنان علي ، **الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني** ،ط:الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٦ م .
٦٣- **الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، معالم التاريخ الإسلامي ، ط: دار الفكر العربي ، القاهرة بلا تا .**
٦٤- **فيناس** د. غسان ، **تاريخ الفلسفة العربية** ، ط: دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٩م .
٦٥- **قطب ، سيد** ، **في ظلال القرآن** ، ط : دار الشروق – القاهرة ، بلا .
٦٦- **القنوجي** ، صديق بن حسن ، **أبجد العلوم** ط: المكتبة القدوسية ، لاهور باكستان ١٩٨٣ م
٦٧- **مرحبا** ، د. محمد عبد الرحمن ، **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب** ، ط: بحر المتوسط ، بيروت ١٩٨٨م .
٦٨- **مصطفى** ، إبراهيم وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، ط: دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ١٤١٠هـ /١٩٨٩ م
٦٩- **مصطفى** ، د. شاكر ، **التاريخ العربي والمؤرخون** ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٣ م
٧٠- **المكي** ، محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط ، **تاريخ القرآن وغرائب رسمه** ، ط: البا بي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٣ م .
٧١- **موسى** ، د. على حسن ، **علم الفلك في التراث العربي** ، ط: دار الفكر ، دمشق ٢٠٠١ م

٧٢- **الموسوي** ، مصطفى عباس ، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية** ،ط: دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢م
٧٣- **المطيعي** ، محمد بخيت ، **توفيق الرحمن بين ماقاله علماء الهيئة وبين ماجاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن** ط: مكتبة مدبولي ، القاهرة ،بلا تاريخ
٧٤- **ميتز** ، آدم ،**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م
٧٥- نخبة من الباحثين السوريين، **الموسوعة العربية** ، بإشراف رئاسة الجمهورية ، الطبعة الأولى : دمشق ٢٠٠٢ م
٧٦- نخبة من الباحثين العراقيين ، **حضارة العراق** ، ط: بغداد ١٩٨٥م
٧٧-الندوة العالمية للشباب الإسلامي: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ، ط : جدة ١٩٨٥م .
٧٨- **نصار حسين** ، **المعجم العربي نشأته وتطوره** ط: مكتبة مصر للمطبوعات ١٩٨٨م
٧٩- **النملة** د. علي بن إبراهيم الحمد ، **النقل والترجمة في الحضارة العربية الإسلامية** ط: مكتبة فهد الوطنية ، الرياض ٢٠٠٦م
٨٠- **الهيلة** ، محمد الحبيب ، **التاريخ والمؤرخون بمكة** ، ط : مؤسسة الفرقان للتراث العربي ، مكة المكرمة ١٩٩٤م
٨١- **يعقوب** ، د. إميل بديع ، **موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم** ، ط: دار نوبليس ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

ثالثا - المجلات والدوريات وأبحاث المؤتمرات العلمية

- أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب (مؤتمر سنوي يهتم بتاريخ العلوم عند العرب) جامعة حلب ١٩٨٩ م .
- البصائر / تبحث في التراث الشرقي ، تصدر عن الاتحاد الثقافي في فرنسا ، العدد الثامن ١٩٨٦ م
- الحضارة العربية الإسلامية ودورها في بناء الحضارة العالمية (كتاب سنوي) – يصدر عن اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ٢٠٠٢ م .
- سلسلة رسائل جغرافية ، إصدار الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ،١٩٩٣ م .
- مجلة التراث العربي ، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٠ م
- مجلة المؤرخ العربي ، مجلة فصلية تاريخية ، بغداد العدد١٤ سنة ١٩٨٠ م .
- **خضير**، محمد قاسم ، **القرآن والعلم** - مجموعة مقالات ألكترونية – من موقع
http://www.holyquran.net

رابعا - المراجع الأجنبية

* SHacht,the Origins of muammadan Jurisprudence , P 34 (Oxford University press) 1958

ب) الاهتمام بأهل العلم من العلماء والطلبة ، وتوفير مستلزماتهم الحياتية ، وإغنائهم عن التسفل وطلب الرزق ، ليتفرغوا لخدمة العلم ويصلوا إلى الابتكار والإبداع فيه . وهنا يحضرني قول الشافعي : (لوكلفت ببصلة ماتعلمت مسألة) وهذا دليل تفرغه للعلم وترفعه عن البحث في أمر الرزق وطلب الدنيا .

ج) ضرورة الاستزادة في البحث في ظاهرة النقل والترجمة التي قام بها العرب المسلمون فثمة أبحاث مغمورة لم تظهر إلى الضوء حتى عصرنا الحاضر ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى إن كثيراً من الأبحاث العربية قد سُلبت وتمت نسبتها إلى آخرين بعد إعادة ترجمتها إلى اليونانية ، وقد نقحها العرب وأوضحوها وزادوا عليها .

د) ضرورة الاستمرار في نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنشاء مراكز للنقل والترجمة ، ثم نشرذاك النتاج ووضعه بين أيدي الطلاب والدارسين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

أ) الفهارس : ١ – فهرس الآيات الكريمة .
٢ – فهرس الحاديث الشريفة .
٣- فهرس الأعلام المترجمين .
ب) مصور الدولة العباسية والمراكز العلمية .

الفهارس

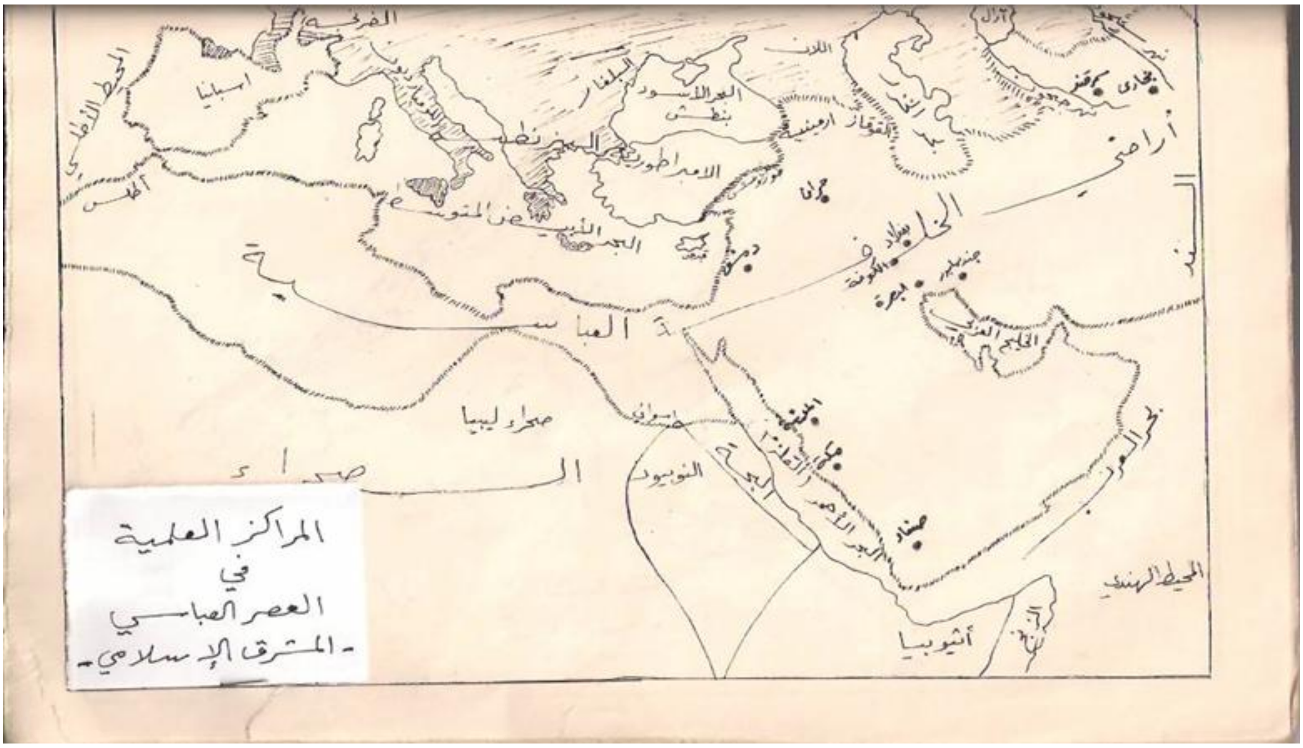
١- فهرس الآيات الكريمة

السورة	الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى	١٥٩	٣٤
البقرة	يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس	١٨٩	١٨٩
المائدة	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي	٣	١٣و٢١٠
المائدة	يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ	٦٧	٢٢١
الأنعام	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا	٩٧	١٩٨
يوسف	إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون	٢	١٣٨
طه	الرحمن على العرش استوى	٤	٦١و٢٠٩
طه	و قل ربي زدني علما	١١٤	٣٥
إبراهيم	لئن شكرتم لأزيدنكم	٧	٤٠
الفرقان	تبارك الذي جعل في السماء بروجاً	٦١	١٨٩
القصص	ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا	٥	١٣
الأحزاب	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٥٦	١٤
الزمر	قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون	٩	٣٥
الذاريات	وفي السماء رزقكم وماتوعدون	٢٢	١١١
الحديد	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم	١٦	٧٦
محمد	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	١٣٨
المجادلة	يرفع الله الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم	١١	٣٥
الصف	إن الله يحب الذي يقاتلون في سبيله صفا	٤	١٣٣
نوح	استغفروا ربكم إنه كان غفارا....	١٠	٥٨
القيامة	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	٢٢	٦٣و٢٠٩
الصمد	قل هو الله أحد	١	١١١

٢- فهرس الأحاديث الشريفة

٣ - فهرس الأعلام المترجمين

ب) مصور الدولة العباسية ، والمراكز العلمية في المشرق الإسلامي *



* تمت الاستفادة من أبوخليل ، د. شوقي ، أطلس التاريخ الإسلامي ، ط : دار الفكر ، دمشق ١٩٨٦ م